

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثالث

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب ذكر الحمام (1)

وما أودعها الله عز وجل⁽²⁾ من ضروب المعرفة، ومن الخصال المحموده، لتعرف⁽³⁾ بذلك حكمة الصانع، وإتقان صنْع المدبر⁽⁴⁾.

(استنشاط القارئ ببعض الهزل)

وإن كنا قد أمللناك بالجِدِّ وبلاحتجاجاتِ الصحيحة والمروّجة⁽⁵⁾؛ لتكثر الخواطر، وتشحد العقول - فإننا سننشطك⁽⁶⁾ ببعض البطالات، وبذكر العلل الطريفة، والاحتجاجات الغريبة؛ فربّ شعر يبلغُ بقرط غباوة صاحبه [من السرور والضحك والاستطراف]، ما لا يبلغه [حشد] أحرّ النوادر، وأجمع⁽⁷⁾ المعاني.

وأنا استظرف أمرين استظرافاً شديداً: أحدهما استماع حديث الأعراب. والأمر الآخر احتجاج متنازعين في الكلام، وهما لا يحسنان منه شيئاً؛ فإنهما يُثيران من غريب الطيب⁽⁸⁾ ما يُضحك كلُّ ثكّالٍ وإن تشدّد، وكلُّ غضبانٍ وإن أحرّقه لهيب الغضب. ولو أنّ ذلك لا يحل⁽⁹⁾ لكان في باب اللهو والضحك والسرور والبطالة والتشاغل، ما يجوز في كل فن⁽¹⁰⁾.

وسنذكر من هذا الشكل عللاً، ونورد عليك من احتجاجات الأغبياء حجباً. فإن كنت ممن يستعمل الملاله، وتَعَجَّل إليه السامة، كان هذا الباب تنشيطاً لقلبك، وجماًماً لقوتك.

(1) ش: «نبدأ وبالله التوفيق بذكر الحمام» ل: «من الله التوفيق بذكر الحمام».

(2) ل: «وما أودعه الله جل ذكره».

(3) في الأصل: «ولتعرف».

(4) كذا في ل. وفي ط: «وإتقانه وصنعه المدبر». وفي ش: «وصنعة المدبر».

(5) المروجة: التي روجها صاحبها، وجعلها تسير في الناس. ويقال: روج الدراهم: جعلها تنفق في السوق. وفي ط، ش: «الممزوجة»، والأشبه ما أثبت من ل.

(6) كذا في ل. وفي ط: «فاششطتك»، وفي ش: «فاششطتك».

(7) ط: «وأجود». وما كتبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ.

(8) المراد بكلمة «الطيب» هنا: الهزل والفكاهة، كما في هذا الجزء ص 20. وفي القاموس: «وفاكه: طيب النفس ضحوك»، ويقال: طايه: أي مازحه وجاء في البيان 3: 345: «وكان فتى طيب من ولد يقطين لا يصحو» وطيّب بمعنى فكه مزاح. وأصل معناه السهل المعاشرة، وانظر الحيوان 4: 33.

(9) ش: «ولولا أن ذلك ليحل»؟ والإشارة بكلمة «ذلك» إلى احتجاج المتنازعين.

(10) ط، ل: «ما يجوز كل فن».

ولنبتدئ النَّظْرَ في باب الحمام وقد⁽¹⁾ ذهب [عنك] الكَلالُ وحدثَ النشاط . وإن كُنْتَ صاحبَ علمٍ وجِدٍّ، وكنتَ⁽²⁾ ممرِّناً موقَّحاً، وكنتَ إلفَ تفكيرٍ وتنقييرٍ، ودراسةٍ كُتُبٍ، وحِلَفَ تَبَيُّنٍ⁽³⁾، وكانَ ذلكَ عادةً لك لم يَضِرْكُ مكانُهُ من الكتابِ، وتخطَّيه⁽⁴⁾ إلى ما هو أولى بك .

(ضرورة التنوع في التأليف)

وعلى أني قد عزمْتُ - واللَّهَ الموفِّقُ - أني أوشَّحَ هذا الكتابَ وأفصَّلُ أبوابَه، بنوادرٍ من ضُرُوبِ الشَّعرِ، وضُرُوبِ الأحاديثِ؛ ليخرجَ قارئُ هذا الكتابِ من بابٍ إلى بابٍ، ومن شكلٍ إلى شكلٍ؛ فإنِّي رأيتُ الأسماعَ تملُّ الأصواتَ المطرِبَةَ والأغانيَّ الحسنةَ والأوتارَ الفَصِيحةَ، إذا طال ذلكَ⁽⁵⁾ عليها . وما ذلكَ إلَّا في طريقِ الراحةِ، التي إذا طالت أورثت الغفلةَ . وإذا كانت الأوائِلُ قد سارَتْ في صغارِ الكتبِ هذه السَّيرةَ، كانَ هذا التَّدبيرُ لِمَا طَالَ وكثُرَ أصْلَحُ، وما غايَتنا مِن ذلكَ كُلِّه إلَّا أن تَسْتَفِيدُوا خيراً .

وقال أبو الدَّرداء: إنِّي لأَجُمُ نفسي بِنَعْضِ الباطلِ، كراهَةً أن أحْمِلَ عليها من الحقِّ ما يملُّها!

(ادِّعاء أبي عبد الله الكرخيِّ الفقه)

فمن الاحتجاجات الطَّيِّبَةِ⁽⁶⁾، ومن العِللِ الملهيةِ، ما حدَّثني به ابنُ المديني⁽⁷⁾ قال: تحوَّلَ أبو عبد الله الكرخيُّ اللَّحْيانيُّ إلى الحَرْبِيَّةِ⁽⁸⁾ فادَّعى أَنَّهُ فقيهه، وظنَّ أن ذلكَ يجوزُ له؛ لمكانِ لحيته وسَمْتِه . قال: فألقى على باب داره البوارِيَّ⁽⁹⁾، وجلسَ [وجلسَ] إليه [بعضُ] الجيرانِ، فأتاه رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله! رجلٌ أدخلَ إصْبَعَه في أنفه فخرَجَ عليها دَمٌ، أيُّ شيءٍ يصنعُ⁽¹⁰⁾؟! قال: يحتجم . قال: قعدتَ طبيباً أو قعدتَ فقيهاً؟

(1) كذا في ش. وفي ل، ط: «فقد» .

(2) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(3) التبيين: التفهم، وفي ط، ش: «تبيين»، وما أثبت من ل أشبهه بكلام الجاحظ .

(4) التخطي: مصدر تخطى بمعنى تجاوز . والتخطية: مصدر خطاه، بمعنى دفعه وأماطه، وإذا حملت غيرك على أن يخطو قلت: أخطيته . وكلمة «تخطيه» هي في ش: «تخطيته»، وهو تحريف ما أثبت من ل؛ ط .

(5) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(6) الطيبة هنا بمعنى الهزلية . وانظر ما سبق في ص 3، وهذه الكلمة هي في ط، ل: «الطيبة» مصحفة .

(7) هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيج بن بكر بن سعد أبو الحسن السعدي، مولا هم ويعرف بابن المديني، بصري الدار، وهو أحد أئمة الحديث في عصره، والمقدم على حفاظ وقته، أخذ عنه أحمد بن حنبل، وكان لا يسميه، إنما يكنيه تَبْجِيلاً له . اتصل بالقاضي أحمد بن أبي داود، وله معه أخبار كثيرة . ولد سنة إحدى وستين ومائة، وتوفي سنة أربع وثلاثين ومائتين . انظر تاريخ بغداد 6349 .

(8) الحربية: محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي الراوندي، أحد قواد المنصور . انظر الخبر أيضاً في البيان 2: 321، ش: «الحربية» ل: «الحربية» صوابهما في ط . ونحو هذا الخبر للشعبي في العقد 6: 152 .

(9) البوري، والبورية: والباري، والبارية والبارياء والبورياء: الحصار المنسوج .

(10) ش: «يصنعه»، وانظر قصة شبيهة بهذه في أخبار الظراف ص 26 .

(جواب أبي عبد الله المروزي)

وحدَّثني شمعون⁽¹⁾ الطبيب قال: كنت يوماً عند ذي اليمينين طاهر بن الحسين⁽²⁾ فدخل عليه أبو عبد الله المروزي فقال [طاهر]: يا أبا عبد الله مذ كم دخلت العراق؟ قال: منذ عشرين سنة، وأنا صائم منذ ثلاثين سنة⁽³⁾. قال: يا أبا عبد الله، سألناك عن مسألة فأجبنا عن مسألتين!

(جواب شيخ كندي)

وحدَّثني أبو الجهجاه⁽⁴⁾ قال: ادَّعى شيخٌ عندنا أنه من كندة، قبل أن ينظر في شيء من نسب كندة، فقلت له يوماً وهو عندي: ممن أنت يا [أبا] فلان؟ قال: من كندة. قلت: من أيهم أنت؟ قال: ليس هذا موضع [هذا] الكلام، عافاك الله!

(جواب ختن أبي بكر بن بريرة)

ودخلتُ على ختن [أبي بكر بن]⁽⁵⁾ بريرة، وكان شيخاً يتحل قول الإباضية، فسمعتُه يقول: العجبُ ممن يأخذهُ التَّوْمُ وهو [لا] يزعم [أن] الاستطاعة مع الفعل⁽⁶⁾! قلت: ما الدليل على ذلك؟ قال: الأشعار الصحيحة. قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل قوله:

مَا إِنْ يَقَعَنَّ الْأَرْضُ إِلَّا وَفَقَا⁽⁷⁾

ومثل قوله:

يَهْوِين شَتَّى وَيَقَعَنَّ وَفَقَا

(1) المعروف في هذا الاسم: «شمعون».

(2) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي، من كبار الوزراء، كان أديباً حكيماً شجاعاً، وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي، وهو الذي قتل الأمين، وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد ثم جعله والياً على خراسان، فحدثته نفسه بالاستقلال بها، وحالت دون ذلك منيته. وسمي ذا اليمينين لأنه ضرب شخصاً في وقعته مع علي ابن ماهان بالسيف ففقد نصفيه، وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء:

كَلَّمَا يَدِيكَ يَمِينٍ حِينَ تَضْرِبُهُ

فلقبه المأمون: ذا اليمينين. انظر وفيات الأعيان. وفي ثمار القلوب 232-233 تعليان آخران. وانظر الطبري 10: 141 و155 في حوادث 195 والديارات للشباصتي 91-92، ولد طاهر سنة 159 وتوفي سنة 207.

(3) ل: «وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة».

(4) ش: «أبو الجهجا» وهو تحريف. ولأبي الجهجاه حديث في البخلاء ص 36.

(5) الزيادة من مثل هذا الموضع ص 11 س: 15.

(6) من أصول المعتزلة أن استطاعة الفعل تسبق الفعل، وجمهور الإباضيين على أن الاستطاعة مع الفعل، وشذ منهم الحارثية فإنهم وافقوا المعتزلة. الفرق 84، وكلمة «الفعل» هي في ط، ش: «العقل» وتصحيحه من ل، ومن عيون الأخبار 2: 56 حيث يوجد هذا الخبر.

(7) ط، ش: «فرطا»، والوجه فيه ما أثبت من ل.

ومثل قولهم في المثل: «وَقَعَا كَعِمْيَ عَيْر⁽¹⁾» [

وكقوله⁽²⁾ أيضاً:

مِكْرَمِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ⁽³⁾

وكقوله:

أَكْفُ يَدِي عَنْ⁽⁴⁾ أَنْ تَمَسَّ أَكْفَهُمْ إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَتْنَا⁽⁵⁾ مَعَا

ثم أقبل عليّ فقال: أما في هذا مقنع؟ قلت: بلى، وفي دون هذا!

(جواب هشام بن الحكم)

وذكر محمد بن سلام عن أبيان بن عثمان قال: قال رجل من أهل الكوفة لهشام بن الحكم⁽⁶⁾: «أَتَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَدْلِهِ وَفَضْلِهِ كَلَفْنَا مَا لَا نَطِيقُ ثُمَّ يَعْذُبُنَا؟!» قال: قَدْ وَاللَّهِ فَعَلَ، وَلَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِ!

(سؤال ممرور لأبي يوسف القاضي)

وحدثني محمد بن الصباح قال: بينا أبو يوسف القاضي يسيرُ بظهر الكوفة - وذلك بعد أن كتب كتاب الحِجَلِ⁽⁷⁾ - إذ عرض له ممرورٌ عندنا أطيّب الخلق، فقال له: يا أبا يوسف، قد أحسنت في كتاب الحِجَلِ، وقد بقيت عليك مسائل في الفطن، فإن أذنت لي سألتك عنها. قال: قد أذنت لك فسأل. قال: أخبرني عن الحر كافر هو أو مؤمن؟ فقال أبو يوسف: دينُ الحر دينُ المرأة، ودينُ صاحبة الحر: إن كانت كافرة فهو كافر، وإن كانت مؤمنة فهو مؤمن. قال: ما صنعت شيئاً. قال: فقل أنت إذن؟ إذ لم ترض بقولي⁽⁸⁾. فقال: الحر كافر. قال: وكيف علمت ذلك؟ قال: لأنَّ المرأة إذا ركعت أو سجدت استدبر الحر القبلة واستقبلت هي

(1) العكم، بالكسر: العدل بكسر العين. والعير: الحمار، ووقعا: أي حصلا، فهما في التوازن والتعادل سواء. أو بمعنى سقطا؛ لأن العكمين في الأكثر إذا حل أحدهما سقطا معاً. والمثل يضرب للمتساويين. أمثال الميداني 2: 289، ويقال: وقع المصطرعان عكمي عير، وكعكمي عير: وقعا معاً لم يصرع أحدهما صاحبه. لسان العرب، وفي الأصل، وهو هنا ل: «كعظمي عير» وهو تحريف.

(2) هو امرؤ القيس، والبيت الآتي من معلقته المشهورة.

(3) هذا الشطر في ل.

(4) ل، ش: «من».

(5) ل: «وحاجتنا».

(6) هشام بن الحكم: صاحب مذهب الهشامية، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستاني، ومن المشبهة عند الخوارزمي في مفاتيح العلوم 20، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق، وكان يقول بالتجسيم والتشبيه، وأراؤه مفصلة في الفرق 47-53، والملل والنحل 2: 21-23.

(7) هي الحيل الشرعية، التي يتخلص بها من بعض الأحكام، أو من بعض المحظورات، ومن نماذج ذلك ما كتبه ابن دريد في كتابه «الملاحن» المطبوع في مصر سنة 1347، وفي ش: «الخیل» وهي تصحيف.

(8) ط، ل: «فقل أنت إذا لم ترض بقولي».

القبلة، ولو كان دينه دين المرأة لصنع كما تصنع. هذه واحدة يا أبا يوسف. قال: صدقت. [قال]: فتأذن⁽¹⁾ لي في أخرى؟ قال: نعم. قال: أخبرني⁽²⁾ عنك إذا أتيت صحراء فهجمت على بول وخراء كيف تعرف أبول امرأة هو أم بول رجل؟ قال: واللّه ما أدري! قال: أجل واللّه ما تدري! قال: [أ] فتعرف أنت ذاك؟ قال: نعم، إذا رأيت البول قد سال على الخراء وبين يديه فهو بول امرأة، وخراء امرأة. وإذا رأيت البول بعيداً من الخراء فهو بول رجل وخراء رجل. قال: صدقت!

قال: وحكى لي جواب مسائل فنسيت⁽³⁾ منها مسألة، فعاودته فإذا هو لا يحفظها.

(جواب الحجاج العبسي)

وحدثني أيوب الأعور، قال قائل للحجاج العبسي⁽⁴⁾: ما بال شعر الاسب⁽⁵⁾ إذا نبت أسرع والتف؟ قال: لقربه من السماد⁽⁶⁾ والماء هطل عليه⁽⁷⁾!!

(جواب نوفل عريف الكناسين)

وحدثني محمد بن حسان قال: وقفت على نوفل عريف الكناسين، وإذا موسوس قد وقف عليه، وعنده كل كناس بالكرخ، فقال له الموسوس: ما بال بنت وردان⁽⁸⁾ تدع قعر البئر وفيه كُرْ خراء وهو لها مُسلمٌ وعليها موفر، وتجيء تطلب اللطاحة التي في أست أحدنا وهو قاعدٌ على المقعدة⁽⁹⁾، فتلزم نفسها الكلفة الغليظة، وتعرض للقتل، وإنما هذا الذي في أستاذنا قيراط من ذلك الدرهم، وقد دفعنا إليها الدرهم [وافياً]⁽¹¹⁾ وافراً. قال: فضحك القوم، فحرّك نوفل رأسه ثم قال: أتضحكون؟! قد واللّه سأل الرجل⁽¹²⁾ فأجيبوا! وأما أنا فقد - واللّه - فكرت فيها منذ ستين [سنة]⁽¹³⁾، ولكنكم لا تنظرون في شيء من أمر صناعتكم. لا جرم أنكم لا ترتفعون أبداً! [قال له الموسوس: قل - يرحمك الله - فأنت زعيم القوم]، فقال

(1) أراد الاستفهام.

(2) ل: «خبرني».

(3) ل: «نسيت».

(4) ل: «لحجاج العبسي»، ويظهر أنه من المخشّين.

(5) ل: «است المرأة».

(6) السماد، بالفتح: أصله سرقين الدواب، وأريد به هنا النجو، وفي ط: «السماء» وهو تحريف ما في ل.

(7) ماء هطل: متتابع القطر عظيمه. وفي ل: «ويسقى من عل». وحديث الحجاج هذا ساقط من ش. وتجد في محاضرات الراغب 2: 117-118 حديثاً مثله يروى عن «مخنث».

(8) بنت وردان يقال لها في مصر: «خنفس». معجم المعلوم 36.

(9) الكر: بالضم: مكبل للعراق، أو ستة أوقار حمار، أو ستون قفيزاً، أو أربعون إردباً. وفي ط: ل: «كل» وهي تصحيف. وأثبت ما في ش.

(10) المقعدة: عني بها ما وضع له اسم «المرحاض» في عصرنا هذا. وفي ط، ش: «المقعد»، وأثبت ما في ل. وأصل المقعد والمقعدة مكان القعود.

(11) ط: «وقد دفعنا إليها من الدرهم وافراً»، وهو تحريف.

(12) ط: «الراجل»، وتصحيحه من ل، ش.

(13) الزيادة من ل، ش وفي ط: «منذ سنين».

نوفل: قد علمنا أنَّ الرُّطْبَ أَطْيَبُ مِنَ التَّمْرِ، والحديثُ أطرف⁽¹⁾ من العتيق، والشَّيءُ من مَعْدِنِهِ أَطْيَبُ، والفاكهةُ من أشجارِها أطرف⁽²⁾. قال: فغضب شريكُه⁽³⁾ مَسْبَحَ⁽⁴⁾ الكُنَّاسِ ثم قال: واللَّهِ لقد وبَّختنا، وهَوَّلَتْ علينا، حتى ظنَّنا أنَّكَ ستُجيبُ بجوابٍ لا يحسنُه أحد، ما الأمرُ عندنا وعند أصحابنا هكذا. قال: فقال لنا الموسوس: ما الجواب عافاكُم⁽⁵⁾ اللّهُ؛ فإنِّي ما نمتُ البارحةُ من الفِكرَةِ⁽⁶⁾ في هذه المسألة؟ قال مَسْبَحَ⁽⁷⁾: لو أنَّ لرجل ألفَ جاريةٍ حسناء⁽⁸⁾ ثم عَتَقْنَ عنده لَبَرَدَتْ شهوتهُ عنهنَّ وفترت، ثم إن رأى واحدةً دونَ أحسنهن في الحسنِ صبا إليها⁽⁹⁾ وماتَ من شهوتها. فبنت وردانَ تستظرف⁽¹⁰⁾ تلك اللطاحة⁽¹¹⁾ وقد ملَّت الأولى⁽¹²⁾؛ وبعضُ الناسِ الفطيرُ أحبُّ إليه⁽¹³⁾ من الخمير. وأيضاً إنَّ الكثيرَ يَمْنَعُ الشَّهْوَةَ، ويورث الصُّدُوفَ⁽¹⁴⁾. قال: فقال الموسوس - واستحسنَ جوابَ مَسْبَحَ، بعد أن كان لا يرى جواباً إلا جوابَ نوفل⁽¹⁵⁾ - : لا تعرفُ مقدارَ العالمِ حتَّى تجلسَ إلى غيره! أنتم أعلم أهل هذه المدرة، ولقد⁽¹⁶⁾ سألتُ علماءها عنه منذ عشرين سنةً فما تخلصَ أحدٌ منهم إلى مثل ما تخلصتم إليه. وقد واللّهِ - أنتم عيني، وطابَ بكم عيشي! وقد علمنا أنَّ كلَّ شيءٍ يُسْتَلَبُ استلاباً أنَّه ألدُّ وأطيب. ولذلك صارَ الدَّيِّبُ إلى الغلمانِ ونيكُهم على جهة القهر⁽¹⁷⁾ ألدُّ [وأطيب]، وكلُّ شيءٍ يصيبُه الرَّجُلُ فهو أعزُّ عليه من المال الذي يرثه أو يوهب⁽¹⁸⁾ له.

(علة الحجاج بن يوسف)

قال: وحديثي أبانُ بن عثمانَ قال: قال الحجاجُ بنُ يوسف: واللّهِ لَطَاعَتِي أَوْجَبُ مِنْ طَاعَةِ اللّهِ، لأنَّ اللّهُ تعالى يقول: ﴿فَأَنْقَرُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] فَجَعَلَ فِيهَا مَثْنِيَّةً⁽¹⁹⁾؛

- (1) كذا في ط، ش وفي ل: «أطرا».
- (2) ل: «ألد».
- (3) ط، ش: «شريك»، وهو تحريف صوابه من ل.
- (4) كذا ضبط الاسم في ل. وجاء في ط، ش: «مسيح». ولمسيح هذا حديث في الجزء الأول من الحيوان ص 177.
- (5) ش: «فقال له الموسوس: ما الجواب عافاك».
- (6) ل: «الفكر».
- (7) انظر الهامش رقم 4 من هذه الصفحة.
- (8) ط: «جوازي حسناء» وهو تحريف، إذ أن تمييز الأنف مفرد مجرور. وصوابه في ل، ش.
- (9) ل: «واثبها» مكان: «صبا إليها».
- (10) كذا بالأصل. ولعلها «تستظرف».
- (11) ش: «اللطافة». وهو تحريف ما أثبت من ط، ل. (12) ل: «الأول».
- (13) كذا في ط. وفي ل، ش: «إليهم» وهما وجهان جائزان؛ إذ أن لفظ «بعض» يصح أن يراعى فيه الأفراد، ويصح أن يراعى فيه اكتساب الجمعية مما أضيف إليه من جمع. وينشدون لذلك قول جرير:
إذا بعض السنين تعرقتنا
كفى الأيتام فقد أبي اليتيم
انظر الكامل 312-313 ليبسك، والخزانة (4: 164 سلفية) وسيبويه 1: 25 بولاق.
- (14) الصدوف: العزوف عن الشيء والانصراف عنه. وفي ط، ش: «الصدود» وهو بمثل معناه.
- (15) ل: «أنه لا جواب إلا جواب نوفل».
- (16) ل: «وأنتم أعلم أهل هذه المدرة، لقد».
- (17) ط، ش: «الضبط»، وهو تحريف ما أثبت من ل. (18) ط، ش: «الذي يوجب له».
- (19) المثنوية: الاستثناء، وهو قوله تعالى: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

وقال: ﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾ [التغابن: 16] ولم يجعل فيها مثنوية⁽¹⁾! ولو قلت لرجل: ادخل من هذا الباب، فلم يدخل، لحل لي دمه!

(احتجاج مدني وكوفي)

قال: وأخبرني محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي قال: قال رجل من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة: نحن أشد حبا لرسول الله ﷺ منكم يا أهل المدينة! فقال المدني: فما بلغ من⁽²⁾ حبك لرسول الله ﷺ؟ قال: وددت أنني وقيت رسول الله ﷺ وأنه لم يكن وصل إليه يوم أحد، ولا في غيره من الأيام شيء من المكروه⁽³⁾ يكرهه إلا كان بي دونه! فقال المدني: أفعدك غير هذا؟ قال: وما يكون غير هذا؟ قال: وددت أن أبا طالب كان آمن فسر به النبي ﷺ وأنني كافر⁽⁴⁾!

(احتجاج رجل من وجوه أهل الشام)

وحدثني أبان بن عثمان قال: قال ابن أبي ليلى⁽⁵⁾: إني لأسائر رجلا من وجوه أهل الشام، إذ مر بحمال معه رمان، فتناول منه رمانة فجعلها في كفه. فعجبت من ذلك، ثم رجعت إلى نفسي وكذبت بصري، حتى مر بسائل فقير⁽⁶⁾، فأخرجها فناوله إياها. قال: فعلمت أنني رأيته، فقلت له: رأيته قد فعلت عجا⁽⁷⁾. قال: وما هو؟ قلت: رأيته أخذت رمانة من حمال وأعطيتها⁽⁸⁾ سائلا؟ قال: وإنك ممن يقول هذا القول؟ أما علمت أنني أخذتها وكانت سيئة وأعطيتها فكانت عشر حسنات؟ قال: فقال ابن أبي ليلى: أما علمت أنك أخذتها فكانت سيئة وأعطيتها فلم تقبل منك؟!

(من جهل الأعراب بالنحو)

وقال الربيع⁽⁹⁾: قلت لأعرابي: أتهمز إسرائيل⁽¹⁰⁾؟ قال: إني إذا لرجل سوء؟ قلت: أتجر⁽¹¹⁾ فلسطين؟ قال: إني إذا لقوي.

(1) فهم الحجاج أن المراد طاعة أولي الأمر، وليس كما ظن، بل المراد: اسمعوا المواعظ، وأطيعوا الأوامر الإلهية، أو اسمعوا لله ولرسوله ﷺ ولكتابه وأطيعوا الله فيما يأمركم. انظر تفسير الزمخشري، والرازي، والبيضاوي.

(2) هذه الكلمة ساقطة من ش.

(3) ش: «شيء يكرهه». وفي ط: «بشيء يكرهه»، ولا تصح هذه الأخيرة إلا ببناء «وصل» للمفعول.

(4) لفظ «كان» ساقط من ل. وكلمة: «وأنني» هي في ل: «وأننا».

(5) ابن أبي ليلى: هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، واسم أبي ليلى يسار. ولي محمد القضاء لبني أمية، ثم وليه لبني العباس. كان فقيها مفتيا بالرأي. انظر أصحاب الرأي في المعارف ص 216.

(6) ط، ش: «وكذبت عيني حتى مر به سائل»، والوجه ما أثبت من ل.

(7) ل: «فقلت رأيته منك عجا». (8) ل: «فأعطيتها».

(9) هو الربيع بن عبد الرحمن السلمي، كما في البيان 2: 220.

(10) ط: «أتهمز أم إسرائيل»، وتصحيحه من ش، ل.

(11) ط: «فتجر» وأثبت ما في ل. وقد أراد الربيع بالهمز والجر معناهما الاصطلاحي وفهم الأعرابي من الهمز الغمز، أو النخس، أو الدفع، أو الضرب، أو العض، كما فهم من الجر معناه اللغوي.

(احتجاج رجل من أهل الجاهلية)

قال: وحدثنا حماد بن سلمة قال: كان رجل في الجاهلية معه مِجَنٌّ⁽¹⁾ يتناول به متاع الحاج⁽²⁾ سرقة، فإذا قيل له: سرقت! قال: لم أسرق، إنما سرق مِجَنِّي! قال: فقال حماد: لو كان هذا اليوم حيًّا لكان من أصحاب أبي حنيفة!

(الأعمش وجليسه)

قال: وحدثني محمد بن القاسم قال: قال الأعمش لجليس له: أما تشتهي بناني⁽³⁾ زُرْقَ العيون نقيّة البطون، سودّ الظهور، وأرغفة حارة ليّنة، وخلاّ حاذقًا؟ قال: بلى! قال: فانهض بنا. قال الرجل: فنهضت معه ودخل منزله. قال: فأومأ إليّ: أن خذ تلك السلّة. قال: فكشفتها فإذا برغيفين يابسين⁽⁴⁾ وسُكَّرَجَة كامخ⁽⁵⁾ شَبِث⁽⁶⁾. قال: فجعل يأكل. قال: فقال لي: تعال كُلْ. فقلت: وأين السمك؟ قال: ما عندي، [سمك]، إنما قلت لك: تشتهي!

(رأي حفص بن غياث في فقه أبي حنيفة)

قال: وسئل حفص بن غياث⁽⁷⁾ عن فقه أبي حنيفة، قال: كان أجهل الناس بما يكون⁽⁸⁾، وأعرفهم بما لا يكون.

(علة خشنام بن هند)

وأما علة خُشْنَام⁽⁹⁾ بن هند، فإنّ خشنام بن هند كان شيخاً من الغالية⁽¹⁰⁾، وكان ممّن

- (1) المحجن: العصا المعوجة.
- (2) الحاج: الحجاج إلى البيت الحرام. وقد جاء على لفظ المفرد.
- (3) البني، بضم الباء: ضرب من السمك. والعامّة في مصر يكسرون باءه. وجمعه «بناني». وجاء في ط: «بناتي».
- وفي ل: «بنانيّا»، وهو تحريف ما أثبت من ش.
- (4) ل: «إذا فيها رغيفان يابسان».
- (5) الكامخ، بفتح الميم: ضرب من مشهيات الطعام، قوامه البقول والملح واللبن، وقد تضاف إليه بعض الأباير.
- انظر كتاب الطبخ للبغدادى ص 68 وشفاء الغليل 170.
- (6) الشبث، بالكسر: ضرب من البقول. وجاء في ل: «شبث»، وفي القاموس: «الشبث كطمر: هذه البقلة المعروفة». وفي تذكرة داود: «شبث بالمثلثة ويقال بالمثلثة»، فهما لغتان.
- (7) هو حفص بن غياث بن طلق، وكنيته أبو عمرو. ولده هارون القضاء ببغداد بالشرقية، ثم ولاه قضاء الكوفة، فمات بها سنة 194، وكان مثلاً في الزهد والعفة؛ روى أنه مرض خمسة عشر يوماً فدفع إلى ابنه مائة درهم، وقال له: امض بها إلى العامل وقل له: هذه رزق خمسة عشر يوماً، لم أحكم فيها بين المسلمين، لا حظ لي فيها! وقد سبق الخبر في 1: 239، وانظر البيان: 2: 253 حيث المسئول هناك «شريك».
- (8) ل: «كان».
- (9) في القاموس: «خشنام: علم، معرب خوش ثام، أي الطيب الاسم».
- (10) الغالية: فرقة من فرق الشيعة الخمس، وهي: الزيدية والكيسانية والإمامية والغلاة والإسماعيلية. والغالية، أو الغلاة: هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقة وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، وربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله، وربما شبهوا الإله بالخلق. الملل والنحل 1: 195، 2: 10.

إذا أراد أن يسمي أبا بكر وعمر قال: الجبُّ والطَّاغوت، ومُنكر ونكير، وأف وثف، [وكُسير] وعُوير⁽¹⁾. وكان لا يزال يدخل داره حمار كساح⁽²⁾ ويضربه مائة عصا⁽³⁾ على أن أبا بكر وعمر في جوفه. ولم أر قط أشدَّ احتراقاً⁽⁴⁾ منه. وكان مع ذلك نبذياً وصاحب حمام⁽⁵⁾. ويشبه في القُدِّ والحُرط شيوخ الحرَّبة⁽⁶⁾. وكان من [بني] غُبر⁽⁷⁾ [من] صميمهم. وكان له بُني يتبعه، فكان يزني أمه عند⁽⁸⁾ كلِّ حق وباطل، وعند كلِّ جد وهزل. قلت له يوماً - ونحن عند بني ربِعي - : ويحك، بأي شيء تستحل أن تقذف أمه بالزنا؟ فقال: لو كان علي في ذلك حرج لما قذفتها! قلت: فلم تزوجت امرأة ليس في قذفها حرج؟ قال: إنني قد احتلت حيلة حتى حل لي من أجلها ما كان يحرم. قلت: وما تلك الحيلة؟ قال: أنا رجل حديد، وهذا غلام عارم، وقد كنت⁽⁹⁾ طلقت أمه فكنت إذا افترت عليها⁽¹⁰⁾ أثمت، فقلت في نفسي: إن أرغتها⁽¹¹⁾ وخدعتها حتى أنيكها مرة واحدة حل لي بعد ذلك افتراءي عليها⁽¹⁰⁾، بل لا يكون قولي حينئذ فرية، وعلمت أن زينة واحدة لا تعدل عشرة⁽¹²⁾ آلاف فرية. فإنا اليوم أصدق ولست أكذب. والصَّادق مأجور. إني والله ما أشك أن الله إذا علم أنني لم أزن بها تلك المرأة⁽¹³⁾ إلا من خوف الإثم إذا قذفتها⁽¹⁴⁾ - أنه سيجعل⁽¹⁵⁾ تلك الزينة له طاعة⁽¹⁶⁾ فقلت: أنت الآن على [يقين] أن زناك طاعة لله تعالى؟ قال: نعم.

(حجة الشيخ الإباضي في كراهية الشيعة)

قال الشيخ الإباضي [وقد ذهب عني اسمه وكنيته] وهو ختن أبي بكر بن بريرة⁽¹⁷⁾. وجرى يوماً [شيء من] ذكر التشيع والشيعة، فأنكر ذلك واشتدَّ غضبه عليهم، فتوهَّمت أن ذلك إنما اعتراه للإباضية التي فيه، [وقلت]⁽¹⁸⁾: وما علي إن سألت؟ فإنه يُقال: إنَّ السائل لا يعدمه أن يسمع في الجواب حجة أو حيلة [أو ملحة]⁽¹⁹⁾ - فقلت: وما أنكرت من التشيع و[من ذكر] الشيعة؟ قال: أنكرت منه مكان الشين التي في أول الكلمة؛ لأنني لم أجد الشين

(1) انظر الاستدراكات في نهاية هذا الجزء.

(2) الكساح: الكناس. والمكسحة: المكسنة، والكساحة، بالضم: الكناسة.

(3) ط، ل: «عصى». والوجه كتابته بالألف كما في ش.

(4) الاحتراف، من الحرفة بمعنى الفقر. انظر المعارف 197، وفي ط، ش: «احتراقاً».

(5) أي يلعب بالحمام ويقامر به.

(6) الحرَّبة: محلة كبيرة ببغداد، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي. انظر ص 4.

(7) غبر، كزفر: قبيلة من يشكر، كما في تاج العروس. وفي ط، ش «غير» وتصحيحه من ل.

(8) ل: «في». يزنيها: يقذفها بالزنى.

(9) ل: «قد».

(10) ل: «عليه»، والمعنى يصح بكلتا العبارتين.

(11) أرغتها: أردتها وطلبتها أو خادعتها. وفي ط: «أعبت بها» وفي س: «أعبتها»، وهما تحريف ما أثبت من ل.

(12) في الأصل: «عشر». والألف مذكر.

(13) ل: «المرأة»، وتصح بتكلف.

(14) ل: «قذفته»، ويصح المعنى بالعبارتين.

(15) ل: «فتجعل لي»، وهو تحريف.

(16) ط، ش: «طاعة الله»، وهو تحريف ما في ل.

(17) ط، ش: «برة»، وأثبت ما في ل. انظر ص 5 س 10.

(18) زيادة بفتقر إليها الكلام.

(19) الزيادة من ل، ش.

في أول كلمة قَطُّ إلا وهي مسخوطة⁽¹⁾ مثل: شؤم، وشر، وشيطان، وشغب، وشَح⁽²⁾،
 وشمال، وشَجَن⁽³⁾، وشيب، وشين⁽⁴⁾، وشراسة، وشَنَج⁽⁵⁾، وشَك، وشوكة، وشَبث،
 وشرك، وشارب⁽⁶⁾، وشطير، وشطور، وشعرة⁽⁷⁾، وشاني⁽⁸⁾، وشتم، وشتم⁽⁹⁾،
 وشيطَرَج⁽¹⁰⁾، وشناعة، وشاعة، وشأمة⁽¹¹⁾، وشوصة، وشتر وشجوب⁽¹²⁾، وشَجَّة،
 وشَطُون، وشاطن⁽¹³⁾، وشَن⁽¹⁴⁾، وشَل، وشيص⁽¹⁵⁾، وشاطر، وشاطرة⁽¹⁶⁾، وشاحب.
 قلت [له]: ما سمعتُ متكلمًا قطُّ يقول هذا ولا يبلغه، ولا يقومُ لهؤلاء القوم قائمة بعد هذا⁽¹⁷⁾!

(حيلة أبي كعب القاص)

قال: وتعمَّى أبو كعب القاصُّ بطفشيل⁽¹⁸⁾ كثير اللُّوبيا، وأكثر منه، وشرب نبيذ تمر،
 غَلَس إلى بعض المساجد ليقصَّ على أهله، إذ⁽¹⁹⁾ انفتل الإمام من الصلاة فصادف زحاما

- (1) ل: «إلا مسخوطة».
- (2) كذا في ش، ط. وفي ل: «وشيح».
- (3) ط «شجرة»، وهو تحريف ما أثبت من ش. وفي ل: «وشخت».
- (4) بدل هاتين الكلمتين في ش، «وشيب وشبت» وفي ل: «وشبت وشيب».
- (5) الشنج، بالتحريك: تقبض الجلد. وبده في ل: «وشح».
- (6) في ل مكان الكلمات الأربع: «وشوك وشازب وشارد»، وفي ط أعيدت كلمة «شوكة» بين «شبت» و«شرك». الشبث، محركة: العنكبوت، أو دويبة كثيرة الأرجل. والشازب، التي وردت في ل، هو الخشن، أو الضامر اليابس.
- (7) كذا في ل. ويراد بها شعر العانة. وفي ط، ش: «شعر» محرقة.
- (8) الشاني، مخفف الشاني: المبغض العدو. وفي ط: «شاني». وفي ل «شابستي» وأثبت ما في ش. وقد جاء اللفظان معًا في عيون الأخبار 2: 56.
- (9) الشتم: الكريه الوجه.
- (10) الشيطرج: نبت يوجد بالقبور الخراب، ورائحته ثقيلة حادة، وطعمه إلى مرارة. وفي ش، ط: «شطرنج»، وهو تحريف ما في ل.
- (11) زيادة هذه الكلمة من ل، ش. والشأمة والمشأمة، من الشؤم، ضد اليمنة والميمنة، من اليمن.
- (12) الشوصة، بالفتح وقد يضم: وجع في البطن، أو ريح تعقب في الأضلاع، أو ورم في حجابها، والشر، بالفتح: القطع، أو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه، أو استرخاء أسفله. وهاتان الكلمتان موضعهما في ل بعد كلمة: «شاطرة».
- (13) الشطون: البعيدة. والشاطن: الخبيث.
- (14) الشن، بالفتح: القرية الخلق الصغيرة.
- (15) الشيص، بالكسر: أردأ التمر، ووجع الضرس أو البطن.
- (16) الشاطر: الذي أعيأ أهله ومؤدبه خبثًا، وقد يراد بها اللص. وفي ل: «شاطر وشطارة». والشطارة: مصدر شطر: صار شاطرًا.
- (17) هذا الخبر الذي ساقه الجاحظ - حديثًا بينه وبين الشيخ الإباضي - تجده في العقد 1: 354 قد ساقه الجاحظ أيضًا حديثًا بين رجل من رؤساء التجار وشيخ شرس الأخلاق كان راكبًا مع التاجر في سفينة. ولست أدري من أي كتب الجاحظ نقل صاحب العقد هذا الخبر على ذلك الوجه. كما أننا نجد هذا الخبر في عيون الأخبار 2: 56 مصدرًا بعبارة: «قال عمرو بن بحر: ذكر لي ذاكر عن شيخ من الإباضية».
- (18) الطفشيل، ضبطه بعضهم بكسر الطاء والشين، وصاحب القاموس جعله (طفشيل) وزان سميدع، وقال: إنه نوع من المرق. أما صاحب كتاب الطبخ فقد جعل الطفشيل ضربًا من التنويرات، أي الأطعمة التي تنضج في التنور. وجاء في منهاج الدكان 220: «طفشيل: كل طعام يعمل من القطاني، أعني الحبوب، كالعدس والجلبان، وما أشبه ذلك». وانظر الحيوان 5: 153.
- (19) في الأصل: «إذا».

كثيراً، ومسجداً مستوراً بالبواري⁽¹⁾ من البرد والرياح والمطر، وإذا محراباً غائراً في الحائط، وإذا الإمام شيخٌ ضعيف؛ فلما صلى استدبر المحراب وجلس في زاوية منه يسبح، وقام أبو كعب فجعل ظهره إلى وجه الإمام ووجهه إلى وجوه القوم⁽²⁾، وطبق وجه المحراب بجسمه وفروته وعمامته وكسائه، ولم يكن بين فحخته وبين أنف الإمام كبير شيء، وقصّ وتحرك بطنه، فأراد أن يتفرج بفسوة وخاف أن تصير ضراطاً⁽³⁾، فقال في قصصه: قولوا جميعاً: لا إله إلا الله! وارفعوا بها أصواتكم. وفسا فسوة في المحراب فدارت فيه وجثمت⁽⁴⁾ على أنف الشيخ واحتملها، ثم كده بطنه فاحتاج إلى أخرى فقال: قولوا: لا إله إلا الله! وارفعوا بها أصواتكم. فأرسل فسوة أخرى فلم تخطئ أنف الشيخ، واختنقت⁽⁵⁾ في المحراب. فخمّر الشيخ أنفه⁽⁶⁾، فصار لا يدري ما يصنع. إن هو تنفّس قتلته الرائحة، وإن هو لم يتنفس مات كرباً. فما زال يُداري ذلك، وأبو كعب يقصّ، فلم يلبث أبو كعب أن احتاج إلى أخرى. وكلما طال لبثه تولّد في بطنه من التّفخ على حسَب ذلك. فقال: قولوا جميعاً: لا إله إلا الله! وارفعوا بها أصواتكم. فقال الشيخ من المحراب - [وأطلع رأسه وقال] -: لا تقولوا! لا تقولوا! قد قتلني! إنما يريد أن يفسو! ثم جذب إليه ثوب أبي كعب وقال: جئت إلى هاهنا لتفسو⁽⁷⁾ أو تقصّ؟ فقال: جئنا لنقص⁽⁸⁾، فإذا نزلت بليّة فلا بدّ لنا ولكم من الصبر! فضحك الناس، واختلط المجلس.

(جواب أبي كعب القاص)

وأبو كعب هذا هو الذي كان يقصّ في مسجد عتاب كل أربعاً⁽⁹⁾ فاحتبس عليهم في بعض الأيام وطال انتظارهم له. فبينما هم كذلك إذ جاء رسوله فقال: يقول لكم أبو كعب: انصرفوا؛ فإنني قد أصبحت [اليوم] مخموراً!

(علة عبد العزيز)

وأما علة عبد العزيز بشكست فإن عبد العزيز كان له مال، وكان إذا جاء وقت الزكاة وجاء القوّد بغلام مؤاجر⁽¹⁰⁾، قال: يا غلام، ألك أم؟ ألك خالات؟ فيقول الغلام: نعم. فيقول: خذ هذه العشرة الدراهم - أو خذ هذه الدنانير - من زكاة مالي، فادفعها إليهن، وإن

(1) البواري: الحصر المنسوجة.

(2) ل: «الناس».

(3) ل: «ضرطة». وفي ش: «ينفرج» بدل: «يتفرج».

(4) جثمت: لزمت مكانها. وفي ط: «جثمت»، والوجه ما في ل، ش.

(5) كذا في ل. وفي ط، ش: «اختفت».

(6) خمر أنفه: غطاه.

(7) ل: «تفسو».

(8) ل: «نقص».

(9) هو مقصور: «أربعاء».

(10) لفظة عباسية، يقصد بها من يستأجره اللاطة. انظر كنايات الجرجاني ص 120 س 11 وأخبار أبي نواس لابن منظور

شئت أن تُتركني⁽¹⁾ بعد ذلك على جهة المكارمة، [فافعل]، وإن شئت أن تُصَرِّف فانصرف. فيقول ذلك وهو واثق أن الغلام لا يمنعه بعد أخذ الدراهم، وهو يعلم أنه لن⁽²⁾ يبلغ من صلاح طباع المؤاجرين أن يؤدوا الأمانات. فعبر⁽³⁾ بذلك ثلاثين سنة وليس له زكاة إلا عند أمهات المؤاجرين وأخواتهم وخالاتهم.

(احتجاج طيب كوفي للتسمية بمحمد)

وحدثني محمد بن عباد بن كاسب قال: قال لي الفضل بن مروان⁽⁴⁾ شيخ من طيِّاب⁽⁵⁾ الكوفيِّين وأغنيائهم⁽⁶⁾: إن وُلِدَ لك مائة ذكر فسمهم كلهم محمداً، [وكنهم بمحمد]؛ فإنك ستري فيهم البركة. أو تدري لأي شيء كثر مالي؟ قلت: لا والله ما أدري. قال: إنما كثر مالي لأني سميت نفسي فيما بيني وبين الله محمداً! وإذا كان اسمي عند الله محمداً فما أبالي ما قال الناس!

(جواب أحمد بن رباح الجوهري)

وشبه هذا الحديث قول المروزي⁽⁷⁾: قلت لأحمد بن رباح الجوهري: اشتريت كساءً أبيض طبرياً بأربعمائة درهم، وهو عند الناس - فيما ترى عيونهم قومسي⁽⁸⁾ يساوي مائة درهم! قال: إذا علم الله أنه طبري فما عليّ ممّا قال الناس؟!

(احتجاج حارس يكنى أبا خزيمة)

وكان عندنا حارس يكنى أبا خزيمة، فقلت يوماً - وقد خطر على بالي - : كيف اكنّى هذا العُلجُ الألكُنُ بأبي⁽⁹⁾ خزيمة؟ ثم رأيته فقلت له: خبرني عنك، أكان أبوك يسمّى خزيمة؟ قال: لا. قلت: فجذك أو عمك أو خالك؟ قال: لا. قلت: فلك ابن يسمّى خزيمة؟ قال: لا. قلت: فكان لك مولى يسمّى خزيمة؟ قال: لا. قلت: فكان في قرينك رجلٌ صالح أو فقيه يسمّى خزيمة؟ قال: لا. قلت: فلم اكنّيت بأبي خزيمة، وأنت علجُ الكُن، وأنت فقيرٌ، وأنت حارس؟ قال: هكذا اشتيت. قلت: فلاي شيء اشتيت هذه الكنية من بين جميع الكنى؟ قال: ما يُدْريني. قلت: فتبيعها الساعةً بدينارٍ، وتكتنى بأبي كنية شئت؟ قال: لا والله، ولا بالدُّنيا⁽¹⁰⁾ وما فيها!

- (1) يقال أبركه: جعله يبرك. وقد كنى بقوله. وفي ط: «تلمني» وأثبت. ما في ش، ل.
- (2) ل: «لم».
- (3) ط: «فعبّر» وليست من كلام الجاحظ. وأثبت ما في ل، ش، وغبر بمعنى بقى وظل.
- (4) ل: «مرزوق».
- (5) الطيِّاب: جمع طيب، مثل جيد وحياد، والطيب: الفك المزاج. انظر البيان 3: 115، 152 وسيبويه 2: 211، وما سبق في ص 3، 4.
- (6) ط، ش: «وأغنيائهم»، واعتمدت ما في ل. انظر ص 3 س 4.
- (7) ل: «المرزوقي».
- (8) قومسي: نسبة إلى قومس، بضم القاف وفتح الميم: كما في القاموس. أو بضم القاف وكسر الميم كما في المعجم. وهي صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل.
- (9) ط، ش: «أبا»، والمعروف في «اكتنى» أن يتعدى بالباء كما في اللسان. وأما الذي يتعدى بنفسه أو بالباء فهو «كنيته وكنوته وأكنيته وكنيته».
- (10) ط: «بالدينار» وتصحيحه من ل، ش.

(جواب الزيادي)

وحدثني مَسْعَدَةُ بن طارق، قلت للزيادي - ومررت به وهو جالس في يوم غمق⁽¹⁾ حارٍّ ومِدٍّ⁽²⁾، على باب داره في شروع نهر الجوبار⁽³⁾ بأردية⁽⁴⁾، وإذا ذلك البحر يبخر في أنفه⁽⁵⁾ - قال: : فقلت له: بعث دارك وحظك من دار جدك زياد بن أبي سفيان، وتركت مجلسك في ساباط غيث⁽⁶⁾، وإشرافك على رحة بني هاشم، ومجلسك في الأبواب التي تلي رحة بني سليم، وجلست على هذا النَّهر في مثل هذا اليوم، ورضيت به جاراً؟ قال: نلت أطول آمالي في قرب هولاء [البزازين]. قلت له: لو كنت بقرب المقابر فقلت نزلت⁽⁷⁾ هذا الموضع للتعاط به والاعتبار كان ذلك وجهاً. ولو كنت بقرب الحدادين فقلت لأتذكر بهذه النيران والكيران⁽⁸⁾ نار جهنم، كان ذلك قولاً. ولو كنت اشتريت داراً بقرب العطارين فاعتللت بطلب⁽⁹⁾ رائحة الطيب كان ذلك وجهاً فأمّا قُرب البزازين⁽¹⁰⁾ فقط فهذا ما لا أعرفه. أفلك فيهم دارٌ غلّة، أو هل لك عليهم دُيونٌ حالّة، أو هل لك فيهم أو عندهم غلمانٌ يؤدّون الضريبة، أو هل لك معهم شِركة مضاربة؟ قال: لا. قلت: فما ترجو إذاً من قربهم⁽¹¹⁾ فلم يكن عنده إلا: نلت آمالي⁽¹²⁾ بقرب البزازين⁽¹³⁾.

(حكاية ثمامة عن ممرور)

وحدثني ثمامة بن أشرس قال: كان رجلٌ ممرور يقوم كل يوم فيأتي داليةً لقوم، ولا يزال يمشي مع رجال الدالية على ذلك الجذع⁽¹³⁾ ذاهباً وجائياً، في شدة الحرّ والبرد. حتّى إذا

- (1) يوم غمق، كفرح، ذوندئ وثقل، أو لريحه خمة وفساد. وفي ط، ش: «يوم غيم»، والوجه ما أثبت من ل، وهو الموافق لكلمة «ومد» الآتية.
- (2) اليوم الومد: ذو الومد بالتحريك، وهو الندى يجيء في صميم الحر من قبل البحر.
- (3) الجوبار: بضم الجيم: محلة بأصبهان، قال ياقوت: «جو بالفارسية النهر الصغير؛ وبار كأنه مسيله. فمعناه على هذا مسيل النهر الصغير» قال صاحب الألفاظ الفارسية المعربة: «وهو مركب من جو أي سيل، ومن بار، وهي من الأدوات التي تدل على الكثرة». وفي ط، ش: «الحونان»، وتصحيحه من ل ومعجم البلدان.
- (4) كذا. وهذه الكلمة ليست في ل. ولعل الوجه حذفها.
- (5) ط: «بنجر»، وهو تحريف ما أثبت من ل، ش. وكلمة «البحر» هي في ل: «النهر».
- (6) الساباط: السقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ. ياقوت والقاموس. قال صاحب الألفاظ الفارسية: «مأخوذة من سايه بوش، ومعناها المظلة»، وكلمة «غيث» هي في ط، ش: «غيث».
- (7) ل: «تركت»، وهو تحريف ما أثبت من ط، ش.
- (8) جمع كير: وهو الزق ينفخ فيه الحداد.
- (9) كذا في ط. وفي ش، ل: «بطيب».
- (10) البزاز: بائع البز يفتح الباء، وهو الثياب، أو متاع البيت من الثياب. والبزار: يباع بزر الكتان، أي زيتة بلغة البغادة. وفي ط: «البزازين» وأثبت ما في ش، ل.
- (11) ل: «قرب البزازين».
- (12) في الأصل، وهو هنا ل: «قنت إمالي»، وجهه ما أثبت.
- (13) ط: «الجزع»، وتصحيحه من ل، ش.

أَمْسَى نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا مِنْ هَذَا فَرْجاً وَمَخْرَجاً ! ثُمَّ انصرفت إلى بيته . فكان كذلك حتى مات .

(بين أعمى وقائده)

وَحَدَّثَنِي الْمَكِّيُّ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَقُودُ أَعْمَى بِكَرَاءٍ ⁽¹⁾ ، وَكَانَ الْأَعْمَى رَبِّمَا عَثَرَ الْعَثَرَةَ وَنُكِبَ النَّكْبَةَ ، فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ أَبْدِلْ لِي ⁽²⁾ بِهِ قَائِداً خَيْراً مِنْهُ ! قَالَ : فَقَالَ الْقَائِدُ : اللَّهُمَّ أَبْدِلْ لِي بِهِ أَعْمَى خَيْراً لِي مِنْهُ .

(حماقة ممرور)

وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ مَوْلَى إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى قَالَ : كُنَّا فِي مَنْزِلٍ صَاحِبٍ لَنَا ، إِذْ خَرَجَ وَاحِداً مِنْ جَمَاعَتِنَا لِيَقِيلَ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ ⁽³⁾ ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى سَمِعْنَاهُ يَصِيحُ : أَوْه ⁽⁴⁾ أَوْه ! قَالَ : فَنهَضْنَا بِأَجْمَعِنَا إِلَيْهِ فَرَعَيْنَ ، فَقُلْنَا لَهُ : مَا لَكَ ؟ وَإِذَا هُوَ نَائِمٌ عَلَى شَقِّهِ الْأَيْسَرِ ، وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى خَصِيَّتِهِ بِيَدِهِ ⁽⁵⁾ فَقُلْتُ لَهُ : لِمَ صَحْتَ ؟ قَالَ : إِذَا عَمَزْتُ خُصْيَتِي اسْتَكَيْتُهَا ، وَإِذَا اسْتَكَيْتُهَا صَحْتُ . قَالَ : فَقُلْنَا لَهُ : لَا تَعْمِزْهَا بَعْدُ حَتَّى لَا تَشْتَكِيَ ! قَالَ : نَعَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(حماقة مولاة عيسى بن علي)

قَالَ يَزِيدُ : وَكَانَتْ لِعِيسَى بْنِ عَلِيٍّ مَوْلَاةٌ عَجُوزٌ خُرَّاسَانِيَّةٌ تَصْرُخُ بِاللَّيْلِ مِنْ ضَرْبَانٍ ضَرَسَ لَهَا ، فَكَانَتْ قَدْ أَرَقَّتْ الْأَمِيرَ إِسْحَاقَ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ لَا تَدَعُ أَكْلَ التَّمْرِ ! قَالَ : فَبَعَثْتُ إِلَيْهَا بِالْغَدَاةِ فَقَالَ لَهَا : أَتَأْكُلِينَ التَّمَرَ بِالنَّهَارِ وَتَصِيحِينَ بِاللَّيْلِ ؟ فَقَالَتْ : إِذَا اسْتَهَيْتُ أَكَلْتُ وَإِذَا أَوْجَعَنِي صَحْتُ !

(حكاية ثمامة عن مرور)

وَحَدَّثَنِي ثَمَامَةُ قَالَ : مَرَرْتُ فِي غَبِّ مَطَرٍ وَالْأَرْضُ نَدِيَّةٌ ، وَالسَّمَاءُ مَتَغِيْمَةٌ ، وَالرَّيْحُ شَمَالٌ ، وَإِذَا شَيْخٌ أَصْفَرُ كَأَنَّهُ جَرَادَةٌ ، وَقَدْ جَلَسَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَحَجَّامٌ زَنْجِيٌّ يَحْجُمُهُ ، وَقَدْ وَضَعَ عَلَى كَاهِلِهِ وَأَخْذَعِيَّةً مَحَاجِمَ ، كُلِّ مِحْجَمَةٍ كَأَنَّهُا قَعْبٌ ، وَقَدْ مَصَّ دَمَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ

(1) الكراء : الأجرة .

(2) في عيون الأخبار 2 : 48 حيث يوجد الخبر : «أبدلني» .

(3) قال يقييل : نام في القائلة ، وهي منتصف النهار . في ش : «في بيت الآخر» .

(4) كلمة تقال عند التوجع والألم . وفيها ثلاث عشرة لغة ذكرها الفيروزبادي .

(5) ل : «بيديه» .

يَسْتَفْرِغَهُ . قال : فوقفت عليه فقلت : يا شيخ لِمَ تَحْتَجِمُ في هذا البرد⁽¹⁾ ؟ قال : لمكان هذا الصُّفَّار⁽²⁾ الذي بي .

(صَنِيعَ مَرُور)

وحدثني ثمامة قال : حدثني سعيد بن مسلم⁽³⁾ قال : كُنَّا بِخُرَّاسَانَ في منزل بعض الدَّهَّاقِينَ ونحن شَبَابٌ ، وفينا شيخ . قال : فَأَتَانَا رُبُّ الْمَنْزَلِ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ فَدَهَنَ بَعْضُنَا رَأْسَهُ ، وبعضنا لحيته ، وبعضنا مَسَحَ شَارِبَهُ ، وبعضنا مَسَحَ يَدَيْهِ وَأَمَرَهُمَا عَلَى وَجْهِهِ ، وبعضنا أَخَذَ بِطَرَفِ إصْبَعِهِ فَأَدْخَلَ فِي أَنْفِهِ وَمَسَحَ بِهِ شَارِبَهُ . فَعَمَدَ⁽⁴⁾ الشَّيْخُ إِلَى بَقِيَّةِ الدَّهْنِ فَصَبَّهَا فِي أُذُنِهِ ، فقلنا له : ويحك ، خالفت أصحابك كُلَّهُمْ ! هل رأيت أحداً إذا أَتَوْهُ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ صَبَّهُ⁽⁵⁾ فِي أُذُنِهِ ؟ قال : فَإِنَّهُ مَعَ هَذَا يَضْرُنِي⁽⁶⁾ ؟

(أَمْرُ عَيْصَ ، سَيِّدِ بَنِي تَمِيم)

وحدثني مَسْعَدَةُ بْنُ طَارِقٍ [الدَّرَّاعُ]⁽⁷⁾ قال : وَاللَّهِ إِنَّا لَوُقُوفٌ عَلَى حَدُودِ دَارِ فُلَانٍ لِلْقِسْمَةِ ، ونحنُ في خُصُومَةٍ ، إِذْ أَقْبَلَ [عَيْصَ]⁽⁸⁾ سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ وَمُوسِرُهُمْ⁽⁹⁾ وَالَّذِي يَصْلِي عَلَى جَنَائِزِهِمْ . فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ مُقْبِلًا إِلَيْنَا أَمْسَكْنَا عَنِ الْكَلَامِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : حَدِّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ ، هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدٌ⁽¹⁰⁾ ؟ ! قال مسعدة : فَأَنَا مُنْذُ سَنِينَ⁽¹¹⁾ أَفَكَّرُ فِي كَلَامِهِ مَا أَدْرِي مَا عَنَى بِهِ . [قال : وقال لي مرّة : ما من شر من ذين ! قلت : ولم ذاك ؟ قال : من جرا يتعلقون] .

وحدثني الخليل بن يحيى السُّلُولِيُّ قال : نَازَعَ التَّمِيمِيُّ بَعْضَ بَنِي عَمِّهِ فِي حَائِطٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا لِنَشْهَدَ عَلَى شَهَادَتِهِ⁽¹²⁾ ، فَأَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ⁽¹³⁾ الْحَمِيرِيُّ وَالزَّهْرِيُّ ، وَالزِّيَادِيُّ ، وَالْبَكْرَاوِيُّ . فَلَمَّا صِرْنَا إِلَيْهِ وَقَفَ بِنَا عَلَى الْحَائِطِ وَقَالَ : أَشْهَدُكُمْ جَمِيعاً أَنَّ نِصْفَ هَذَا الْحَائِطِ لِي !

(1) الزيادة من العقد 4 : 203 حيث يوجد الخبر .

(2) الصُّفَّار ، بالضم : الماء الأصفر يجتمع في البطن ، أو دود فيها . كذا في القاموس . وقد عبر عنه صاحب مفاتيح العلوم ص 98 بكلمتي : «اليرقان والأرقان» وقال : «هما صفار ، وهو أن تصفر عينا الإنسان ولونه بامتلاء مرارته ، واختلاط المرة الصفراء بدمه» . وانظر هذا الخبر في عيون الأخبار 2 : 52 .

(3) كذا في ط ، ل . وفي ش : «سلم» . وهذا الحديث الآتي تجده أيضاً في عيون الأخبار : 2 : 56 مع اختلاف يسير .

(4) عمد : قصد وفي ط ، ش : «وتعمد» ، ولا تصح هذه الكلمة مع وجود «إلى» ، وصوابها في ل .

(5) ل : «فصبه» وهو تحريف ما في ط ، ش .

(6) ط ، ش : «فأنها مع ذلك تضرني» ولها وجه ، أي فإن تلك الفعلة ، وقد أثبت ما في ل .

(7) عني بكلمة : «الذراع» من يذرع الأرض ، أي يقيسها .

(8) الزيادة من العقد (4 : 203) . (9) موسرهم : غنيهم . وفي ط : «مؤسرهم» محرفة .

(10) كذا في ل ، ش . وفي ط : «أحدنا» وبهذه يخف انبهاهم الكلام ، مع أن الغاية من الحديث بيان شدة انبهاهم حديث التميمي . وكلمة «بعضها» هي في ل : «بعض» . وفي العقد : «هل ضم بعضها إلى بعض أحد» .

(11) ل : «منذ ستين سنة» . ومثل ذلك في العقد .

(12) ل : «لشهادتنا على شهادة» . (13) ل : «فيهم» .

(جواب ممرور)

قال : وقَدِمَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ إِلَى عَمْرِ بْنِ حَبِيبٍ ، وَادَّعَى عَلَيْهِ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ ابْنُ عَمِّهِ : مَا أَعْرِفُ مِمَّا قَالَ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا ، وَلَا لَهُ عَلَيَّ شَيْءٌ ! قَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ تَعَالَى ! فَانْتَبَهَ بِإِنْكَارِهِ . قَالَ : فَقَالَ عَمْرٌ : الْإِنْكَارُ لَا يَفُوتُكَ ⁽¹⁾ ، مَتَى أَرَدْتَهُ فَهُوَ بَيْنَ يَدَيْكَ !

(أُمْنِيَّةُ أَبِي عَتَّابِ الْجَرَّارِ)

قال : وَقُلْتُ لِأَبِي عَتَّابِ الْجَرَّارِ ⁽²⁾ : أَلَا تَرَى عَبْدَ الْعَزِيزِ الْعَزَّالَ وَمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ فِي قَصَصِهِ ؟ قَالَ : وَأَيُّ شَيْءٍ ⁽³⁾ قَالَه ؟ [قُلْتُ] ⁽⁴⁾ : قَالَ : لَيْتَ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ خَلَقَنِي وَأَنَا السَّاعَةَ أَعُورًا ! قَالَ أَبُو عَتَّابٍ ⁽⁵⁾ : [وَقَدْ قَصَّرَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَسَاءَ فِي التَّمْنِي . وَلَكِنِّي أَقُولُ :] لَيْتَ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ خَلَقَنِي وَأَنَا السَّاعَةَ أَعْمَى مَقْطُوعُ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ !

(تعزية طريفة لأبي عَتَّابِ الْجَرَّارِ)

وَدَخَلَ أَبُو عَتَّابٍ عَلَى عَمْرٍو ⁽⁶⁾ بَنَ هَذَابٍ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ ، وَالنَّاسُ يُعْزُوْنُهُ ، فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ كَالْجَمَلِ الْمَحْجُومِ ⁽⁷⁾ ، [وَ] لَهُ صَوْتُ جَهِيرٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا أُسَيْدٍ ، لَا يَسُوءُكَ ⁽⁸⁾ ذَهَابُهُمَا ، فَلَوْ رَأَيْتَ ثَوَابَهُمَا فِي مِيزَانِكَ تَمَثَّلْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَطَعَ يَدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ ، وَدَقَّ ظَهْرَكَ ، وَأَذْمَى ضِلْعَكَ ! ⁽⁹⁾ .

(داود بن المعتمر وبعض النساء)

وَبَيْنَا دَاوُدُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ الصُّبَيْرِيِّ جَالِسٌ مَعِيَ ، إِذْ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ لَهَا قَوَامٌ وَحُسْنٌ ، وَعَيْنَانِ عَجِيبَتَانِ ، وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ بَيْضٌ ، فَهَضَّ دَاوُدُ فَلَمْ أَشْكُ أَنَّهُ قَامَ لِيَتَّبِعَهَا ، فَبَعَثْتُ غُلَامِي

(1) ل : « ليس يفوتك منه » .

(2) في الأصل : « لابن عتاب » ، وكنية الرجل « أبو عتاب » كما في البيان (2 : 318) وعيون الأخبار 2 : 84 والعقد 4 : 197 و« الجرار » هي كذلك في ط ، ش ، وفي ل : « الحزان » وفي البيان : « الجزار » . واسمه إبراهيم بن جامع كما في الحيوان 5 : 114 .

(3) في الأصل : « قتله » .

(4) زيادة يحتاج إليها الكلام .

(5) ط : « ابن عقاب » ش : « ابن عتاب » وصوابه من ل . وانظر التنبيه 4 من الصفحة السابقة .

(6) ل ، ط : « عمر » ، وأثبت ما في ش وعيون الأخبار والبيان 2 : 103 وكتاب البغال 263 .

(7) الجمل المحجوم : الذي وضع على فمه الحجام - ككتاب - لئلا يعض ؛ فصوته أقوى صوت . وجاء في حديث ابن عمر - وذكر أباه - : « كان يصيح الصيحة يكاد من سمعها يصعق ، كالبعير المحجوم » . في ط : ل : « المحجوم » . وتصحيحه من ش .

(8) ط ، ش : « يسؤك » وهي صحيحة . وأثبت ما في ل وعيون الأخبار (2 : 48) .

(9) ط ، ش : « ظلفك » وفي ل : « ظلفك » . والظلف ، أصله للبقرة والشاة والظبي بمنزلة القدم من الناس ، ولا يصح معه المعنى إلا بعسر . والوجه ما أثبت من الحيوان 5 : 114 .

لَيَعْرِفَ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْتُ لَهُ: قَدْ عَلِمْتَ [أَنْتَ] ⁽¹⁾ إِنَّمَا قُتِمَتْ لَتَكَلِّمَهَا؛ فَلَيْسَ يَنْفَعُكَ إِلَّا الصَّدَقُ، وَلَا يَنْجِيكَ مَنِّي الْجُحُودُ، وَإِنَّمَا غَايَتِي أَنْ أَعْرِفَ كَيْفَ ابْتَدَأْتَ الْقَوْلَ ⁽²⁾، وَأَيُّ شَيْءٍ قُلْتَ لَهَا - وَعَلِمْتَ أَنَّهُ سَيَأْتِي بَابِدَةٍ. وَكَانَ مَلِيًّا بِالْأَوَابِدِ ⁽³⁾ - قَالَ: ابْتَدَأْتُ الْقَوْلَ ⁽⁴⁾ بِأَنْ قُلْتُ [لَهَا]: لَوْلَا مَا رَأَيْتُ عَلَيْكَ ⁽⁵⁾ مِنْ سِيَمَاءِ الْخَيْرِ لَمْ أَتْبَعُكَ. قَالَ: فَضَحِكْتُ حَتَّى اسْتَنْدَثْتُ إِلَى الْحَائِطِ، ثُمَّ قَالَتْ: إِنَّمَا يَمْنَعُ مِثْلَكَ مِنْ اتِّبَاعِ مِثْلِي وَالطَّمَعُ فِيهَا ⁽⁶⁾، مَا يَرَى مِنْ سِيَمَاءِ الْخَيْرِ فَأَمَّا إِذْ قَدْ صَارَ سِيَمَاءُ الْخَيْرِ هُوَ الَّذِي يُطْمَعُ فِي النِّسَاءِ فَإِنَا لِلَّهِ وَإِنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ! وَتَبَعَ دَاوُدُ بْنُ الْمَعْتَمِرِ امْرَأَةً ⁽⁷⁾، فَلَمْ يَزَلْ يُطْرِبُهَا ⁽⁸⁾ حَتَّى أَجَابَتْ، وَدَلَّهَا عَلَى الْمَنْزِلِ الَّذِي يُمْكِنُهَا ⁽⁹⁾ فِيهِ مَا يَرِيدُ، فَتَقَدَّمَتْ الْفَاجِرَةُ وَعَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَشَغَلَهُ، وَجَاءَ إِلَى الْمَنْزِلِ وَقَدْ قَضَى الْقَوْمُ حَوَائِجَهُمْ وَأَخَذَتْ حَاجَتَهَا، فَلَمْ تَنْتَظِرْهُ ⁽¹⁰⁾. فَلَمَّا أَتَاهُمْ وَلَمْ يَرَهَا قَالُوا: أَيْنَ هِيَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ قَدْ فَرَعْنَا وَذَهَبَتْ! قَالَ: فَأَيُّ طَرِيقٍ أَخَذَتْ؟ قَالُوا: [لَا] وَاللَّهِ مَا نَدْرِي؟ قَالَ: فَإِنْ عَدَوْتُ فِي إِثْرِهَا حَتَّى أَقُومَ عَلَى مَجَامِعِ الطَّرِيقِ ⁽¹¹⁾ أَتَرُونِي أَلْحَقُهَا؟ قَالُوا: [لَا] وَاللَّهِ مَا تَلَحُّقُهَا! قَالَ: فَقَدْ فَاتَتْ الْآنَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا! فَلَمْ أَسْمَعْ قُطُّ بِإِنْسَانٍ يَشْكُ أَنْ السَّلَامَةَ مِنَ الذُّنُوبِ خَيْرٌ [غَيْرُهُ] ⁽¹²⁾.

(قول أبي لقمان الممرور في الجزء الذي لا يتجزأ)

وسأل بعض أصحابنا أبا لقمان الممرور عن الجزء الذي لا يتجزأ: ما هو؟ قال: الجزء الذي لا يتجزأ هو عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال له أبو العيناء محمد ⁽¹³⁾: أفليس في الأرض جزءٌ لا يتجزأ غيره؟ قال: بلى حمزة جزءٌ لا يتجزأ، وجعفر جزءٌ لا يتجزأ! قال فما

- (1) الزيادة من س فقط.
- (2) ط، ش: «ابتدئت القول»، وتصحيحه من ل.
- (3) ط، ش: «مليا» وفي ل: «ملينا». قال ابن منظور: «المليا» بالهمز: الثقة الغني. وقد أُلْعِ فيه الناس بترك الهمز وتشديد الباء. فالروايتان صحيحتان. والأوابد: جمع أبدة، وهي الكلمة أو الفعلة الغربية.
- (4) ط، ش: «ابتدئت»، وتصحيحه من ل.
- (5) ط، ش: «لولا ما عليك»، ل: «لولا ما رأيت» وفي عيون الأخبار (2: 51): «لولا ما رأيت عليك» وقد أثبت ما فيها جامعًا بين الروايتين.
- (6) كذا في ل. وفي ط، ش: «فيه». وكلاهما صحيح. (7) ل: «واحدة».
- (8) يطربها: يبالح في الثناء عليها، وهن يغترون بذلك. وفي ط: «يطربها» وليس بشيء. وفي ل: «يطردها». من طرد الصيد. وقد أثبت ما في ش.
- (9) ل: «يُمكِنُهَا» وهما سريان.
- (10) ل: «وأبت أن تنتظره».
- (11) كذا في ل. وفي ط، ش: «في جامع الطريق» محرفة.
- (12) الزيادة من ش. وبدونها يصح القول أيضًا ويجزأ كما في ط. وفي ل: «فلم أسمع قط بأن إنسانًا مسلمًا شك في أن السلامة من الذنوب خير من غيرها».

(13) أبو العيناء هو محمد بن القاسم بن خالد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء، مولى أبي جعفر المنصور. ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والعتبي. وكان فصيحًا ظريفًا لسنًا. دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري فقال له: ما تقول في دارنا هذه؟ قال: إن الناس بنوا الدور في الدنيا، وأنت بنيت الدنيا في دارك! ولقيه بعض الكتاب في السحر فقال متعجبًا منه ومن بكوره: يا أبا عبد الله، أتبكر في مثل هذا الوقت؟ فقال له: أُنشِرَكني في الفعل وتنفرد بالتعجب؟! فقد أبو العيناء بصره بعد الأربعين. وسبب تلقيه بأبي العيناء المذكور في وفيات الأعيان. ولد سنة 191 وتوفي سنة 282، انظر نكت الهميان 265.

تقول في العباس؟ قال: جزء لا يتجزأ. قال: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أبو بكر يتجزأ، وعمر يتجزأ. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: يتجزأ مرتين، والزبير يتجزأ مرتين. قال: فأَيُّ شيءٍ تقول في معاوية؟ قال: لا يتجزأ [ولا لا يتجزأ]. فقد فكرنا في تأويل أبي لقمان حين جعل الإمام⁽¹⁾ جزءاً لا يتجزأ⁽²⁾ إلى أي شيء ذهب، فلم نقع عليه إلا أن يكون كان أبو لقمان إذا سمع المتكلمين يذكرون الجزء الذي لا يتجزأ، هاله ذلك وكبر في صدره، وتوهم أنه الباب الأكبر من علم الفلسفة، وأن الشيء إذا عظم خطره سموه بالجزء الذي لا يتجزأ. وقد تسخفنا في هذه الأحاديث، واستجزنا ذلك بما تقدم من العذر، وسندكر قبل ذكرنا [القول]⁽³⁾ في الحمام جملاً من غرر ونوادر وأشعار وتنف وفقر من قصائد قصار وشوارد وأبيات، لنعطى قارئ الكتاب من كل نوع تذهب إليه النفوس نصيباً إن شاء الله.

(تناسب الألفاظ مع الأغراض)

ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسَّخِيفُ للسَّخِيفِ، والخَفِيفُ للخَفِيفِ⁽⁴⁾، والجَزَلُ للجَزَلِ، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكنية في موضع الكنية، والاسترسال في موضع الاسترسال. وإذا⁽⁵⁾ كان موضع الحديث على أنه مُضْحِكٌ ومُلهٍ⁽⁶⁾، وداخل في باب المزاح والطيب⁽⁷⁾، فاستعملت فيه الإعراب، انقلب عن جهته. وإن كان في لفظه سُخْفٌ وأبدلت السخافة بالجزالة، صار الحديث الذي وضع على أن يسر النفوس يكرها، ويأخذ بأكظامها⁽⁸⁾.

(الوقار المتكلف)

وبعض الناس إذا انتهى إلى ذكر الجر والأير والنيك ارتدع وأظهر التفزز⁽⁹⁾، واستعمل باب التورع. وأكثر من تجده كذلك فإنما هو رجل ليس معه من العفاف والكرم، والتبذل والوقار، إلا بقدر هذا الشكل من التصنع. ولم يكشف قط صاحب رياء ونفاق، إلا عن لؤم مُستعمل، ونذالة متمكنة.

- (1) المراد بالإمام: علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي ط، ش: «الأنام» بمعنى الخلق، وأثبت ما في ل.
- (2) كذا في ش، ل. وفي ط: «أجزاء لا تتجزء» فيكون صواب ما في ط: «جعل الأنام أجزاء لا تتجزأ». والمراد بالجزء الذي لا يتجزأ، أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار لا يمكن البتة أن يكون لها جزء. وهذا هو مذهب جمهور المتكلمين وأما الفلاسفة فيرون أن كل جزء فإنه ينقسم إلى أصغر منه، وهكذا إلى غير نهاية. وقد تبهم في ذلك النظام وبعض المعتزلة، فنفي الجزء الذي لا يتجزأ. انظر الفصل 5: 92-108 والفرق ص 123، وقد صنف جعفر بن حرب المعتزلي كتاباً في تكفير النظام بإبطاله الجزء الذي لا يتجزأ. الفرق 115.
- (3) الزيادة من ش.
- (4) هذه الجملة ساقطة من ل.
- (5) ط، ش: «وإن»، وأثبت ما في ل.
- (6) ط، ش: «وملهى»، والصواب ما أثبت من ل.
- (7) الطيب بمعنى الهزل والفكاهة. وفي ل: «المزح الطيب». وأثبت ما في ط، س. وانظر التنبيه الأول من ص 3.
- (8) الأكظام: جمع كظم، بالتحريك، وهو مخرج النفس. والكلام في استعمال الإعراب عند الفكاهة وسرد النوادر سبق للملاحظ مثله في الجزء الأول ص 202.
- (9) التفزز: التباعد من الدنس. وفي ط، ش: «التعزز» بمعنى التكبر والتشدد، كما في اللسان، وأثبت ما في ل.

(تَسْمُحُ بَعْضُ الْأُثْمَةِ فِي ذِكْرِ الْفَظَا)

وقد كان لهم في عبد الله بن عباسٍ مَقْنَعٌ، حِينَ سَمِعَهُ بَعْضُ النَّاسِ ⁽¹⁾ يُشَدُّ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ⁽²⁾:

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَاهِمِيَسَا إِنَّ تَصَدَّقَ الطَّيْرُ نَنْكَ لَمِيَسَا ⁽³⁾
فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا الرَّقْتُ مَا كَانَ عِنْدَ النِّسَاءِ.
وَقَالَ الضَّحَّاكُ: لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْقَوْلُ رَفَثًا لَكَانَ قَطْعُ لِسَانِهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ هُجْرًا ⁽⁴⁾.

قال شبيب بن يزيد الشيباني ⁽⁵⁾، لَيْلَةُ بَيْتٍ ⁽⁶⁾ عَتَابَ بْنِ وَرْقَاءَ ⁽⁷⁾:

مَنْ يَنْكَ الْعَيْرَ يَنْكَ نَيْكَا ⁽⁸⁾

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين دخل على بعض الأمراء فقال له: مَنْ فِي هَذِهِ الْبُيُوتِ؟ فَلَمَّا قِيلَ لَهُ: عَقَائِلُ مِنْ عَقَائِلِ الْعَرَبِ، قَالَ عَلِيٌّ: «مَنْ يَطْلُ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَطِقُ بِهِ ⁽⁹⁾». فَعَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعُولُ ⁽¹⁰⁾ فِي تَنْزِيهِ اللَّفْظِ وَتَشْرِيفِ الْمَعْنَى ⁽¹¹⁾.

(1) هو أبو العالية، كما في عيون الأخبار 1: 321.

(2) في العقد 3: 122 أنه كان يرتجز في الطريق بالبيت الآتي في طريقه إلى مكة. وفي العمدة 1: 11 أن ابن عباس سئل: هل الشعر من رفث القول؟ فأشدد البيت وقال: «إنما الرفث عند النساء» ثم أحرم للصلاة. وليس في الخبر عنده ذكر المسجد الحرام أو مكة. والبيت ليس لابن عباس بل تمثل به كما في اللسان (همس).

(3) الهميس: المشي الخفي الحس. لميس: اسم امرأة.

(4) الكلام من مبدأ: «وقال الضحاك»: كان في الأصل متأخرًا عن مكانه، بعد نهاية خبر شبيب الآتي. وقد رددته إلى موضعه الطبيعي. والضحاك هذا هو، الضحاك بن عبد الله الهلالي، وهو أحد من انضم إلى عبد الله بن عباس في خروجه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انظر تفصيل هذا في العقد 3: 120-122.

(5) هو شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجي، كان مع صالح بن مسرح رأس الصفريّة. خرج شبيب بالموصل، وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدًا بعد واحد. وفي إحدى حروبه نفّره فرسه على نهر دجيل - دجيل الأهواز لا دجيل بغداد - فغرق فيه وكانت تشترك معه زوجته غزالة وكذا أمه جهيزة في مقاومة الحجاج. ولما دخل هو وزوجه غزالة على الحجاج في الكوفة، تحصن منها وأغلق عليه قصره، فكتب إليه عمران بن حطان - وقد كان الحجاج لج في طلبه -:

أسد على وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر!

هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر!

ولد شبيب سنة 26 وتوفي سنة 77، انظر المعارف 180، ووفيات الأعيان، والأغاني 16: 149، 8: 21.

(6) ط، ش: «ليلة في بيت» ل: «ليلة بيته»، والصواب ما أثبت من المعارف 182، وبيت العدو: أوقع به ليلاً.

(7) عتاب بن ورقاء، كان يكنى أبا ورقاء، وكان من أجواد العرب، ولي عدة ولايات، وقاد عدة جيوش.

(8) يضرب مثلاً لمن يغالب الغلاب. وأصل المثل في أمثال الميداني 2: 232-233، وقد سبق في الجزء الثاني ص 143.

(9) قال الميداني في الأمثال 2: 228: «يريد من كثير إخوته اشتد ظهره وعزه بهم». وانظر رسائل الجاحظ 2: 92 بتحقيقنا.

(10) ط، ش: «يقدم» وتصحيحه من ل.

(11) هذه الكلمة ساقطة من ل. وكلمة «تشريف» هي في ط، ش: «شرف»، وأثبت ما في ل.

وقال أبو بكر رضي الله عنه حين قال بُدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ⁽¹⁾ لِلنَّبِيِّ ﷺ: جِئْنَا بِعَجْرَائِكَ وَسُودَانِكَ، وَلَوْ قَدْ مَسَّ هَؤُلَاءِ وَخُزُ⁽²⁾ السِّلَاحِ لَقَدْ أَسْلَمُوكَ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَصِصْتَ بَيَّظَرَ اللَّاتِ!

وقد رَوَوْا مَرْفُوعاً قَوْلَهُ: «مَنْ يُعْذِرُنِي مِنْ [ابن] أَمِّ سَبَاعٍ⁽³⁾ مُقْطَعَةَ الْبُظُورِ؟».

(لكلِّ مقام مقال)

ولو كان ذلك الموضوع موضع كناية هي المستعملة. وبعد فلو لم يكن لهذه الألفاظ مواضع استعملها أهل هذه اللغة وكان الرأي ألاَّ يُلْفَظَ بها، لم يكن لأوّل كونها معنى إلا على وجه الخطأ، ولكان في الحزم والصّون لهذه اللغة أن تُرْفَعَ هذه الأسماء منها. وقد أصاب كلّ الصّواب الذي قال: «لكلِّ مقام مقال»⁽⁴⁾.

(صورٌّ من الوقار المتكلّف)

ولقد دخل علينا فتى حَدَّثَ كان قد وقَعَ إلى أصحاب عبد الواحد بن زيد⁽⁵⁾ ونحن عند موسى بن عمران، فدار الحديث إلى أن قال الفتى: أَفْطَرْتُ الْبَارِحَةَ عَلَى رَغِيفٍ وَزَيْتُونَةٍ [ونصف، أو زيتونة، وثلاث، أو زيتونة وثُلثي زيتونة، أو ما أشبه ذلك. بل أقول: أَكَلْتُ زَيْتُونَةً]، وما علم الله من أخرى⁽⁶⁾، فقال موسى: إِنَّ مِنَ الْوَرَعِ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ، عَلِمَ اللَّهُ؛ وَأَظُنُّ وَرَعَكَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ الْوَرَعِ.

(1) بدیل بن ورقاء، صحابی، ترجم له ابن حجر في الإصابة 1: 146 وكان من الرجال البارزين في يوم الفتح وبعده. انظر سيرة ابن هشام. والمعروف في كتب السيرة نسبة مثل الكلمة الآتية إلى عروة بن مسعود الثقفي. جاء في سيرة ابن هشام، عند الكلام في أمر الحديبية: «فخرج - يعني - عروة بن مسعود الثقفي - حتى أتى رسول الله ﷺ، فجلس بين يديه، ثم قال: يا محمد! أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضيها بهم؟! إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمرور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً! وإيم الله لكأنني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا. قال: وأبو بكر الصديق خلف رسول الله ﷺ قاعد، فقال: امصص بظُر اللات! أنحن نكشف عنه؟! قال: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أبي قحافة. قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها!». وقد نقل هذا الكلام عنه ابن سيد الناس 2: 116 وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية. وانظر رسائل الجاحظ 2: 93.

(2) الوخز: الطعن الخفيف الضعيف. وفي ل: «حر».

(3) يقال: أعذره منه: أمكنه وتروى مثل هذه الكلمة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه. انظر مفاخرة الجواري والغلمان وسيرة ابن هشام 563-564 جوتنجن وتاريخ الطبري القسم الأول ص 1405، وسباع هذا هو ابن عبد العزى الغشاني. وفي ش: «سباع» مصحفة. وقد قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد. السيرة 611 وكانت أمه ختانة بمكة. السيرة 563.

(4) انظر المثل في كتاب الميداني (2: 132).

(5) عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد، كان شيعياً للصوفية، وكان من أهل الحديث، قال حصين بن القاسم: لو قسم حديث عبد الواحد على أهل البصرة لوسعهم. ولكنه كان متهماً في حفظه، كثير الوهم. لسان الميزان (4: 80). وقد ذكره ابن النديم في الفهرست 260 مصر 183 ليبسك، ضمن العباد والزهاد. وانظر خبرين من أخبار أصحابه في البيان (3: 171، 286).

(6) أي من زيتونة أخرى وهذه الكلمة هي في ط: «أمري» محرفة صوابها في ش، ل.

وكان العُتْبِيُّ ⁽¹⁾ ربّما قال: فقال لي المأمون كذا وكذا، حين صار النَّجْمُ على قِمَّةِ الرأس، أو حين جازني ⁽²⁾ شيئا، أو قبل ⁽³⁾ أن يوازي ⁽⁴⁾ هامتي. هكذا هو عندي، وفي أغلب ظني، وأكره أن أجزم على شيء وهو كما قلت إن شاء الله تعالى، وقريباً مما نقلت. فيتوقف في الوقت الذي ليس من الحديث في شيء. وذلك الحديث إن كان مع طلوع الشمس لم يزد ذلك خيراً، وإن كان مع غروبها لم ينقصه ذلك شيئاً. هذا ولعل الحديث في نفسه لم يكن قط ولم يصل هو في تلك الليلة البتة. وهو مع ذلك زعم أنه دخل على أصحاب الكهف فعرف عددهم، وكانت عليهم ثياب سبئية ⁽⁵⁾، وكلبهم ممعط الجلد. وقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: 18].

(بعض نواذر الشعر)

وسنذكر من نواذر الشعر جملة، فإن نشطت لحفظها فاحفظها؛ فإنها من أشعار المذاكرة. قال الثَّقَفِيُّ ⁽⁶⁾:

مَنْ كَانَ ذَا عَضِدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ إِنَّ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضِدٌ
تَنْبُو يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ وَيَأْنِفُ الضِّيمُ إِنْ أَثَرَى لَهُ عَدَدٌ ⁽⁷⁾
وقال أبو قيس بن الأسلت ⁽⁸⁾:

- (1) العتبي هو محمد بن عبد الله. سبقت ترجمته في الجزء الأول ص 66، وفي ل: «القيني» محرفة، صوابها في ش، ط.
- (2) ط: «جازي» والوجه ما أثبت من ل، ش.
- (3) ل: «قبيل».
- (4) ط: «يوازي»، وتصحيحه من ل، ش.
- (5) ثياب سبئية: نسبة إلى سبن، بالتحريك، وهو موضع لم يعينه ياقوت. والفيروزبادي جعله قرية ببغداد. وأما صفة الثياب فقد اختلف اللغويون فيها، فمن قائل إنها القسية، أي الثياب صنعت من كتان مخلوط بحبر. ومن قائل إنها ضرب من الثياب يتخذ من مشاققة الكتان أغلظ ما يكون. وهذا المعنى الأخير هو المناسب للكلام. وهذه الكلمة هي في ط، ش: «الشثنية» تحريف ما أثبت من ل.
- (6) الثَّقَفِيُّ هذا، هو الأجرد الثَّقَفِيُّ كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص 712، وهو من الشعراء الذين وفدوا على عبد الملك بن مروان. والبيتان الآتيان رواهما الجاحظ في البيان 1: 67، 3: 225 وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار 3: 2.
- (7) ط: «وتأنف» وتصحيحه من ل، ش: والبيان و«عيون الأخبار». وأثرى عدده: كثر عدد قبيله أو أنصاره.
- (8) أبو قيس، قال صاحب الأغاني 15: 154: لم يقع إلي اسمه. والأسلت لقب أبيه، واسمه عامر بن جشم، ينتهي نسبه إلى الأوس، وأبو قيس شاعر من شعراء الجاهلية. قال هشام بن الكلبي: كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعثت إلى أبي قيس بن الأسلت، فقام في حربهم وأثرها على كل أمر حتى شحب وتغير، ولبت أشهراً لا يقرب امرأته. ثم إنه جاء ليلة فدى على امرأته ففتحت له، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته، فقال: أنا أبو قيس! فقالت: والله ما عرفتك حتى تكلمت! فقال في ذلك أبو قيس، القصيدة التي أولها:

قالت ولم تقصد لقليل الخنا مهلاً فقد أبلغت أسماعي
استنكرت لونا له شاحباً والحرب غول ذات أوجاع

قلت: والقصيدة من المفضليات ص 284 ومنها البيتان المذكوران. وأما ابن حجر في الإصابة (935) من باب الكنى فقال: «مختلف في اسمه: فليل صيفي، وقيل الحارث، وقيل عبد الله، وقيل صرمة. واختلف في إسلامه». وانظر الخزانة 3: 375-378.

بَرُّ امْرِئٍ ^(١) مُسْتَبْسِلٍ حَازِرٍ ^(٢) لِلدَّهْرِ، جَلْدٍ غَيْرِ مَجْرَاعٍ
 الْكَيْسُ ^(٣) وَالْقُوَّةُ خَيْرٌ مِنْ الـ
 وَقَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ:
 رَبِّ حَبَانَا بِأَمْوَالٍ مُخَوَّلَةٍ وَكُلُّ شَيْءٍ حَبَاهُ اللَّهُ تَخْوِيلُ
 وَالْمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ شَحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلُ
 وَكَانَ عَمْرٌ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرُدُّ هَذَا النِّصْفَ الْآخَرَ، وَيَعْجَبُ مِنْ جَوْدَةِ مَا
 قَسَمَ ^(٦).

وقال المتلمس:

وَأَعْلَمُ عِلْمٍ حَقٌّ غَيْرَ ظَنٍّ وَتَقْوَى اللَّهِ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ
 لِحِفْظِ الْمَالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغَاهِ ^(٧) وَضَرْبٍ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادٍ
 وَإِصْلَاحِ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ
 وَقَالَ الْآخَرُ:
 وَحِفْظُكَ ^(٨) مَا لَا قَدْ غُنِيَتْ بِجَمْعِهِ أَشَدُّ مِنَ الْجَمْعِ ^(٩) الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

(١) البز: السلاح ومثلها البزة. وجاءت الرواية في ط، ش: «إني امرؤ» وأثبت رواية ل. وهي الموافقة لما في المفضليات.

(٢) الحاذر: المتأهب الشاكي السلاح، وجاء مثل هذا في قول القائل:

وَبِرَّةٌ فَوْقَ كَمِيٍّ حَازِرٍ وَثُرَّةٌ سَلَبَتْهَا عَنْ عَامِرٍ

وجاء في ط: «حازر» بالزاي، وهو تحريف صوابه في ش، ل، والمفضليات.

(٣) رواية المفضليات: «الحزم».

(٤) رواية المفضليات: «الإدهان». والإدهان: اللين. والإشفاق: الخوف.

(٥) الفهية: العي. وجاء في ط، ش: «القيمة» وهي إن صحت في اللغة كان معناها الذلة. وقد أثبت رواية ل. ورواية المفضليات: «الفكة» والفكة: استرخاء الرأي. والهاج: سوء الحرص مع الضعف. وهذه هي رواية ل، والمفضليات. وفي ط، ش: «العاع» وجاء في اللسان والقاموس: عيع بالتشديد، بمعنى عي. ولم ترد فيهما لفظة «العاع».

(٦) انظر العقد 3: 387 والبيان 1: 240-241 والصناعتين 331.

(٧) يقال: بغى الشيء يبغيه بغاء وبغى وبغية، بضمهم. وما أثبت هو ما في ش. وفي ل: «خير من بغاة»، وهي رواية البحري في حماسه ص 343، وفي ط: «أيسر من فناه» وهذه رواية العقد 2: 41، وفناه: فناؤه، وقصر لضرورة الشعر، ومثل هذه الرواية في المعنى رواية البغدادي في الخزانة 3: 72:

لِحِفْظِ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ ضِيَاعِ

وقد خصص البحري الباب الثلاثين والمائة لما قيل في إصلاح المال وحفظه.

(٨) الرواية في ش: «حفظك» بحزم البيت.

(٩) ط، ش: «المال» والوجه ما أثبت من ل، والبخلاء 142، قال الجاحظ: «وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه» وأنشد البيت.

وقال حميد بن ثور الهلالي :

أَتَشْغَلُ عَنَّا يَا بَنُ (1) عَمَّ فُلْنُ (2) ترى
وقال ابن أحمر :

هذا الشناء وأجدر أن أصاحبه
وقال ابن مقبل :

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانُ، فَمِنْهُمَا
وكلتاها قد خُطَّ لي في صحيفة
وقال عمرو بن هند :

وإن الذي ينهاكم عن طلابها
يُعَلِّلُ والأَيَّامُ تَنْقُصُ عُمُرَهُ (9)
وقال أُمَيَّة - إن كان قالها (12) - :

رُبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ
(شعر في الغزل)

وقال آخر (13) :

رَمَتْنِي وَسَتَرُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ (14)

- (1) ل : «بابن» ولعل الوجه ما أثبت من ط، ش. وهو الأشبه بقول الشعراء.
- (2) ط، ل : «فلا».
- (3) ط، ش : «من»، والوجه ما أثبت من ل.
- (4) ط : «لا» وتصحيحه من ش، ل، وفي ط، ش : «سوف تعتل» وتصحيحه من ل.
- (5) «الثناء» جاءت في ط، ش : «الشقاء» وهو تحريف صوابه من ل والبيان 1: 180 واللسان (مادة دوم). وجاء في ش : «فأجدر» وكلمة «أصحابه» هي في الأصل «صاحبه» محرفة، وتصحيحها من البيان واللسان. قال ابن بري في هذا البيت : «يقول : هذا ثنائي على النعمان بن بشير، وأجدر أن أصاحبه ولا أفارقه. وأمل لي له يبقى ثنائي عليه، ويدوم ريتي في فمي بالثناء عليه».
- (6) الرواية المشهورة في البيت : «وما الدهر». انظر ديوان ابن مقبل 24 والكامل 538 ليبسك وحماسة البحتري 183 وكتاب سيبويه 1: 376، واستشهد به المبرد وسيبويه على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه. وتقدير الكلام : فمِنْهُمَا تارة أموت فيها.
- (7) هذا البيت من ل. وروى في حماسة البحتري : «فلا الموت أهواه» وما هنا أوفق.
- (8) طرة الشعر والثوب : طرفه.
- (9) ط، ش : «نعلل والأيام تنقص عمرنا»، وأثبت ما في ل، والبيان 3: 34 وما سيأتي في ص 258.
- (10) ش : «تنقص» وله وجه. ش : «تنقص» وليس بشيء.
- (11) ط : «الأيام» وهو تحريف ما أثبت من ش، ل، والبيان.
- (12) ل : «قاله». وانظر اللسان (فرج).
- (13) هو أبو حية النميري كما في الكامل 19 ليبسك والحماسة (2: 110). وانظر البيان 1: 68، و3: 324.
- (14) يقول : رمتني بطرفها. وعنى بستر الله، الإسلام، أو الشيب، وآرام الكناس، روى فيها : «بأحجار الكناس» وهو اسم موضع. انظر الكامل واللسان (كنس). ورواية الحماسة : «ونحن بأكناف الحجاز». ورميم هي خليلته.

أَلَا رَبُّ يَوْمَ لَوْ رَمَيْتَنِي رَمَيْتُهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنِّصَالِ قَدِيمٌ (1)
رَمِيمٌ أَلَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ بَيْتِهَا ضَمِنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهِيمٌ (2)
وقال آخر:

لَمْ أَعْطُهَا بِيَدِي إِذْ بَتَّ أَرْشُفُهَا إِلَّا تَطَاوَلَ غُضْنُ الْجِدِّ لِلْجِدِّ (3)
كَمَا تَطَاعَمٌ فِي خَضِرَاءَ نَاعِمَةٍ مَطْوَقَانِ أَصَاخًا بَعْدَ تَغْرِيدِ (4)
فَإِنْ سَمِعْتَ بِهِلِكٍ لِلْبَخِيلِ فَقُلْ بَعْدًا وَسُحْقًا لَهُ مِنْ هَالِكٍ مُودِي
(شعر في الحكم)

وقال أبو الأسود الدؤلي (5):

المرءُ يَسْعَى ثُمَّ يُدْرِكُ مَجْدَهُ حَتَّى يُزَيِّنَ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلِ (6)
وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ غَيْهِ (7)
[وقال دريد:

رئيسُ حروب لا يزال ربيئَةً مشيخٌ على محقوقِ الصُّلبِ مُلْبِدِ (8)
صَبُور على رزء المصائب حافظٌ من اليوم أعقاب الأحاديث في غدِ (9)
وهوَنٌ وجدي أنني لم أقل له كَذَبْتُ ولم أبخلُ بما ملكْتُ يدي]
وقال سعيد بن عبد الرحمن (10):

(1) قال المبرد في شرح هذا البيت: «لو كنت شابًا لرميت كما رمت، وفتنت كما فتنت، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب!».

(2) هذا البيت ساقط من ل. ويصح في «أن» أن تكون ناصبة أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها الفعل.

(3) في اللسان: عطا الشيء يعطوه: إذا أخذه وتناوله.

(4) خضراء، عني بها شجرة أو أيكّة. والناعمة: الخضراء الناضرة، نعم العود: اخضر ونضر. والمطوقان: حمامتان مطوقتان. وتطاعمهما: أن يدخل الذكر فمه في فم أنثاه. وفي ط، ل: «مطوقات أصاخر»، والوجه ما أثبت من ل، واللسان (طعم).

(5) الدؤلي: نسبة إلى الدئل بضم الدال وكسر الهمزة، وهو أبو قبيلة من الهون بن خزيمه. يقال في النسبة إليه دؤلي ودولي بفتح عينهما، وديلي بكسر الدال، ودثلي بكسرتين. وجاء في س «الدلي». وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان بن كنانة. كان عاقلاً، حازماً، بخيلاً. وهو أول من وضع العربية. وكان شاعراً مجيداً، وشهد صفين مع علي، وولى البصرة لابن عباس ومات بها - وقد أسن - سنة تسع وستين.

(6) مجده فاعل يدرك، أي يتكامل مجده ويتم. من أدرك الثمر.

(7) ل: «عيبه».

(8) يقال احقوق ظهر البعير والفرس: إذا طال واعوج، وعنى بالمحقوق فرسه. الملبد: الفرس قد شد عليه اللبد.

(9) الرواية في الحماسة: «فليل التشكي للمصيبات حافظ». والأبيات من قصيدة يرثي بها دريد أخاه عبد الله بن الصمة، روى بعضها أبو تمام في الحماسة (1: 336-340).

(10) هذا ما في ل، ومثله في الحيوان 1: 50 ونهاية الجزء الثاني من البيان. وفي ش، ط: «وقال آخر». وجاء في عيون الأخبار (2: 12): «وقال حسان: قلت شعراً لم أقل مثله». وأنشد البيت.

وإِنَّ أَمْرًا يُمْسِي وَيُصْبِحُ سَالِمًا مِّنَ النَّاسِ - إِلَّا مَا جَنَى - لَسَعِيدٌ⁽¹⁾
(شعر في الزهد)

وقال أكتُمُ بَنُ صَيْفِي :

نُرَبِّئِي وَيَهْلِكُ آبَاؤُنَا وَبَيْنَا نُرَبِّئِي بَيْنَنَا فَنِينَا
وقال بعضُ المحدثين :

فَالآنَ أَسْمَحْتُ لِلخُطُوبِ فَلَا يُلْفَى فُؤَادِي مِنْ حَادِثٍ يَجِبُ⁽²⁾
قَلْبِنِي الدَّهْرُ فِي قَوَالِبِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ لِيَوْمِهِ سَبَبٌ
وقال آخر⁽³⁾ :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ⁽⁴⁾
أَلَا يَا مَوْتُ لِمَ أَرُّ مِنْكَ بُدًّا أَبَيْتَ فَمَا تَحِيفُ وَلَا تَحَابِي⁽⁵⁾
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي⁽⁶⁾
وقال آخر⁽⁷⁾ :

يَا نَفْسُ خُوضِي بِحَارِ الْعِلْمِ أَوْ غُوصِي فَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَعْمُومٍ وَمَخْصُوصِ⁽⁸⁾
لَا شَيْءَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يُحَاطُ بِهِ إِلَّا إِحَاطَةٌ مَنَقُوصٌ بِمَنَقُوصِ

(1) إلا ما جنى، يريد إلا جزء ما جنى . وجاءت هذه الكلمة في س : « عنى » وفي ط : « جنى » وهما تحريف ما أثبت من ل والبيان وعيون الأخبار .

(2) أسمح للخطوب : لان وانقاد ، وهو عبارة عن التحمل والصبر . ووجب القلب وجبًا ووجيبًا ووجبانًا : خفق .

(3) هو أبو نواس ، والأبيات من ثلاثة عشر بيتًا في ديوانه ص 200 ، ونسبت في الأغاني 3 : 155 إلى أبي العتاهية . وهي في ديوان أبي العتاهية أيضًا ص 23-24 .

(4) الرواية في ط ، ش : « وكلكم يصير إلى التراب » وأثبت ما في ل والديوان ، وهو الموافق لما في محاضرات الراغب (2 : 224) .

(5) حاف يحيف : جار وظلم . وفي ط ، ش : « تخيف » وهو تصحيف ما في ل وفي الديوان : « قسوت فما تكف وما تحابي » .

(6) ط والديوان : « على الشباب » وفي الديوان أيضًا : « هجمت على حياتي » .

(7) ط ، ش : « وقال منهم آخر » والوجه حذف « منهم » كما في ل . وجاء في أدب الدنيا والدين ص 21 ، « وأنشد الرشيد عن المهدي بيتين وقال : أظنهما له » . ثم روى البيهقي .

(8) ط : « بين مغموم » وصوابه في ش ، ل وأدب الدنيا والدين .

(شعر في التشبيه)

وأنشدنا للأخيمر^(١) :

بأَقْبَ مَنْطَلِقِ اللَّبَانِ كَأَنَّهُ سِيدَ تَنْصَلٍ مِنْ حُجُورِ سَعَالِي^(٢)
وقال الآخر^(٣) :

أَرَاقِبَ^(٤) لَمَحاً مِنْ سُهَيْلٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَا مِنْ دُجِيَةِ اللَّيْلِ يَطْرَفُ^(٥)
وقالوا^(٦) قال خلف الأحمر : لم أرَ أَجْمَعَ مِنْ بَيْتٍ لَامِرٍ الْقَيْسِ ، وهو قوله :
أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَزَادَ وَقَادَ وَزَادَ وَأَفْضَلَ^(٧)
ولاً أَجْمَعَ مِنْ قَوْلِهِ^(٨) :

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْيِي وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَنْفُلٍ
وقالوا : ولم نر^(٩) في التشبيه كقولهِ ، حِينَ شَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فِي حَالَتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي
بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وهو قوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً لَدَى وَكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

(قطعة من أشعار النساء)

وسنذكر قطعة من أشعار النساء . قالت أعرابية^(١٠) :

- (١) ط ، ش : « ونرشد الأخيمر » وما أثبت من ل .
- (٢) الأقب : الضامر البطن ، عنى به فرساً . اللبان ، بالفتح : الصدر ، وأراد بانطلاق اللبان انبساطه واستواءه . وفي الأصل : « منطلق اللسان » بمعنى زلق فصيح وليس يكون ذلك . والسيد ، بالكسر : الذئب . تنصل من حجور السعالي : خرج منها . والسعلاة - فيما يزعم العرب - : الغول . يقول : كأنه ذئب خبيث فهو سريع العدو . جاء في ل : « تنصل في » .
- (٣) هو جران العود . والبيت من قصيدة مثبتة في ديوانه 13-24 .
- (٤) هذا ما في ل والبيان (3: 40) وهو صواب الرواية . وفي ط ، ش : « يراقب » .
- (٥) الرواية في الديوان ص 14 وكذا في ل : « من آخر الليل » . والدجية ، بالضم : الظلمة وجمعها دجى . ويطرف : أي كما تطرف العين .
- (٦) هذه الكلمة ساقطة من ل .
- (٧) كذا في ل ومثله عند العكبري 2: 72 ، وجاء في ط ، ش :

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَقَادَ وَعَادَ وَزَادَ وَأَفْضَلَ

وقد جرى على طريقة امرئ القيس أو العميثل الأعرابي فقال :

اصدق وعف وبر واصبر واحتمل واصفح ودار وكاف وابذل واشجع

ثم الممتني في قوله :

أَفْلَ أَفْلَ أَقْطَعَ أَحْمَلَ عَلَى سَلٍّ أَعَدَ زِدْ هَشًّا بِشٍّ تَفْضُلَ ادْنِ سِرْ صِلْ

انظر الوساطة 253 والعكبري .

- (٨) كذا في ل وفي ط ، ش : « وقالوا : وقال خلف الأحمر : لم أرَ أَجْمَعَ مِنْ بَيْتٍ لَامِرٍ الْقَيْسِ » .
- (٩) ش : « يرى » .
- (١٠) كذا . والشعر كما ترى ، ينطق بأن قائله رجل .

- رَأَتْ نِضْوَ أَسْفَارٍ أُمِيمَةً شَاحِبًا عَلَى نِضْوِ أَسْفَارٍ فَجَنَّ جُنُونُهَا
فَقَالَتْ :
مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ ، وَمَنْ تَكُنْ فَإِنَّكَ مَوْلى فِرْقَةٍ لَا تَزِينُهَا⁽¹⁾
وَقَالَتْ امْرَأَةً مِنْ خَثْعَمٍ :
فَإِنْ تَسْأَلُونِي مَنْ أَحَبُّ فَإِنِّي أَحِبُّ الْفَتَى الْجَلْدَ السَّلُولِيَّ نَاضِلًا⁽²⁾
وَقَالَتْ أُخْرَى :
وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَفِي الدَّارِ خَالِدٌ وَأَقْبَحَهَا لَمَّا تَجَهَّزَ غَادِيَا
وَقَالَتْ أُمُّ قُرُوءَ⁽³⁾ الْغَطَفَانِيَّةُ :
فَمَا مَاءٌ مَزْنٍ أَيْ مَاءٍ تَقُولُهُ تَحْدَرُ مِنْ غُرِّ طَوَالِ الذَّوَائِبِ⁽⁴⁾
بِمُنْعَرَجٍ أَوْ بَطْنٍ وَادٍ تَحْدَرَتْ عَلَيْهِ رِيَّاحُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ⁽⁵⁾
نَفَى نَسْمُ الرِّيحِ الْقَذَا عَنْ مَتُونِهِ فَمَا إِنْ بِهِ عَيْبٌ يَكُونُ لِعَائِبٍ⁽⁶⁾
بِأَطْيَبِ مِمَّنْ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ تُقَى إِلَهُ وَاسْتَحْيَاءُ بَعْضِ الْعَوَاقِبِ
وَقَالَ بَعْضُ الْعُشَاقِ⁽⁷⁾ :
وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي⁽⁸⁾ دَلَجَ السُّرَى وَجُونُ الْقَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ⁽⁹⁾
وَأَنْتِ الَّتِي أَوْرَثْتَ قَلْبِي حَرَارَةً وَقَرَحْتَ قَرَحَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَلِيمُ⁽¹⁰⁾

- (1) الفرقة، بالكسر: الجماعة. ط، ش: «وقرينها» صوابه في ل ونقد الشعر 73 واللسان (صحا 212) حيث أنشد خمسة أبيات.
- (2) يقال نضلّه، إذا غلبه في الرمي. وجاء في ل: «فاضلاً» وأثبت ما في ط، ش.
- (3) كذا في ش والجزء الخامس من الحيوان ص 96، وفي ط: «أم فرق» وفي ل: «امرأة فرة». والشعر الآتي قد نسب في زهر الآداب (1: 167) إلى عاتكة المرية في ابن عم لها راودها عن نفسها. وفي أمالي القالي (2: 87) شعر لمن تدعى زينب بنت فروة المرية، تقوله في ابن عم لها يقال له المغيرة.
- (4) رواية زهر الآداب: «وما طعم ماء أي ماء تقوله». وعن بالغر السحائب، وبذوائبها أطرافها.
- (5) رواية زهر الآداب: «بمنعرج من بطن واد تقابلت». وفي الجزء الخامس من الحيوان: «تحدثت» موضع «تحدثت»، و«المزن» مكان «الصيف».
- (6) زهر الآداب: «نفت جرية الماء»، وفيه وفي الجزء الخامس: «تراه لشارب».
- (7) هو ابن الدمينه، وكان قد هوى امرأة من قومه يقال لها «أميمة» فهم بها مدة فلما وصلتته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها، ثم زارها ذات يوم فتعابها طويلاً، وتحدثا بالشعر الآتي. انظر معاهد التنصيص 1: 58 والحماسة 2: 146 وديوان ابن الدمينه 36-37، والأبيات التالية في البيان 3: 370 والأغاني 15: 148.
- (8) ط، ش: «كلفني» وتصحيحه من ل والمراجع المتقدمة.
- (9) عني بالجلهتين ناحيتي الوادي. وفي ش: «بالجهتين» وهو محرف.
- (10) في الحماسة والديوان، «قطعت قلبي حزازة» والحزازة: الوجد. وفيهما أيضاً «وقرحت» مكان: «وقرحت» والوجه فيها «قرت» بقاف ثم فاء، يقال قرف الجرح وقرفه: قشره ولما يبرأ، وجاء في المعاهد: «ومزقت» وفي المعاهد والحماسة: «فهو كليم» وفي الديوان: «فهو سقيم».

وَأَنْتِ الَّتِي أَسَخَطْتَ قَوْمِي ⁽¹⁾ فَكَلَّهْمُ
بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمٌ ⁽²⁾
فَقَالَتِ الْمَعشُوقَةُ :

وَأَنْتِ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ حَتَّى ⁽³⁾ تَرَكْتَنِي
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْ بَدَا
وَقَالَ آخِرُ ⁽⁴⁾ :

شَهِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنَّكَ عَادَةٌ
وَأَنَّكَ لَا تَجْزِينَنِي بِمُودَّةٍ
فَأَجَابَتْهُ :

شَهِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنَّكَ بَارِدُ الْـ
وَأَنَّكَ مَشْبُوحُ الذَّرَاعِينَ خَلَجَمُ ⁽⁷⁾
ثَنَائِيَا وَأَنَّ الْخَصَرَ مِنْكَ رَقِيقُ ⁽⁶⁾
وَأَنَّكَ إِذْ تَخْلُو بِهِنَّ رَفِيقُ ⁽⁸⁾
(شعر مختار)

[وقال آخر :

اللَّهِ يَعْلَمُ يَا مَغِيرَةَ أَنْنِي
فَأَخَذْتُهَا أَخْذَ الْمُقْصَبِ شَاتَهُ
قَدْ دُسْتُهَا دَوْسَ الْحِصَانِ الْهَيْكَلِ
عَجَلَانٍ يَشْوِيهَا لِقَوْمٍ نُزِّلَ ⁽⁹⁾
وَقَالَ كَعْبُ بْنُ سَعْدٍ الْغَنَوِيُّ ⁽¹⁰⁾ :

(1) كذا في ل. وفي ط، ش: «أحفظت قلبي» وهو تحريف. والرواية في المعاهد والحماسة والديوان: «أحفظت قومي». وأحفظه: أغضبه.

(2) الكظيم: المكظوم، وهو من امتلأ جوفه بالغضب.

(3) الرواية في جميع المصادر المتقدمة: «ثم». (4) هو قيس لبنى، كما في تزيين الأسواق 49.

(5) الرداح: كسحاب: الثقيلة الأوراك. والعتيق: الجميل الرائع.

(6) كذا في ط، ش. وفي ل والبيان 2: 351: «وأن الكشح منك لطيف». وما أثبت هو الأشبه؛ إذ أنه الملائم للمجاجة.

(7) مشبوح الذراعين: طويلهما، وقيل عريضهما. الخلجم: الجسم العظيم. وفي ط، ش: «حلجم» وهو تصحيف ما كتبت من ل والبيان.

(8) في ل، والبيان: «عفيف» وانظر التنبيه السادس.

(9) المقصب: القصاب. والشعر للعجاج، كما في اللسان (فتح).

(10) كعب بن سعد الغنوي شاعر إسلامي، وهو أحد بني سالم بن عبيد بن سعد بن عوف بن كعب بن جلال بن غنم ابن غني بن أنصر. كذا قال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي في موضعين منه. وقد راجعت كتب الصحابة وكتاب الشعراء لابن قتيبة وكتاب الأغاني وغيرها فلم أجدها في أحدها إلا ما قاله أبو عبيد المذكور، والظاهر أنه تابعي. خزانة الأدب (3: 621 بولاق). والأبيات الآتية من مرثية له طويلة رواها ابن الشجري في مختارات أشعار العرب (27-30) والقالي في أماليه (2: 148-151) يرثي بها أخاه أبا المغوار، واسمه هرم أو شبيب. وفي أمالي القالي أن بعض الناس يروي هذه القصيدة لكعب، وبعضهم يرويها بأسرها لسهم الغنوي، وهو من قومه وليس بأخيه، وبعضهم يروي شيئاً منها لسهم.

وَحَدَّثْتُمَانِي أَنَّهَا الْمَوْتُ بِالْقَرَى
وَمَاءُ سَمَاءٍ⁽¹⁾ كَانَ غَيْرَ مَحْمَةٍ⁽²⁾
وَمَنْزِلَةٌ فِي دَارِ صَدَقٍ⁽⁴⁾ وَغِبْطَةٍ
وَقَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ :

رئيسُ حُرُوبٍ لَا يَزَالُ رَبِئَةً
صَبُورٌ عَلَى رُزَاءِ الْمَصَائِبِ حَافِظٌ
وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ
مَشِيحٌ عَلَى مُحَقَّقِ الصُّلْبِ مُلْبِدٍ⁽⁶⁾
مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ
كَذَبْتُ وَلَمْ أَبْخُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

(قطع من البديع)

وقطعة من البديع قوله⁽⁷⁾ :

إِذَا حَدَّاهَا صَاحِبِي وَرَجَّعَا
يَتَبَعْنَ⁽⁸⁾ مِنْهُنَّ جُلَالًا أَتْلَعَا⁽⁹⁾
وَقَالَ الرَّاجِزُ فِي الْبَدِيعِ الْمَحْمُودِ :
قَدْ كُنْتُ إِذْ حَبَلُ صَبَاكَ مُدْمَشٍ⁽¹¹⁾
وَإِذْ أَهَاضِيبُ الشَّبَابِ تَبْغَشُ⁽¹²⁾
وَصَاحَ فِي آثَارِهَا فَأَسْمَعَا
أَدْمَكَ فِي مَاءِ الْمَهَاوِي مُنْقَعَا⁽¹⁰⁾

- (1) ط : «وما وسماع» : ش : «وما وسماع» وصوابه من ل ولسان العرب (قول).
(2) المجمة : مكان جموم الماء ، أي كثرته . والمجمة بالحاء : المكان تكثر فيه الحمى . جاء في ط ، ش : «بين مجمة» ، وأثبت ما في ل ، ولسان العرب (قول).
(3) ربح الجنوب معها الخير والمطر والتلقيح . انظر اللسان (جنب) . قال ابن الأعرابي : الجنوب في كل موضع حارة إلا بنجد فإنها باردة . جاء في ط ، ش : «بذي شربة» مكان «ببرية» التي أثبتتها من ل ، واللسان .
(4) كذا في ط ، ش : واللسان . وفي ل : «أمن» .
(5) اقتال : تحكم . وجاءت هذه الكلمة في ل : «اقتال» وفي ش : «افتاك» وصواب تحريفهما من اللسان (قول) . وجاء في ط : «افتات» وهي صحيحة ، في معنى : «اقتال» . وكلمة «في» هي في كل من ش ، ل ولسان العرب : «من» . وقد عني بالكلام أن أخاه لم يمرض فيحتاج إلى الطبيب .
(6) «محقوقف» هي في الأصل : «محرووف» وليس لهذه وجه . وقد سبق الكلام في هذه الأبيات وشرحها ص 26 .

- (7) ط ، ش : «قولهم» ، وأثبت ما في ل .
(8) في الأصل : «يتبعهن» وهو ظاهر التحريف . وقد عني بكلامه الإبل .
(9) الجلال ، بالضم : العظيم . وجاء في ط ، ش : «حلالاً» مصحفة والأتلع : الطويل العنق .
(10) كذا جاء في البيت في ط ، ل . وفي ش : «أرمك» وفي ل : «ماء المهاري» .
(11) في اللسان : «أدمج الحبل» : أجاد فتله . . وقوله : «إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش» ؛ إنما أراد : مدمج ، فأبدل الشين من الجيم لمكان الروي» . فروى البيت برواية أخرى .
(12) الأهضوبة : الدفعة من المطر ، تجمع على أهاضيب . وتبغش : تدفع ما بها من الماء . وقد كنى بقوله عن قوة الشباب ونعمته وريه . جاء في ط ، ش : «تبغش» وصوابها من ل ، والبيان 3 : 334 .

ومن هذا البديع المستحسن منه، قول حُجر بن خالد بن مرثد⁽¹⁾:

سمعتُ بفعلِ الفاعلين فلم أجِدْ كفعلِ أبي قابوسَ حَزْماً ونائلاً⁽²⁾
يُساقُ الغمامُ الغُرُّ من كلِّ بلدةٍ إليك فأضحى حَوْلَ بيتِكَ نازلاً⁽³⁾
فأصبحَ منه كلُّ وادٍ حللته وإن كان قد حَوَى⁽⁴⁾ المِرابيعَ⁽⁵⁾ سائلاً
فإنَّ أنتَ تهلك يَهلكِ الباعُ والنَّدا وتُضحى قلوبُ الحمدِ جُرباءَ حائلاً⁽⁶⁾
فلا ملكٌ ما يبلِّغُنكَ سَعْيُهُ ولا سُوقَةٌ ما يمدَحُنكَ باطلاً⁽⁷⁾

باب في صدق الظنِّ وجودة الفِراسة

قال أوس بن حجر:

[الألمعي الذي يظنُّ بك الظنَّ نَ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنك لا تَتَنَفَّعُ بعقل الرَّجل حتَّى تعرفَ صدقَ
فِطْنَتِهِ».

وقال أوس بن حجر:

مليحٌ نجيحٌ أخو مَازِقٍ نِقَابٌ يُحَدِّثُ بِالْغَائِبِ⁽⁸⁾
وقال أبو الفَضَّة، قَاتِلُ⁽⁹⁾ أَحْمَرَ بن شميطة:
فإِلَّا يَأْتِكُمْ خَبَرٌ يَقِينٌ فَإِنَّ الظَّنَّ يَنْقُصُ أَوْ يَزِيدُ

(1) هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، شاعر جاهلي كان معاصراً لعمرو بن كلثوم. وكان أشد شعراً بين يدي النعمان بن المنذر، فأحفظ عمرو بن كلثوم، فلطمه عمرو في مجلس الملك، ثم اقتص منه حجر، وأجار الملك حجراً. فقال حجر الأبيات الآتية يمدحه. انظر شرح التبريزي للحماسة 2: 39 والحماسة 2: 294 و«مرثد» هي في ط، ش: «مزيد» وتصحيحها من ل، والحماسة وشرحها.

(2) أبو قابوس: كنية النعمان، و«حزماً» هي كذلك في ط، والحماسة. وفي ل: «فعلاً».

(3) في صدر هذا البيت روايات كثيرة. فيروي «فساق إلهي الغيث»، و«فسيق إليه الغيث»، و«فساق الإله الغيث»، و«فسيق القمام الغر». وهي صورة تطلعك على ما تفعل الرواية. وكل هذا دعاء له.

(4) خوى النجم: سقط ولم يمطر في نوبته، وكان العرب يستدلون على المطر بالنجوم: انظر تفصيل ذلك في الأزمنة والأمكنة للمرزوقي 2: 179-185، وبلوغ الأرب 3: 229-261، وفي الأصل «حوى» مصحفة.

(5) المِرابيع: النجوم التي يكون بها المطر في أول الأنواء. ط: «المِرابيع» وتصحيحه من ش، ل. يقول: يسير الخير في ركابك، فلو أنك نزلت في مكان محروم من نعمة الغيث، أفضت عليه من الخير ما يفعمه.

(6) الباع: الشرف والكرم. قال رؤبة:

إذا الكرام ابتدروا الباع بدر

والقُلوص: الناقة الشابة الفتية. و«الحمد» هي في ش: «الحب» محرفة وفي ل: «الحي»، ولها وجه. وفي الحماسة: «الحرب» وهي رواية جيدة. والحائل من التوق: التي حمل عليها فلم تلقح.

(7) للتبريزي كلام جيد في هذا البيت.

(8) أخو مَازِق: أي هو حسن التخلص من المَازِق. وروى: «أخو مَاقَط». والنقاب: الرجل العالم بالأشياء الفطن.

(9) ط، ش: «أحمد» وصوابه في ل. وانظر ما كتبت في الشميطية ص 149 من الجزء الثاني.

وقيل لأبي الهذيل: إنك إذا راوَعْتَ واعتَلَلْتَ - وأنت تكلم النظام [وقمت] - فأحسن حالاتك أن يشك الناس فيك وفيه! قال: خَمْسُونَ شَكًّا خَيْرٌ مِنْ يَقِينٍ واحد!! وقال كَثِيرٌ في عبد الملك:

رَأَيْتُ أَبَا الْوَلِيدِ غَدَاةَ جَمْعٍ بِهِ شَيْبٌ وَمَا فَقَدَ الشَّبَابُ (1)
فَقُلْتُ لَهُ، وَلَا أَعْيَا جَوَاباً: إِذَا شَابَتْ لِدَاتُ الْمَرْءِ شَابَا
وَلَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ الشَّيْبِ حَزْمٌ إِذَا مَا قَالَ أَمْرَضُ أَوْ أَصَابَا (2)

وليس في جَوْدَةِ الظَّنِّ بَيْتٌ شَعْرٍ أَحْسَنَ مِنْ بَيْتِ بُلْعَاءِ (3) بْنِ قَيْسٍ:
وَأُبْغِي صَوَابَ الظَّنِّ أَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهُ
وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ﴾ [سبا: 20]. وقال ابن أبي ربيعة في الظَّنِّ:

وَدَعَانِي إِلَى الرَّشَادِ فُوَادٌ كَانَ لِلْعَيِّ مَرَّةً قَدْ دَعَانِي
ذَاكَ دَهْرٌ لَوْ كُنْتُ فِيهِ قَرِينِي (4) غَيْرَ شَكٍّ عَرَفْتُ لِي عِضْيَانِي
وَتَقَلَّبْتُ فِي الْفِرَاشِ وَلَا تَعُدُّ لَمْ إِلَّا الظُّنُّونَ أَيْنَ مَكَانِي

(من مختار الشعر)

وقال ابن أبي ربيعة في غير هذا الباب:

وَحُلُّ كُنْتُ عَيْنَ التُّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمَسْتَمِعاً مَطِيعاً
أَطَافَ بَغِيَّةٍ (5) فَتَهَيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمراً شَنِيعاً
أَرَدْتُ رَشَادَهُ جَهْدِي، فَلَمَّا أَبَى وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعاً

(1) جمع، بالفتح، هو المزدلفة. وكلمة «وما» هي في ط، ش: «رما»، تحريف ما في ل، واللسان (مادة مرض). وفي البيان 4: 67: «وقد» وهي تحريف يشوه المعنى؛ إذ يريد أنه وإن فقد مظاهر الشباب فهو متمتع بأخص صفات الشباب.

(2) أمرض: أي قارب الصواب في الرأي وإن لم يصب كل الصواب. وفي ش: «أغرض» ولا وجه له، وصوابه في البيان واللسان. وكلمة: «قال» في البيت بمعنى: «ظن» وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في البيان واللسان.

(3) ط، ش: «بلعاء» وأثبت ما في ل. وبلعاء هذا كان رأس بني كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم، وهو شاعر محسن، وقد قال في كل فن أشعاراً جيداً المؤتلف 106، مات بلعاء قبل يوم الحرية، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار الآخر. العقد 3: 272-273.

(4) الرواية في الديوان ص 66: «قريب» وهي رواية جيدة. وعصيان الأهل والأقارب في الحب، مما أكثر الشعراء الكلام فيه.

(5) ط: «بغية» والوجه ما أثبت من ل، ش. وإليها يعود الضمير في «عنها».

وقال معقّر بن حمار البارقي⁽¹⁾ :

الشَّعْر لُبُّ الْمَرْءِ يَغْرِضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
منها المقصّر عن رميته ونوافذ يذهب بالخصل⁽²⁾

(أبياتٌ للمحدثين حسان)

وأبيات⁽³⁾ للمحدثين [حسان⁽⁴⁾] ، قال العتّابي⁽⁵⁾ :

وَكَمْ نِعْمَةٍ أَتَاكَهَا⁽⁶⁾ اللَّهُ جَزَلَةٌ مُبْرَأَةٌ مِنْ كُلِّ خُلُقٍ يَذِيبُهَا⁽⁷⁾
فَسَلَطَتْ⁽⁸⁾ أَخْلَاقًا عَلَيْهَا دَمِيمَةٌ تَعَاوَرْنَهَا حَتَّى تَفْرَى أَيْمُهَا
وَلَوْعًا وَإِشْفَاقًا وَنَطْقًا مِنَ الْخَنَا بَعُورَاءَ يَجْرِي فِي الرِّجَالِ نَمِيمُهَا⁽⁹⁾
وَكُنْتُ أَمْرًا لَوْ شِئْتُ أَنْ تَبْلُغَ الْمَدَى⁽¹⁰⁾ بَلَغْتَ بِأَدْنَى نِعْمَةٍ⁽¹¹⁾ تَسْتَدِيمُهَا
وَلَكِنْ فِطَامُ النَّفْسِ أَعْسَرَ مَحْمَلًا⁽¹²⁾ مِنَ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ حِينَ تَرُومُهَا⁽¹³⁾
وقال أيضاً :

وَكُنْتُ أَمْرًا هَيَّابَةً تَسْتَفِرُّنِي رِضَاعِي بِأَدْنَى ضَجَعَةٍ أَسْتَلِيْنُهَا⁽¹⁴⁾
أُوَافِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَمَّةٍ تَوَقَّلْ⁽¹⁵⁾ فِي نَيْلِ الْمَعَالِي فُنُونُهَا
رَعَى أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فَهُوَ إِمَامُهَا وَأَدَّى إِلَيْهَا الْحَقَّ فَهُوَ أَمِينُهَا
وَيَسْتَنْتِجُ الْعُقَمَاءَ⁽¹⁶⁾ حَتَّى كَانَمَا تَعْلُغَلْ فِي حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَنِينُهَا

(1) معقّر بن حمار البارقي اسمه سفيان بن أوس بن حمار ، وهو شاعر جاهلي . سمي معقراً بقوله في قصيدة مشهورة :

لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر
معجم المرزباني 204 وخزانة البغدادي 2: 291 بولاق . وهو صاحب البيت المشهور (انظر المعجم ، وكذلك المؤلف 92) :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافرين

وفي ط ، ش : «معد بن حماد» وجاء على الصواب الذي أثبتته في ل .

(2) الخصل ، بالفتح : الغلبة في النضال . (3) ل : «أبيات» .

(4) الزيادة من ش ، ل .

(5) هو كلثوم بن عمرو العتّابي ، سبقت ترجمته في الجزء الثاني ص 167 ، وقد روى الراغب البيهقي الأخيرين في محاضراته 1: 133 ونسبهما إلى عمرو بن كلثوم وصوابه ما ذكرت ، كما في البيان 1: 120 .

(6) ط ، ش : «أتى بها» ، وأثبت ما في ل . (7) ذامه يذيمه : عابه .

(8) ط : «فسلط» ، وأثبت ما في ش ، ل .

(9) النميم مثل النميمة . و «نطقاً» أي هو ينطق بالعوراء من الخنا .

(10) رواية المحاضرات : «المنى» . ومؤداهما واحد . (11) رواية المحاضرات : «غاية» .

(12) كذا في ط ، ش والبيان . ولي ل والمحاضرات : «أثقل» .

(13) س فقط : «يرومها» وليس بشيء . (14) ط ، ش : «تستلينها» .

(15) توقل : تتوقل ، بمعنى تصعد ، وهذه رواية ل . وفي ط ، ش : «ثوغل» .

(16) يستنتج العقماء : يجعلها تلد . وهذا كناية عن قدرته على التغلب على المصاعب . في ط ، ش : «العنقاء» وهي ذلك الطائر الخيالي الذي لا وجود له ، وبها يصح المعنى أيضاً ، أي هو يقدر أن يحصل على مالا يناله غيره .

وما كل موصوفٍ له الحق يَهْتَدِي
مُقيّمٌ بمُستنِّ العُلا، حيثُ تَلْتَقِي

وقال الحسن بن هانئ:

قُولاً لِهَارُونَ إِمَامِ الْهُدَى
نَصِيحَةُ الْفَضْلِ⁽³⁾ وَإِشْفَاؤُهُ
بِصَادِقِ الطَّاعَةِ دِيَانِهَا
أَنْتَ عَلَى مَا بِكَ مِنْ قُدْرَةٍ
أَوْحَدَهُ⁽⁵⁾ اللَّهُ فَمَا مِثْلُهُ
وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ⁽⁶⁾

وقال عدي بن الرقاع العاملي:

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَتَّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا
نَظَرَ الْمُثَقَّفِ فِي كُغُوبِ قَنَاتِهِ
وَعَلِمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا
صَلَّى إِلَهُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتَهُ

عِنْدَ احْتِفَالِ الْمَجْلِسِ الْحَاشِدِ
أَخْلَى لَهُ وَجْهَكَ مِنْ حَاسِدِ
وَوَاحِدِ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ⁽⁴⁾
مَا أَنْتَ مِثْلَ الْفَضْلِ بِالْوَاجِدِ
لَطَالِبِ ذَاكَ وَلَا نَاشِدِ
أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ

حَتَّى أَقْوَمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا
حَتَّى يُقِيمَ ثِقَاؤُهُ مُنَادَهَا⁽⁷⁾
عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا⁽⁸⁾
وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

(1) ط، ش: «ومأكل»، وهي على الصواب في ل. أم: قصد. والصوى: جمع صوة بالضم: وهي حجر يكون علامة في الطريق.

(2) المستن: مكان الاستئنان، وهو سرعة العدو. والطوارف: الحديثات، وفي ط: «طوارق». والعون: جمع عون، وهي التي ولدت بعد بطنها البكر.

(3) هو الفضل بين يحيى البرمكي. وأراد أبو نواس استعطاف الرشيد على الفضل.

(4) يقول: هو مخلص لك في حضرتك وفي غيبتك.

(5) هكذا الرواية الجيدة: «أوحده» أي جعله واحداً. وهي رواية الديوان 87 وعيون الأخبار 1: 227، وفي الأصل: «أوحده» وليس بشيء.

(6) كذا في ط، ل. وفيه الخزم. والرواية في ش والديوان وعيون الأخبار: «وليس لله بمستنكر».

(7) الثقاف: بالكسر: ما تسوى به الرماح. والمناد: المعوج. وفي الأصل: «منادها» وهي على الصواب الذي أثبت في الموشح ص 13.

(8) قال في الموشح 190 قال أبو جعفر المنجم: كنت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما، وهو عدي بن الرقاع، لقوله:

وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لكي أزدادها

ثم أسأله عن جميع العلوم فإذا لم يجب أدبته! وأقبل رأس الآخر - وهو زيادة بن زيد - لقوله:

إذا ما انتهى علمي تناهيت عنده أطال فأعلى أم تناهى فقصر

(شعر لبنت عدي بن الرقاع)

قال: واجتمع ناسٌ من الشعراء ببابِ عَدِيّ بن الرقاع يُريدون مُماتنتَهُ ومُساجلتَهُ، فخرَجَت إليهم بنتٌ له صغيرة، فقالت:

تَجَمَّعْتُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَمَنْزَلٍ عَلَى وَاحِدٍ لَزَلْتُمْ قِرْنَ وَاحِدٍ⁽¹⁾
(شعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وهو صغير)

وقال عبدُ الرحمن بن حسان الأنصاري، وهو صغير⁽²⁾:

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ مُشْتَغِلًا فِي دَارِ حَسَّانٍ أَصْطَاذُ الْيَعَاسِيَا⁽³⁾

وقال لأبيه وهو صبيٌّ - ورجع إليه وهو يبكي ويقول: لسعني طائر! قال: فصفه لي يا بني! قال كأنَّهُ تَوُبُّ حَبْرَةٍ⁽⁴⁾! قال حسان: قال ابني الشعرَ وَرَبَّ الكعبة! وكان الذي لُسعه زنبورا⁽⁵⁾.

(شعر سهل بن هارون وهو صغير)

وقال سهل بن هارون، وهو يختلف إلى الكتابِ لجارٍ لهم:

نُبِّيتُ بَغْلَكَ مَبْطُونًا فَقُلْتَ لَهُ فَهَلْ تَمَائِلُ أَوْ نَأْتِيهِ عُوَادًا⁽⁶⁾

(شعر طرفة وهو صغير)

وقال طرفة وهو [صبيٌّ] صغير:

(1) «ومنزَل» هكذا جاءت الرواية أيضًا في الشعراء 145، وروى في الصناعتين 359، وذيل الأمالي: 70: «وبلدة». وفي الكامل 149 ليبسك وشرح المقامات للشريشي 2: 301: «ووجهة». وزاد القالي في الخبر: «فاستحيوا ورجعوا» وابن قتيبة: «فانصرفوا عنه ولم يهاجوه». والشريشي: «فأفحمتهم ورجعوا بأخزي حالة».

(2) ل: «صغير». والخبر هنا مقتضب. جاء في الكامل 149 ليبسك: «ويروى أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأرادَه بالعقوبة، فقال: الله يعلم. إلخ».

(3) اليعسوب: أمير النحل.

(4) الرواية في الكامل 149 ليبسك: «كأنه ملتف في بردي حبرة». والحبرة، بالتحريك، أو كعنبه: ضرب من برود اليمن.

(5) كذا في ل، وفي ط، ش: «زنبور» بالرفع. وهي صحيحة في العربية، على تقدير ضمير الشأن. وبتلك اللغة جاء قول العجير:

إذا مت كان الناس صنفان شامت وآخر مثن بالذي كنت أصنع

انظر سيبويه 1: 36 بولاق، وشرح المفصل 3: 116 س 5.

(6) ط: «نبت يفلك» ش: «نبت يفلك» ل: «نبت نعلك» وصوابه ما أثبت من كتاب البغال. والمبطون: الذي يشتكى بطنه. و«فقلت» هي في ل: «فرغت» وفي البغال: «فزعت». وتمائل: دنا من الشفاء. ط، ش: «أو يأتيه عواد». وانظر قصة البيت واضحة في كتاب البغال 303-304.

يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوُّ فَبِضْيٍ وَاضْفِرِي⁽¹⁾
وقال بعض الشعراء⁽²⁾ :

إِذَا مَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِيءٌ بَزَادٍ
بَخْبِزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِسَمْنٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ⁽³⁾
تَرَاهُ يَطُوفُ بِالْأَفَاقِ⁽⁴⁾ حِرْصًا لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ⁽⁵⁾
وقال الأصمعي: الشيء الملفف في البجاد: الوطْب⁽⁶⁾، وقال أعرابي:

أَلَا بَكَرْتُ تَلَحَّى قُتَيْلَةً بَعْدَمَا بَدَا فِي سَوَادِ الرَّأْسِ أَبْيَضٌ وَاضِحٌ
لَتُدْرِكَ بِالْإِمْسَاكِ وَالْمَنْ ثُرُوءَ مِنَ الْمَالِ أَفْنَتْهَا السَّنُونَ الْجَوَائِحُ
فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَعْذِلْنِي فَإِنَّمَا بَذَكَرَ النَّدَى تَبْكِي عَلَيَّ النِّوَائِحِ⁽⁷⁾
(أشعار في معانٍ مختلفة)

وقال بشارٌ أبياتاً تجوز في المذاكرة⁽⁸⁾، في باب⁽⁹⁾ [المنى]، وفي باب [الحزم]، وفي باب المشورة. وناسٌ [يجعلونها للجمعاج الأزدي]، وناسٌ [يجعلونها لغيره]، وهي قوله:

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِزْ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ⁽¹⁰⁾ حَازِمٍ
وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاظَةً مَكَانَ الْخَوَافِي رَافِدٌ لِلْقَوَادِمِ⁽¹¹⁾
وَأَدْنٍ مِنَ الْقُرْبَى الْمُقَرَّبِ نَفْسَهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى أَمْرًا غَيْرَ كَاتِمٍ

(1) روى الدميري سبب هذا فذكر: «أنه كان مع عمه في سفر، وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماء فذهب طرفه بنفخ له فنصبه للقنابر، وبقي عامة يومه لم يصد شيئاً، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه، فتحملوا ورحلوا من ذلك المكان، فرأى القنابر يلقطن مانثر لهن من الحب فقال ذلك». والرجز ستة أشطار عند الدميري واللسان (قبر). وقال ابن بري: هو لكليب بن ربيعة. وانظر الشعراء 140.

(2) هوزيد بن الصعق الكلبي كما في معجم المرزباني 494 وكنایات الجرجاني 73 والاقتضاب 288، أو أبو مهوش الفقعسي كما في حواشي الكامل 98 ليسك. وللأبيات خبر فيما عدا الأول، وكذا في العقد 2: 10 وأمثال الميداني 1: 171 وأدب الكاتب 12 والخزانة 3: 142 وأخبار الطراف 24، ورواهما الجاحظ في البيان 1: 190.

(3) البجاد: الكساء، وزنا ومعنى.

(4) روى: «يطوف الأفاق» كما في ش.

(5) الثعالب في ثمار القلوب 257: «العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر كذلك تصف رأسه بالعظم، وتضرب به المثل» وأنشد البيت. ومثل هذا الكلام لابن السيد في الاقتضاب 49، وزاد: «كما يقال لمن يزهي بما فعل، ويفخر بما أدركه: كأنه قد جاء برأس خاقان!».

(6) في اللسان: «الملفف في البجاد: وطب اللبن، يلف فيه ليحمى ويدرك».

(7) ش: «تبكي عليك»، وما هنا أجود. (8) ل: «من المذاكرة»، محرفة.

(9) ط، ش: «وفي باب»، وأثبت ما في ل.

(10) ل والبيان (4: 49): «نصاحة» وهي صحيحة، يقال نصحه نصحاً، بالضم، ونصاحة، ونصاحية. والاسم النصيحة.

(11) مر الكلام في ريش الطائر بالجزء الثاني ص 206، رافد: معين. وفي ش، ط: «راية» ولم أجد لها وجهاً، ويروي: «فإن الخوافي قوة». وفي كنايةات الجرجاني 60: «فريش الخوافي».

- وما خَيْرُ كَفِّ أَمْسِكَ الْغُلُّ أُخْتَهَا
فإنَّكَ لَا تَسْتَطِرِدُّ الْهَمَّ بِالْمُنَى
وقال بعض الأنصار⁽²⁾ :
- وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ
وَبَعْضُ الْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ عِنَاجٌ⁽⁴⁾
وقال تَابُطُ شَرًّا - إنَّ كَانَ قَالَهَا⁽⁶⁾ - :
- شَامِسٌ فِي الْقُرْحَتَّى إِذَا مَا
وَلَهُ طَعْمَانٍ : أَرَى وَشَرِي
مُسْبِلٌ فِي الْحَيِّ أَحْوَى رَفَلٌ
وَوَرَاءَ الثَّارِ مِنْهُ ابْنُ أُخْتِ
مُطَرِّقٌ يَرْشَحُ سُمًّا ، كَمَا
خَبَرَ مَا نَابَنَا مُصْمِلٌ
- وَمَا خَيْرُ نَضَلٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ⁽¹⁾
وَلَا تَبْلُغُ الْعَلِيَا بَغْيَرِ الْمَكَارِمِ
كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ⁽³⁾ لَهُ شِفَاءٌ
كَمَخْضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءٌ⁽⁵⁾
ذَكَتِ الشَّعْرَى فَبَرْدٌ وَظِلٌّ⁽⁷⁾
وَكِلَا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ⁽⁸⁾
وَإِذَا يَغْدُو فَسِمْعٌ أَزَلٌ⁽⁹⁾
مَصِيعٌ عَقْدَتْهُ مَا تُحَلُّ⁽¹⁰⁾
أَطَرَقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السُّمَّ صِلٌ
جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ⁽¹¹⁾

- (1) النصل هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه . في ل : «وما خير سيف» . وأثبت ما في ط ، ش .
(2) الشعر في البيان (3 : 186) منسوب إلى الربيع بن أبي الحقيق .
(3) هذه الكلمة ساقطة من ط . والرواية في ل : «كداء البطن ليس له دواء» .
(4) أصل العنجاج للدلو ، وهو خيط أو سير يشد في أسفلها ثم يشد في عروتها . وهذه رواية ل واللسان . وفي ط : «عماد» . والبيت ساقط من ش .
(5) المخض : أصله اللبن ، وهو تحريكه لاستخراج الزبد . والإتاء ، بالكسر : الزبد .
(6) بعد هذه الكلمة في ل عبارة مقحمة على الكتاب لا جرم ، وهذا نصها : «قال النمري : ومما يدل على أنه مولد قوله :

جل حتى دق فيه الأجل

- فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا . وقال أبو الندى : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلماً . أما النمري هذا فهو أحد شراح الحماسة ، بل هو أول شارح لها كما في خزانة الأدب (3 : 332 ، 541 بولاق) وهو ينقل في شرحه عن كتاب المعاني لأحمد بن حاتم الباهلي ، وهذا توفي سنة 231 ، وأما أبو الندى فهو محمد بن أحمد الغندجاني ، يروي عنه الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابي الذي قرئت عليه بعض تصانيفه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وللحسن رد على النمري في شرحه للحماسة نقل عنه البغدادي في الخزانة كثيراً . وهذه الزيادة تجدها في شرح التبريزي للحماسة (2 : 160-161) مع بسط وتفصيل .
- (7) شامس في القر : يعني أن من لجأ إليه في القر وجده كالشمس التي تدفئ . والشعري : كوكب يظهر في شدة الحر .
(8) الأرى : العسل . والشري : الحنظل .
(9) مسبل في الحي : أي هو في حال السلم ممن يسبلون ثيابهم لما هم فيه من نعمة . والرفل : الكثير اللحم . ويغدو : أي في حال الحرب . والسمع : ولد الذئب من الضبع . والأزل : القليل لحم العجز والفخذين .
(10) ل : «ووراء الثأر مني» وهي رواية الحماسة . والمعنى يصح بكليهما إن حمل الضمير في «مني» على التجريد . والمصع : الشديد المقاتلة .
(11) المصمئل : الشديد . وفي ل : «خبر ما جاءنا» .

كُلُّ مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسَنَّا الْبَرْقَ إِذَا مَا يُسَلُّ⁽¹⁾
فَاسْقِنِيهَا⁽²⁾ يَا سَوَادَ بَنِ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخُلُّ⁽³⁾
وَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ⁽⁴⁾:

سَأُجْزِيكَ بِالْوُدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا أَصْغَعُ إِنِّي سَوْفَ أُجْزِيكَ صَغَصَا
سَأُهْدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَثْلِيثٍ مِدْحَةٍ إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بُيُوتُكَ لَعَلَا⁽⁵⁾
فَإِنْ يَكُ مَحْمُودًا أَبُوكَ فَإِنَّا وَجَدْنَاكَ مَحْمُودَ الْخَلَائِقِ أَرْوَعَا
فَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا ثَنَاءً وَمِدْحَةً⁽⁶⁾ وَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا لَكُمْ مَائَةً مَعَا⁽⁷⁾

فَقَالَ صَعْصَعَةُ بْنُ مَحْمُودَ بْنِ⁽⁸⁾ بَشَرَ⁽⁹⁾ بَنِ عَمْرٍو بَنِ مَرْتَدٍ: الثَّنَاءُ وَالْمِدْحَةُ⁽¹⁰⁾ أَحَبُّ إِلَيْنَا. وَكَانَ أَحْمَرُ⁽¹¹⁾ بَنِ جَنْدَلٍ أَسِيرًا فِي يَدِهِ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ مِنْ غَيْرِ فِدَاءٍ. وَقَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ، فِي هَذَا الشَّكْلِ مِنَ الشَّعْرِ - وَهُوَ يَقَعُ فِي بَابِ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ - :

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءً ثَوِيَّهَا حَلِيمَةً إِذْ أَلْقَى مِرَاسِي مُقْعَدٍ⁽¹²⁾
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانَتِي وَحَلَّ بِفُلْجٍ فَالْقِنَافِذِ عُودِي⁽¹³⁾
وَقَدْ عَبَّرَتْ شَهْرِي رَبِيعَ كُلِّهِمَا بِحَمْلِ الْبَلَايَا وَالْخِبَاءِ الْمَمْدَدِ⁽¹⁴⁾

(1) قبل هذا البيت في الحماسة بيتان يتوقف معناه عليهما. وهما:

يركب الهول وحيداً ولا يصـ حبه إلا اليماني الأفلـ
وفتو هجروا ثم أسروا ليلهم حتى إذا انجاب حلوا

أراد بالماضي الأول الرجل الشديد، وبالثاني السيف القاطع. تردى بالسيف: تقلده بحمائله.

(2) ش: «سقنيها». ويريد الخمر.

(3) الخل: المهزول. وفي ل: «بعد حالي» مصحفة.

(4) قال سلامة الأبيات الآتية. وبعث بها إلى صعصعة بن محمود. (البيان 3: 318).

(5) كذا الرواية في ل، والبيان. وفي ط: «سأهدي بتثليث إليك هدية توافيك لو». وفي ش مثل ط مع إبدال «مدحة» بكلمة «مذمة» و«توافيك» بكلمة «قوافيك».

(6) كذا الرواية في ل والبيان. وفي ط، ش: «أهدينا إليك ثناءنا».

(7) عنى بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه أحمر بن جندل، الأسير.

(8) ل: «من».

(9) ش: «بشير». وفي البيان: «صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرتد».

(10) كذا في ل والبيان. وفي ط، ش: «الثناء والحمد والمدح».

(11) كذا في ل والبيان. وفي ط، ش: «أحمد».

(12) يقال ألقى مراسيه: أي استقر، ومثله ألقى عصاه، وكلمة «مقعد» هي في ط، ش: «ومقعد»، صوابه في ل، ويعني بالمقعد نفسه، وانظر الديوان 5 والبيان (3: 319).

(13) فلج والقنفاذ: موضعان. والعود: جمع عائد للذي يزور المريض. قالوا: وكان أوس قد جالت به ناقته في سفر فصرعته فاندقت فخذه، فأواه فضالة بن كعدة، وكانت حليلة بنت فضالة تعنى به في أثناء مرضه. (الأغاني: 7: 10).

(14) ط، ش: «عبرت»، وهي رواية الديوان ومؤداهما واحد. والبلايا: جمع بلية.

ولم تُلْهَها تِلْكَ التَّكَالِيفُ ؛ إِنِّها (1)
 سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مَثُوبٌ (2)
 وَحَسْبُكَ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي (3)
 وقال أبو يعقوب الأعور :

فلم أَجْزِهِ إِلَّا المَوَدَّةَ جَاهِداً وَحَسْبُكَ مِنِّي أَنْ أُوَدَّ وَأَجْهَداً (4)
 (من شعر الإيجاز)

وأبيات (5) تضاف إلى الإيجاز وحذف الفضول. قال بعضهم ووصف كلاباً في حال شدّها وعدوّها، وفي سرعة رفع قوائمها ووضعها - فقال :

كَأَنَّمَا تَرْفَعُ مَا لَمْ يُوضَعْ (6)
 ووصف آخر ناقةً بالنشاط والقوة فقال :

[خرقاء] (7) إِلَّا أَنَّهُا صَنَاعِ
 وقال الآخر :

الليلُ أَخْفَى والنَّهَارُ أَفْضَحُ (8)
 ووصف الآخر قَوْساً (9) فقال :

فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعُ
 وقال الآخر (10) :

وَمَهْمَهُ فِيهِ السَّرَابُ يَسْبَحُ [كَأَنَّمَا دَلِيلُهُ مَطْوَحُ] (11)
 يَدَابُّ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا
 كَأَنَّمَا بَاتُوا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا
 ومثل هذا البيت الأخير (12) قوله (13) :

(1) التخرّد من قولهم خريدة، وهي الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المستترة، قد جاوزت الإعصار ولم تعنس. و«تخرّد» هي رواية ل والديوان والبيان واللسان (مادة خرد). وفي ط: «تخودي» بالواو، والياء في آخرها زيادة ناسخ. وفي ش: «تجرد».

(2) المَثُوب: المَثِيب. وفي التنزيل العزيز: ﴿هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارُ﴾. وما أثبت هو رواية ل والديوان والأغاني. وفي ط، ش والبيان: «سنجزيك أو يجزيك عنا».

(3) ط، ش: «وتحمد» وهو خطأ إملائي. (4) أي وأجهد في الود. وفي ط، ش: «وأحمدا».

(5) ط، ش «وأشياء»، والوجه ما أثبت من ل. (6) انظر ما كتب عن هذا البيت في الجزء الثاني ص 21.

(7) زيادة هذه الكلمة من ل والعمدة (1: 168) والبيان (1: 150) و 3: 72.

(8) قبله في البيان (1: 150).

إِنَّكَ يَا ابْنَ جَعْفَرٍ لَا تَفْلَحُ

(9) في الأصل: «فرسا» وهو تحريف، تجد صوابه في البيان (1: 150) وديوان المعاني (2: 59)، وقد نسب البيت فيهما إلى العكلي، وهو أبو حزام.

(10) هو مسعود أخو ذي الرمة، كما في ديوان المعاني (2: 128).

(11) زيادة هذا البيت من ل، وهو في أصله متأخر عن البيت الذي بعده، والوجه تقديمه عليه.

(12) ل: «ومن شكل». (13) ط: «الآخر» وأثبت ما في ش، ل.

وكأَنَّمَا بَدْرٌ وَصِيلٌ كُتَيْفَةٌ⁽¹⁾ وكأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ أَرْمَامٌ
ومثله⁽²⁾ :

تَجَاوَزْتُ حُمْرَانَ فِي لَيْلَةٍ وَقُلْتُ قُسَاسٌ مِنَ الْحَرَمَلِ⁽³⁾
ومن الباب الأول قوله :

عَادَنِي الْهَمُّ فَاعْتَلَجَ كُلُّ هَمٍّ إِلَى فَرْحٍ
وهذا الشعر لجعيفران الموسوس⁽⁴⁾ . وقال الآخر⁽⁵⁾ :

لَمْ أَقْضِ مِنْ صَحْبَةِ زَيْدٍ أَرْبَى لَمْ أَفْتِ إِذَا نَبَّهْتَهُ⁽⁶⁾ لَمْ يَغْضَبِ
أَبْيَضُ بَسَامٌ وَإِنْ لَمْ يَعْجَبْ وَلَا يَضُنْ⁽⁷⁾ بِالْمَتَاعِ الْمُحَقَّبِ
مُوَكَّلُ النَّفْسِ بِحِفْظِ الْغُيْبِ أَقْصَى رَفِيقِهِ لَهُ كَالْأَقْرَبِ
وقال ذُكَيْنٌ⁽⁸⁾ :

وَقَدْ تَعَلَّلْتُ⁽⁹⁾ ذَمِيلَ الْعَنْسِ بِالسَّوْطِ فِي دَيْمُومَةٍ كَالْتَّرْسِ
إِذْ عَرَّجَ اللَّيْلَ بِرُوحِ الشَّمْسِ⁽¹⁰⁾
وقال ذُكَيْنٌ أَيْضاً :

بِمَوْطِنٍ يُنِيطُ فِيهِ الْمُحْتَسِي⁽¹¹⁾ بِالْمَشْرِفِيَّاتِ نِطَافَ الْأَنْفُسِ⁽¹²⁾

- (1) كتيفة : اسم جبل . وفي ش : « كتيفة » . وفي ل : « كتيفة » وهو تحريف ما أثبت من ط .
- (2) ط ، ش : « ومنه قول الآخر » . وصاحب الشعر هو أوفى بن مطر الخزاعي ، كما في ذيل أمالي القالي 91 ، والبيت من سبعة أبيات لها قصة في ذيل الأمالي .
- (3) في ذيل الأمالي : « تجاوزت ماوان » .
- (4) ل : « لجعفر الموسوس » وصوابه في ط ، ش . وهو جعيفران بن علي بن أصغر بن السري ، أبوه من أبناء الجند الخراسانية . ولد جعيفران ونشأ ببغداد ، وكان أديباً شاعراً ، تغلب عليه السوداء حيناً ، فإذا أفاق قال جيد الشعر . الأغاني (61 : 18) . وللبيت السابق خبر في الأغاني (62 : 18) .
- (5) صاحب الشعر جرير ، كما في نهاية أمالي المرتضى (202 : 4) .
- (6) هذه الرواية موافقة لما في عيون الأخبار (23 : 3) .
- (7) ش : « يطن » ولعل صواب هذه « يطن » بالبناء للمفعول : أي يتهم .
- (8) هو ذكين بن رجاء الفقيمي ، وكان ممن أجازته عمر بن عبد العزيز - وعمر الضنين بإجازة الشعراء - أجازته وهو والي المدينة ، كما أجازته وهو خليفة . الشعراء لابن قتيبة . والرجز يروى في المؤتلف 104 منسوباً إلى منظور بن حبة الأسدي .
- (9) كذا في الأصل والبيان (334 : 3) ، وصواب الرواية : « تعاللت » كما في المؤتلف 104 وزهر الآداب (2 : 105) واللسان مادة (علل) . يقال : تعاللت الناقة : إذا استخرجت ما عندها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل .
- (10) في البيان والمؤتلف : « بروح الشمس » . وعرج الليل : حبسه . والبروج : الظهور .
- (11) ش : « المخنس » وهو تحريف . وينيط : يعلق .
- (12) المشرفيات : السيوف منسوبة إلى مشارف الشام . والنطاف : جمع نطفة ، وهي قليل الماء يبقى في دلو أو قربة . وتعليق النطاف في المشرفيات عبارة عن شدة الحرص على الماء ، وذلك يكون في المهامة المجدة . وفي ط ، ش : « لطف » ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

وقال الراجز :

طَالَ عَلَيْهِنَّ تَكَالِيفُ الشُّرَى وَالنَّصُّ فِي حِينِ الْهَجِيرِ وَالضُّحَى
حَتَّى عُجَاهُنَّ فَمَا تَحْتَ الْعُجَى ⁽¹⁾ رَوَاعِفُ يَخْضِبْنَ مُبَيَّضَ الْحَصَى ⁽²⁾

وفي هذه الأرجوزة يقول :

وَضَحِكَ الْمُرْنُ بِهَا ثُمَّ بَكَى ⁽³⁾

ومن الإيجاز المحذوف قولُ الراجز ، ووصف سَهمه حينَ رَمَى عَيْراً كيف [نَفَذَ سهمه ، وكيف] صرعه ، وهو قوله ⁽⁴⁾ :

حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا ⁽⁵⁾

(شعر في الاتعاض والزهد)

ومما يجوز في باب الاتعاض قولُ المرأة وهي تطوفُ بالبيت :

أَنْتِ وَهَبْتَ الْفِتْيَةَ السَّلَاهِبَ ⁽⁶⁾ وَهَجْمَةً يَحَارُ فِيهَا الطَّالِبُ ⁽⁷⁾
وَعَنَمًا مِثْلَ الْجَرَادِ السَّارِبِ مَتَاعَ أَيَّامٍ وَكُلَّ ذَاهِبٍ
[ومثله قولُ المسعودي :

أَخْلِفْ وَأَنْطَفِ ، كُلُّ شَيْءٍ زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ ذَاهِبٌ ⁽⁸⁾
وقال القُدار ⁽⁹⁾ ، وكان سَيِّدَ عَنَزَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ :

أَهْلَكْتَ مُهْرِي فِي الرَّهَانِ لِحَاجَةٍ وَمِنَ اللَّحَاجَةِ مَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
[قال : وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد - وكان فصيحاً :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا يُرَجَّى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعَا
وقال الأخطل :

شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

(1) العجى ، واحدها العجاية والعجاة بضم العين في كليهما ، وهي عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم ، تكون عند رسغ الدابة . والرجز في البيان 3 : 335 .

(2) رواعف : يسيل منها الدم . (3) ط ، ش : « البرق » ، والوجه ما أثبت من ل .

(4) ط ، ش : « يقول » وتصحيحه من ل .

(5) الشعر في وصف سهم رام أصاب حمارة . انظر البيان 1 : 150 ، يقول : نجا السهم من جوف الحمار وما نجا الحمار . أو نجا الحمار - من النجو - وما نجا من الهلاك .

(6) وهبهم السلاهيب : أي الخيل الطويلة . (7) الهجمة : عدد عظيم من الإبل . وانظر البيان 3 : 194 .

(8) في اللسان : أخلف فلان لنفسه : إذا كان قد ذهب له شيء فجعل مكانه آخر وأما « أنطف » فلم أهتد إلى وجه فيها ، وهي في البيان 3 : 194 ، 252 و 4 : 69 : « أتلف » .

(9) ط ، ش : « الفرار » وأثبت ما في ل .

وقال حارثة بن بدر :

طربتُ بفائور⁽¹⁾ وما كدت أطربُ⁽²⁾
وجربتُ ماذا العيشُ إلا تعلّة
وما اليومُ إلا مثلُ أمْس الذي مضى
وقال حارثة بن بدر الغداني⁽⁵⁾ أيضاً :
إذا الهُمُ أمسى وهو داءٌ فآلقه
فلا تنزلنُ أمرَ الشديدةِ بأمرئٍ
وقل للفضّاد إن نَزَا بك نزوةً
(شعر في الغزو)

وقال الحارث بن يزيد (وهو جدُّ الأَحيمِر السَّعديّ) وهو يقع في باب الغزو وتمدّحهم
ببعد المغزى⁽⁷⁾ :

لَا أَعُوقُ وَلَا أَحُوسُ
لَكُنَّمَا غَزَوِي إِذَا
ب وَلَا أَغِيرَ عَلَى مُضَرٍ
ضَجَّ الْمَطْيِيُّ مِنَ الدَّبَرِ
وقال ابن محفّض⁽⁸⁾ المازني :

- (1) فائور : اسم موضع ، أو واد ببلاد نجد . في ط : «بغائور» وصوابه في ش ، ل .
(2) ل : «تطرب» .
(3) في شرح شواهد المغني للسيوطي 79 : «المنجنون بفتح الميم : «الدولاب الذي يستقى عليه . وجمعه مناجين وهو مؤنث» . فالوجه : «تقلب» . ومثله قول القائل :

وما الدهر إلا منجوناً بأهله وما صاحب الحاجات إلا معذباً

- (4) منع تنوين : «غد» لضرورة الشعر . وربما كانت الرواية : «أمسى» و«غدى» بالإضافة إلى ياء المتكلم .
(5) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع . قال أبو الفرج : كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك النبي ﷺ . وله أخبار في الفتوح . وذكر المبرد في الكامل أنه غرق في ولاية عبد الله بن الحارث على العراق . وذلك سنة أربع وستين . الإصابة 1933 ، وفي ط ، ش : «الفزاري» وصوابه في ل ، كما يتضح من نسبه وكما في أمالي المرتضى 2 : 47 حيث يوجد الشعر الآتي .
(6) رواية المرتضى واللسان 13 : 462 : «فأَمْضِه» . تعادله ، هو من قولهم : أنا في عدال من هذا الأمر - بكسر العين - أي في شك منه ، أمضي عليه أم أتركه . يقول : اجزم بطرد الهَم ولا تتردد في ذلك .
(7) المغزى : الغزو ، أو مكانه . والبيتان الآتيان سبقا في الحيوان 1 : 112 وهما كذلك في البيان 3 : 200 .
(8) ط ، ش : «مخفّض» . وقد اختلف في ضبط هذا الاسم ، ولذلك قصة في خزنة البغدادي 2 : 510 - 511 بولاق . وأصوب الأقوال في ضبطه ما أثبت من ل . وابن محفّض هذا ، هو حريث بن سلمة بن مرارة بن محفّض ، من بني مازن بن عمرو بن تميم . قال المرزباني : هو مخضرم له في الجاهلية أشعار ، وعاش إلى أن أدرك الحجاج ، وله معه قصة ؛ فإنه سمعه على المنبر وهو يقول :

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم وأباؤهم آباء صدق فأنجبوا

فقام إليه حريث ، وهو شيخ كبير ، فقال : أيها الأمير ، من يقول هذا؟ قال : حريث بن محفّض المازني . فلما نزل دعاه فقال : ما حملك على قطع الخطبة علي؟ قال : أنا حريث بن محفّض ، فإنك أنشدت شعري فأخذتني أريحيتَه ! قال : فخلاه . الإصابة 1968 وانظر ذيل الأمالي 81 .

إِنْ تَكْ دُرْعِي يَوْمَ صَحْرَاءِ كُلِيَّةٍ⁽¹⁾ أَصِيبَتْ فَمَا ذَاكُمُ عَلَيَّ بِعَارٍ
أَلَمْ تَكْ مِنْ أَسْلَابِكُمْ قَبْلَ ذَاكُمُ عَلَى وَقَبَى يَوْمًا وَيَوْمَ سَفَارٍ⁽²⁾
فَتَلَكْ سَرَابِيلُ ابْنِ دَاوُدَ بَيْنَنَا عَوَارِيَّ وَالْأَيَّامَ غَيْرَ قَصَارٍ⁽³⁾
وَنَحْنُ طَرَدْنَا الْحَيَّ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ إِلَى سَنَةِ مِثْلِ الشَّهَابِ وَنَارٍ⁽⁴⁾
وَمُومٍ وَطَاعُونَ وَحُمَى وَخَضَبَةٍ وَذِي لَبْدٍ يَغْشَى الْمَهْجَهَجَ ضَارِيَّ⁽⁵⁾
وَحُكْمَ عَدُوٍّ لَا هَوَادَةَ عِنْدَهُ وَمَنْزَلَ ذَلٍّ فِي الْحَيَاةِ وَعَارٍ
وَقَالَ آخِرُ⁽⁶⁾:

خُذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمُ الْقَوْمُ عَقْلَكُمْ وَكَوْنُوا كَمَنْ سِيمَ الْهَوَانَ فَأَرْتَعَا⁽⁷⁾
وَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الضُّجَّاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفَ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا⁽⁸⁾
وَقَالَ أَبُو لَيْلَى:

كَأَنَّ قَطَاتَهَا كُرْدُوسُ فَحُلِّ مَقْلَصَةٌ عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ⁽⁹⁾
(شعر في السيادة)

وَقَالَ أَبُو سَلِيمٍ⁽¹⁰⁾:

لَا بَدَّ لِلْسُّودِ⁽¹¹⁾ مِنْ أَرْمَاحٍ وَمِنْ سَفِيهِ دَائِمِ الثُّبَاحِ

- (1) كلية، بضم الكاف: واد من أودية العلاء باليمامة لبني تميم. وفي ط، ل: «كلبة» وصوابه من ش ومعجم البلدان، وفي ذيل الأمالي: «يوم صحراء كلية، وهي موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل».
- (2) في ذيل الأمالي: «الوقبي، وكذلك سفار: ماء لبني مازن».
- (3) زدت هذا البيت من معجم البلدان وذيل الأمالي. وسرايل: دروع. وابن داود هو سليمان، وقد أخطأ حريث فنسب الدروع إليه. وإنما تنسب لداود نفسه وانظر نظير هذا الخطأ في شعر النابغة والحطيئة في المعرب للجواليقي ص 85 - 86، عواري: جمع عارية. بتشديد الياء وتخفيفها، وهو ما يعار.
- (4) قال أبو علي: سنة، أراد أسكناهم السواد وهو بلد وباء. وروى أبو علي: «مثل السنان».
- (5) الموم، بالضم: الجدرى الكثير المتراكب. والمهجهج: من يزع السبع يصيح به: هج هج.
- (6) هو الكميت بن ثعلبة كما في خزنة الأدب 4: 560 بولاق والمؤتلف 170 أو هو الكميت بن معروف، كما في حماسة البحتري 11، وشرح التبريزي للحماسة 1: 206.
- (7) سيم الهوان: كلف الذل. وأرتع: من أرتع إبله: جعلها تأكل ما شاءت وهذه رواية ل، والخزانة. وفي ط، ش: «فأتبعاً» وفي حماسة البحتري: «فأربعا».
- (8) ابن داره هو سالم بن مسافع بن يربوع، كان يهجو بني فزارة هجوا شنيعاً، فقتله زميل الفزاري، فقال الكميت ذلك، يريد أن الفعل أفضل من القول. انظر شرح الحماسة للتبريزي، وخزانة الأدب 4: 562 بولاق.
- (9) القطة: العجز، أو ما بين الوركين. والكردوس، بالضم: كل عظم كثير اللحم. وكلمة «ساقى» هي في الأصل: «سلفي» ولا وجه لها، وتصحيحها مما سبق في الجزء الأول ص 197.
- (10) ش: «سلمى». وقد سبق الرجز في الجزء الأول 242.
- (11) ط، ش: «للسود»، وتصحيحه من ل والجزء الأول.

وَمِنْ عَدِيدٍ يُتَّقَى بِالرَّاحِ

وقال الهذلي:

وإِنَّ سِيَادَةَ الْأَقْوَامِ فاعْلَمْ لها صَعْدَاءَ مَطْلَبَهَا طَوِيلٌ ⁽¹⁾
وقال حارثة بن بدر ⁽²⁾، وأنشده سفيان بن عيينة ⁽³⁾:
خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّودِ
(شعر في هجاء السادة)

وقال أبو نخيلة:

وإِنَّ بِقَوْمٍ سَوْدُوكَ لَفَاقَةً إِلَى سَيِّدٍ، لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدٍ
وقال إياس بن قتادة، في الأحنف بن قيس:
وإِنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لَوْ أَطْعَمْتَهُ دَعَاكَ إِلَى نَارٍ يَفُورُ سَعِيرُهَا ⁽⁴⁾
وقال حميضة ⁽⁵⁾ بن حذيفة:
أَيْظَلْمُهُمْ قَسْرًا فَتَبًّا لِسَعِيهِ وَكُلَّ مَطَاعٍ لَا أَبَالَكَ يَظْلِمُ
وقال آخر:
فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ الْحَلَمِ فِي الْحَيِّ ظَالِمًا تَحْمَطُ فِيهِمُ وَالْمُسَوِّدُ يَظْلِمُ ⁽⁶⁾
وكان أنس بن مدركة ⁽⁷⁾ [الخثعمي] يقول:
عَزَمْتُ عَلَى إِقَامَةِ ذِي صَبَاحٍ لِأَمْرِ مَا يَسُوِّدُ مَنْ يَسُودُ ⁽⁸⁾
[وقال الآخر:
كَمَا قَالَ الْحِمَارُ لِسَهْمٍ رَامٍ لَقَدْ جَمَعْتَ مِنْ شَيْءٍ لِأَمْرِ
وقال أبو حية:

(1) انظر كلامي على هذا البيت في الجزء الثاني ص 55 .

(2) في الأصل: «الحارث بن بدر» صوابه في البيان 3: 219، وأمالي المرتضى 2: 53، وانظر أمالي الزجاجي 21 .
(3) سفيان بن عيينة ذكره ابن قتيبة في المعارف 221 في أصحاب الحديث، ولد سنة سبع ومائة، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة. قال: وكان أشد الناس اختصارًا. سئل عن قول طاوس في ذكاة السمك والجراد، فقال: ذكاته صيده. وجاء في العقد 1: 291: لما انفرد سفيان بن عيينة ومات نظراؤه من العلماء، تكاثر الناس عليه، فأنشد يقول: خلَّتِ الدِّيَارُ . إلخ.

(4) ش: «يفود سعيها». والبيت في البيان 3: 336 .

(5) كذا في ل. وفي ط، ش: «حميضة».

(6) التخمط: الكبر والغضب.
(7) أنس بن مدركة، أو ابن مدرك: شاعر جاهلي. انظر تحقيق العلامة الراجكوتي في حواشي الخزانة 3: 80 سلفية. وفي ل: «إياس بن مدركة» وهو تحريف.

(8) هذا البيت في شواهد سيبويه 1: 116 بولاق، وقد تكلم فيه صاحب الخزانة 3: 77 سلفية.

إِذَا قُلْنَ كَلَّا قَالَ وَالنَّفْعَ سَاطِعٌ بلى ، وهو وإه بالجرء أباجله [
 وقال آخر ⁽¹⁾ :

إني رأيت أبا العوراء مرتفقاً ⁽²⁾ بشطّ دجلة يشري التمر والسمكا
 كشدة الخيل تبقى عند مذودها والموت أعلم إذ قفى بمن تركا ⁽³⁾
 هذه مساعيك في آثار سادتنا ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا
 وقال شتيم بن خويلد ، [أحد بني غراب بن فزارة] :

وقلت لسيّدنا يا حليم إنك لم تأس أسوأ رفيقاً ⁽⁴⁾
 أعنت عدياً ⁽⁵⁾ على شأوها تُعادي فريقاً وتبقي فريقاً
 زحرت ⁽⁶⁾ بهاليلة كلّها فجئت بها مؤيداً خنفيقاً ⁽⁷⁾
 وقال ابن ميادة ⁽⁸⁾ :

أتيت ابن قشراء العجان ⁽⁹⁾ فلم أجذ لدى بابيه إذناً يسيراً ولا نُزلاً ⁽¹⁰⁾
 وإنّ الذي ولاك أمر جماعة لأنقص من يمشي على قدم عقلاً
 (شعر في المجد والسيادة)

وقال آخر ⁽¹¹⁾ :

ورثنا المجد عن آباء صدق أسأنا في ديارهم الصنيعا
 إذا المجد الرفيع تعاورته بُناة السوء أو شك أن يضيعا
 وقال الآخر :

- (1) الأبيات تجدها أيضاً في الجزء الخامس ص 410 .
- (2) في الجزء الخامس : «مرتفعاً» .
- (3) في ش ، وكذا في الجزء الخامس : «كثرة الخيل» . وفي ل : «كثرة» وكلمة «تبقى» ساقطة من ش وهي في الجزء الخامس «تبغي» . و : «إذ قفى» هي في الجزء الخامس «من يدنى» .
- (4) أنشده ابن الأنباري في الأضداد 225 وقال : «أراد يا حليم عند نفسك ، فأما عندي فأنت سفيه» .
- (5) كذا في ل ، ومعجم المرزباني 392 والبيان 1 : 181 ، وفي ط ، ش : «علياً» .
- (6) زحرت ، من الزحير ، وهو النفس بأنين .
- (7) قال الجاحظ في البيان : «مؤيد : داهية . خنفيق : داهية أيضاً» . ط : «مريداً خنفيقاً» ، وتصحيحه من ل ، ش ، والبيان .
- (8) كذا في ل . وفي ط ، ش : «وقال آخر» . وجاء في الجزء الخامس نسبة البيت إلى ابن أحمـر .
- (9) القشراء : الشديدة الحمرة . والرواية في الجزء الخامس : «حمراء» .
- (10) «يسيراً» هي في ط ، ش : «يسر» ، وأثبت ما في ل ، والجزء الخامس . والنزل أصله بضم النون والزاي ، وسكن للشعر . والنزل : ما أعد للضيف .
- (11) هو معن بن أوس المزني ، كما في الأغاني 10 : 158 ، والبيتان كذلك في عيون الأخبار 4 : 113 .

إذا المرء أثرى ثم قال لقومه
ولم يعطهم خيراً أبوا أن يسودهم
وقال الآخر (3):

تركت لبحر درهميه ولم يكن
فقلت لبحر خذهما واصطرفهما
أتمنع سؤال العشيرة بعدما
وقال الهذلي:

وكننت إذا ما الدهر أحدث نكبة
وقال آخر في غير هذا الباب:

سقى الله أرضاً يعلم الضب أنها
بنى بيته في رأس نشز وكذبة (7)
بعيد من الأدواء (6) طيبة البقل
وكل امرئ في حرفة العيش ذو عقل

(أبو الحارث جَمِين والبرذون)

وحدثني المكي قال: نظر أبو الحارث [جَمِين] (8) إلى برذون يُستقى عليه ماء، فقال:
المرء حيث يضع نفسه (9)! هذا لو قد هملج لم يُبتَل بما ترى!

- (1) في عيون الأخبار 1: 248: «المفضى إليه المعظم». ونسب في أمالي الزجاجي 18 إلى المغيرة بن حبناء.
- (2) في حماسة ابن الشجري 100: «وهان عليهم فقده».
- (3) في العقد 2: 275: «سأل أعرابي رجلاً يقال له عمرو، فأعطاه درهمين، فردهما عليه فقال»، وأنشد البيتين الأولين، برواية «عمرو» مكان: «بحر». وفي محاضرات الراغب 2: 152: «ولي رجل يقال له البحر، ويكنى أبا الغمر بعض كور خراسان، فمدحه شاعر فأعطاه درهمين فقال». وأنشد البيتين الأولين. وانظر عيون الأخبار 3: 143.

- (4) في الأصل: «بحري» وهو تحريف. والخلة بالفتح: الحاجة والفقر.
- (5) أنشد ابن الأنباري هذا البيت في الأضداد 199 وقال: شوى أي هين حقير.
- (6) الأدوية: جمع داء، وفي ل: «الأرواء».
- (7) في الأصل: «بنا». النشز: المكان المرتفع. والكدية: الأرض الغليظة.
- (8) كذا في ل، وفي مواضع متعددة من البيان، وصاحب القاموس يرى هذا خطأ، وأن صوابه «جميز» قال - في مادة جمن - : «ضبطه المحدثون بالنون والصواب بالزاي المعجمة، أنشد أبو بكر بن مقسم:
- إن أبا الحارث جميزاً قد أوتي الحكمة والميزا»
- (9) بدل هذه في البيان 2: 102:

«وما المرء إلا حيث يجعل نفسه»

وهو صدر بيت لحريث اللحام (الوساطة 156) وعجزه:

فأبصر بعينيك امراً حيث يعمد

(بين العقل والحظ)

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابي :

وما لبَّ (1) اللَّيْبُ بغير حظٍّ بأغنى في المعيشة من فتيل (2)
رأيت الحظَّ يسْتُر كلَّ عيب وهيهات الحُظوظُ من العقول

(هجو الخلف)

وقال الآخر (3) :

ذهب الذين أحبُّهم سلفاً (4) وبقيت كالمقهور في خلف (5)
من كلِّ مطويٍّ على حنقٍ متضجّع يُكفى ولا يكفى (6)

(عبد العين)

وقال آخر :

ومولى كعبد العين أما لقاءه فيرضى وأما غيبه فظنون (7)

ويقال للمرائي ، ولمن إذا رأى صاحبه تحرك له ، وأراه الخدمة والسرعة في طاعته ، فإذا غاب عنه وعن عينه خالف ذلك : «إنما هو عبد عين (8)» . وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِعِطَافٍ بِوَدَّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ [آل عمران : 75] .

(من إيجاز القرآن)

وقد ذكرنا أبياتاً تُضاف إلى الإيجاز وقلة الفصول ، ولي كتاب جمعت فيه آياً من القرآن ؛

(1) ط ، ش : «لبث» ، وتصحيحه من ل .

(2) الفتيل : الهنة التي في شق النواة . وفي ط : «قتيل» تحريف ما في ش ، ل .

(3) هو الأحوص ، كما في البيان 2 : 184 ، والبيتان أيضاً فيه 3 : 336 .

(4) ل : «أحب قريهم» . وفي البيان : «أحبهم فرطاً» .

(5) في الجزء الثاني من البيان : «كالمقمور» . وفي الثالث : «كالمغمور» . وكلمة «خلف» هي في ط : «خلق» محرفة .

(6) المتضجع : من تضجع في الأمر ، إذا تقعد ولم يقم به .

(7) في ثمار القلوب 263 : «فضنين» ، وهو تحريف ما هنا . وفي البيان 3 : 204 :

ومولى كداء البطن أما لقاءه فحلم وأما غيبه فظنون

والظنون بالفتح كالظنين : وهو المتهم الذي لا يوثق به . ويصح أن تقرأ بضم الظاء جمعاً للظن .

(8) للميداني مثل هذا الكلام في أمثاله 2 : 320 وزاد : «وكذلك يقال : فلان أخو عين ، وصديق عين : إذا كان يراني فيرضيك ظاهره» .

لتعرف بها [فصل] ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفصول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة [على الذي كتبته لك في باب الإيجاز وترك الفصول]. فمنها قوله حين وصف خمر أهل الجنة: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾ [الواقعة: 19]. وهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع غيوب خمر أهل الدنيا. وقوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة فقال: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: 33]. جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني. [وهذا كثير قد دلتك عليه، فإن أردته فموضعه مشهور].

(رأي أعرابي في تثمين المال)

وقال أعرابي من بني أسد:

يقولون ثمر ما استطعت، وإنما
فكله وأطعمه وخالسه وارثاً
لوارثه ما ثمر المال كاسبه
شحيحاً ودهراً تغتريك نوائبه⁽¹⁾

(شعر في الهجاء)

وقال رجل من بني عبس:

أبلغ قراداً لقد حكمتكم رجلاً⁽²⁾
كان امرأ ثائراً والحق يغلبه
وذاكم أن ذل الجار حالفكم
إن المحكم مالم يرتقب حسباً
من لاذ بالسيف لاقى قرضه عجباً⁽⁵⁾
بيعوا الحياة بها إذ سام طالبها
ليس امرؤ خالداً والموت يطلبه
أبلغ لديك أبا كعب⁽⁷⁾ مغلغلة
لا يعرف النصف بل قد جاوز النصف⁽³⁾
فجانب السهل سهل الحق واعتسفا
وأن أنفكم لا يعرف الأنفا
أو يزهب السيف أو حد القنا جنفاً⁽⁴⁾
موتاً على عجل أو عاش منتصفاً
إما رواحاً وإما ميتة أنفاً⁽⁶⁾
هاتيك أجساد عاد أصبحت جيفا
أن الذي بيننا قد مات أو دنفاً⁽⁸⁾

(1) خالسه: من المخالسة، وهي الأخذ في نهزة ومخاتلة.

(2) ط، ش: «أبلغ فؤادي لقد حركتمو»، وهو تحريف ما أثبت من ل. وقراد: اسم قبيلة.

(3) النصف مثلة والنصفة بالتحريك: الإنصاف. والنصف بالتحريك: الاسم منه. والأبيات في البيان 1:

211.

(4) جنف: مال مع أحد الخصمين، أو جار.

(5) القرض، أصله: ما يتجازى به الناس بينهم. وجاء في ل، والبيان 1: 311: «فرصة».

(6) يقول: بيعوا الحياة بالحياة، ويقال سام بالسلعة وسام واستام بها وعليها: غالى. وقد تعدى الفعل هنا بنفسه. في

ط، ش: «نام» وليس بشيء. وأثبت ما في ل.

(7) ل: «سعد»، والمغلغلة: الرسالة تحمل من بلد إلى بلد.

(8) دنف: براه المرض حتى أشفى على الموت. وفي ش: «قد بات» محرف.

كانت أمورٌ فجابت عن حُلومكم
 إنِّي لأعلمُ ظَهَرَ الضَّغْنِ أَعْدِلُهُ
 ثَوَّبَ العَزِيمَةَ حَتَّى انْجَابَ وانْكَشَفَا⁽¹⁾
 عَنِّي، وَأَعْلَمُ أَنِّي أَكُلُ الكَتِفَا⁽²⁾
 (شعرٌ حَكَمِيّ)

وقال أَسْقَفُ نَجْران⁽³⁾ :

مَنَعَ البَقَاءَ تَصَرُّفُ الشَّمْسِ
 وَطُلُوعُهَا بَيضاءَ صَافِيَةً
 وَطُلُوعُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُمَسِّي
 وَغُرُوبُهَا صَفراءَ كَالوَرَسِ
 اليومَ أَعْلَمُ ما يَجِيءُ بِهِ
 وقال عبيدُ بن الأبرص⁽⁴⁾ :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَأْتِي
 مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ
 وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَأْتِي
 وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ
 [وعاقرٌ مثْلُ ذاتِ رَحِمٍ
 أَفْلَحَ بما شِئْتَ فَقَدْ يُبْلَغُ⁽⁵⁾ بِالضَّ
 وَغَانِمٌ مِثْلُ مَنْ يَخِيبُ]
 عَفَ وَقَدْ يُخَدِّعُ الْأَرِيْبُ
 طُولُ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبُ
 وقال آخر⁽⁶⁾ :

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادَهَا
 وَجَعَلَتْ أَوْصَابُهَا تَعْتَادَهَا
 واضطَرَبَتْ مِنْ كِبَرِ أَعْضَادِهَا
 فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا

(1) كذا في ط، ش. وفي ل: «فجافت» و«مال فانكشفا».

(2) كذا في ل، وفي ط، ش: «أين أكل» وقولهم: «يعلم من أين تؤكل الكتف». كناية عن الحذق.

(3) الشعر نسب في معاهد التنصيص 2: 121 وكذلك الصناعتين 192 إلى بعض ملوك اليمن، ونسب في العقد 2: 122 إلى عابد من نجران، وفي معجم المرزباني 339 إلى القمقام بن العباهل، وهو تبع الثاني أو الثالث، ملك حضرموت واليمن. وانظر خبراً متعلقاً به في كل من زهر الآداب 3: 183 وذيل أمالي القالي 29.

(4) كذا في ل، والشعر من قصيدته المشهورة التي أولها:

أَفْر من أهله ملحوب فالحطبيات فالذنوب

(5) ل: «يدرك».

(6) هو زر بن حبیش. قاله وقد حضرته الوفاة. وكان قد عاش مائة وعشرين سنة. انظر أدب الدنيا والدين 108، والرجز أيضاً في الحيوان (6: 328) والعقد (2: 268) ومعجم الأدباء 16:

(مرثية محمد المخلوع)

وقالت بنت عيسى بن جعفر⁽¹⁾، وكانت مُملَكَةً⁽²⁾ لمحمد⁽³⁾ المخلوع حينَ قتلَ :
 أبكِيك لا لِلنَّعيمِ والأنسِ بَلْ لِلِمَعاليِ والرُّمَحِ والفرسِ
 أبكي على فارس فُجعتُ به أرملني قَبْلَ لَيْلَةِ العُرسِ
 (من نعت النساء)

وقال سَلَمُ الخاسر⁽⁴⁾ :
 تبدَّتْ فقلتُ الشَّمْسُ عندَ طُلوعِها بجيدِ نقيِّ اللُّونِ من أثرِ الوَرَسِ⁽⁵⁾
 فلما كَرَرْتُ الطَّرَفَ قلتُ لصاحِبِي على مِرْيَةٍ: ما هاهنا مَطْلَعُ الشمسِ!
 (شعر رثاء)

وقال الآخر⁽⁶⁾ :
 كَفَى حَزْناً بَدَفْنِكَ ثُمَّ أَنِّي نَفَضْتُ تُرابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَا

(1) عيسى بن جعفر، هو حفيد أبي جعفر المنصور، ولي البصرة وكورها وفارس والأهواز واليمامة والسند، ومات بدير بين بغداد وحلوان. المعارف 156-166.

(2) مملكة، من الإملاك، وهو عقد الزواج، وفي ط: «ملكها» وهو تحريف ما أثبت من ل، ش.

(3) محمد المخلوع، هو الأمين بن هارون الرشيد. وفي العقد (2: 178) أن اسم المرأة لبانة بنت ربيعة بن علي، وفي مروج الذهب (2: 316 بهية) أنها لبابة ابنة علي بن المهدي، وفيهما زيادة في الشعر. وفي البيان (3: 121) أنه لامرأة في بعض الملوك. وفي الطبري 10: 210 أن الشعر، لللبابة أو لابنة عيسى بن جعفر.

(4) هو سلم بن عمرو، مولى بني تيم بن مرة، شاعر بصري قدم بغداد ومدح المهدي والهادي والبرامكة. قالوا: سمي بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفًا فباعه واشترى طنبورًا. وهو صاحب البيت المشهور:

من راقب الناس مات غمًا وفاز باللذة الجسور
 كان سلم تلميذ بشار بن برد وراويته. وجاء اسمه في الوفيات برسم «سالم» وهو خطأ. انظر الأغاني (21: 73-84) وتاريخ بغداد 4754، ومما ينص على تعيين اسمه قول أبي العتاهية له:

سلم يا سلم ليس دونك سر حبس الموصلي فالعيش مر
 وقوله:

إنما الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك
 وقوله:

والله والله ما أبالي متى ما مت يا سلم بعد ذا السفر
 وقوله:

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال
 (5) «الشمس» يصح قراءتها بالنصب، بجعل «قلت» بمعنى ظننت. ويصح الرفع بتقدير «هي». ل: «بجلد غني اللون أثر كالورس».

(6) هو أبو العتاهية يرثي علي بن ثابت الأنصاري، كما في معاهد التنصيص (2: 185). أو ولدًا له كما في العقد (2: 156). وانظر الكامل 230 ليبسك وذيل الأمالي ص 2 ومروج الذهب (2: 368) والمستطرف (2: 294).

وكانت في حياتك لي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا⁽¹⁾
(باب من المديح بالجمال وغيره)

قال مزاحم العُقيلي:

يزين سنا الماوي⁽²⁾ كلَّ عَشِيَّةٍ عَلَى غَفَلَاتِ الزَّيْنِ وَالْمَتَجَمَّلِ⁽³⁾
وجوه لو أنَّ المذلجين اعتشوا بها صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي⁽⁴⁾
وقال الشَّمرْدَل:

إذا جَرِيَ الْمُسْكُ يَنْدَى فِي مَفَارِقِهِمْ رَاخُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ
يشبهون ملوكاً من تجلَّتْهم⁽⁵⁾ وطول أنضية الأعناق والأُمم⁽⁶⁾
[النضى: السَّهم الذي لم يرش، يعني أن أعناقهم مُلسٌ مستوية⁽⁷⁾. والأُمم⁽⁸⁾:
القمامات].

وقال القَتَّال الكلابي:

يا لَيْتَنِي، وَالْمُنَى لَيْسَتْ بِنَافَعَةٍ⁽⁹⁾ لِمَالِكٍ أَوْ لِحِصْنٍ أَوْ لِسَيَّارٍ⁽¹⁰⁾
طوال أنضية الأعناق لم يجدوا رِيحَ الإِمَاءِ إِذَا رَاحَتْ بِأَزْفَارٍ⁽¹¹⁾
لم يرَضَعُوا الدَّهْرَ إِلَّا تَذْيَ وَاضِحَةٍ لَوَاضِحِ الْوَجْهِ يَحْمِي بَاحَةَ الدَّارِ⁽¹²⁾
وقال آخر:

إذا كان عَقْلٌ قَلْتُمْ إِنَّ عَقْلَنَا إِلَى الشَّاءِ لَمْ تَحُلْ عَلَيْنَا الْأَبَاعِرُ

- (1) انظر لهذا البيت الاستدراكات .
- (2) الماوي: لغة في الماوية أي المرأة، أو جمع لها عند ابن الأعرابي . وفي ط: «الماذي» وفي ش: «المازي» وفي ل: «المادي» وكل ذلك تحريف ما أثبت، كما في اللسان (مادة موي) والبيان (3: 252 و4: 69) .
- (3) في الأصل: «والمتحمل» وصوابه من اللسان والبيان (3: 252 و4: 69) ومجالس ثعلب 277، وهي مصدر من تجمل .
- (4) انظر تفسيره في اللسان (عشا 287) .
- (5) ل، وكذا الكامل (35 ليسك)، وأما لي القالي (1: 238): «في تجلَّتْهم» . والتجلة: العظمة . وفي العقد (6: 228 لجنة التأليف): «في مجلَّتْهم» . ورواية الحماسة (2: 278): «يشبهون سيوفاً في صرامتهم» .
- (6) كذا جاءت الرواية في ل والأمازي والحماسة، ويروى: «اللمم» جمع لمة، بكسر اللام، وهو شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة .
- (7) جاء في الكامل: «فالنضى مركب النصل في السنخ . وضربه مثلاً . وإنما أراد طوال الأعناق» .
- (8) الأُمم: جمع أمة، بضم الهمزة .
- (9) ل: «بمغنية» .
- (10) قال المبرد في الكامل 35 ليسك: «وقوله لمالك أو لحصن أو لسيار»، فهو لاء بيت فزارة، يريد موضع الشرف فيهم .
- (11) الأزفار: جمع زفر بالكسر، وهو الحمل بالكسر، كما في الكامل واللسان (مادة زفر) . وفي ش: «بأذفار» فيكون جمع ذفر بالتحريك، وهو خبث الريح .
- (12) قال المبرد: واضحة: أي خالصة في نسبها، وليست بأمة .

وإنَّ امرأً بعدي يُبادل ⁽¹⁾ وُدَّكُمْ
أولئك قومٌ لا يُهانُ هديُّهم ⁽²⁾
مذاليق ⁽⁴⁾ بالخيَلِ العِتاقِ إذا عدوا ⁽⁵⁾
بُودَ بني ذبيان مولى لخاسِرُ
إذا صرَّحتْ كحلٌّ وهبَّتْ أعاصِرُ ⁽³⁾
بأيديهم خَطِيئةٌ وبواتِرُ
وقال أبو الطَّمَحانِ القَيْنِيّ في المعنى الذي ذكرنا:

كم فيهم من سيّد وابن سيّد
يكاد الغمام الغُرُيرُ عدُّ أن رأى
وقال لَقِيْطُ بن زُرارة ⁽⁶⁾:

وإنِّي من القوم الذين عَرَفْتُمُ
نجومُ سماءٍ كلما غارَ كوكبُ
أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهم
إذا مات منهم سيّدٌ قامَ صاحِبُه
بدا كوكبٌ تأوي إليه كواكِبُه
دجى الليل حتّى نَظَمَ الجَزَعُ ثاقِبُه ⁽⁷⁾
وقال بعض التميميّين، يمدح عوفَ بنَ القَعْقاعِ بن مَعْبِدِ بن زُرارة:

بحقِّ امرئٍ سرو عتيبة خاله ⁽⁸⁾
[دراري نجوم كلما انقضَّ كوكبُ
وقال طَفِيْلُ العَنَوِيّ:

وكان هُريّمٌ من سنانٍ خَلِيفَةٌ
نجومُ ظلامٍ كلما غاب كوكبُ
وقال الخريمي ⁽¹⁰⁾، يمدح بني حُرَيْمٍ ⁽¹¹⁾، من آل سنان بن أبي حارثة:

- (1) في هامش ش: «خ: تبدل» أي في نسخة.
- (2) الهدى: الرجل ذو الحرمة، يأتي القوم يستجير بهم أو يأخذ منهم عهداً. فهو ما لم يجر أو يأخذ العهد هدى، فإذا أخذ العهد منهم فهو حينئذ جار لهم. اللسان (هدى).
- (3) كحل، بالفتح، هي السنة والجذب، وصرحت: صارت خالصة في شدتها وجديها. وهو مثل. انظر الميداني 370:2 واللسان. وفي ش: «كهل» محرفة.
- (4) كذا في ل. والمذلاق: السريع الجري، جمعه مذاليق. وفي ط، ش: «مداليق» من الدليف، وهو المشي الرويد، وليس يصح المعنى به.
- (5) ل: «غزوًا».
- (6) الشعر منسوب إلى أبي الطمحن القيني في الكامل 30 ليسك والوساطة 159 والحماسة (2: 272).
- (7) الجزع، بالفتح: ضرب من الخرز فيه سواد وبياض.
- (8) كذا في ط، ش. وفي ل: «يسرو عيينة»، وفي الشطر تحريف.
- (9) ديوان طفيل 18 والبيان 3: 337، ل: «نجوم سماء». ل، ش: «غار كوكب». ل: «بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب».
- (10) الخريمي بالراء تقدمت ترجمته في الجزء الأول ص 164.
- (11) ط، ل: «حزيم»، وتصحيحه من ش. وانظر ترجمة الخريمي.

بَقِيَّةَ أَقْمَارٍ مِنَ الْغُرِّ لَوْ خَبَتْ ⁽¹⁾ لَظَلَّتْ مَعَدَّةً فِي الدُّجَى تَتَكَسَّعُ ⁽²⁾
 إِذَا قَمَرٌ مِنْهُمْ تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا إِذَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ اللَّيْلِ ⁽³⁾ يَلْمَعُ
 وَقَالَ بَعْضُ غَنِيِّ ⁽⁴⁾ ، وَهُوَ يَمْدَحُ جَمَاعَةً إِخْوَةً ، أَنَشَدْنِيهَا أَبُو قُطْنٌ ، الَّذِي يَقَالُ لَهُ شَهِيدُ الْكَرَمِ :

حَبَّرَ ثَنَاءً ⁽⁵⁾ بَنِي عَمْرٍو فَإِنَّهُمْ
 إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطُوهُ ، وَإِنْ جُهِدُوا
 وَإِنْ تَوَدَّدَتْهُمْ لَأَنُوءَا ، وَإِنْ شُهِمُوا
 مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلُّ لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ
 وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي نَهْشَلٍ ⁽⁹⁾ :

إِنِّي لِمِنْ مَعْشَرِ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ
 لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَا
 وَلَيْسَ يَذْهَبُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا
 وَفِي الْمَعْنَى الْأَوَّلُ يَقُولُ التَّابِعَةُ الذُّبْيَانِي :

وَذَاكَ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ⁽¹²⁾
 بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ
 وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَدِيحِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَأَتَيْتُ حَيًّا فِي الْحُرُوبِ مُحَلِّمٌ
 وَالْجَيْشُ بِاسْمِ أَبِيهِمْ يُسْتَهْزَمُ
 [وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ :

لَتَبُكَ وَكَيْعًا خَيْلُ لَيْلٍ مُغِيرَةٌ
 تَسَاقَى السَّمَامَ بِالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ ⁽¹³⁾

- (1) ط ، ش : «أقوام» موضع : «أقمار» ، و «الغر» هي كذلك في ش . وفي ل : «العر» ، وفي ط : «العز» محرفتان .
- (2) في اللسان : «وتكسع في ضلاله : ذهب ، كتسكع ، عن ثعلب» .
- (3) الرواية في الوساطة 159 : «في جانب الأفق» .
- (4) أي أحد الغنويين . وانظر التحقيق الخاص به في الجزء الثاني ص 52 .
- (5) ط ، ش : «خبر ثنائي» وتصحيحه من ل . والتجبير : تحسين الخط أو الكلام أو الشعر .
- (6) الفضول : ما يتبقى من الغنائم حين تقسم ، يختص بها الرئيس .
- (7) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .
- (8) انظر تفسير البيت في الجزء الثاني ص 52 ، وجاء في ش : «وإن شتموا» محرفة . وفيها أيضًا : «أذمار شر» وفي ل : «شد» وفيهما : «غير أشرار» .
- (9) هو بشامة بن حزن النهشلي كما في شرح التبريزي للحماسة 1 : 50 وانظر الحماسة 1 : 25 .
- (10) ل : «من عاطف» . يقال عطف على العدو : مال عليه .
- (11) الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأم . (12) السورة : بالضم : المنزل الرفيعة .
- (13) وكيع هذا هو ابن أبي سود الغداني . والسمام : جمع سم . ورواية الديوان 246 والكامل 765 ليسبك : «المنايا» . وانظر كتاب البغال 268 .

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيعاً والرماح بهم تجري⁽¹⁾
وأما قول الشاعر:

تخامل المحتد أو هزام⁽²⁾

فإنما ذهب إلى أن الدعوة إذا قام بها [خامل الذكر والنسب⁽³⁾] فلا يحسده من أكفائه
أحد، وأما [إذا قام بها⁽⁴⁾] مذكور بيمين الثقيبة، وبالظفر المتتابع، فذلك أجود⁽⁵⁾ ما يكون،
وأقرب إلى تمام الأمر. وقال الفرزدق:

تصرم مني⁽⁶⁾ ود بكر بن وائل
قوارض تأتينني ويحتقرونها
وما كان ودّي عنهم يتصرم
وقد يملأ القطر الأناء فيفعم⁽⁷⁾
وقال الفرزدق⁽⁸⁾:

وقالت أراه واحداً لا أخاله⁽⁹⁾
لعلك يوماً أن ترينني⁽¹⁰⁾ كأنما
يؤمله في الوارثين الأبعاد
بنّي حوالِي الأسود الحوارد⁽¹¹⁾
فإن تميماً قبل أن يلد الحصى⁽¹²⁾
وقال الفرزدق أيضاً⁽¹³⁾:

فإن كان سيف خان أو قدر أتى⁽¹⁴⁾
لميقات يوم حتفه غير شاهد⁽¹⁵⁾

(1) رواية الديوان والكامل: «والجياذ بهم تجري». وما هنا أجزل وأقوى.

(2) كذا جاء.

(3) ط، ش: «وإذا قام بالدعوى خامل الذكر والنسب».

(4) ليست بالأصل والكلام في حاجة إليها.

(5) ش: «أجوز».

(6) كذا في ل، وفي ط، ش: «تذكر حبي» وهو تحريف. (7) ل: «الأنثى». وهو الجدول تؤتیه إلى أرضك.

(8) الشعر الآتي قاله الفرزدق عندما عبرته زوجته نوار بأنه لا ولد له. عيون الأخبار 4: 122 ومعاهد التنصيص 1:

102، وفي الديوان 172 أن التي عبرته هي امرأته طيبة بنت العجاج المجاشعي. وينسب الشعر أيضاً إلى ابن عنقاء

الفزاري. معجم المرزباني 343.

(9) في الديوان: «طاح أهله»، وفي المعجم: «باد أهله».

(10) ط، ش: «تراني» وهو تحريف، وصوابه من ل و عيون الأخبار، وفي الديوان: «فإني عسى أن تبصريني».

(11) الحوارد: جمع حارد، وهو المجتمع الخلق الشديد الهيبة. ورواية الديوان: «اللوابد».

(12) الحصى: العدد الكثير. وقال الأعشى:

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكانر

(13) وكان قدم سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم وأمره أن يضربه بالسيف، فلما ضربه بالسيف لم يؤثر فيه، وكلع

الرومي في وجهه، فارتاع الفرزدق، وضحك سليمان والقوم. فقال جريز:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعثت يدك وقالوا محدث غير صارم

انظر تفصيل الخبر في الأغاني (14: 82-83) والغيث المنسجم (2: 113) والعمدة (1: 126) والنفاض 384.

(14) ش: «أنى» بمعنى حان. وانظر رواية البيت في حماسة البحري 56.

(15) يروى: «لتأخير نفس حتفها».

فَسَيْفُ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَا بَيْدَيَّ وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ⁽¹⁾
كَذَاكَ سَيْوْفُ الْهَنْدِ تَنْبُو ظَبَاتُهَا وَيَقْطَعُنْ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ
(خَيْرِ قِصَارِ الْقِصَائِدِ)

وإن أحببت أن تروي من قصار القصائد شعراً لم يسمع بمثله⁽²⁾، فالتمس ذلك في⁽³⁾ قصار قصائد الفرزدق؛ فإنك لم تر شاعراً قط يجمع التَّجويد في القصار والطوال غيره. وقد قيل للكُميت: [إن] النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى الْقِصَارِ! قال: مَنْ قَالَ الطَّوَالَ فهو على القصار أقدر⁽⁴⁾. هذا الكلام يخرج في ظاهر الرأي والظن، ولم نجد ذلك عند التَّحصيل على ما قال.

(جواب عقيل بن علفه وجريز)

وقيل لعقيل بن علفه: لم لا تطيل الهجاء؟ قال: «يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنتى⁽⁵⁾».

وقيل لجريز: إلى كم تهجو النَّاسَ؟ قال: إنِّي لا أَبْتَدِي، ولكنِّي أَعْتَدِي⁽⁶⁾.

وقيل له: لم لا تقصّر⁽⁷⁾؟ قال: [إن] الجماع يمنع الأذى⁽⁸⁾!.

(1) وقرأ هذا هو ابن زهير بن جذيمة العبسي. وخالد ذاك هو ابن جعفر بن كلاب العامري، وكان خالد قد برک على زهير تمهيداً لقتله، ولحقه حندج بن البكاء العامري، وقال: نح رأسك يا أبا جزء - يعني خالدًا - فنحى خالد رأسه، وضرب حندج رأس زهير، وضرب ورقاء بن زهير رأس خالد العامري بالسيف، وكان على خالد درعان فنبأ سيف ورقاء، فقال في ذلك:

رَأَيْتُ زَهِيرًا تَحْتَ كُلِّكَ جَعْفَرُ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعَجُولِ أَبَادِرُ
إِلَى بَطْلَيْنِ يَنْهَضَانِ كِلَاهِمَا يَرِيعَانِ نَصْلَ السِّيفِ وَالسِّيفِ نَادِرُ
فَشَلْتُ يَمِينِي إِذْ ضَرَبْتَ ابْنَ جَعْفَرِ وَأَحْرَزَهُ مِنِّي الْحَدِيدُ الْمَظَاهِرُ

الأغاني (14: 10). وقد شاع حديث الفرزدق بهذا، حتى حكى أن المهدي أتى بأسرى من الروم، فأمر بقتلهم، وكان عنده شبيب بن شيبه فقال له: اضرب هذا العالج، فقال: يا أمير المؤمنين، قد علمت ما ابتلي به الفرزدق فغير به قومه إلى اليوم! فقال: إنما أردت تشريفك، وقد أعفيتك. انظر أدب الدنيا والدنيا 6-7، والفرزدق في شعره يعرض بسليمان بن عبد الملك ويعيره بنو سيف ورقاء العبسي عن خالد، وبنو عبس أخوال سليمان. الأغاني (83: 14)، أو هو قال ذلك لأن صنع بني عبس كان مع جريز - يعني أنه كان موالياً لهم - الأغاني (15: 10). وجريز ليس عبسيًا، بل هو كلبى.

(2) ل: «تسمع بمثله».

(3) ش: «من».

(4) ل: «قدر».

(5) المعروف في المثل: «حسبك من القلادة ما أحاط بالعنتى». انظر أمثال الميداني (179: 1) ونهاية الأرب (27: 3).

(6) انظر ما سيأتي في ص 252 والبيان 3: 65 والتمثيل والمحاضرة 184 والعقد 5: 296.

(7) أي تقصّر قصائدك، وكان جريز يطيل قصائد الهجاء.

(8) يريد أن مظهر العنف والانطلاق يكف الناس عن التعرض لصاحبه. والجماع أصله للخييل تغلب صاحبها وتطير به. في ط، ش: «قال الجماع يمنع الأذى» وتصحيحه وإكماله من ل.

(شعر مختار)

قال عبيد بن الأبرص :

نَبِئْتُ أَنَّ بَنِي جَدِيلَةَ أَوْعَبُوا [نُفَرَاء] مِنْ سَلَمَى لَنَا وَتَكْتَبُوا⁽¹⁾
 [وَلَقَدْ جَرَى لَهُمْ فَلَمْ يَتَعَيَّفُوا تَيْسٌ قَعِيدٌ كَالْهَرَاوَةِ أَعْضَبُ]⁽²⁾
 وَأَبُو الْفَرَاخِ عَلَى خَشَاشِ هَشِيمَةٍ مَتَنَكَّبٌ إِبْطُ الشَّمَائِلِ يَنْعَبُ⁽³⁾
 [فَتَجَاوَزُوا ذَاكُمُ إِلَيْنَا كُلَّهُ عَدَوًا وَقَرْطَبَةً]⁽⁴⁾ فَلَمَّا قَرَّبُوا
 طُعِنُوا⁽⁵⁾ بِمُرَّانِ الْوَشِيحِ فَمَا تَرَى خَلْفَ الْأَسِنَّةِ غَيْرَ عِرْقٍ يَشْحَبُ⁽⁶⁾
 وَتَبَدَّلُوا الْيَعْبُوبَ بَعْدَ إِلَهُمُ صَنَمًا⁽⁷⁾ فَفَرُّوا⁽⁸⁾ يَا جَدِيلُ وَأَعَذِبُوا⁽⁹⁾

وقال آخر :

أَلَمْ تَرَ حَسَّانَ بَنَ مَيْسِرَةَ الَّذِي بجَوْخَى⁽¹⁰⁾ ، إِلَى جِيرَانِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ
 مَتَارِيْبُ⁽¹¹⁾ مَا تَنْفَكُ مِنْهُمْ⁽¹²⁾ عِصَابَةٌ

- (1) بنو جديلة : حي من طيء . أوعبوا : أي لم يدعوا منهم أحداً ونفروا جميعاً . تكتبوا : صاروا كتائب . وهي في ط ، ش : «تكتبوا» وتصحيحه من ل والديوان 12 ليدن .
- (2) يقول : قد جرى لبني جديلة بالشؤم تيس قعيد من الظباء فلم يتعيفوا . التعيف : من العيافة ، وهي هنا بمعنى التشاؤم . والقعيد : الذي يأتي من الخلف . وجعل التيس كالهراوة في ضخمها واندماجها . والأعضب : المكسور القرن . وهو مما يشاءم به . انظر العمدة (2 : 202) .
- (3) أبو الفراخ ، عنى به الغراب . والهشيمة : الشجرة اليابسة . والخشاش : مالا عظم له من الدواب ، مثل الحيات والعظايا . وشبه فراخ الغراب لمعطها بالخنافس . وروى في ش : «خشاش» ، وهي بالكسر بمعنى الجانب ، كما في القاموس ، ومتنكبها إبط الشمائيل ، أي مائلاً عن جهتها . والشمائيل : جمع شمال ، وهي الريح الشمالية .
- (4) «ذاكم» عنى به التعيف والزجر . و«قرطبة» أي عدواً شديداً . وفي الأصل «قرضبة» تصحيف ما أثبت . ورواية الديوان : «مرقصة» ، وهي ضرب من العدو .
- (5) ط ، ش : «طعنوا» ، والوجه ما أثبت من ل وديوان عبيد .
- (6) المران بالضم : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . والوشيح : شجر الرماح . يشخب : يسيل دمه .
- (7) اليعبوب : صنم لجديلة ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، رهط عبيد بن الأبرص ، فتبدلوا اليعبوب بدله . الخزانة (3 : 246 بولاق) .
- (8) في الخزانة : «قروا» ، بالقاف .
- (9) قال البغدادى : «أي لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا» . وهكذا جاء في ل والخزانة . وفي ط ، ش : «أوعبوا» .
- (10) ما عدل : «يجوع» . وانظر الاستدراكات .
- (11) متاريب : جمع مترب ، كمحسن ، وهو الذي قل ماله . وهذا الحرف من الأضداد ، والأكثر فيه أن يستعمل للذي كثر ماله . والمعروف في الذي قل ماله : ترب كفرح ، من الثلاثي . انظر اللسان (ترب) . وهذه الكلمة هي في ط ، ل : «متى ريب» ، وهي على الصواب في ش .
- (12) ط ، ش : «منه» .

(شعر في معنى قوله : يريد أن يُعربَه فيُعجمه)

وباب⁽¹⁾ آخرٌ مثلُ قوله⁽²⁾ :

يريد أن يُعربَه فيُعجمَه

وقال آخر :

كأنَّ مَنْ يحفظها يُضيعها

وقال آخر :

أهوجُ لا ينفعُ التثقيفُ

وقال بعض المحدثين [في هذا المعنى] :

إذا حاولوا أن يشعّبوها رأبتها مع الشَّعب لا تزدادُ إلا تداعياً⁽³⁾

وقال صالح بن عبد القدوس :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتّى يُوارى في ثرى رَمْسِه⁽⁴⁾

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنا عاد إلى نُكْسِه

ومثل هذا قوله :

وتروض عرسك بعد ما هربت ومن العناء رياضة الهرم

وقال حُسيل⁽⁵⁾ بن عُرْفطة :

ليهنّيك بغض في الصديق وظنة⁽⁶⁾ وتحديثك الشيء الذي أنت كاذبه

وأَنَّكَ مَشْنُوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ بلاك⁽⁷⁾ ، ومثل الشرِّ يُكره جانبُه

(1) ط : « وقال » . وتصحيحه من ش ، ل ؛ فإن الآتي مخالف للسابق .

(2) هو الحطيئة ، والبيت الآتي من أرجوزة له ، أولها كما في العمدة 1 : 74 ، والديوان 111 :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه والشعر لا يسطيعه من يظلمه

وبعده : ولم يزل من حيث يأتي يحرمه من يسم الأعداء يبق ميسمه

(3) الشعب : الإصلاح ، والتداعي : التساقط . وهذا البيت هو الثاني من أبيات عددها اثنا عشر بيتاً في البخلاء 188 يهجو بها الشاعر قومًا بخلاء ، فوصف قدورهم بما يقتضيه الهجاء .

(4) البيان 1 : 120 والتمثيل والمحاضرة 78 .

(5) هو حُسيل بن عُرْفطة بن نضلة بن الأستر بن جحوان بن فقّس الأسدي ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ورأى الرسول ﷺ ، وروى عنه . وهو ممن غير الرسول الكريم ﷺ أسماءهم ، فسماه «حسينًا» . انظر الإصابة 1717 ، وقد جعله أبو زيد في نوادره 75 ، 77 من شعراء الجاهلية . والصواب ما قدمت . ومن العجيب أن أبا حاتم قال إنه «حسين» ثم يخطئه الأخفش في ذلك . انظر النوادر في الموضوعين . وقد جاء هذا الاسم في كل من ط ، ش ، وكذلك البيان 3 : 249 : «الحسن» ، وهو تحريف . والأبيات بدون نسبة في البغال 339 .

(6) في البيان والبغال : «ليهنك» وهما صحيحتان . وفيه أيضًا : «وضنة» .

(7) بلاك : اختبرك . وفي ط ، ش : «فلاك» بمعنى أبغضك ، وأثبت ما في ل والبيان والبغال .

وَأَنْتَ مِهْدَاءُ الْخَنَّا نَطْفُ النَّثَا⁽¹⁾ شَدِيدُ السَّبَابِ رَافِعِ الصَّوْتِ غَالِبُهُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْجَهْلِ يَدْعُو إِلَى الرَّدَى⁽²⁾ وَلَا مِثْلَ بُغْضِ النَّاسِ غَمَضَ صَاحِبِهِ
(كَلِمَةُ لِلزَّبْرَقَانِ)

وقال الأصمعي: قال الزَّبْرَقَانُ بَنُ بدر: خَصَلَتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي امْرِئِ السَّوْءِ: شِدَّةُ
السَّبَابِ، وَكَثْرَةُ اللَّطَامِ⁽³⁾.

(شعر في تمجيد الأقارب)

وقال [خالد] بن نُضْلَةَ:

لَعَمْرِي لَرَهْطِ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَلَوْ عَالُوا بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ⁽⁴⁾
مَنْ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَا نَدَى كَثِيرٍ⁽⁵⁾ وَلَا يُنْبِيكَ مِثْلُ الْمَجْرَبِ
إِذَا كُنْتُ فِي قَوْمٍ عِدَا لَسْتُ مِنْهُمْ فَكُلُّ مَا عَلِفْتُ مِنْ حَبِيثٍ وَطَيْبٍ⁽⁶⁾
فَإِنْ تَلْتَبَسَ بِي خَيْلُ دُودَانَ لَا أَرُمُ وَإِنْ كُنْتُ ذَا ذَنْبٍ وَإِنْ غَيْرَ مُذْنِبٍ
(بِكُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدِ)

قال: وَلَمَّا تَأَذَّى الْأَضْبَطُ بَنُ قَرِيعٍ فِي بَنِي سَعْدِ⁽⁷⁾ تَحَوَّلَ عَنْهُمْ إِلَى آخِرِينَ فَأَذَوْهُ فَقَالَ:
بِكُلِّ وَادٍ بَنُو سَعْدِ!

(مَقْطَعَاتُ شَتَّى)

وقال سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ:

أَلَا لَيْسَ زَيْنَ الرَّحْلِ قِطْعٌ وَتُمْرُقٌ وَلَكِنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَامِيٌّ رَاكِبُهُ⁽⁸⁾

(1) النثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ، وفي ط، ش، والبيان: «الثناء»، وهو تحريف ما أثبت من ل. والنطف: المتهم المريب.

(2) الردى: الهلاك. وفي الأصل: «الرخا»، وتصحيحه من البيان.

(3) ش: «الطعام» محرف.

(4) أي وإن أركبوه المراكب الصعبة. س: «غلت به» محرفة.

(5) رواية الحماسة 1: 134: «ذا غنى جزيل». و«كثير» هي في ط، ش: «كثيراً»، وإنما هو صفة للندى.

(6) العدا: اسم جمع بمعنى الأعداء. أو بمعنى الغرباء كما جاء في المخصص 12: 52 رواية عن ابن السكيت، قال: «ولم يأت فعل - أي بكسر ففتح - في الصفات غير هذا». وانظر البيان 3: 250.

(7) ط، ش: «سحيم»، والصواب: «سعد» كما في ل، وما سبق في الجزء الأول ص 246.

(8) القِطْع، بكسر القاف: البساط، أو النمركة، أو الطنفسة يجعلها الراكب تحته. وفي ل: «نطع» بالنون، وهو البساط من الأديم، والنمرك والنمركة: الوسادة الصغيرة أو الطنفسة فوق الرحل. وقد حرف الناسخون البيت في عيون الأخبار 1: 297 فجعلوه «قطعا يمزق». ورواه المرزباني في معجمه 390 لمضر بن ربيعي.

وقال أعرابي :

فما وجد ملوح من الهيم خلثت
تحوّم وتغشاهما العصي وحولها
بأكثر منّي غلّة وتعطفاً⁽²⁾
وقال خالد بن علقمة ابن الطيفان⁽⁴⁾ ، في عيب أخذ العقل والرّضا بشيء دون الدّم ، فقال :
عن الماء حتّى جوفها يتصلّصل⁽¹⁾
أقاطيع أنعام تعل وتنهّل
إلى الورد⁽³⁾ ، إلّا أنّني أتجمل
وإنّ الذي أصبحتم تحلبونه
فلا توعدوا أولاد حيان بعدما
وأعجب قرد يقصم القمل حالقاً⁽⁶⁾
إذا سكبوا في القعب من ذي إنائهم
دّم غير أنّ اللون ليس بأحمراً
رضيتم وزوجتم سيالة مسهراً⁽⁵⁾
إذا عب منها في النقيبة بربراً⁽⁷⁾
رأوا لونه في القعب ورداً وأشقراً⁽⁸⁾

باب آخر في ذكر الغضب ، والجنون ، في المواضع التي يكون فيها محموداً⁽⁹⁾

قال الأشهب بن رُميلة⁽¹⁰⁾ :

هر⁽¹¹⁾ المقادة⁽¹²⁾ من لا يستقيّد لها⁽¹³⁾ واعصوصب السير وارتدّ المساكين⁽¹⁴⁾

- (1) خلثت : منعت من الماء . وفي ط ، ش : « خلثت » . والهيم : الإبل العطاش .
- (2) ط ، ش : « تقطعا » . وأثبت ما في ل والبيان 3 : 55 .
- (3) ل : « العدد » وصواب هذا « العد » بالكسر ، وهو الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع .
- (4) ط ، ش : « الصهبان » ، وهو تحريف ما أثبت من ل والقاموس . والطيفان هي أم خالد ، وكلمة « ابن » هي في الأصل محذوفة الألف وهو خطأ ، وقد جاء على الصواب الذي أثبت في الأغاني 11 : 121 ، وكان خالد معاصراً لجبرير والفرزدق .
- (5) كذا في ل . وفي ط ، ش : « وحولتم بسالة مشغراً » . وهو تحريف ، ولعل صواب « حولتم » فيه « حولتم » .
- (6) كذا في ل . وفي ط ، ش : « وأكحم فرداً يقصم الفيل جالباً ! » .
- (7) منها : أي من إبل الدية . والنقيبة : العظيمة الضرع من النوق . وفي ل : « النقيعة » ، وهي الجزور تجزر للضيافة . والبربرة : الصياح .
- (8) ط : « العقب » محرفة . وقد زاد كلمة « ذي » قبل إنائهم ، ولذلك نظائر في كلامهم . انظر خزنة الأدب 4 : 231 - 232 سلفية .
- (9) كذا في ل . وفي ط ، ش : « في مثل ذلك من الغضب ، وفي ذكر الجنون في المواضع التي يكون ذكره فيها محموداً » .
- (10) الأشهب بن رُميلة : شاعر إسلامي مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم تعرف له صحة . انظر الإصابة 464 ، و« رُميلة » هي أمه . واسم أبيه ثور بن أبي حارثة ، ينتهي نسبه إلى تميم . وكان الأشهب ممن هاجى الفرزدق ، وقد سبق رجز له في ذلك بالجزء الأول 221 هو في الخزنة 4 : 510 بولاق . جاء في ط : « رملية » وهو تحريف . وجاء بعد هذا في كل من ط ، ش : كلمة « بعد ذلك » .
- (11) هر : كره . وفي ط ، ش : « هذ » بمعنى قطع .
- (12) المقادة : القود ، وهو نقيض السوق . وفي ل : « الوفادة » وأحسبها تحريفاً ، ولعل الكلام في صفة ركب مسافرين في فلاة .
- (13) ل : « يستعد لها » .
- (14) اعصوصب السير : صار عصيباً شاقاً . وفي ل : « اعصوصب الشر » .

مِنْ كُلِّ أَشْعَثٍ قَدْ مَالَتْ عِمَامَتُهُ
وقال في شبه ذلك أبو الغول الطَّهَوِيُّ (2):
قَدْتُ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي
مَعَاشِرَ لَا يَمْلُونَ الْمَنَايَا
وَلَا يَجْزُونَ مِنْ خَيْرِ بَشَرٍ
وَلَا تَبْلَى بِسَالَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ
هُمْ أَحْمَوْا حِمَى الْوَقْبَى بِضَرْبٍ
فَنَكَّبَ عَنْهُمْ دَرَاءَ الْأَعَادِي
وقال ابن الطَّثَرِيَّة (7):

لَوْ أَنَّنِي لَمْ أَتْلُ مِنْكُمْ مَعَاقِبَةً
أَوْ لَاخْتَطَبْتُ فَإِنِّي قَدْ هَمَمْتُ بِهِ
وقال آخر:

حَمَرَاءُ تَامِكَةِ السَّنَامِ كَأَنَّهَا
جَادَتْ بِهَا يَوْمَ الْوَدَاعِ يَمِينَهُ
مَا إِنْ يَجُودُ بِمَثَلِهَا فِي مَثَلِهِ
جَمَلٌ بِهَوْدَجِ أَهْلِهِ مَظْعُونٍ (9)
كَلَّتَا يَدَيَّ عَمَرُو الْغَدَاةِ يَمِينُ (10)
إِلَّا كَرِيمُ الْخِيَمِ أَوْ مَجْنُونُ (11)

- (1) مالت عمامته مما لعب النوم به. والضرار: الضرر. وفي 6: 157: «من حذار الضيم».
- (2) قيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولاً قتلها. المؤلف 163، وهو شاعر إسلامي التبريزي (14: 1) ومعجم البلدان (وقبى). وفي ل: «الضبي» وهو تحريف.
- (3) قال التبريزي: «يروي: صدقوا.. ويروي: صدقت فيهم طنوني، ويكون طنوني في موضع رفع بصدقت»، أي فاعلاً لصدقت.
- (4) في ل، وكذا في الحماسة: «فوارس» وفيهما أيضًا: «الحرب الزبون».
- (5) في ل، وكذا في الحماسة: «ولا يجزون من حسن بسيء»، والسيء بالفتح.
- (6) الوقبى: بالتحريك: اسم أرض، أو اسم ماء. المقصور 116 ومعجم البلدان، في ل، والمقصور والحماسة والمعجم: «هم منعوا».
- (7) كذا جاء في ل نسبة البيتين الآتين إلى ابن الطثرية، ونسبة الثلاثة التي بعدها إلى «آخر»، لكن في ط، ش نسبة الثلاثة الأبيات التالية إلى ابن الطثرية. ولم أعثر على مرجع لهاتين المقطوعتين.
- (8) في الأصل: «لا شمت»، صوابه من 6: 157.
- (9) تامكة السنام: عظيّمته. وقد شبه الناقة المهداة إليه بالجمل المظعون: الذي شد هودجه بالطعان ككتاب، وهو حبل الهودج. فجعلها كجمل لوثاقة خلقها، ثم أضاف إلى النعت ذكر الهودج، ليصور بذلك عظم علوها.
- (10) كلتا يديه يمين: أراد: شماله كيمينه في العطاء، مبالغة في وصفه بالعطاء. وجاء في الحديث: «كلتا يديه يمين» فتوهم بعضهم التشبيه، ورد عليهم ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث 265.
- (11) ط، ش: «في مثلها»، والأشبه ما كتبت من ل. وضمير: «بمثلها» عائد إلى الناقة الحمراء. وضمير «مثله» إلى يوم الوداع. والخيم بالكسر: السجية.

وفي هذا المعنى يقول حسّان، أو ابنه عبد الرحمن بن حسّان:

إِنْ شَرَحَ الشَّبَابَ وَالشَّعَرَ الْأَسَدَ وَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا⁽¹⁾

إِنْ يَكُنْ غَتًّا مِنْ رَقَاشٍ حَدِيثٌ فَبِمَا نَأْكُلُ الْحَدِيثَ سَمِينًا⁽²⁾

وفي شبيه ذلك قول الشَّنْفَرِي:

فَدَقْتُ وَجَلْتُ وَاسْبَكَرْتُ وَأَكْمَلْتُ فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ⁽³⁾

وقال القُطَامِيُّ - حين وصف إفراط نأفته في المَرَحِ والنَّشَاطِ:

يَتَبَعْنَ سَامِيَةً⁽⁴⁾ الْعَيْنِينَ تَحْسَبُهَا مَجْنُونَةً أَوْ تُرَى مَا لَا تَرَى الْإِبِلُ

وقال ابن أَحْمَرَ، في معنى التشبيه والاشتقاق:

بِهَجَلٍ مِنْ قَسَا دَفَرِ الْخُرَامِيِّ تَدَاعَى الْجَرَبِيَاءُ بِهِ الْحَنِينَا⁽⁵⁾

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الْخَازِ بَارِ بِهِ جُنُونًا⁽⁶⁾

وفي مثل ذلك يقول الأعشى:

وَإِذَا الْغَيْثُ صَوْبُهُ وَضَعَ الْقِدْ حَ وَجُنَّ التَّلَاعُ وَالْآفَاقُ⁽⁷⁾

لَمْ يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً نَشْوَةُ الْخَمِّ رِ وَلَا اللَّهْوُ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ

وقال آخر في باب المزاح والبطالة، مما أنشدنيه أبو الأصبع⁽⁸⁾ بن ربيعي:

(1) شرح الشباب هو اسوداد الشعر . ولولا أنهما لاصطحابهما صاراً بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا . أمالي ابن الشجري (1 : 309) . وانظر قول المبرد في الكامل 597 لبيسك والعسكري في الصناعتين 185 .

(2) هذا البيت ليس في ل . والبيتان في الديوان 134 - 414 في سبعة أبيات .

(3) يقول : دق جسمها في المواضع التي يستحسن فيها الدقة، وعظم في الأجزاء التي يرضى فيها العظم . واسبكرت : استقامت واعتدلت . وقصيدة البيت بدعية، وهي من المفضليات . وانظر البيان (3 : 224) ومجالس ثعلب 426 .

(4) سامية : عالية، وفي ط، ل : «نامية»، وتصحيحه من ش والجزء السادس من الحيوان ص 157 .

(5) الهجل، بالفتح : المطمئن من الأرض . وفي ل : «لجو» وهو تحريف . وفي ش : «بجو» وهي صحيحة، فالجو :

ما اتسع من الأرض وبرز واطمأن، كما في اللسان . و«قسا» : موضع بالعالية، وهو بالفتح، ويقال بالكسر كما في

المقصور، و«الخزامي» : نبت طيب الرائحة . و«ذفر» : ذكي الرائحة . و«تداعي» هي في ط «تهادي» وهي رواية

أخرى، كما في اللسان (جرب) . والجربياء : الريح الشمالية الباردة . والحنين : صوت الريح . وفي ل : «الجنينا»

مصحفة عما أثبت من ط، ش واللسان في مواضع متعددة والكامل 464 لبيسك ومعجم البلدان (قسا) والمقصور

88 والبيان 3 : 222 والحيوان (6 : 117) والمخصص (11 : 207) .

(6) تفقأ : تصبب، وفي ش : «تكسر»، وهي رواية أخرى كما في أمثال الميداني (1 : 227) والحيوان (6 : 117)،

والقلع بالتحريك : قطع من السحاب كأنها الجبال، الواحدة قلعة . والخازباز : ذباب يظهر في الربيع فيدل على

خصب السنة، أو هو نبت . وجنونه : تكائفه .

(7) البيتان أعيدا في ص 62 والجزء السادس ص 118 .

(8) أبو الأصبع جاء في الأصل «أبو الأصبع» . صوابه من البخلاء 229، 105، وذكره الجاحظ في البيان (4 : 19)

ضمن النوكى وأشباههم . وروى أنه قيل له : أما تسمع بالعدو وما يصنعون في البحر؟ فلم لا تخرج إلى قتال

العدو؟ قال : أنا لا أعرفهم ولا يعرفونني، فكيف صاروا لي أعداء؟!

أَتُونِي بِمَجْنُونٍ يَسِيلُ لَعَابَهُ وما صاحبي إلا الصَّحِيحُ الْمَسْلَمُ
 وأنشدني ⁽¹⁾ إبراهيمُ بن هانئ، وعبدُ الرحمن بن منصور ⁽²⁾ :
 جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ طَبِيباً يَدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِ
 (إبراهيم بن هانئ والشعر)

وكان إبراهيم [بن هانئ] لا يقيم شعراً ⁽³⁾ ، ولا أدري كيف أقام هذا البيت! وكان يدّعي بحضرة أبي إسحاق ⁽⁴⁾ علم الحِساب، والكلام، والهندسة، واللحون، وأنه يقول الشعر؛ فقال أبو إسحاق: نحن لم نمتحنك في هذه الأمور، فلك أن تدّعيها عندنا ⁽⁵⁾ . كيف صرّت تدّعي قول الشعر، وأنت إذا رويته لغيرك كسرتة؟! قال: فإنّي هكذا طبعْتُ، أن أقيمه إذا قلت، وأكسره إذا أنشدت! قال أبو إسحاق: ما بعدَ هذا الكلام كلام!

(جواب أعرابي)

وقلت لأعرابي، أيما أشدُّ غُلْمَةً: المرأةُ أو الرجل؟ فأنشد:
 فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلُ أَلَايَرِ أَدْنَى لِلْفَجُورِ أَوِ الْحَرِّ
 وقد جاءَ هذا مُرخياً من عنانه وأقبلَ هذا فاتحاً فاه يَهْدِرُ ⁽⁶⁾
 (مقطعات شتى)

وأنشد بعضهم:

أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا واكتسى الرأسُ من بياضِ قِنَاعَا
 ثم وَلَّى الشَّبَابُ إِلَّا قَلِيلاً ثم يَأْبَى ⁽⁷⁾ الْقَلِيلُ إِلَّا نَزَاعَا
 وأنشد محمد بن يسير ⁽⁸⁾ [لبعضهم]:

(1) ط، ل: «وأنشد»، وأثبت ما في ش موافقاً ما في الجزء السادس ص 155 .

(2) في الجزء السادس زيادة: «قبل أن يجن» .

(3) وكان ماجناً خليعاً كثير العبث متمرداً. انظر أخباره وأحاديثه في الجزء الأول من البيان 93-95 .

(4) هو النظام .

(5) ش: «عندها» .

(6) يهدر: من الهدير، وأصله تردد صوت البعير في حنجرتة . وفي ط، ش: «يهبر» بالباء محرفة . وهي على الصواب الذي أثبت في ل ومحاضرات الراغب (2: 118) وقد روى الخبر فيها مبدوءاً بقليل لقطرب - يعني النحوي .

(7) ط، ش: «يأتي» . وتصحيحه من ل والبيان (2: 334) .

(8) ط، ش: «يسر» وصوابه في ل . وقد سبقت ترجمته في الجزء الأول . والشعر في البيان (1: 198) مسبوق بعبارة: «وأنشد الأحوص بن محمد» .

قامت تُخاصرنِي لِقُبَّتِهَا⁽¹⁾ خَوْذُ تَأْطُرُ نَاعِمٍ بِكُرٍ⁽²⁾
كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّبابَ لَهُ فِي كُلِّ مَبْلَغٍ لَذَّةٌ عُذْرُ

وقال الآخرُ في خلاف ذلك، أنشدني محمد بن هاشم السُّدري⁽³⁾ :

فلا تعذّراني في الإساءة إنّه أشُرُّ الرِّجالِ مَنْ يسيءُ فيُعذّرُ⁽⁴⁾
وقال ابن فسوة⁽⁵⁾ :

فَلَيْتَ قَلُوصِي عُرِّيتَ أَوْ رَحَلْتَهَا إِلَى حَسَنٍ فِي دَارِهِ وَابْنِ جَعْفَرٍ⁽⁶⁾
إِلَى مَعْشَرٍ لَا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السُّبُتَ مَا لَمْ يُخْصَرْ⁽⁷⁾
وقال الطَّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ، وهو أَبُو نَفَرٍ⁽⁸⁾ :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلٍ
إِذَا مَا رَأَيْتُ قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي فَعَلَ الْعَارِفِ الْمُتَجَاهِلِ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةٌ حَابِلٍ⁽⁹⁾
وقال آخر :

إِذَا أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

- (1) جاء في البيان، من تفسير الجاحظ للبيت : «تخاصرنِي : آخذ بيدها وتأخذ بيدي». وكلمة : «لقبتُها» كذا جاءت بالأصل، ووردت في الجزء الأول من البيان وكذا في الثالث منه ص 341 : «بقتُها»، وفسرها الجاحظ في الجزء الأول بقوله : «والقنة (واحدة القنن . وهي) : المواضع الغليظة من الأرض في صلابة».
- (2) تأطر : تتأطر، أي تشئ وتتعطف. و«ناعم» هكذا جاءت في ط، ش. وفي ل والبيان : «غادة»، وفسرها الجاحظ بأنها الناعمة اللينة.
- (3) ط : «السديري» صوابه ما في ل، ش. ترجم له المرزباني في معجمه 431.
- (4) قال الجوهري في الصحاح : «لا يقال أشُرُّ إلا في لغة رديئة». وهكذا جاءت الرواية في ط، ل. وفي ش والجزء السابع ص 172 وكذا في أدب الدنيا والدين ص 31 : «شرار».
- (5) ط، ش : «ابن قُتْرَب» وصوابه ما أثبت من ل. والشعر في الأغاني (19: 144) وكذا البيان (3: 109) منسوب إلى ابن فسوة. وقد تقدمت ترجمته في الجزء الثاني ص 7.
- (6) كذا على الصواب في ل والأغاني. وفي ط : «إلى حرمي دارمي بن جعفر». وفي ش : «إلى حين مي درامي» والتحريف فيهما ظاهر. وفيهما أيضًا : «إذ رحلتها»، وهو خطأ صوابه في ل والأغاني.
- (7) السبت، بالكسر : الجلد المدبوغ، وكانت النعال السبّية خاصة بأهل النعمة من العرب. وانظر كلام الجاحظ في البيان 3: 109-113، والنعل المخصرة : المستدقة الوسط.
- (8) كذا في ل، وهو الصواب كما في الشعراء لابن قتيبة 140 والأغاني 10: 148، وفي ط : «نقير» وفي ش : «بقير» محرفتان. والطرمّاح : شاعر إسلامي في الدولة المروانية، ومولده ومنشؤه بالشام، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردوا من جيوش أهل الشام، فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة. وكان شاعرًا فصيحًا، يكثر في شعره الغريب. قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابي عن ثمانين عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرمّاح فلم يعرف واحدة منها. وكان صديقًا للكثير من الشعراء لا يكادان يتفارقان. انظر المرجعين المتقدمين والخزانة 3: 418 بولاق.
- (9) الحابل : من يصطاد بالحبال، وكفته، بالكسر، هي حبالته. في ط : «حائل». محرفة، صوابها في ل، ش والأغاني والشعراء. وللبيت نظير في اللسان (كفف).

وقال الخُرَيْمِيُّ (1) وَذَكَرَ عَمَاهُ (2) :

أَصْغِي إِلَى قَائِدِي لِيُخْبِرَنِي
أُرِيدُ أَنْ أَعْدِلَ السَّلَامَ وَأَنْ
أَسْمَعُ مَا لَا أَرَى فَأَكْرَهُ أَنْ
لِلَّهِ عَيْنِي الَّتِي فَجَعْتُ بِهَا
لَوْ كُنْتُ خَيْرْتُ مَا أَخَذْتُ بِهَا
وقال بعضُ القدماء (5) :

أَلَمْ تَرَ حَوْشَبَا أَضْحَى يُبْنِي
يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمَرُ نُوحٍ
وقال ابن عَبَّاسٍ بعد ما ذهب بصره (8) :

إِنْ بِأَخْذِ اللَّهِ مِنْ عَيْنِي نُورَهُمَا
قَلْبِي ذَكِّي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ
[وقال حَسَّانٌ يَذْكُرُ بَيَّانَ ابْنِ عَبَّاسٍ (10) :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرَكَ مَقَالاً وَلَمْ يَقِفْ
يَصْرِفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى
لِعَيٍّ وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
وَيَنْظُرُ فِي أَعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ]

(1) في الأصل وكذا معاهد التنصيص (1 : 87) : «الخزيمى» - بالزاي - وهو تحريف، صوابه في عيون الأخبار (57 : 4) ونكت الهميان 71، وقد تقدمت ترجمته، وتحقيق اسمه في الجزء الأول ص 164 .

(2) ل : «في عمى عينيه». وانظر الشعر والشعراء 830-831 .

(3) ش : «وأكره أن أخطئ» .

(4) كذا في ل والمراجع المتقدمة . وفي ط، ش : «دهراً تولى فما تواتينى» .

(5) لم أجد صاحب البيتين فيما لدى في المراجع . قالوا : لما بنى أبو العباس بناءه بالأخبار الذي يدعى رصافة أبي العباس ، قال لعبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي : ادخل وانظر . فدخل معه فلما رآه تمثل بالبيتين . معجم البلدان ، والأغاني (18 : 206) وعيون الأخبار (1 : 211) وقد عاتبه أبو العباس على ذلك ، كما في عيون الأخبار والعقد (3 : 269) .

(6) كذا في ل ، ش ومعظم الروايات . وفي ط وعيون الأخبار : «بقيلة» .

(7) ل : «يطرق كل ليلة» ، وهي رواية فريدة .

(8) كذا في ل ، وهو الصواب ، كما في نكت الهميان 71 نقلاً عن الجاحظ ، وكذا عيون الأخبار 4 : 56 والشعر والشعراء 830 ، ومعاهد التنصيص 1 : 87 والعقد 3 : 157 ، 390 وقد ذكر صاحب العقد سبب الشعر . وشذ أبو علي القالي في ذيل الأمالي ص 15 فنسب البيتين إلى حسان بن ثابت . وقد وجدتهما في ديوانه ص 165 ، ويروى البيتان أيضاً لأبي علي البصير كما في المستطرف 2 : 272 ولأبي العيناء في معجم الأدباء 18 : 203 ، وفي ط، ش : «وقال أبو يعقوب الخزيمى» ، وهو خطأ .

(9) ش : «فني لسانى وسمعى» وفي عيون الأخبار : «فني فؤادى وسمعى» .

(10) انظر معجم الأدباء 6 : 189 ، ولحسان بن ثابت أبيات أخرى يذكر فيها بيان ابن عباس . انظر البيان 1 : 330 .

(شعر في الخصب والجذب)

وقال بعض الأعراب يذكُر الخِصْب والجذب :

مُطِرْنَا فَلَمَّا أَنْ رَوَيْنَا تَهَادَرَتْ شَقَاشِقُ فِيهَا رَائِبٌ وَحَلِيبٌ
ورابت رجالاً مِنْ رجال ظِلَامَةٍ وَعُدَّتْ دُحُولٌ بَيْنَهُمْ وَذَنُوبٌ ⁽¹⁾
وَنُصَّتْ رِكَابٌ لِلصَّبَا فَتَرَوَّحَتْ لَهُنَّ بِمَا هَاجَ الْحَبِيبُ خَبِيبٌ ⁽²⁾
وَطَنَّ فَنَاءَ الْحَيِّ حَتَّى كَانَهُ رَحَى مَنْهَلٍ مِنْ كَرِهِنَّ نَحِيبٌ ⁽³⁾
بَنِي عَمَّنَا لَا تَعَجَّلُوا، يَنْضُبُ الثَّرَى قَلِيلًا وَيَشْفِي الْمَتَرَفِينَ طَبِيبٌ ⁽⁴⁾
فَلَوْقَدْ تَوَلَّى النَّبْتُ وَامْتِيرَتِ الْقُرَى وَحَنَّتْ رِكَابُ الْحَيِّ حِينَ تَثُوبٌ ⁽⁵⁾
وَصَارَ غَبُوقَ الْخُودِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا، ذُو جُدَّتَيْنِ مَشُوبٌ ⁽⁶⁾
[وَصَارَ الَّذِي فِي أَثْفِهِ خُنْزَوَانَةٌ يَنَادِي إِلَى هَادِي الرَّحَى فِيجِيبُ ⁽⁷⁾]
أُولَئِكَ أَيَّامٌ تُبَيِّنُ مَا الْفَتَى أَكَابَ سَكَيْتُ أَمْ أَشْمُ نَجِيبٌ

(شعر لأنس بن أبي إياس)

وقال: ولما وَلِيَ حَارِثَةُ بْنُ بَدْرِ سُرَّقَ ⁽⁸⁾، كَتَبَ إِلَيْهِ أَنَسُ بْنُ أَبِي إِيَّاسٍ ⁽⁹⁾ [الدِّيْلِي]:

- (1) ل: «ورامت رجال» و«دحول بيننا». وانظر الإمتاع والمؤانسة 1: 196-197 وديوان المعاني 2: 45.
- (2) «فتروحت» كذا في س والمخصص 10: 180، وفي ط، ل: «فتراجعت». وفي ط، ش: «هاج الحليب» وتصحيحه من ل والمخصص. قال ابن سيده: «أما قوله: ونصت ركاب للصبا، فإن طلب اللّهُو مما يبعث عليه الفراغ ورخاء البال». و«الحبيب» هنا بمعنى المحب، بكسر الحاء. و«خبيب» هي بالخاء المعجمة، ومعناها سرعة الجري. ل والمخصص: «حبيب» بالحاء، وليس بشيء. يقول: لتلك الركاب خبيب بما يهيج المحبين ويبعث أشواقهم.
- (3) ط: «وطن»، ل: «ودير» محرفتان. وفي ل أيضًا: «من كرهن لجيب».
- (4) عبارة تهكمية، وعنى بالطبيب هنا الجذب وشدة الزمان.
- (5) تولى: أخذ في الهيج. وامتيرت القرى: جلب ما فيها. ط، ش: «وابتزت القرى، وصوابه من ل والمخصص. وفي المخصص: «تثوب»، وهما بمعنى.
- (6) الغبوق، بالفتح: ما يشرب بالعشي. والخود: الشابة الحسنة الخلق. وفي ط، ش: «عنوق الجود» تحريف ما أثبت من ل والمخصص. والجدّة بالضم: الخط، وعنى بذو الجدتين اللبن يظهر فيه لونان، وذلك حين يكون مشوبًا، أي مخلوطًا بالماء. وفي ط، ش: «عشوب»، تحريف ما في ل.
- (7) الخنزوانة: الكبر. وهادي الرحي: مقبضها. وفي المخصص بياض يمكن سده مما هنا.
- (8) سرق، بالضم وتشديد الراء المفتوحة: إحدى كور الأهواز. وفي ط: «سرف» محرفة.
- (9) ويروى: «ابن إياس». وانظر القاموس (أنس) وجمهرة ابن حزم 184، وقصة الشعر مفصلة في أمالي المرتضى 2: 49-51 والعقد 2: 55 وزهر الآداب 4: 58 ومعجم البلدان برسم (سرق). وانظر رواية الأبيات في المراجع المتقدمة وكذا عيون الأخبار 1: 58، ومحاضرات الراغب 1: 83، والمفهوم أن الشعر الآتي مداعبة لا هجاء. ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله:

جزاك إله العرش خير جزائه فقد قلت معروفًا وأوصيت كافيا
أشرت بأمر لو أشرت بغيره لألفيتني فيه لأمرك عاصيا

أَحَارِبَنَّ بَدْرٍ قَدْ وَلَيْتَ وَلَايَةَ
وباهِ تَمِيمًا بِالْغِنَى، إِنَّ لِّلْغِنَى
[ولا تحقرنْ يا حَارِ شَيْئًا مَلَكْتَهُ
فإنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِمَّا مُكَذَّبٌ
يَقُولُونَ أَقْوَالَ وَلَا يَعْرِفُونَهَا
وقال بعض الأعراب :

فَلَمَّا رَأَيْنَا الْقَوْمَ ثَارُوا بِجَمْعِهِمْ
وَأَذْرَكْنَا مِنْ عِرٍّ⁽³⁾ قَيْسَ حَفِيزَةً
رَعَيْنَا الْحَدِيثَ وَهُوَ فِيهِمْ مُضَيِّعٌ⁽²⁾
ولا خَيْرَ فَيَمَنْ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
(نصيحة رجل لبعض السلاطين)

ويقال إنَّ رجلاً قال لبعض السلاطين : الدُّنْيَا بَمَا⁽⁴⁾ فيها حديث ، فإن اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ
مِنْ أَحْسَنِهَا حَدِيثًا فَافْعَلْ !

(أقوال مأثورة)

وقال حُذَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ لِمُصَاحِبِهِ⁽⁵⁾ يَوْمَ جَفَرِ الْهَبَاءِ⁽⁶⁾ ، حِينَ أَعْطَاهُمْ بِلْسَانِهِ مَا أُعْطِيَ : إِيَّاكَ
وَالْكَلَامَ الْمَأْثُورَ⁽⁷⁾ . وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :
كُلُّ يَوْمٍ كَأَنَّهُ يَوْمٌ أَضْحَى عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَوْ يَوْمٌ فِطْرٍ
وقال : وذكر لي بعضُ الْبَغْدَادِيِّينَ أَنَّهُ سَمِعَ مَدْيَنِيًّا مَرَّ بَبَابِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى - وَعَلَى بَابِهِ
جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ - فَقَالَ :

مَا لَقِينَا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعْرَاءَ
وقال الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ لِي خَلْفُ الْأَحْمَرِ : الْفَارِسِيُّ إِذَا تَطَرَّفَ⁽⁸⁾ تَسَاكَتَ ، وَالنَّبَّاطِيُّ إِذَا
تَطَرَّفَ أَكْثَرَ الْكَلَامِ .

(1) ل : « تهوى » .

(2) كذا في ل . وفي ط ، ش : « ساروا يجمعهم » و : « فينا مضيع » ، تحريف .

(3) ل : « عرق » .

(4) ش : « وما » .

(5) هو أخوه حمل بن بدر ، كما في العقد 3 : 316 .

(6) كان هذا اليوم لعيس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة ، وأخوه حمل ، سيدا بني فزارة . والعمدة 2 : 161 ، والعقد
3 : 316 وكامل ابن الأثير 1 : 352 ، وفي ط : « الهباء » ، وهو على الصواب في ش ، ل .

(7) المأثور : الذي ينقله الخلف عن السلف . وفي ش : « المائق » ، وفي ط : « السائر » والأشبه ما أثبت من ل : موافقاً
لما في العقد .

(8) تطرف : تكلف الظرف . وفي ط ، ل : « تطرف » . وصوابه من ش .

وقال الأصمعي: [قال رجل] لأعرابي: كيف فلان فيكم؟ قال: مرزوقٌ أحمق! قال: هذا الرجلُ الكامل.

قال: وقال أعرابي لرجل: كيف فلان فيكم؟ قال: غنيٌّ حَظِيٌّ⁽¹⁾ قال: هذا من أهل الجنة!

(السواد والبياض في البادية)

الأصمعي قال: أخبرني جوسق قال: كان يقال بالبدو: «إذا ظهرَ البياضُ قلَّ السَّوادُ، وإذا ظهرَ السَّوادُ قلَّ البياضُ». قال الأصمعي: يعني بالسَّواد التَّمَرُ، وبالبياض اللَّبَنُ والأَقْطُ⁽²⁾. يقول: إذا كانت السَّنةُ مُخْصِبةً كثر الأَقْطُ واللَّبَنُ وقلَّ التَّمَرُ، وإذا كانت السَّنةُ مجدبةً كثر التَّمَرُ وقلَّ اللَّبَنُ [والأَقْطُ]. وقال: إذا كان العام خصبياً⁽³⁾ ظهر [في صدقة الفطر] البياضُ، يعني الأَقْطُ؛ وإذا كان جديباً⁽⁴⁾ ظهر السَّوادُ، يعني التمر. وتقول الفُرس: إذا زحرت الأودية بالماء كثر التَّمَرُ⁽⁵⁾، وإذا اشتدَّت الرياحُ كثر الحَبُّ.

(قول في أثر الريح في المطر)

وحدثني محمد بن سلام⁽⁶⁾، عن شُعيب بن حَجَر⁽⁷⁾، قال: جاء رجلٌ على فرسٍ فوقَفَ بماءٍ من مياه العرب فقال: أعندكم الرِّيحُ التي تكبُّ البعير⁽⁸⁾؟ قالوا: لا. قال: فتدري الفارس⁽⁹⁾؟ قالوا: لا. قال: فكما تكونون يكون مطركم.

وحدثني العُثْبِيُّ⁽¹⁰⁾ قال: هَجَمْتُ على بطن بين جبلين، فلم أرَ وادياً أخصبَ منه، وإذا رجالٌ يترگلون⁽¹¹⁾ على مَساحيهم، وإذا وجوهٌ مهَجَّنة، وألوانٌ فاسدة، فقلتُ: وادِيكُمْ أخصبُ وادٍ، وأنتم لا تشبهون المَخاصِبَ⁽¹²⁾ قال: فقال شيخٌ منهم: ليس لنا ريح.

(1) ط، ش: «غني حظي»، والوجه ما أثبت من ل.

(2) الأَقْطُ: شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمتص.

(3) ط: «خصباً».

(4) ط، ش: «جديباً».

(5) ط: «السمن»، وأثبت ما في ش، ل.

(6) ل: «وحدث محمد بن سلام. ومحمد بن سلام هذا هو الجمحي صاحب الطبقات، كان من أئمة الأدب البصريين، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين. لسان الميزان (5: 182).

(7) ل: «صخر».

(8) تكب البعير: تقلبه وتصرعه.

(9) ذرت الريح الشيء وأذرت: أطارته.

(10) ل: «القيني»، وهو تحريف نبهنا عليه كثيراً.

(11) في القاموس: «تركل بمسحاته: ضربها برجله لتدخل في الأرض». في ط: «يتوكأون»، وفي ط: «يتوكلون»، وأثبت ما في ل.

(12) المخاصيب: جمع مخصب أو مخصاب. وفي ط فقط: «المخاصب».

(شعر في الخصب)

وقال النمر بن تولب :

كَأَنَّ حَمْدَةَ⁽¹⁾ ، أَوْ عَزَّتْ لَهَا شَبَهَا
مِثْنَاءُ جَادٍ عَلَيْهَا وَابِلٌ هَطْلٌ
إِذَا يَجْفُ ثَرَاهَا بَلَّهَا دِيمٌ
لَمْ يَزْعَمَهَا أَحَدٌ وَارِبَتْهَا زَمْنَا⁽³⁾
تَسْمَعُ لِلطَّيْرِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلًا
كَأَنَّ رِيحَ خُرَامَاهَا وَحْنَوْتَهَا
فِي الْعَيْنِ يَوْمًا تَلَاقَيْنَا بِأَرْمَامٍ
فَأَمْرَعَتْ لَاحْتِيَالٍ فَرَطُ أَعْوَامٍ⁽²⁾
مِنْ كَوَكَبٍ بَزَلٍ بِالْمَاءِ سَجَامٍ
فَأَوْ مِنْ الْأَرْضِ مُحْفُوفٍ بِأَعْلَامٍ⁽⁴⁾
كَأَنَّ أَصْوَاتَهَا أَصَوَاتُ جُرَّامٍ⁽⁵⁾
بِاللَّيْلِ رِيحٌ يَلَنُجُوجٍ وَأَهْضَامٍ⁽⁶⁾
قال : فلم يدع معني من أجله يخصب الوادي ويعتم نبته إلا ذكره . وصدق النمر !
وقال الأسدي في ذكر الخصب ورطوبة الأشجار⁽⁸⁾ ولذونة الأغصان وكثرة الماء :
وَكَأَنَّ أَرْحُلَنَا بِحَوْ مُحْصَبٍ
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْخُرَامِي عَرْفَجًا
بِلَوَى عُنِيزَةٍ مِنْ مَقِيلِ الثَّرْمُسِ⁽⁹⁾
يَأْتِيكَ قَابِسُ أَهْلِهِ لَمْ يُقْبَسِ⁽¹⁰⁾
ذهب إلى أنه قد بلغ من الرطوبة في أغصانه وعيدانه⁽¹¹⁾ ، أنها إذا حُكَّ بعضها ببعض لم
يقدح⁽¹²⁾ . وفي شبيه بذلك يقول الآخر⁽¹³⁾ ، وذهب إلى كثرة الألوان⁽¹⁴⁾ والأزهار والأنوار :

(1) ل فقط : «جمرة» .

(2) لاحتيال : أي بعد احتيال . والاحتيال : مرور الأحوال . وفرط أعوام : بعد أعوام ، قال لبيد :

هل النفس إلا متعة مستعارة تعار فتأتي ربها فرط أشهر

وفي ط ، ش : «بعد أعوام» .

(3) كذا ، وفي اللسان مادة (فأو) : «وأكنتم روضتها» .

(4) الفأو : بطن تطيف به الرمال يكون مستطيلاً . ط : «فأوا» .

(5) الجرام : الذين يصرمون التمر ، أي يقطعونه . وقد عنى الأنباط . وفي ط ، ش : «حوام» محرف .

(6) الخزامى والحنوة : نباتان طبيبان الرائحة . والينجوج : العود الهندي الذي يستعمل في البخور . وفي ط : «يلتنجوج» محرفة . والأهضام : واحداه هضم بالكسر ، وهضم بالفتح ، وهضمة ، وهو كل شيء يتبخر به غير العود واللبن .

(7) في ل : «وصدق حديث القيني في قوله : فأومن الأرض محفوف بأعلام» . وليس بشيء .

(8) كذا في ل : وفي ط ، ش : «الأشعاب» محرف . وفي البيان (3 : 34) : «الورق» . وفي الحيوان 4 : 283 أن الشعر للمرار بن متقد .

(9) في الأصل : «أرجلنا» وصوابه من البيان والمخصص (10 : 133) . والجو : ما انخفض من الأرض . والمحصب : موضع بين مكة ومنى . ورواية المخصص : بوهد مخصب يمني عنيزة ، والوهد : المنخفض . وهذه الرواية أجود . والترمس : ماء لبنى أسد . والمقيل : موضع القيلولة حيث يتوافر الظل . ورواية المخصص : «مفيض» ، بمعنى موضع الفيضان .

(10) كذا في ل والمخصص (10 : 176 ، 11 : 32) . وفي ط ، ش والبيان : «أهلها» .

(11) ل : «من رطوبة أغصانها وعيدانها» .

(12) ش : «تقدح» .

(13) ل : «جبرير» .

(14) ليست في ل .

[كانت لنا مِنْ غَطْفَانٍ جَارَةٍ] كأنها من دَبَلٍ وشاره⁽¹⁾
والحلي حلي التبر والحجاره⁽²⁾ مَدْفَعٌ مَيْشَاءٌ إِلَى قَرَارَةٍ⁽³⁾
[ثم قال:

إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جاره⁽⁴⁾

وقال بشار:

وحديث كأنه قَطَعُ الرَّوِّ ض وفيه الحمرَاء والصفرَاء

باب من الفطن وفهم الرطانات والكنايات والفهم والإفهام

(حديث المرأة التي طرقها اللصوص)

الأصمعي قال: كانت امرأة [تنزل] متنحية من الحي، وتحب العزلة وكان لها غنم، فطرقها اللصوص فقالت لأمتها⁽⁵⁾: اخرجي! مَنْ هاهنا؟ [قالت: هاهنا] حيّان، والحمارس⁽⁶⁾، وعامر⁽⁷⁾، والحارث، ورأس عَنَز⁽⁸⁾ وشادن⁽⁹⁾. وراعيًا بهمنا⁽¹⁰⁾. [فنحن ما أولئك. أي: فنحن أولئك]. فلما سمعوا ذلك ظنوا أن عندها بنيها. وقال الأصمعي مرة⁽¹¹⁾: فلما سمعت جِسْمهم قالت [لأمتها]: اخرجي سُلْحَ بَنِي من هاهنا. قال: وسُلْحَ جمع سُلَاح⁽¹²⁾. وحيّان والحمارس⁽¹³⁾: أسماء تُوس لها.

(قصة الممهورة الشياه والخمر)

قال الأصمعي: تزوّج رجل امرأة فساق إليها مهرها ثلاثين شاة، وبعث بها رسولاً، وبعث بزق خمر. فعمد الرسول فذبح شاة في الطريق فأكلها، وشرب بعض الزق. فلما أتى المرأة نظرت إلى تسع وعشرين ورأت الزق ناقصاً، فعلمت أن الرجل لا يبعث إلا بثلاثين وزق⁽¹⁴⁾

- (1) الدبل: بالتحريك: أصله في البعير أن يمتلئ شحمًا ولحمًا. وفي ط، ش «زبل» محرفة. والشارة: السمن، أو حسن الهيئة، وفي المخصص واللسان (مادة حلي) «كأنها من حسن وشاره».
- (2) استشهد بهذا البيت ابن سيده في المخصص (4: 40) على أن الحلي ما يتزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة.
- (3) الميثاء: الأرض اللينة. والقاراة: المطمئن من الأرض. والمدفع: المجري.
- (4) البيت في أمثال الميداني (1: 43) مع أبيات أخرى منسوبة إلى سهل بن مالك الفزاري.
- (5) ط، ش: «لابنتها»، وأثبت ما في ل. (6) ل: «الحتراس».
- (7) ط، ش: «وعامراً»، محرفة.
- (8) ط فقط: «عتر»، ولها وجه؛ فالعتر بالكسر: كل ما ذبح.
- (9) ط، ش: «بارق».
- (10) ط، ش: «وراعينا بيهسا»، تحريف ما في ل.
- (11) الكلام من «فلما سمعوا» ساقط من ل. (12) السلاح، بالضم: النجو.
- (13) ل: «الحتراس». وكما أن الوجه أن يضاف «عامر والحارث» إلى الكلام ليتحقق معنى الجمعية.
- (14) ط، ش: «وزقا».

مملوءٍ فقالت للرسول: قل لصاحبك⁽¹⁾: إن سُحيمًا قد رُثِمَ⁽²⁾، وإن رسولك جاءنا في المحاق! فلما أتاه الرسولُ بالرسالة: قال يا عدو الله، أكلت من الثلاثين شاةً شاةً، وشربت من رأس الزُّق! فاعترف [بذلك]⁽³⁾.

(قصة العنبري الأسير)

الأصمعيُّ قال: أخبرني شيخٌ من بني العنبر قال: أسر بنو شيبان رجلًا من بني العنبر، قال: دعوني حتى⁽⁴⁾ أرسل إلى أهلي ليفدوني⁽⁵⁾. قالوا: على ألا تكلم الرسولَ إلّا بين أيدينا. قال: نعم. قال: فقال للرسول، أئت أهلي فقل: إن الشجر قد أوزق. وقل: إن النساء قد اشتكت وخرزت القرب⁽⁶⁾. ثم قال له: أتتعقل؟ قال: نعم. قال: إن كنت تعقل فما هذا؟ قال: الليل. قال: أراك تعقل! انطلق إلى أهلي فقل لهم: عرّوا جملي الأصهب، واركبوا ناقتي الحمراء، وسلوا حارثًا عن أمري - وكان حارثٌ صديقًا له - فذهب الرسولُ فأخبرهم، فدعوا حارثًا فقص عليه الرسولُ القصّة، فقال أما قوله: «إن الشجر قد أوزق» فقد تسلّح القوم. وأما قوله: «إن النساء قد اشتكت وخرزت القرب»⁽⁷⁾ فيقول: قد اتخذت الشكا⁽⁸⁾ وخرزت القرب للغزو. وأما قوله: «هذا الليل» فإنه يقول: أتاكم جيشٌ مثل الليل. وأما قوله: «عرّوا جملي الأصهب»⁽⁹⁾ فيقول: ارتحلوا عن الصّمان. وأما قوله: «اركبوا ناقتي الحمراء» فيقول: انزلوا الدّهناء. وكان القوم قد تهيّئوا لغزوهم، فخافوا أن يُنذرهم، [فأنذرهم] وهم لا يشعرون، فجاء القوم يطلبونهم فلم يجدوهم⁽¹⁰⁾.

(1) ل: «قل له».

(2) رثم: كسر أنفه أو فوه حتى تقطر منه الدم، أو لطح بالدم.

(3) هذه الزيادة من سن فقط. والخبر في البيان (211: 3) برواية أخرى، وقد عين اسم الرجل بأنه قسامة بن زهير العنبري. وانظر كذلك كنايات الجرجاني 63 ومحاضرات الراغب (1: 67) حيث نسب الخبر في الأخيرة إلى امرئ القيس.

(4) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(5) ط، ش: «إلى صاحبي»، وفي ط فقط: «يفدونني».

(6) هذه الجملة ليست في ل. وهي في أصلها: «وجرت القرب» وليس لذلك وجه، وقد اعتمدت في تصحيحها على ما في كامل ابن الأثير 1: 384 والمراد بالخز هنا الإصلاح استعدادًا للحرب.

(7) ش فقط: «وجرت القرب للغزو»، والكلمة الأخيرة تفسد الكلام، وتصحيحه كلمة «جرت» هنا وفيما سيأتي قريبًا، اعتمدت فيه على ما في الكامل.

(8) الشكا، بالكسر: جمع شكوة بالفتح: وعاء للماء أو اللبن من آدم.

(9) ط، ش: «جمالي» وتصحيحه من ل.

(10) هذا الخبر أورده ابن عبد ربه في العقد 3: 330-331 في بدء كلامه على يوم الوقيط، وكذلك ابن الأثير، بصورة مفصلة. وهو أيضًا في أمالي القالي: 1: 6 والمرتضى 1: 12 والعمدة 1: 211 ومحاضرات الراغب 1: 67 والمزهر 1: 333 وكنايات الجرجاني 64 ومعاني الأسنانداني 57 وطرز المجالس 254 والملاحن 4 وأخبار الظراف 70 والمستطرف 1: 42.

(قصة العطاردي)

وكذلك؛ صنع العطاردي في شأن [شعب] جبلة، وهو كرب بن صفوان؛ وذلك أنه حين لم يرجع لهم قولاً حين سألوه أن يقول، ورمى بصرتين في إحداهما شوك، والأخرى تراب، فقال قيس بن زهير: هذا رجل مأخوذ عليه ألا يتكلم، وهو ينذرُكم عدداً⁽¹⁾ وشوكة⁽²⁾. قال الله عز وجل: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: 7].

(شعر في صفة الخيل والجيش)

قال أبو نخيلة⁽³⁾:

لما رأيت الدين دينا يؤفك
يُفتق من أعراضها ويهتك⁽⁵⁾
وأمسيت القبة لا تستمسك⁽⁴⁾
سرت من الباب فطار الدكدك⁽⁶⁾
منها الدجوجي، ومنها الأرمك⁽⁷⁾
كالليل إلا أنها تحرك

وقال منصور النمرى:

ليل من النفع لا شمس ولا قمر
إلا جبينك والمذروبة الشرع⁽⁸⁾
وقال آخر:

كانهم ليل إذا استنفروا⁽⁹⁾
أو لجة ليس لها ساحل
وقال العجاج⁽¹⁰⁾:

كانما زهاؤه إذا جهر⁽¹¹⁾
ليل ورز وغره إذا وعز⁽¹²⁾

- (1) أي عدواً كثير العدد، وقد أشار إليه بالتراب، وفي ط، ش: «غدرًا» وليس بشيء.
- (2) الشوكة: البأس والقوة. ش: «أو شوكة». والخبر مع بسط كبير، في كامل ابن الأثير 1: 355-356.
- (3) في الأصل: «ابن نخيلة»، وليس يعرف شاعر أو راجز بهذا الاسم. وأبو نخيلة تقدمت ترجمته في 2: 59.
- (4) ط: «لا تمسك».
- (5) ط، ش: «أو يهتك».
- (6) الدكدك: ما تكبس واستوى من الرمل، أو ما التبذ منه بالأرض، في ط، ش: «قطار دكدك»، وفي ل: «فسار الدكدك»، وقد جمعت بينهما بما ترى.
- (7) الدجوجي: الشديد السواد. والأرمك: الذي يخالط حمرة سواد، وقد تكلم العسكري في هذا البيت والذي بعده. وهما في صفة الخيل. الصناعتين 397.
- (8) المذروبة: المحددة. وفي ط، ش: «المدرية»، وهو تحريف ما أثبت من ل وديوان المعاني 2: 67.
- (9) استنفروا: دعوا للقتال والنصرة. في ط: «استفروا» وصوابه في ش، ل.
- (10) ط: «وقال آخر». وأثبت ما في ش، ل.
- (11) زهاؤه: قدره. وفي ط، ش: «نهاره» وصوابه من ل: وديوان المعاني 2: 71، وجهر: نظر إليه باستعظام. ورواية ديوان المعاني واللسان (مادة جهر، وغر): «لمن جهر». والشعر في نعت جيش.
- (12) الرز، بالكسر: الصوت. ووغر الجيش: صوتهم وجلبتهم. وفي ط، ش: «وزور وعرة إذا وعز»، وهو تشويه إصلاحه من ل وديوان المعاني واللسان.

سارِ سَرَى مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ فَجَرِ (1)

وفي هذا الباب وليس منه (2) يقول بشار:

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ (3) وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
وقال عمرو بن كلثوم:

تَبَنِي سَنَابِكُهُمْ مِنْ فَوْقِ أَرْؤُسِهِمْ (4) سَقَفًا كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمَبَاتِيرُ
وهذا المعنى قد غلب عليه بشار، كما غلب عترة على قوله:

فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يُغْنِي وَحْدَهُ هَزَجًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتَرْنِمِ
غَرِدًا بِحُكِّ ذِرَاعِهِ بِذِرَاعِهِ فِعْلُ الْمُكِبِّ عَلَى الرِّزَادِ الْأَجْدَمِ
فلو أَنَّ امرأ القيس عَرَضَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَعَتَرَهُ لَافْتَضَحَ.

(مقطعات شتى)

وقال بعضهم [في] غير هذا [المعنى]:

وَفَلَاةٌ كَأَنَّمَا اشْتَمَلَ اللَّيْلُ لُ عَلَى رَكِبِهَا بِأَبْنَاءِ حَامِ (5)
خَضَتْ فِيهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ بِالرَّ قَةً (6) بَحْرَى: ظَهِيرَةٌ وَظَلَامٌ
وقال العرجي (7):

سَمَّيْتَنِي خَلْقًا بِخَلَّةٍ قَدَمْتُ (8) وَلَا جَدِيدَ إِذَا لَمْ يُلْبَسِ الْخَلْقُ
يَأْيَهَا الْمَتَحَلَّى غَيْرَ شِيمَتِهِ وَمِنْ خَلَائِقِهِ الْإِقْصَادُ وَالْمَلَقُ (9)
ارْجِعْ إِلَى خِيَمِكَ الْمَعْرُوفِ دَيْدَنَهُ إِنْ التَّخَلَّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ (10)
وقال آخر (11):

(1) ل: «فجر»، وي الأصل: «العرير» صوابه في ديوان العجاج 18 وديوان المعاني والمخصص 16: 185، قال ابن سيده: والعين: ما عن يمين قبلة العراق.

(2) ل: «به».

(3) ط، ش: «كأنما النقع يومًا فوق أرووسهم»، وبذلك يختل الوزن، وأثبت ما في ل وعيون الأخبار 2: 190، ومشهور الرواية: «فوق رؤوسنا». انظر الوساطة 237 وحامسة ابن الشجري 234.

(4) ط، ش: «سقف» صوابه في ل.

(5) حام: أحد أبناء نوح. وإليه ينسب السودان، والزنوج، والأحباش، والنوبة.

(6) الرقة: مدينة على الفرات. ط، ش: «بالشرفة» تحريف.

(7) ط، ش: «وقال آخر»، وأثبت ما في ل موافقًا لما في العقد 2: 24 وزهر الآداب 1: 77 والشعراء 138، ويروى الشعر أيضًا لسالم بن ابضة كما في البيان 1: 233 ونوادر أبي زيد 181، وهو بدون نسبة في مجالس ثعلب 300.

(8) ط: «بحلة قدحت» ش: «لحلة قدمت»، وأثبت ما في ل.

(9) الإقصاد، لعله من أقصدت الحية: لدغت فقتلت.

(10) الخيم؛ بالكسر: السجية.

(11) هو مهلهل، كما سيأتي، وكما في ديوان المعاني 1: 204 والصناعتين 194.

وَأَدَى الْخِيَارُ مِنَ الْمَعَاشِرِ كُلِّهِمْ وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يَا كَلَيْبُ الْمَجْلِسُ
وَتَنَازَعُوا فِي كُلِّ أَمْرٍ عَظِيمَةٍ لَوْ قَدْ تَكُونُ شَهِدَتْهُمْ لَمْ يَنْبَسُوا⁽¹⁾

وأبيات أبي نواس - على أنه مولد شاطر - أشعر من شعر مهلهل في إطراق الناس في مجلس كليب، وهو قوله⁽²⁾:

على خبز إسماعيلَ واقية البخل⁽³⁾ وقد حلَّ في دار الأمان من الأكل
وما خبره إلا كآوي يرى ابنها ولم تر آوى في الحزون ولا السهل
وما خبره إلا كعنقاء مغرب تصوّر في بسط الملوك وفي المثل
يحدث عنها الناس من غير رؤية سوى صورة ما أن تمر ولا تحلى
وما خبره إلا كليب بن وائل ليالي يحمي عزه منبت البقل
وإذ هو لا يستب خضمان عنده ولا القول مرفوع بجذ ولا هزل
فإن خبر إسماعيل حل به الذي أصاب كليباً لم يكن ذاك عن بذل⁽⁴⁾
ولكن قضاء ليس يُسطاع دفعه بحيلة ذي دهي ولا فكر ذي عقل⁽⁵⁾

(شعر العرب والمولدين)

والقضية التي لا احتشم منها⁽⁶⁾، ولا أهاب الخصومة⁽⁷⁾ فيها: أن⁽⁸⁾ عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب، أشعر من [عامة] شعراء الأمصار والقرى، من المولدة⁽⁹⁾.

(1) ل: «لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا».

(2) يهجو إسماعيل بن أبي سهل بن نيبخت، كما في الديوان 171 وأخبار أبي نواس 127 وثمار القلوب 77، قال الجاحظ: «وكان أبو نواس يرتعي على خوان إسماعيل بن نيبخت كما ترتعي الإبل في الحمض بعد طول الخلة، ثم كان جزاؤه منه أنه قال:

خبز إسماعيل كالوشح ي إذا ما شق يرفنا

وقال:

وما خبره إلا كليب بن وائل ليالي يحمي عزه منبت البقل

البخلاء 59، وفي رسالة الحاسد والمحسود ص 10: «وكان الحسن بن هانئ يرتع على مائدة إسماعيل الهاشمي، وكان من المطعمين للطعام المسرفين، فعارض الحسن بن هانئ يوماً بعض أصحابه فقال له: من أين؟ فقال: من عند إسماعيل. فقال له: ما أطعمكم؟ فقال: أطعنا دماغ كلب في قحف خنزير. فلم يكن منه هذا القول إلا على وجه الحسد».

(3) انفرد ابن منظور في أخبار أبي نواس برواية: «واقية النحل»، كما يقال: «واقية الكلاب».

(4) في ديوان المعاني والثمار: «عن ذل»، وفي الديوان: «من ذل»، وأنا أرتضي ما هنا.

(5) ل: «بحيلة ذي مكر ولا دهي ذي عقل». والدهي: الدهاء.

(6) كذا في ش، ل. وفي ط: «والقصيدة هذه احتشم منها» محرفة.

(7) ط، ش: «ولا أطلب الخصومة»، ل: «ولا أهاب الخصوم»، وقد عدلت القول بما ترى.

(8) ط: «إذا»، وتصحيحه من ش، ل. (9) ل: «المولدين».

والنابتة⁽¹⁾. وليس ذلك بواجبٍ لهم في كلِّ ما قالوه⁽²⁾. وقد رأيت ناساً منهم⁽³⁾ يهـرجون أشعارَ المولَّدين، ويستسقُّون مَنْ رواها. ولم أر ذلك قطُّ إلاَّ في رَاوِيَةِ للشَّعرِ غيرِ بصيرٍ بجوهر ما يروي. ولو كان له بصراً⁽⁴⁾ لعرف موضعَ الجيدِ ممَّن كان، وفي أيِّ زمان كان. وأنا رأيتُ⁽⁵⁾ أبا عمرو [الشيباني] وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين، ونحنُ في المسجد يوم الجمعة، أن كلَّف رجلاً حتى أحضره دواةً وقرطاساً حتَّى كتبهما له. وأنا أزعِمُ أنَّ صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً. ولو أن أدخل في [الحكم] بعض الفتك⁽⁶⁾ لزعمتُ أنَّ ابنه لا يقول شعراً أبداً⁽⁷⁾، وهما قوله:

لا تحسبنَّ الموتَ موتَ البلى فإِنَّمَا المَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالِ⁽⁸⁾
كلاهما موتٌ ولكِنَّ ذَا أفْطَعَ من ذاك لذلِّ السُّؤَالِ⁽⁹⁾
(القول في المعنى واللفظ)

وذهب الشَّيْخُ إلى استحسانِ المعنى، والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقرويُّ، [والمديني]. وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن، وتخثيرُ اللفظ⁽¹⁰⁾، وسهولةُ المخرج⁽¹¹⁾، [وكثرةُ الماء]، وفي صحَّةِ الطَّبع وجوْدَةُ السَّبكِ⁽¹²⁾، فإنَّما الشعرُ صناعةٌ⁽¹³⁾، وضربٌ من النَّسج⁽¹⁴⁾، وجنسٌ من التَّصوير.

وقد قيل للخليل بن أحمد: مالك لا تقولُ الشعرَ؟ قال: «الذي يجيئني لا أرضاه، والذي أرضاه لا يجيئني».

فأنا أستحسنُ هذا الكلام، كما أستحسنُ جوابَ الأعرابيِّ حين قيل له: كيف تجدُكَ؟ قال: [أجدني] أجدُ ما لا أشتَهي، وأشتَهي ما لا أجدُ!

- (1) ط: «والثانية» ول «الثانية» ش: «الثانية»، والوجه ما أثبت.
- (2) ط، ل: «فيما قالوه»، والوجه ما كتبت من ش.
- (3) ط: «نشائهم» ش: «نسائهم» ل: «ناساً»، ولعل الصواب فيما أثبت.
- (4) ل: «ولد»، وهو تحريف ظاهر.
- (5) كذا في ل. وفي ط، ش: «قد سمعت».
- (6) الفتك: المجون. وفي ط، ش: «القليل».
- (7) كذا في ل. وفي ط، ش: «لزعمت أن ابنه أشعر منه».
- (8) كذا في ل. وفي ط، ش: «وإنما».
- (9) كذا في ط، ش والبيان (2: 171). وفي ل: «أشد من ذاك على كل حال». وفي المستطرف (2: 53): «أخف من ذاك لذل السؤال». ومن العجب أن ينعي الجاحظ على أبي عمرو استحسانه هنا، ثم يقع هو فيما عابه على غيره فيجعل البيتين في مختارات البيان والتبيين.
- (10) كذا في ل. وفي ط: «تميز» وفي ش: «وتخثير».
- (11) ط: «وسهولته وسهولة المخرج».
- (12) ل: «وجودة السبك وصحة الطبع» مع إسقاط «صحة الطبع» مما سبق.
- (13) ل: «صياغة».
- (14) ط فقط: «الصبع».

(شعر ابن المقفع)

وقيل لابن المقفع: مالك لا تجوز⁽¹⁾ البيت والبيتين والثلاثة! قال: إن جُرْتُها⁽²⁾ عَرَفُوا صاحبها. فقال له السائل: وما عليك أن تُعرف بالطَّوَالِ الجياد؟! [فعلم أنه لم يفهم عنه].

(الفرق بين المولّد والأعرابي)

ونقول: إن⁽³⁾ الفرق بين المولّد والأعرابي: أنَّ المولّد يقول⁽⁴⁾ بنشاطه وجمع⁽⁵⁾ باله، الأبيات⁽⁶⁾ اللاحقة بأشعار أهل البدو، فإذا⁽⁷⁾ أَمَعَن انحَلَّت قوَّته، واضطرب كلامه.

(شعر في تعظيم الأشراف)

وفي شبيهه بمعنى مهلهل وأبي نُوَاس، في التَّعْظِيم والإطراق عند السَّادة، يقول الشاعر⁽⁸⁾ في بعض بني مروان:

في كَفِّهِ خَيْرُ زُرَّانٍ رِيحُهُ عَبِقُ في كَفِّ أَرْوَغٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ⁽⁹⁾
يَغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يَكْلَمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمْ وَإِنْ تَكَلَّمَ بِوَمًا سَاخَتْ الْكَلِمُ
كَمْ هَاتِفٍ بِكَ مِنْ دَاعٍ وَهَاتِفَةٍ يَدْعُوكَ يَا قَتْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قَتْمَ⁽¹⁰⁾
وقال أبو نواس في مثل ذلك⁽¹¹⁾:

فَتَرَى السَّادَاتِ مَائِلَةً⁽¹²⁾ لِسَلِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَمَرَةٍ

(1) أي تتجاوز. وفي ط، ش: «تجود» محرفة.

(2) كذا في ل. وفي ط، ش: «جودتها» وهو تحريف.

(3) ل: «لأن الفرق» مع حذف: «ونقول». (4) ش: «يقوم» وهو تحريف.

(5) ط: «وجميع»، والوجه ما أثبت من ش، ل.

(6) كذا في ل. وبدلها في ط، ش: «فيشبه».

(7) ط، ش: «وإذا».

(8) هو الفرزدق يقوله في هشام بن عبد الملك كما في أمالي المرتضى (1: 48) وزهر الآداب (1: 60)، أو الحزین الكناني في عبد الملك بن مروان كما في ديوان الحماسة (2: 284). أو للفرزدق في علي بن الحسين كما في العمدة (2: 110) وأمالي المرتضى. أو للعين المنقري فيه، كما في العمدة. أو لكثير بن كثير السهمي في محمد ابن علي بن الحسين. المؤتلف 169، أو لداود بن سلم في قثم بن العباس، كما في العمدة. وهذا مثل لمقدار اختلاف الرواة في نسبة الشعر. وقد سكت الجاحظ عن النسبة هنا، وكذلك في البيان (1: 370، 3: 41) وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار (1: 294، 2: 196) تحفظاً منهما.

(9) ل، ش: «ريحها».

(10) هذا البيت ساقط من ل.

(11) يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور، كما في الديوان 66 من قصيدته المشهورة التي مطلعها:

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ مِنْ عَفْرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ

(12) مائلة: واقفة، يعني إجلالاً له. وهذه رواية ل. والديوان. وفي ط، ش: «مائلة»، والميل علامة الخضوع.

فَهُمْ شَتَّى ظُنُونُهُمْ حَذَرَ الْمَطْوِيِّ مِنْ خَبَرِهِ⁽¹⁾

وقال إبراهيم بن هرمة في مديح المنصور، وهو شبيه بهذا وليس منه:

له لحظات عن حفا في سريرته⁽²⁾ إذا كرها فيها عقاب ونائل⁽³⁾

فأُمّ الذي أمنت أمانة الردي وأُمّ الذي أوعدت بالثكل تاكل⁽⁴⁾

(شعر في الحلف والعقد)

وقال مهلهل، وهو يقع في باب الحلف وكَّد بعقد⁽⁵⁾:

[ملنا على وائل وأفلتنا يؤمأ عدي جريعة الذقن]⁽⁶⁾

دفعت عنه الرماح مجتهداً حفظاً لحلفي وحلف ذي يمن⁽⁷⁾

أذكر من عهدنا وعهدهم عهداً وثيقاً بمنحر البدن

مابل بحر كفا بصوفتها⁽⁸⁾ وما أناف الهضاب من حصن⁽⁹⁾

يزيده الليل والنهار معاً شداً، خراط الجموح في الشطن⁽¹⁰⁾

(شعر في مصرع عمرو بن هند)

وقال جابر بن حني⁽¹¹⁾ التغلبي:

ولسنا كأقوام قريب محلهم ولسنا كمن يرضيكم بالتملق⁽¹²⁾

فسائل شرحبلاً بنا ومحلاً غداة نكر الخيل في كل خندق⁽¹³⁾

(1) في الديوان: «حذر المكنون من فكره».

(2) كذا في ش والعقد (1: 320 تأليف) وعيون الأخبار (1: 294) وفي ل: «عن حفا من» وفي ط: «في خفا من».

وفي العقد (6: 351 تأليف): «عن خفاء سريرة». وفي العمدة (2: 109): «عن خفا في سريرته».

(3) ش: «فيه عقاب» وهو تحريف.

(4) ط: «أتمته الردي» وتصحيحه من ش، ل. وفي ل: «حاولت بالثكل». وفي ش: «أثكلت».

(5) ط فقط: «في باب حلف». ل فقط: «وكيف يعقد».

(6) يقال في المثل: أفلتني جريعة الذقن، إذا كان قريباً منك كقرب الجرعة من الذقن ثم أفلتتك، وهو يضرب مثلاً

لإفلات الجبان. اللسان (جرع).

(7) ط، ش: «وحفظ ذي يمنى» وهو تحريف.

(8) في اللسان: «وصوف البحر: شيء على شكل هذا الصوف الحيواني، واحده صوفة. ومن الأبديات قولهم: لا

أكلمه ما بل بحر صوفة». ل: «بصوقيتها» وهو تحريف.

(9) حصن، بالتحريك: جبل بأعلى نجد. وفي ط، ش: «حصن» مصحف. وفيهما أيضاً: «وما أناف الصخور».

(10) الخراط: بالكسر: الجماع. والشطن: الحبل. ط، ش: «خراط الجموع». وصوابه من ل.

(11) جابر بن حني أحد شعراء المفضليات. وفي ط، ش: «ضابغ بن حينا» وهو تحريف والشعر ينسب أيضاً إلى أفنون

التغلبي كما في الشعراء 96 والأغاني (9: 176) وكامل ابن الأثير (1: 331).

(12) ل: «نرضهم»، والوجه ما أثبت من ط، ش.

(13) ط: «فسائل شريكاً نائباً ومحكماً». س: «فسائل شريحاً نائباً ومحكماً»، وأثبت ما في ل. وفي ش: «تكر

الخيال».

لعمرك ما عمرو بن هندٍ وقد دعا
فقام ابنُ كلثومٍ إلى السَّيفِ مُغْضَباً
وعممه عمداً على الرَّأسِ ضَرْبَةً
لتخدُمَ ليلَى أُمُّهُ بِمَوْفَقٍ⁽¹⁾
فأَمَسَكَ مِنْ نَدْمَانِهِ بِالْمَخْنَقِ⁽²⁾
بِذِي شُطْبٍ صَافِي الحَديدَةِ مُحْفَقٍ⁽³⁾
(شعر في الأقارب)

وقال المتلمس :

على كلِّهم آسى وللأصل زلفة
وقد كان إخواني كريماً جوارهم
وقال المتلمس :

ولو غيرُ أخوالي أرادوا نقيصتي
وما كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قاطِعِ كَفِّهِ
يداهُ أصابَتْ هذه حَنْفَ هذه
فأطرقَ إطراقَ الشَّجاعِ ولو يَرَى
أحارثُ إنالو تُسَاطِ دِمَاؤُنَا
جَعَلْتُ لَهُمْ فَوْقَ العَرَانِينَ مِيسِماً
بَكْفٍ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَماً
فلم تَجِدِ الأُخْرَى عَلَيْهَا مُقَدِّماً
مَسَاغاً لِنَابِيهِ الشَّجَاعُ لَصَمَّماً⁽⁴⁾
تَزَايَلْنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمَ دِمَا⁽⁵⁾
(تفسير كلمة لعمر)

قال : وسألتُ عن قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي مَرْيَمَ الحَنْفِي⁽⁶⁾ : وَاللَّهِ لَأَنَا أَشَدُّ بَغْضاً لَكَ مِنَ الأَرْضِ لِلدَّمِ⁽⁷⁾ ! قال : لَأَنَّ الدَّمَ الجاري من كُلِّ شَيْءٍ بَيْنَ ، لَا يَغِيضُ فِي الأَرْضِ ؛ وَمَتَى جَفَّ [وَتَجَلَّبَ] ففقرته⁽⁸⁾ رَأَيْتُ مَكَانَهُ أبيض . إِلَّا أَنَّ صَاحِبَ المَنْطِقِ قال في كتابه في الحيوان : كَذَلِكَ الدِّمَاءُ ، إِلَّا دَمَ البَعِيرِ .

- (1) لاستخدام أم عمرو بن هند، ليلَى أم عمرو بن كلثوم، قصة يتداولها الرواة انظر لها الأغاني (9: 175-176).
- (2) الندمان، بالفتح : النديم، والمراد به عمرو بن هند. وفي ل : «ندمانه» وهو تحريف. وفيها أيضاً : «بالمحنق» وهو تحريف كذلك. وفي ش : «بالمحنق».
- (3) الشطب : طرائف السيف. و«الحديدة» هي في الأصل «الحديد»، وأثبت ما في الأغاني ليستقيم الشعر. والمخفق، كمنبر : العريض من السيوف. وفي ط : «محقق» وفي ش : «محقق» وهما تصحيف ما أثبت من ل.
- (4) الشجاع : الحية الذكر.
- (5) تُسَاط : تخلط. وفي ط، ش : «تساقط»، وصوابه في ل. وكانوا يعتقدون أنه إذا خلط دم عدوين تميز كل منهما عن الآخر.
- (6) اسمه إياس بن صبيح، كان من أهل اليمامة وكان من أصحاب مسيلمة، وهو قتل زيد بن الخطاب بن نفيل يوم اليمامة، ثم تاب وحسن إسلامه، وولي قضاء البصرة بعد عمران بن الحصين في زمن ابن الخطاب. طبقات ابن سعد (ج7 ق2 ص64) : وقال أبو الحسن في شرح الكامل : ثقة كوفي. الكامل 346 ليبسك.
- (7) النص في الكامل : «والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم» وزاد : «قال : أفتمنعني حقاً؟ قال : لا. قال : فلا بأس، إنما يأسف على الحب النساء!».
- (8) قرفه : قشره. وفي ط، ش : «ففرقته» ؛ تصحيف ما أثبت من ل.

(أشعار شتى)

وقال النَّمِرُ بْنُ تَوْلَبٍ⁽¹⁾ :

إِذَا كُنْتُ فِي سَعْدٍ، وَأُمُّكَ مِنْهُمْ
غَرِيباً فَلَا تَغْرُزْكَ أُمُّكَ مِنْ سَعْدٍ⁽²⁾
وقال⁽³⁾ :

وإِنَّ ابْنَ أَخْتِ الْقَوْمِ مُصْغًى إِنَاؤُهُ
إِذَا لَمْ يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأَبٍ جَلْدٍ⁽⁴⁾
وقال آخر :

تَخْيِرُهُ اللَّهَ الْغَدَاةَ لِدِينِهِ
عَلَى عِلْمِهِ وَاللَّهُ بِالْعِلْمِ أَفْرَسُ⁽⁵⁾
وقال آخر :

وَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ لِي فِي أَدِيمِكُمْ
مَصْحاً وَلَكِنِّي أَرَى مُتَرْقِعاً⁽⁶⁾
وقال العَجَلِيُّ، أَوْ الْعُكْلِيُّ⁽⁷⁾، لَنُوحِ بْنِ جَرِيرٍ :

[أَتَسُبُّنِي فَأَرَاكَ مِثْلِي سُبَّةً
وَلَقَدْ أَرَى وَالْمَقْتَضِي مَتَجَوِّزُ⁽⁸⁾
وقال عمرو بن معديكرب :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعْهُ
وَصِلْهُ بِالزَّمَاعِ فَكُلُّ أَمْرٍ
وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ
سَمَّا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلَوْعُ

- (1) في محاضرات الراغب (1: 177) نسبة الشعر إلى حسان بن وعلة . وفي الحماسة (1: 200) إلى غسان بن وعلة .
(2) الرواية المشهورة: «فلا يغرزك خالك من سعد» . انظر الكامل 337 لبيسك ومحاضرات الراغب والعقد (1: 43) والحماسة، وعيون الأخبار (3: 89) .
(3) كذا بالأصل . والبيتان متصلان كما في جميع المراجع السابقة ما عدا العقد، والرواية فيها جميعاً ما عدا العقد؛ فإنه لم يرو البيت الثاني: «فإن ابن أخت القوم» . وبعد البيت السابق، كما في العقد وشرح التبريزي (2: 41) :

- إِذَا مَا دَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كَهَوْلَهُمْ إِلَى الْغَدْرِ أَدْنَى مِنْ شَبَابِهِمُ الْمَرْدُ
قال أبو عمرو بن العلاء: كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب، وكانوا يسمون الغدر في الجاهلية: «كيسان» .
(4) مصغى إنناؤه يقال أصغيت الإناء: نقصته . انظر المخصص (13: 161) . وفي اللسان، «ويقال أصغى فلان إناء فلان: إذا أماله ونقصه من حظه» .
(5) كذا في ط، ش . وفي ل: «تخيره رب العباد . . بالعبد أعرف» .
(6) المصح: موضع الصحة . ش: «مترفعاً» وهو تصحيف، صوابه في اللسان والمقاييس (رفع) .
(7) كذا في ش . وفي ط: «وقال العجلي، أو الكعلي» وفي ل: «وقال العكلي» .
(8) كذا في ل . وفي ط: «ولقد رأونا والقضا متخون» وفي ش: «ولقد رأونا والفضا متخون» .

(شعر في صاحب السوء)

وقال المقتنع الكندي⁽¹⁾ :

وصاحب السوء كالذاء العياء إذا ما أرفض في الجوف يجري هاهنا وهنا⁽²⁾
يُنْبِي وَيُخْبِر عن عَوْرَاتِ صاحبه وما رأى عنده من صالح دفنا⁽³⁾
كَمُهِرٍ سَوٍءٍ إذا رَفَعَتْ سَيْرَتَهُ رامَ الجِماحَ وإن خَفَضَتْه حَرْنَا⁽⁴⁾
إن يَحْيَ ذاكَ فكنْ منه بمَعزَلَةٍ أو ماتَ ذاكَ فلا تَعْرِفْ لَهُ جَننا⁽⁵⁾

باب⁽⁶⁾ ذكر خصال الحرم

فمن خصاله أنَّ الذئب⁽⁷⁾ يصيد الطَّيِّ وَيُرِيغُه⁽⁸⁾ ويعارضه، فإذا دَخَلَ الحرم كَفَّ عنه .
ومن خصاله أنَّه لا يسقط على الكعبة حمام⁽⁹⁾ [إلا وهو عليل . يُعرف ذلك متى امتُحَنَ
وتعرَّفَتْ حاله⁽¹⁰⁾ . ولا يسقط عليها] ما دام صحيحاً . ومن خصاله أنَّه إذا حاذى أعلى الكعبة
عَرَفَهُ⁽¹¹⁾ من الطَّير كاليمام وغيره، انفرقت فرقتين ولم يعلمها⁽¹²⁾ طائرٌ منها . ومن خصاله
[أنَّه⁽¹³⁾] إذا أصاب المطرُ البابَ الذي من شقِّ العراق، كان الخضب والمطرُ في تلك السَّنة في
شقِّ العراق، [وإذا أصاب الذي من⁽¹⁴⁾ شقِّ الشام كان الخضب⁽¹⁵⁾ ، والمطرُ في تلك السَّنة في
شقِّ الشام]، وإذا⁽¹⁶⁾ عمَّ جوانبَ البيتِ كان المطرُ والخضبُ عامًّا في سائر⁽¹⁷⁾ البلدان .

(1) المقتنع : لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أجمل الناس وجهًا، وكان إذا سافر اللثام عن وجهه أصابته العين، فكان لا يمشي إلا مقتنعًا . واسمه محمد بن ظفر بن عمير . شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . الأغاني (15 : 751) والشعراء 173 .

(2) داء عياء : لا يبرأ منه . وفي ل : «كالذاء العضال» .

(3) ل : يجري ويخبر ، وفي الشعراء : «ينبي ويخبر» .

(4) رفع سيرته : زاد في سرعة سيره .

(5) الجنن ، بالتحريك : القبر . وفي ل : «أو مت ذاك لا تشهد له جنبًا» ، وهو تحريف ما في الشعراء : «أو مات ذاك فلا تشهد» .

(6) قبل هذا في ل : «بسم الله الرحمن الرحيم» .

(7) كذا في ل وثمار القلوب 13 ومحاضرات الراغب (2 : 263) . وفي ط ، ش : «الكلب» ، وليس مرادًا .

(8) يريغه : يطلبه .

(9) ط ، ش : «على الكعبة حمام» .

(10) في ثمار القلوب : «عرف ذلك من امتحنه وتعرف حاله» .

(11) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، أو الخيل ، والجمع عرق . وفي ط ، س «عرف» وتصحيحه من ل .

(12) ط : «يعلمها» وصوابه في ش ، ل .

(13) الزيادة من ش ، ل .

(14) هذه الكلمة وسابقتها ليستا بالأصل . وهما من ثمار القلوب .

(15) في الأصل ، أي ل التي منها هذه الزيادة : «الحظر» ، وتصحيحه من ثمار القلوب .

(16) ل : «فإذا» .

(17) هذه الكلمة ساقطة من ل وثمار .

ومن خصال الحرَم أَنَّ حَصَى الجِمار يُرمى بها في ذلك المرمى، مُذْ يَوْمَ حَجِّ النَّاسِ البيتَ على طَوَالِ الدَّهرِ، ثُمَّ كَأَنَّهُ على مقدارٍ واحدٍ. ولولا موضع الآية والعلامة والأعجوبة التي فيها، لقد كان ذلك كالجبال. هذا مِنْ غيرِ أَنْ تَكْسَحَهُ السُّيولُ، ويأخذُ منه النَّاسُ.

ومن سُنَّتِهِمْ: أَنَّ كُلَّ مَنْ علا الكعبةَ من العبيد فهو حرٌّ، لا يرون المِلْكَ على من علاها، ولا يجمعون بين [عزٍّ] علوها وذلة ⁽¹⁾ المِلْكِ. وبمكة رجالٌ من الصُّلحاء لم يدخلوا الكعبة قط. وكانوا في الجاهلية لا يبنون بيتاً مربعاً؛ تعظيماً للكعبة. [والعربُ تسمي كل بيت مربع كعبة، ومنه: كعبة نجران]. وكان ⁽²⁾ أوّل مَنْ بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير ⁽³⁾، أحد بني أسد بن عبد العزّى. ثم البركة والشفاء الذي يجده مَنْ شرب من ماء زمزم على وجه الدهر وكثرة من يُقيم عليه يجد فيه الشفاء، بعد أن لم ⁽⁴⁾ يدع في الأرض حمة ⁽⁵⁾ إلا أنها، وأقام عندها، وشرب منها، واستنقع ⁽⁶⁾ فيها.

هذا مع شأن الفيل، والطير الأبايل، والحجارة السَّجَّيل، وأنّها لم تزل أمناً ولقاحاً ⁽⁷⁾، لا تؤدّي إتاوة، ولا تدين للملوك، ولذلك سمي البيت العتيق؛ لأنّه لم يزل حرّاً لم يملكه أحد. وقال حرب بن أمية في ذلك ⁽⁸⁾:

أبَا مَطَرٍ هَلُمَّ إِلَى صَلَاحٍ	فَتَكْفِيكَ النَّدَامَى مِنْ قَرِيَشٍ ⁽⁹⁾
فَتَأْمَنَ وَسَطَهُمْ وَتَعِيشَ فِيهِمْ	أَبَا مَطَرٍ هُدَيْتَ لَخَيْرِ عَيْشٍ ⁽¹⁰⁾
وَتَنْزِلَ بَلَدَةَ عَزَّتْ قَدِيمًا	وَتَأْمَنَ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشٍ ⁽¹¹⁾

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125].
وقال عز وجل، حكاية عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: 37].

- (1) كذا في ل. وفي ط، ش: «وبين». وفي الثمار: «وذل الرق».
- (2) كذا في ل. وفي ط، ش: «فكان».
- (3) هو حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشي. وكانت له دار ملاصقة للمسجد، وقد ذكره ابن حجر في الإصابة 1833.
- (4) كذا في ط، ش. وفي ل: «أن لا».
- (5) الحمة، بالفتح: كل عين فيها ماء حار ينبع، يستشفى بها الأعداء.
- (6) استنقع فيها: نزل واغتسل. وفي ط، ش: «وانتفع»، والوجه ما أثبت من ل.
- (7) في الكامل 706 ليسك: «واللقاح: الذي ليس في سلطان أحد».
- (8) يقول الشعر لأبي مطر الحضرمي، يدعو إلى حلفه ونزول مكة. كامل المبرد.
- (9) المبرد: «صلاح اسم من أسماء مكة»، وضبط في الكامل ضبط قطام. وقال ياقوت في المعجم: «صلاح بوزن قطام: من أسماء مكة. قال العمراني: وفي كتاب التكملة: صلاح، بكسر الصاد والإعراب» يعني التنوين. في ش: «فتكفك» وفي المعجم: «ليكفيك»، وفي الكامل «فتكف كالندامى»، والمعنى مستقيم بالجمع.
- (10) ش: «فتأمن رهطهم».
- (11) كذا في ط، ش، والمعجم، والكامل. وفي ل فقط: «عزت لقاحاً» وفي المعجم: «أن ينالك رب جيش».

(خصال المدينة)

والمدينة هي طيبة، ولطيبتها قيل تَلْفِظُ خَبْثَهَا وينصعُ طيُّها. وفي ريح ترابها وبنّة⁽¹⁾ تربتها، وعرف ترابها⁽²⁾ ونسيم هوائها، والنعمة⁽³⁾ التي توجد في سككها وفي حيطانها - دليل على أنها جعلت آية حين جعلت حرماً. وكل⁽⁴⁾ من خرَجَ من منزلٍ مطَّيَّبٍ إلى استنشاق [ريح] الهواء والتُّربة⁽⁵⁾ في كل بلدة فإنه لا بدَّ عند الاستنشاق والتثبُّت من أن يجدّها منتنةً. فذلك⁽⁶⁾ على طبقات من شأن البلدان، إلا ما كان في مدينة الرسول، رسول الله ﷺ، فللصباح⁽⁷⁾ والعطر والبخور والنضوح⁽⁸⁾، من الرائحة الطيبة - إذا كان فيها - أضعاف ما يوجد له في غيرها من البلدان، وإن كان الصباح⁽⁹⁾ أجود، والعطر أفخر، والبخور أثنى.

(بعضُ البلدان الرديئة)

ورُبَّت بلدة يستحيل⁽¹⁰⁾ فيها العطر وتذهب رائحته، كقَصَبَةِ الأهواز. وقد كان الرشيد همَّ بالإقامة بأنطاكية، وكره أهلها ذلك، فقال شيخٌ منهم، وصدَّقه: يا أمير المؤمنين، ليست من بلادك، ولا بلادٍ مثلك، لأنَّ الطَّيْبَ الفاخرَ يتغيَّر فيها حتَّى لا يَنْتَفِعَ منه بكثير⁽¹¹⁾ شيء، والسَّلاح يصدأ فيها ولو كان من قلعة الهند⁽¹²⁾، ومن طبع⁽¹³⁾ اليمن، ومطرها ربَّما أقام شهرين، ليس فيه سكون⁽¹⁴⁾، فلم يُقَمَّ بها⁽¹⁵⁾. ثم ذكر المدينة فقال: وإنَّ الجُويرية السوداء، لتجعل في رأسها شيئاً من بلح، وشيئاً من نضوح، مما لا قيمة له؛ لهوانه على أهله، فتجد لذلك⁽¹⁶⁾ حُمْرة طيبة⁽¹⁷⁾ وطيب رائحة لا يعدلها⁽¹⁸⁾ بيتُ عروُسٍ من ذوي الأقدار. حتَّى إنَّ

- (1) البنة، بالفتح: الريح الطيبة. وفي ش: «نبت»، وتصحيحه من ل.
- (2) الزيادة من ل، ش.
- (3) كذا في ط، وثمار القلوب 436، وفي ل: «والنعمة»، وهذه محرفة لا ريب. وأميل إلى أن تكون هذه الكلمة «فعمّة» من فعم المسك البيت: طيبه.
- (4) ط، ش: «وقيل»، ووجهه من ل.
- (5) ط: «الهوى والبرية»، وصوابه في ش، ل.
- (6) ل: «وذلك».
- (7) الصباح، بوزن كنان: عطر. ط، ش: «فللصباح» تحريف ما أثبت. وفي ل: «وللصباح».
- (8) النضوح، كصبور: طيب، وهذه الكلمة محرفة في الأصل، فهي في ط: «والنضوح»، وفي ش: «والنضوح»، وفي ل: «والنضرج»، والصواب ما أثبت موافقاً لما في ثمار القلوب.
- (9) ط، ش: «الصباح»، تحريف ما أثبت من ل. وانظر التنبيه الذي قبل السابق.
- (10) يستحيل هنا بمعنى يتغير.
- (11) ل: «بكبير»، وهذا الخبر تجد نحوه في معجم البلدان برسم (أنطاكية).
- (12) قلعة عظيمة ببلدة تسمى «كله» وهي أول بلاد الهند من جهة الصين، وفي هذه القلعة تضرب السيوف القلعية. انظر معجم البلدان برسم (القلعة). وفي ط: «فلق» وفي ش: «فلقى»، وتصحيحه من ل.
- (13) ط، ش: «قلع». والذي باليمن هو «القلعة» كما في المعجم والقاموس. وأثبت ما في ل.
- (14) ل: «دام شهرين ليس فيها سكون».
- (15) كذا في ل. وفي ط، ش: «فلم يقربها» وتصح إن جعلت من القرار.
- (16) ط، ش: «ذلك»، وصوابه في ل وثمار القلوب. (17) الخمرة، مثلثة: الرائحة الطيبة.
- (18) كذا في ل وثمار القلوب. وفي ط، ش: «لا يعدله». يعدلها: يساويها.

النَّوى المنقَع، الذي يكونُ عندَ أهلِ العراقِ في غايَةِ النَّتنِ، إذا طال إنقاعه، يكونُ عندهم في غايَةِ الطَّيبِ. واللَّه سبْحانَه وتعالى أعلم.

باب ذكر الحمام⁽¹⁾

(أجناسه)

قال صاحب الحمام: الحمام وحشيٌّ، وأهليٌّ، وبيوتيٌّ، وطوراني⁽²⁾. وكلُّ طائرٍ يعرف بالزَّواج، وبحسن الصَّوت، والهديل، والدُّعاء، والترجيع فهو حمام، وإن خالف بعضه بعضاً في بعض الصَّوت واللَّون، وفي بعض القدِّ [ولحن] الهديل⁽³⁾. وكذلك تختلف أجناس الدَّجاج⁽⁴⁾ على مثل ذلك⁽⁵⁾ ولا يخرجها [ذلك] من أن تكون دَجَاجاً: كالديك الهندي والخلاسي⁽⁶⁾ والنَّبِيطي، وكالدَّجاج⁽⁷⁾ السَّندي والزنجي وغير ذلك. وكذلك الإبل: كالعِراب⁽⁸⁾، والبُخْت، والفوالج، والبُهونيات⁽⁹⁾ والصَّرصَرانِيات⁽¹⁰⁾، والحُوش، والتُّجب⁽¹¹⁾، وغير ذلك من فحول الإبل؛ ولا يخرجها ذلك من أن تكون إبلاً. وما ذاك إلا كمخالفة الجُرْذان والفأر، والتَّمَلِّ والدَّر، وكاختلاف⁽¹²⁾ الضَّأن والمغز، وأجناس البقر الأهليَّة والبقر⁽¹³⁾ الوحشيَّة، وكقراءة ما بينهما⁽¹⁴⁾ وبين الجواميس. وقد تختلف الحيات والعقارب بضرُوب الاختلاف، ولا يخرجها ذلك من أن تكون عقارب وحيات، وكذلك الكلاب، والغُرَبان.

وحسبُك بتفاوت ما بين النَّاس: كالزَّنج والصفالِبة، في الشُّعُور والألوان؛ وكأجوج ومأجوج، وعاد وشمود، ومثل الكنعانيين⁽¹⁵⁾ والعمالقة. فقد تخالف الماعزة الضائنة⁽¹⁶⁾ حتَّى لا يقع بينها تسافُد ولا تلاقح. وهي في ذلك غنمٌ وشاء.

قال: والقُمريُّ حمام، والفاختة حمام، والورشان حمام. والسَّفِينين⁽¹⁷⁾ حمام، وكذلك

- (1) كلمة «باب» ليست في ل. وفيها: «القول في الحمام».
- (2) الطوراني: منسوب إلى طور سيناء، أو إلى جبل يقال له طران، نسبة شاذة.
- (3) كذا في ل. وفي ط، ش: «وفي بعض النوح والهديل». وفيهما أيضاً بعد هذا: «والدعاء والترجيع فهو حمام»، والوجه حذف هذا الكلام الأخير كما في ل؛ لأنه تكرر.
- (4) ط، ش: «وقد يختلف الدجاج».
- (5) «على مثل ذلك» ساقطة من ل.
- (6) الخلاسي، بالكسر: الديك بين دجاجة هندية وفارسية.
- (7) بدلها في ط، ش: «ومثل».
- (8) ط، ش: «العِراب».
- (9) البهونيات من الإبل: ما بين الكرمانية والعربية. وانظر 1: 115.
- (10) الصرصرانيات: ما بين البخاتي والعراب. ط: «الصرصرانيات»، تحريف.
- (11) هذه الكلمة ساقطة من ل. والحوش والحوشية: الإبل المتوحشة.
- (12) ط، ش: «ومثل اختلاف في»، تحريف.
- (13) هذه الكلمة ساقطة من ل.
- (14) ل: «بينها».
- (15) ط: «الكنعانيين»، محرفة.
- (16) ط، ش: «الضائية» وهو تحريف ما أثبت من ل.
- (17) السفينين، بالكسر: ضرب من الحمام حسن الصوت. ط، ل: «السفينين» تصحيف ما أثبت من ش. موافقاً لما في الدميري.

اليمام واليعقوب . وضروبٌ أخرى كلها حمام . ومفاخرها التي فيها ترجع إلى الحمام التي لا تُعرف⁽¹⁾ إلا بهذا الاسم .

قال : وقد زعم أفليمون⁽²⁾ (صاحب الفراسة) أنَّ الحمام يتَّخذُ لضروب : منها ما يتَّخذُ للأنس والنساء والبُيوت ، ومنها ما يتَّخذُ للزَّجال⁽³⁾ والسباق . [والزَّجال : إرسال الحمام الهواذي⁽⁴⁾] .

(من مناقب الحمام)

ومن مناقب الحمام حبه للناس ، وأنس الناس به ، وأنك لم تر حيواناً قطُّ أعدلَ موضعاً ، ولا أقصد⁽⁵⁾ مرتبةً من الحمام . وأسفل⁽⁶⁾ الناس لا يكون دُون أن يتَّخذها ، وأرفع الناس لا يكون فوق أن يتَّخذها . وهي شيءٌ يتَّخذُه⁽⁷⁾ ما بين الحجَّام إلى الملك⁽⁸⁾ الهمام . والحمام مع عموم شهوة الناس له ، ليس شيءٌ مما يتَّخذونه هم أشدُّ شغفاً به⁽⁹⁾ ولا أشدُّ صبايةً⁽¹⁰⁾ منهم بالحمام ، ثمَّ تجد ذلك في الخِصيان كما تجده في الفحول ، وتجدُه [في الصَّبيان كما تجده في الرِّجال ، وتجدُه] في الفُثيان⁽¹¹⁾ كما تجده في الشيوخ ، وتجدُه في النساء كما تجده في الرِّجال . والحمام من الطَّير الميامين . وليس من الحيوان الذي تظهر له عورة وحجم قضيب⁽¹²⁾ كالكلب والحمار وأشباه ذلك ، فيكون ذلك مما يكونُ يجب على الرِّجال ألاَّ يدخلوه دورهم .

(كلمة لمثنى في الحمام)

قال مثنى بن زهير : ومن العجب أنَّ الحمام مُلقًى ، والسُّكران مُوقًى ، فأنشده ابن يسير⁽¹³⁾ بيت الخريمي⁽¹⁴⁾ :

وأعددتُه ذُخراً لكلِّ مُلِمةٍ وسَهَّمُ المنايا بالذَّخائرِ مُولَعٍ⁽¹⁵⁾

- (1) كذا في ل . وفي ط ، ش : «الذي لا يعرف» ، وهما وجهان .
- (2) أفليمون : فاضل كبير في فن من فنون الطبيعة ، وكان معاصراً لبقرط ، وأظنه شامي الدار ، كان خبيراً بالفراسة ، عالماً بها ؛ إذا رأى الشخص وتركيبه ؛ استدل بتركيبه على أخلاقه ، وله في ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية . القفطي . قلت : وقد طبع كتابه في حلب سنة 1347 وهو يقع في خمس وأربعين صفحة . وفي ط ، ش : «أفليمون» .
- (3) في الأصل : «للرجال» بالراء ، تحريف ما أثبت من نهاية الأرب 10 : 257 ، وانظر هذا الجزء ص 124 .
- (4) الزيادة من نهاية الأرب (10 : 258) .
- (5) أقصد : من القصد ، ضد الإفراط ، وفي ش : «أقصر» ، محرفة .
- (6) ل : «لأن أسفل الناس» .
- (7) ط ، ش : «يتَّخذها» ، وأثبت ما في ل . ط : «وهي شتى» ، ل : «وهو شيء» ، وأثبت ما في ش .
- (8) ط ، ش : «الرجل» .
- (9) ط ، ش : «أشد شغفاً» . والشفق : الشفقة . وأثبت ما في ل .
- (10) ط فقط : «ضيانة» ، وهي تحريف ، لوجود الباء في كلمة : «بالحمام» .
- (11) ل : «الشبان» .
- (12) ل : «وحجم وقضيب» ، بإقحام الواو .
- (13) هو محمد بن يسير ، تقدمت ترجمته في (1 : 69) ، وفي الأصل : «ابن بشير» وهذا تحريف .
- (14) في ط : «الحزيمي» وفي ش : «الخزيمي» ، وصوابه ما أثبت من ل . وهو أبو يعقوب إسحاق بن حسان . تقدمت ترجمته في (1 : 164) .
- (15) انظر الحيوان (6 : 272) .

(شرب الحمام)

ومتى رأى إنسان عطشان الديك والدجاجة يشربان الماء ، ورأى ذئباً وكلباً يلطعان الماء لطعاً ، ذهب عطشهُ من فُبْح حسو الديك نغبةً نغبةً ⁽¹⁾ ، ومن لَطَعَ الكلب . وإنَّه ليرى الحمام [وهو] يشرب الماء ! وهو ⁽²⁾ ريان ، فيشتهي أن يكرع في ذلك ⁽³⁾ الماء معه .

(صدق رغبة الحمام في النسل)

والديك والكلب في طلب ⁽⁴⁾ السِّفاد [وفي طلب الذرء] كما قال أبو الأخرز ⁽⁵⁾ الحِماني :

لَا مُبْتَغِي الضَّنَّ وَلَا بِالْعَازِلِ ⁽⁶⁾

والحمام أكثر معانيه الذرء وطلب الولد . فإذا علم الذكر أنه قد أودع [رحم] الأنثى ما يكون منه الولد تقدماً في إعداد العش ، ونقل القصب ⁽⁷⁾ وشقق ⁽⁸⁾ الخوص ، وأشباه ذلك من العيدان الخوارة الدقاق ⁽⁹⁾ حتى يعملأفحوصة وينسجها ⁽¹⁰⁾ نسجاً مداخلًا ، وفي الموضع الذي قد [رضياه و] اتخذاه واصطنعاه ، بقدر جثمان الحمامة ، ثم أشخصاً لتلك الأفحوصة حُرُوفاً غير مرتفعة ؛ لتحفظ البيض وتمنعه من التدحرج ، ولتلمزم كنفه ⁽¹¹⁾ الجؤجؤ [ولتكون ⁽¹²⁾ رفاً لصاحب الحُضن ، وسنداً للبيض . ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان ذلك القرموص ⁽¹³⁾ وتلك الأفحوصة ، يسخَّنانها ويدفَّيانها ⁽¹⁴⁾ ويطيَّبانها ، وينفيان عنها طباعها الأول ⁽¹⁵⁾ ، ويُحدثان لها طبيعةً أخرى مشتقةً من طبائعهما ، ومستخرجةً من رائحة أبدانهما

(1) النغبة ، بالفتح : الجرعة ، ويضم . أو الفتح للمرة والضم للاسم : وفي ش : «نغبة نقبة» ، وهو تحريف .

(2) أي الإنسان .

(3) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفي ط ، ش : «يشتهي أن يكون» ، وله وجه .

(4) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(5) ط ، ش : «الأخرز» ، وصوابه في ل . قال فيه صاحب المؤلف 52 : «أحد بني عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبد العزى هو حمان . راجز محسن مشهور» .

(6) الضنء ، بالفتح ويكسر : الولد . وفي ط ، ش : «الضر» ، وصوابه في ل . والجزء الأول ص 147 والعازل فسره الجاحظ في الجزء الأول 99 ، وفي ط ، ش : «بالعازل» ، وهو تحريف ما أثبت من الجزء الأول ص 147 ، وفي ل : «العازل» .

(7) ل : «تقدماً في نقل القصب» .

(8) الشقق : جمع شقة بالكسر ، وهي القطعة المشقوقة ، ونصف الشيء إذا شق . وفي ط ، ش : «تشقيق» ، وأثبت ما في ل ونهاية الأرب (10 : 271) .

(9) الخوارة : الضعيفة . وفي ط ، ش : «الخور» ، تحريف صوابه في ل ونهاية الأرب ، وفي ط ، ش : «الرقاق» بالراء .

(10) كذا على الصواب في ل ونهاية الأرب . وفي ط ، ش : «حتى يعملأفحوصة وأشباه ذلك وينسجها» .

(11) في أصلها أي ل وكذا في نهاية الأرب : «كنفي» ، والوجه ما أثبت . والكنف : الجانب . والجؤجؤ من الطائر : صدره .

(12) ط ، ش : «ليكون» ، وفي ل : «وتكون» ، وأثبت ما في نهاية الأرب .

(13) القرموص ، بالضم : العش يبيض فيه الحمام . وفي ط : «الغرموص» ، وصوابه في ش ، ل .

(14) ط فقط : ويرفيانها ، والوجه ما أثبت . (15) الطباع ، بالكسر : الطبع .

وقَوَاهُمَا الْفَاصِلَةُ^(١) [منهما؛ لكي تقع البيضة إذا وقعت، في موضع أشبه المواضع طباعاً بأرحام الحمام]^(٢)، مع الحضانة والوثارة^(٣)؛ لكي^(٤) لا تنكسر البيضة ببس المواضع، ولئلا ينكر طباعها^(٥) طباع المكان، وليكون على مقدار من البردو السخانة^(٦) والرّخاوة والصلابة. ثم إن ضربها المخاض وطرقت^(٧) ببيضتها، بدّرت^(٨) إلى الموضع الذي قد أعدته، وتحاملت إلى المكان الذي اتّخذته وصنعتة، إلا أن يُقرّعها^(٩) رعد قاصف، أو ريح عاصف فإنّها ربّما رمّت بها دون كنهها وظل عُشها، وبغير موضعها^(١٠) الذي اختارته. والرّعد ربما مرق^(١١) عنده البيض وفسد، كالمرأة التي تُسقط من الفزع، ويموت جنينها من الرّوع^(١٢).

(عناية ذكر الحمام وأثناءه بالبيض)

وإذا وضعت البيض في ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبان الحضن ويتعاورانه، حتّى إذا بلغ ذلك البيض مداه وانتهت أيامه، وتمّ ميقاته الذي وظّفه خالقه، ودبره صاحبه^(١٣)، انصدع القيض^(١٤) عن الفرخ، فخرج عاري الجلد، صغير الجناح، قليل الحيلة، منسدّ الحلقوم، فيعينانه على خلاصه من قيضه^(١٥) وترويعه من ضيق هوّته^(١٦).

- (١) الفاصلة: المنفصلة، وفي ط، ش: «الفاصلة»، وما كتبت من ل أشبه.
- (٢) هذه الزيادة من ل ونهاية الأرب. وبدلها في ط، ش: «من أرحامهما».
- (٣) الوثارة: أن يكون الشيء موطأ ممهداً. وفي ط: «والأثارة»، وصوابه في ل، ش.
- (٤) ط: «لكن» وصوابه في ل، ش ونهاية الأرب.
- (٥) الطباع، بالكسر: سبق تفسيره. ط: «طبائعها» وفي ش: «طبائعهما»، والوجه ما أثبت من ل.
- (٦) في ل ونهاية الأرب: «والسخونة» وهما بمعنى.
- (٧) طرقت تطريقاً: حان خروج بيضها، وأصل التطريق للقطا.
- (٨) ل: «بادرت»، وهما بمعنى. وقبل هذه الكلمة في ط، ش: «فصلت أرحامها»، وهي عبارة مشوهة وليست في ل ولا في نهاية الأرب.
- (٩) كذا في ل، ش: ونهاية الأرب. والتقرير: الإقلاق وهو الإزعاج. ويجوز أن تكون هذه الكلمة من القرع بمعنى الضرب. وفي ط فقط: «يفزعها».
- (١٠) ل: «دون موضعها»، بإسقاط ما بين الكلمتين من كلام.
- (١١) مرقّت البيضة، بالكسر: فسدت فصارت ماء.
- (١٢) هذه الجملة ساقطة من ل.
- (١٣) الكلام من مبدأ: «وتم» ساقط من ل.
- (١٤) القيض، بالفتح: القشرة العليا اليابسة على البيضة، أو هو البيضة التي خرج ما فيها من فرخ، أو ماء. وفي ط، ش، ونهاية الأرب: «البيض»، والمعنى يصح بكل منهما.
- (١٥) في الأصل: «بيضه»، والصواب ما أثبت.
- (١٦) الهوة بالفتح: أصل معناها الكوة، وهي الخرق في الحائط، والثقب في البيت، والمراد بها هنا موضع خروج الفرخ من القيض. والكلام من مبدأ: «فخرج» ساقط من ل. وهذه الكلمة هي في ط: «هوانه» وفي ش: «هواته» والوجه ما أثبت.

(عنايتهما بالفراخ)

وهما يعلمان أن الفَرَخَيْن لا تَتَسَّع حُلُوقُهُمَا وَحَوَاصِلُهُمَا⁽¹⁾ للغذاء، فلا يكون لهما⁽²⁾ عند ذلك همٌّ إِلَّا أَنْ يَنْفَخَا فِي حُلُوقِهِمَا⁽³⁾ الريح، لَتَتَسَّع الحوصلةُ بعد التحامها، وَتَنْفَتَقَ بعد ارتناقها. ثم يعلمان⁽⁴⁾ أَنَّ الفَرخَ وَإِنْ اتَّسَعَتْ حَوْصَلَتُهُ شَيْئاً، أَنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ فِي أَوَّلِ اغْتِذَائِهِ أَنْ يَزِقَّ بِالطَّعْمِ⁽⁵⁾، فَيَزِقَّ عند ذلك باللُّعَابِ الْمُخْتَلِطِ بِقُوَاهُمَا وَقُوَى الطَّعْمِ - وَهُمَّ يَسْمُونُ ذَلِكَ اللُّعَابَ اللَّبَاءَ⁽⁶⁾ - ثم يعلمان أَنَّ طَبْعَ حَوْصَلَتِهِ يَرِقُ⁽⁷⁾ عن استمراء الغذاء وهضم الطَّعْمِ⁽⁸⁾، وَأَنَّ الحوصلةَ تَحْتَاجُ إِلَى دَبْغٍ وَتَقْوِيَةٍ، وَتَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكُونَ لَهَا بَعْضُ الْمَتَانَةِ وَالصَّلَابَةِ، فَيَأْكُلَانِ مِنْ شَوْرَجٍ⁽⁹⁾ أَصُولَ الْحَيْطَانِ، وَهُوَ⁽¹⁰⁾ شَيْءٌ بَيْنَ الْمِلْحِ الْخَالِصِ⁽¹¹⁾ وَبَيْنَ الثَّرَابِ الْمِلْحِ⁽¹²⁾، فَيَزِقَّانِهِ بِهِ⁽¹³⁾ حَتَّى إِذَا عَلِمَا أَنَّهُ قَدْ ائْتَدِغَ وَاشْتَدَّ زَقَاهُ بِالْحَبِّ الَّذِي [قَدْ غَبَّ⁽¹⁴⁾ فِي حَوَاصِلِهِمَا ثُمَّ زَقَاهُ بعد ذلك بِالْحَبِّ الَّذِي⁽¹⁵⁾ هُوَ أَقْوَى وَأَطْرَى. فلا يزالان يَزِقَّانِهِ بِالْحَبِّ وَالْمَاءِ عَلَى مِقْدَارِ قُوَّتِهِ وَمَبْلَغِ طاقته، وَهُوَ يَطْلُبُ ذَلِكَ مِنْهُمَا، وَيَبِضُّ نَحْوَهُمَا⁽¹⁶⁾ حَتَّى إِذَا عَلِمَا أَنَّهُ قَدْ أَطَاقَ اللَّقْطَ مَنَعَاهُ بَعْضَ الْمَنَعِ، لِيَحْتَاجَ إِلَى اللَّقْطِ فَيَتَعَوَّدُهُ، حَتَّى إِذَا عَلِمَا أَنَّ أَدَاتَهُ⁽¹⁷⁾ قَدْ تَمَّتْ، وَأَنَّ أَسْبَابَهُ قَدْ اجْتَمَعَتْ وَأَنَّهُمَا إِنْ قَطَّمَاهُ فِطْماً مَقْطُوعاً مَجْدُوداً⁽¹⁸⁾ قَوِيَّ عَلَى اللَّقْطِ، وَبَلَغَ لِنَفْسِهِ مُنْتَهَى حَاجَتِهِ - ضَرْبَاهُ إِذَا سَأَلَهُمَا الْكِفَايَةَ، وَنَفْيَاهُ مَتَى رَجَعَ إِلَيْهِمَا⁽¹⁹⁾ ثُمَّ تُنَزَّعُ

(1) عبر عن المثني بالجمع، كما في الكتاب العزيز: «فقد صغت قلوبكما» أي صغا قلبكما.

(2) ط فقط: «يكون»، وهو تحريف مطبعي.

(3) ل: «حلقة»، والوجه ما أثبت من ط، ش.

(4) ط، ش: «ويعلمان»، وأثبت ما في ل ونهاية الأرب.

(5) كذا في ل، وفي ط، ش: «إنه أن امتنعت الحوصلة شيئاً لا يحتمله في أول غذائه أن يزق بالطعم»، هو تحريف كما ترى.

(6) كذا. والمعروف: «اللباء». (7) ط، ش: «طبع حواصلهما يضعف»، وصوابه من ش.

(8) كلمة: «وهضم الطعم» ساقطة من ل.

(9) الشورج: نوع من الملح، قال صاحب منهاج الدكان ص 216: هو ملح الدباغة وهذه الكلمة مضطربة في الأصل: «فهى في ط: «صروح» وفي س: «سروح»، ل وعيون الأخبار 2: 91: «سورج»، نهاية الأرب: «شروج» وصواب ذلك كله ما أثبت من منهاج الدكان.

(10) ط، ش: «وهي» والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب.

(11) ط، ش: «والحمض»، وصواب هذه «المحض»، وأثبت ما في ل.

(12) ط، ش: «ونهاية الأرب: «الخالص»، واخترت ما في ل.

(13) كذا في ل: «ونهاية الأرب. وفي ط، ش: «فيزقان الفرخ».

(14) غب: أصل معناها بات. والمراد مكث طويلاً حتى لان.

(15) في الأصل، أي ل: «الحب»، والوجه ما أثبت من نهاية الأرب.

(16) البض، أصله في الإنسان أن يسأل عن الحاجة فيتمطق بشفتيه.

(17) ط: «أذاته»، وصوابها في ل، ش.

(18) أي منقطعاً لا عودة بعده إلى الزق. وفي ل: «منبتا»، وهما بمعنى.

(19) بعد هذه الكلمة في ط، ش كلمة: «للعادة» وليست في ل، ولا في نهاية الأرب.

[عنهما] تلك الرحمة العجيبة منهما له، وينسيان ذلك العطف المتمكّن عليه⁽¹⁾، ويُذهلان عن تلك الأثرة [له]، والكدّ المضني⁽²⁾ من الغدو عليه، والرواح إليه⁽³⁾. ثم يتديان العمل ابتداءً ثانياً، على ذلك النظام وعلى تلك المقدمات⁽⁴⁾. فسبحان من عرفهما وألهمهما، وهما⁽⁵⁾، وجعلهما دلالة لمن استدلّ، ومُخبراً صادقاً لمن استخبر، ذلكم الله رب العالمين.

(حالات الطعم الذي يصير في أجواف الحيوان)

وما أعجبَ حالاتِ الطعم الذي يصير في أجواف الحيوان، وكيف تتصرّف به الحالاتُ، وتختلف في أجناسه الوجوه⁽⁶⁾ : فمنها⁽⁷⁾ ما يكون مثل زق الحمام لفرخه، والزق في معنى القيء أو في معنى التقيؤ وليس بهما⁽⁸⁾ وجرة البعير والشاة والبقرة في معنى ذلك، وليس به. والبعير يريد أن يعود في خضمه⁽⁹⁾ الأول واستقصاء طعمه. وربما كانت الجرّة رجيعاً. والرجيع : أن يعود على ما قد أعاد عليه مرّة حتّى ينزعه من جوفه، ويقبله عن جهته.

(زَق الحمام)

والحمام يُخرجه من حوصلته ومن مُستكّته وقراره⁽¹⁰⁾، وموضع حاجته واستمرائه، بالأثرة والبرّ، إلى حوصلة ولده. [قد] ملك ذلك وطابُت به نفسه ولم تُعْنُث عليه نفسه⁽¹¹⁾ ولم يتقدّر⁽¹²⁾ من صنيعه، ولم تُخْبُث نفسه⁽¹³⁾، ولم تتغيّر شهوته. ولعلّ لذّته⁽¹⁴⁾ في إخراجها أن تكون كلذّته⁽¹⁵⁾ في إدخاله، وإنما اللذة في مثل هذا بالمجاري⁽¹⁶⁾، كنحو ما يعترى مجرى النطفة من استلذاذ مرور النطفة، فهذا شأن قلب الحمام ما في جوفه، وإخراجه بعد إدخاله. والتمساح يخرج⁽¹⁷⁾ على أنّه رجعه ونجوه⁽¹⁸⁾ الذي لا مخرج له ولا فرَج [له] في سواه.

- (1) ليست في ل.
- (2) ل : «والكد عليه».
- (3) «من الغدو . . إلخ ليس في ل.
- (4) ط، ش : «على هذا النظام وعلى هذه المقامات» وأثبت ما في ل : بعد تصحيح كلمة «المقامات» من نهاية الأرب.
- (5) في الأصل : «وهنأهما»، وما كتبت أليق بالكلام.
- (6) ط، ش : «وتختلف في أجناسها الوجوه»، ل : «في أجناسه في الوجوه» وصححت الكلام جامعاً بينهما.
- (7) أي من الحالات. وفي ل : «فمنه».
- (8) ط، ش : «القيء وليس هما»، وأثبت الصواب من ل.
- (9) كذا في ط، ش. وفي ل : «طحنه».
- (10) كذا في ل. وفي ط، ش : «مسكنه وقوابه»، وما في ل أشبهه بلغة الجاحظ.
- (11) يقال غنثت نفسه : لقست، أي غثيت غثيئاً. وفي ط، ش : «تنعاث»، ولم أجد لها وجهاً. وهذه الجملة ساقطة من ل.
- (12) ش : «يتقرّز»، ومؤادهما واحد.
- (13) انظر ما جاء خاصاً بهذا التعبير في 1 : 233 س 8.
- (14) ط، ش : «لذاته».
- (15) ط، ش : «كلذاته».
- (16) ط، ش : «كالمجاري»، تحريف ما أثبت من ل.
- (17) ط، ش : «والتماس إخراجها»، وصوابه في ل. وانظر ما سيأتي.
- (18) ط، ش : «ونحوه»، وهو تصحيف ما في ل.

(تصرف طبيعة الإنسان والحيوان في الطعام)

وقد يعتري ذلك الإنسان لَمَّا يعرض من الداء، فلا يعرف^(١) إلا الأكل والقيء، ولا يعرف النَّجْو إلا في الحين على بعض الشدة. وليس ما عَرَضَ بسبب آفة كالذي يخرج على أصل تركيب الطبيعة. والسَّئور والكلب على خلاف ذلك كله، لأنهما يُخرجان به عارض يعرض لهما من خُبث النفس، ومن الفساد^(٢)، ومن التثوير والانقباض^(٣) ثم يعودان بعد^(٤) ذلك فيه من ساعتها، مشتهيين له، حريصين عليه. والإنسان إذا دَرَعَه ذلك لم يكن شيء أبغض إليه منه، وربما استقاء وتكلف ذلك لبعض الأمر. وليس التكلف في هذا الباب إلا له. وذوات الكروش كلها تَفْعُصُ^(٥) بجرتها، فإذا أجادت مضغه أعادته، والجرة هي^(٦) الفرث، وأشدُّ من ذلك أن تكون^(٧) رجيعة، فهي تجيد مَضْعَهَا وإعادتها إلى مكانها، إلا أن ذلك ممَّا لا يجوز أفواهاها^(٨). وليس عند الحافر من ذلك قليل ولا كثير، بوجه من الوجوه. وقد يعتري سباع الطير شبيهة بالقيء، وهو الذي يسمونه «الزُّمَج»^(٩). وبعض السمك يقيء قيئاً ذريعاً، كالبلال، فإنه ربَّما دَسَعَ الدَّسْعَةَ^(١٠)، فتلقى^(١١) بعض المراكب، فيلقون من ذلك شدة. والناقة الضجور ربَّما دَسَعَتْ بجرتها في وجه الذي يرخلها^(١٢) أو يعالجها، فيلقى من ذلك أشدَّ الأذى. ومعلوم أنها تفعل ذلك على عمد. فلذوات الأقدام في ذلك مذهب، ولذوات الكروش من الظلف والخف في ذلك مذهب، ولذوات الأنياب في ذلك مذهب، وللسمك والتمساح الذي يشبه السمك في ذلك مذهب. ويزعمون أن جوف التمساح إن^(١٣) هو إلا معاليق^(١٤) فيه، وأنه في صورة الجراب، مفتوح الفم، مسدود الدبر، ولم أحق ذلك، وما أكثر من لا يعرف الحال فيه.

(الرجوع إلى طلب النسل عند الحمام)

ثم رجع بنا القول في الحمام بعد أن استغنى ولده عنه، وبعد أن نُرِعَت الرحمة منه، وذلك أنه يبتدئ الذكر الدُّعاء والطرْد، وتبتدئ الأنثى بالتأتى والاستدعاء، ثم تزيف وتشكل^(١٥)، ثم تمكّن

- (١) ل: «يعرض».
- (٢) المراد بخبث النفس ما يعرض لها من التقزز والغثيان. وفي ش: «من حيث النفس والفساد»، وهو تحريف.
- (٣) ل: «الانتفاس»، والوجه ما أثبت من ط، ش.
- (٤) ل: «مع».
- (٥) أصل معنى القعص الطعن الوحي، أي السريع.
- (٦) ط، ش: «وهو»، تحريف.
- (٧) ط، ش: «يكون».
- (٨) ش: «إلا أن ذلك ما كان لا يجوز أفواهاها».
- (٩) الزمَج: أحد نوعي العقاب، والغالب في لونه أن يكون أحمر، وهو من خفاف الجوارح، ومن الطيور التي يصيد بها الملوك. الدميري.
- (١٠) دسع: قاء.
- (١١) يرخلها، بضم الحاء: يحط عليها الرحل.
- (١٢) ليست بالأصل، والأصل هنا ل. وزدتها للحاجة إليها.
- (١٣) جمع معلاق، وهو اللسان.
- (١٤) تزيف: تنشر جناحيها وذنبها وتسحبهما على الأرض. والتشكل، من الشكل بالفتح: وهو الغنج والدلال والغزل.
- (١٥) يصح أن تقرأ بفتح التاء أو ضمها.

وتمنع، وتَجِبُّ وتصدفُ بوجهها، ثم يتعاشقان ويتطاوعان، ويحدثُ لهما من التغزل والتفتل^(١)، ومن السَّوف^(٢) والقبَل، ومن المصَّ والرَّشف، ومن التنفُّخ والتنفُّج، ومن الخيلاء والكبرياء، ومن إعطاء التقبيل حقَّه، ومن إدخال الفم في جوف الفم، وذلك من التطاعم، وهي المطاعمة. وقال الشاعر:

لَمْ أَعْطِهَا بِيَدِي إِذْ بَتُّ أَرْشُفُهَا إِلَّا تَطَاوَلَ غَصْنُ الْجَيْدِ بِالْجَيْدِ^(٣)
كَمَا تَطَاعَمَ فِي خَضِرَاءٍ نَاعِمَةٍ مَطَوَّقَانِ أَصَاخَا بَعْدَ تَغْرِيدِ

هذا مع إرسالها جناحيها وكفَّيها على الأرض، ومع تَدَرَّعها وتبُعْلُها^(٤) ومع تصاوله وتطاوُله، ومع تنفُّجِه وتنفُّخِه، مع ما يعتريه مع الحكمة والتفلي والتنفُّش^(٥) حتَّى تراه وقد رمى فيه بمثله^(٦). ثم الذي ترى من كسحه بذنبه^(٧)، وارتفاعه بصدرة، ومن ضربِه بجناحه، ومن فرحه ومَرَّجِه بعد قَمَطِه والفراغ من شهوته، ثم يعتريه ذلك في الوقت الذي يفتر فيه أنكح النَّاس.

(القوة التناسلية لدى الحمام)

وتلك الخصلة يفوق بها جميع الحيوان، لأنَّ الإنسان الذي هو أكثرُ الخلق في قوَّة الشهوة، وفي دوامها في جميع السنَّة، وأرغبُ الحيوانِ [في التصنُّع والتغزل، والتشكُّل والتفتل^(٨) أفتُر ما يكونُ إذا فرغ، وعندها يركبُه الفتور، ويحبُّ فراقَ الزَّوج، إلى أن يعودَ إلى نشاطه، وترجعَ إليه قُوَّتُه. والحمامُ أنشطُ ما يكون وأفرح، وأقوى ما يكون وأمرح، مع الزَّهو والشكل^(٩)، واللَّهو والجدل، أبرَد ما يكون الإنسانُ وأفتره، وأفطع ما يكون وأفصره^(١٠).

هذا، وفي الإنسان ضرورٌ من القوَى: أحدها فضلُ الشهوة، والأخرى دوامُ الشهوة في جميع الدَّهر، والأخرى قوة التصنُّع والتكلف، وأنت إذا جمعتَ خصاله كلها كانت دونَ قوَّة الحمام عندَ فراغه من حاجته وهذه فضيلةٌ لا يُنكرُها أحدٌ، ومزيَّة لا يجحدها أحد!!

(البغال ونشاطها)

ويقال: إنَّ النَّاسَ لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ نشاطِ الحمام في وَقتِ فِتْرَةِ الإنسانِ إِلَّا ما وجدوه في

(١) التفتل: التلوي.

(٢) السوف: الشم.

(٣) عطا الشيء يعطوه: تناوله بيده.

(٤) في الأصل، والأصل هنا ل: «وهو مع... إلخ. وكلمة «هو» لا حاجة إليها. والتدرع: أصل معناه لبس الدرع. والتبعل: التزين للبعل.

(٥) التنفُّش، بالفاء، هو أن ينفخ الطائر ريشه. وفي الأصل: «والتنفُّش».

(٦) كذا. وهنا تنتهي الزيادة التي ابتدأت من مبدأ الصفحة السابقة، وهي من ل.

(٧) كسحه: كنسه الأرض بذنبه.

(٨) ط، ش: «والتمتع والشكل والتقبيل»، وأثبت ما في ل.

(٩) الشكل، بالفتح: الغنج والدلال والغزل.

(١٠) العبارة في ل: «والحمام أنشط ما يكون وأمرح وأقوى وأجذل أبرد ما يكون الإنسان وأفتر».

البغال؛ فإنَّ البغال تحمل أثقالها عَشِيَّةً، فتسيرُ بقيَّةَ يومها وسواً^(١) ليلتها، وصدرَ نهارٍ غَدِها^(٢)، حتَّى إذا حطُّوا عن جميع ما كان محملاً من أصنافِ الدوابِّ أحمالها^(٣)، لم يكن لشيءٍ منها همَّةٌ، ولا لِمَن ركبها من النَّاسِ إلَّا المَراغة^(٤) والماء والعلف، ولِلإنسان الاستلقاء ورفع الرِّجلين والغمز والتأوُّه^(٥)؛ إلَّا البغال فإنَّها في وقتِ إعياءِ جميع الدواب وشدةِ كلالها، وسُغْلها بأنفسها ممَّا مرَّ عليها، ليس عليها عملٌ إلَّا أن تُدلي أيورها وتشظَّ^(٦) وتضربَ بها بطونها؛ وتخطُّها وترفعها. وفي ذلك الوقت لو رأى المُكاري امرأةً حسناء لما انتشر لها ولا همَّ بها. ولو كان مُنعظاً ثم اعتراه بعضُ ذلك الإعياءِ لنسي الإنعاض. وهذه خُصْلَةٌ تخالفُ فيها البغال جميعَ الحيوان. وترغم العملة^(٧) أنَّها تلتمس بذلك الرَّاحة وتداوى به. فليس العجبُ - إن كان ذلك حقاً - إلَّا في إمكان ذلك لها في ذلك الوقت، وذلك لا يكونُ إلَّا عن شهوة وشبقٍ مُفرط.

(النشاط العجيب لدى الأتراك)

وشبه آخرٌ وشكلٌ من ذلك، وذلك كالذي يُوجد عند الأتراك عند بلوغ المنزل بعدَ مسير اللَّيلِ كُلِّه، وبَعْضُ النَّهار، فإنَّ النَّاسَ في ذلك الوقتِ ليس لهم إلَّا أن يتمددوا ويقيّدوا^(٨) دوابَّهم. والتركُّي في ذلك الوقت إذا عاين ظبياً أو بعضَ الصَّيد، ابتدأ الرُّكضَ بمثل نشاطه قبل أن يسيرَ ذلك السير، وذلك وقتٌ يهْمُ فيه الخارجِجيَّ والخَصِيَّ أنفسُهما^(٩)؛ فإنَّهما المذكوران بالصَّبْرِ على ظَهرِ الدَّابة.

(فطام البهائم أولادها)

وليس في الأرض بهيمةٌ تَفْطِمُ ولدها عن اللَّبن دَفْعَةً واحدةً، بل تجدُ الظبية أو البقرة أو الأتان أو الناقة، إذا ظنَّت أنَّ ولدها قد أطاق الأكل منَعَتْه بعضَ المنع، ثم لا تزال تُنزلُ^(١٠) ذلك المنع وترتبه وتدرِّجه، حتَّى إذا علمت أنَّ به غنَّى عنها إن هي فطمته فطاماً لا رجعة فيه، منَعَتْه كلَّ المنع. والعرب تسمي هذا التَّدييرَ من البهائم التَّعفيرَ^(١١)، ولذلك قال لبيد:

(١) ط، ش: «وسائر».

(٢) ل: «حتى إذا حطوا عن جميع أصناف الدواب أثقالها».

(٣) المراغة: اسم من مرغه في التراب جعله يتقلب فيه. وانظر كتاب البغال 324.

(٤) الكلام من مبدأ: «ولِلإنسان» ساقط من ل.

(٥) شظ وأشظ: أنعظ. ط، ش: «تنعظ».

(٦) العملة، بالتحريك: العاملون بأيديهم. وفي ل: «العوام».

(٧) ل: «ويقودوا»، تحريف ما في ط، ش.

(٨) الخوارج مشهورون بالشدة. وقد ضرب الناس بهم المثل، قال:

إذا ما البخيل والمحاذر للقرى رأى الضيف مثل الأزقي المجفف
وقال آخر:

وقلب ود حال عن عهد والسيف ينبو بيد الشاري

رسائل الجاحظ 27 ساسي. وانظر لنشاط الترك ص 31 منها.

(١٠) تنزله: تدرجه. وفي الأصل: «ترك».

(١١) «التعفير» سبق كلام الجاحظ فيه 2: 112.

لَمَعْفَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ مَا يُمَنُّ طَعَامُهَا⁽¹⁾
وعلى مثل هذه السيرة والعادة يكون عمل الحمام في فراخه .

(من عجائب الحمام)

[ومن عجيب أمر الحمام أنه يقلب بيضه، حتى يصير الذي كان منه يلي الأرض يلي بدن الحمام من بطنه وباطن جناحه، حتى يُعطي جميع البيضة نصيبها من الحضن، ومن مس الأرض، لعلمه أن خلاف ذلك العمل يفسده]. وخصلة أخرى محمودّة في الحمام، وذلك أن البغل المتولد بين الحمار والرّمكة لا يبقى له نسل، والرّاعيي⁽²⁾ المتولد فيما بين الحمام والورشان، يكثر نسله ويطول عمره ولده. والبُختُ والفوالج، إن ضرب بعضها بعضاً خرج الولد منقوص الخلق لا خير فيه. والحمام كيفما أدركته، وكيفما زاوجت بين متفقها ومختلفها، يكون الولد⁽³⁾ تامّ الخلق، مأمول الخير. فمن نتاج الحمام إذا كان مركباً مشتركاً [ما هو]⁽⁴⁾ كالرّاعيي⁽⁵⁾، والورداني. وعلى أن للورداني غرابة لون وظرافة⁽⁶⁾ قد، وللرّاعيي⁽⁷⁾ فضيلة في عظم البدن والفراخ. وله من⁽⁸⁾ الهديل والقرقرة ما ليس لأبويه، حتى صار ذلك سبباً للزيادة في ثمنه، وعلة للحرص على اتّخاذها.

والغنم على قسمين: ضأن ومعرز، والبقر على قسمين: أحدهما الجواميس، إلا ما كان من بقر الوحش. [والظلف] إذا اختلفا لم يكن بينهما تسافداً ولا تلاقح، فهذه فضيلة للحمام في جهة الإنسال⁽⁹⁾ والإلقاح، واتساع الأرحام لأصناف القبول. وعلى أن بين سائر أجناس الحمام من الوراشيين، والقماري، والفواخت، تسافداً وتلاقحاً⁽¹⁰⁾.

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

ومما أشبه فيه الحمام الناس، أن ساعات الحضن أكثرها على الأنثى، وإنما يحضن الذكر في صدر النهار حضناً يسيراً، والأنثى كالمرأة التي تكفل الصبي فتفطمه وتمرضه⁽¹²⁾، وتتعهده بالتمهيد والتّحريك. حتى إذا ذهب الحضن وانصرم وقته، وصار البيض فراخاً كالعيال

(1) سبق شرح هذا البيت في 2: 113، ش: «غيش» وهو تصحيف.

(2) ط، ش: «الزراغي»، وهو تحريف. واسمه مشتق من الترعب، وهو شدة الصوت، جاء على لفظ النسب وليس به، وقيل منسوب إلى أرض تسمى راعب. اللسان والقاموس.

(3) الزيادة من ش، ل.

(4) زدتها ليلتئم الكلام.

(5) ط، ش: «الزراغي»، وتصحيحه من ل. وانظر التنبيه الثاني.

(6) يقال ظرف ظرفاً، بالفتح وظرافة. والظرافة هنا: حسن الهيئة.

(7) ط، ش: «للزراغي»، وانظر ما سبق.

(8) ط، فقط: «في».

(9) نسل وأنسل: ولد. ط، ش: «الإنسان»، صوابه في ل.

(10) ل: «أصناف».

(11) ط، ش: «تسافد وتلاقح»، والوجه ما أثبت من ل.

(12) التمرّض: حسن القيام على المريض، وكأن الفطيم في سبيل المريض، وفي ش: «تمرّخه» أي تدلكه بالدهن.

وربما كانوا يفعلون ذلك بالفطيم.

في البيت، يحتاجون إلى الطعام والشراب، صار أكثر ساعات الزَّق على الذكر كما كان أكثر ساعات الحضن على الأنثى. ومما أشبه فيه الحمام النَّاس [ما⁽¹⁾] قال مثنى بن زهير (وهو إمام النَّاس في البصرة⁽²⁾) بالحمام وكان جيد الفراسة، حاذقاً بالعلاج، عارفاً بتدبير الخارجي إذا ظهرت فيه مخيلة الخير - و[اسم] الخارجي عندهم: المجهول - وعالماً بتدبير العريق المنسوب إذا ظهرت فيه علامات الفسولة وسوء الهداية⁽³⁾. وقد يمكن أن يخلف ابن قُرشيين⁽⁴⁾ [ويندب⁽⁵⁾] ابن خوزي⁽⁶⁾ من نبطية⁽⁷⁾. وإنما فضلنا نتاج العلية على نتاج السفلة لأن نتاج النجاة فيهم أكثر، والسقوط في أولاد السفلة أعم. فليس بواجب أن يكون السفلة⁽⁸⁾ لا تلد⁽⁹⁾ إلا السفلة والعلية لا تلد إلا العلية. وقد يلد المجنون العاقل، والسخي البخيل، والجميل القبيح.

وقد زعم الأصمعي أن رجلاً من العرب قال لصاحب له: إذا تزوجت امرأة من العرب فأنظر إلى أخوالها، وأعمامها، وإخوتها، فإنها لا تخطئ الشبهة بواحد منهم! وإن كان هذا الموصي والحكيم⁽¹⁰⁾، جعل ذلك حكماً عاماً فقد أسرف في القول، وإن كان ذهب إلى التخويف والزجر والترهيب، كي يختار لنفسه، [و] لأن المتخير أكثر نجابة⁽¹¹⁾ فقد أحسن.

وقال مثنى بن زهير⁽¹²⁾: لم أر شيئاً قط في رجل وامرأة إلا وقد رأيت مثله في الذكر والأنثى من الحمام: رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها، كالمرأة لا تريد إلا زوجها وسيدها، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكورة، ورأيت امرأة لا تمنع يد لأمس، ورأيت الحمامة لا تزيف إلا بعد طرد شديد وشدة طلب⁽¹³⁾، ورأيتها تزيف لأول ذكر يريد لها ساعة يقصد إليها، ورأيت من النساء كذلك، ورأيت حمامة لها زوج وهي تمكن ذكراً آخر لا تعدوه، ورأيت مثل ذلك من النساء، [و] رأيتها تزيف لغير ذكرها وذكرها يراها، ورأيتها لا تفعل ذلك إلا وذكرها يطير أو يحضن، ورأيت الحمامة تقمط الحمام الذكور⁽¹⁴⁾، ورأيت الحمامة تقمط الحمامة، ورأيت أنثى كانت لي لا تقمط إلا⁽¹⁵⁾ الإناث، ورأيت أخرى تقمط الإناث فقط، ولا تدع أنثى تقمطها.

[قال]: ورأيت ذكراً [يقمط الذكورة وتقمطه؛ ورأيت ذكراً] يقمطها و[لا] يدعها تقمطه⁽¹⁶⁾، ورأيت أنثى تزيف للذكورة ولا تدع شيئاً منها يقمطها.

- (1) زيادة يقتضيها الكلام.
- (2) ط، ش: «في البصرة»، وصوابه في ل.
- (3) ما سيأتي من الكلام استطراد من الجاحظ. وقول مثنى بن زهير سيبدأ في السطر الثالث عشر من هذه الصفحة.
- (4) ط، ش: «قرشيين» وهما صحيحتان، يقال قرشي وقرشي. ويخلف، بضم اللام: يحقق.
- (5) يندب: يكون ندباً، أي ظريفاً نجيباً. في ل: «يندب»، وش: «يندر» ولعل الصواب فيما وجهت به.
- (6) الخوزي: المنسوب إلى خوزستان. وفي ش: «حروي»، وهو تحريف ما في ل.
- (7) الزيادة من ش، ل.
- (8) ط، ش: «السفلى»، بالنسبة إلى «السفلة».
- (9) ط، ش: «يلد».
- (10) ل: «والمعلم».
- (11) ط، ش: «نجاة»، تحريف ما أثبت من ل.
- (12) انظر العقد 6: 240 تأليف.
- (13) كذا في ل، ونهاية الأرب. وفي ط، ش: «وكثرة». (14) ل: «الذكر».
- (15) الزيادة من ش.
- (16) زيادة: «لا» من ش، ل. وفي ط: «ويدعها حتى تقمطه»، وهو تحريف.

قال: ورأيت هذه الأصناف كلها في السحاقات من المذكرات والمؤنثات، وفي الرجال الحلقين⁽¹⁾ واللواطيين⁽²⁾. وفي الرجال من لا يريد النساء، وفي النساء من لا يريد الرجال⁽³⁾.

قال: وامتنعت عليّ خصلة، فوالله لقد رأيت من النساء من تزني أبداً، وتساحق أبداً، ولا تتزوج أبداً، ومن الرجال من يلوّط أبداً، ويزني أبداً ولا يتزوج⁽⁴⁾، ورأيت حماماً ذكراً يقمط ما لقي ولا يزواج. ورأيت حمامة تمكّن كل حمام أرادها من ذكر وأنثى، وتقمط الذكورة والإناث، ولا تزواج. ورأيتها تزواج ولا تبيض، وتبيض فيفسد بيضها؛ كالمرأة تتزوج وهي عاقر، وكالمرأة تلد وتكون خرقاء ورهاء. ويعرض لها الغلظة⁽⁵⁾ والعقوق للأولاد، كما يعترى ذلك العقاب. وأما أنا فقد رأيت الجفاء للأولاد شائعاً في اللواتي حملن من الحرام. ولربما ولدت من زوجها، فيكون عطفها وتحننها كتحنن⁽⁶⁾ العفيفات السّيرتات، فما هو⁽⁷⁾ إلا أن تزني أو تفحب فكأن الله لم يضرب بينها وبين ذلك الولد [ب] شبكة رحم، [و] كأنها لم تلده.

قال مثنى بن زهير: ورأيت ذكراً له أنثيان وقد باضتا منه، وهو يحضن مع هذه ومع تلك، ويؤق مع هذه ومع تلك، ورأيت أنثى تبيض بيضة، ورأيت أنثى تبيض في أكثر حالاتها ثلاث بيضات. وزعم أنه إنما جزم بذلك فيها ولم يظنه بالذكر، لأنها قد كانت قبل ذلك عند ذكر آخر، وكانت تبيض كذلك.

ورأيت أنا حمامة في المنزل لم يعرض لها ذكر إلا اشتدت نحوه بحدّة ونزق⁽⁸⁾ وتسرع، حتى تنقر أين صادفت منه، حتى يصد عنها⁽⁹⁾ كالهارب منها. وكان زوجها جميلاً في العين رائعاً، وكان لها في المنزل بنون وبنو بنين [و] بنات⁽¹⁰⁾ وبنات بنات، وكان في العين كأنه أشب من جميعهن⁽¹¹⁾. وقد بلغ من حطوته أنني قلما رأيته أراد واحدة من عرض تلك الإناث⁽¹²⁾ فامتنعت عليه، وقد كن يمتنعن من غيره. فبينما أنا ذات يوم جالس بحيث أراها إذ رأيت تلك الأنثى قد زافت لبعض بنيتها! فقلت لخادمي⁽¹³⁾: ما الذي غيّر عن ذلك الخلق الكريم؟ فقال: إني رحلت زوجها من القاطول⁽¹⁴⁾ فذهب، ولهذا شهر⁽¹⁵⁾. فقلت: هذا عذر!

(1) الحلقى: الذي فسد عضوه فانعكس ميل شهوته، وهو من ألفاظ المولدين. شفاء الغليل 70.

(2) ط، ش: «اللواطيين».

(3) ل: «من لا يريد إلا» في الموضعين.

(4) ط، ش: «من تزني أبداً ولا تتزوج وتساحق أبداً ولا تتزوج أبداً». وإصلاح العبارة وإكمالها من ل، ونهاية الأرب.

(5) كذا على الصواب في ل، وفي ط، ش: «الغلظة».

(6) ل: «وتحننها كتحني»، والتحنن والتحنني بمعنى، وهو العطف.

(7) ل: «هي»، وهما صحيحان في العربية، أي فما الشأن أو فما القصة.

(8) النزق: الطيش والتسرع. في ط، ل: «نزق» محرفة. ش: «نزق» أي تسرع إسراعاً. ولا ينسجم بها الكلام.

(9) ل: «ينقر» محرف. ط، ش: «صادفته» وأثبت ما في ل. وفي ل: «حتى يصدن» محرفة.

(10) الزيادة من ل، ش.

(11) ط، ش: «جميع بنيه».

(12) ط، ش: «تلك الحمام الإناث».

(13) ل: «لخادم لي».

(14) القاطول: نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر. معجم البلدان. وفي ل:

«خليت» مكان «رحلت»، وبكل منهما يصح المعنى.

(15) ل: «وهذا منذ شهر».

قال مثنى بن زهير: قد رأيت الحمامة تزواج هذا الحمام، ثم تتحول منه إلى آخر، ورأيت ذكراً فَعَلَ⁽¹⁾ مثل ذلك في الإناث. ورأيت الذكر كثير النسل قوياً على القمط، ثم يُصْفِي كما يُصْفِي الرَّجُلُ إذا أكثر من النسل والجماع⁽²⁾. ثم عدد مثنى أبواباً غير ما حفظت ممّا يُصَابُ مثله في الناس.

(خبرة مثنى بن زهير بالحمام)

وزعموا أنّ مثنى كان ينظر إلى العاتق والمخلف⁽³⁾، فيظن أنه يجيء من الغاية [فلا يكاد ظنه يخطيء]. وكان إذا أظهر ابتياع حمام أغلوه عليه، وقالوا: لم يطلبه إلا وقد رأى فيه علامة المجيء من الغاية، وكان يدس في ذلك ففطنوا له وتحفظوا منه، فربما اشترى نصفه وثلثه، فلا يقصّر عند الرجال⁽⁴⁾ من الغاية. وكان له خَصِيٌّ يقال [له⁽⁵⁾] خديج، يجري مجراه، فكانا إذا تناظرا في شأن طائر لم تُخْلَفِ فراستهما.

(المدة التي يبيض فيها الحمام والدجاج)

قال: والحمام تبيض عشرة أشهر من السنة، فإذا صانوه وحفظوه، وأقاموا له الكفاية وأحسنوا تعهده، باض في جميع السنة. قالوا: والدجاجة تبيض في كل السنة خلا شهرين.

(ضروب من الدجاج)

ومن الدجاج ما هو عظيم الجثة، يبيض بيضاً كبيراً، وما أقل ما يحضن، ومن الدجاج ما يبيض ستين بيضة. وأكثر الدجاج العظيم الجثة يبيض أكثر من الصغير الجثة⁽⁶⁾. قال: أما الدجاج التي نسبت إلى أبي ريانوس⁽⁷⁾ الملك، فهو طويل البدن ويبيض في كل يوم، وهي صعبة الخلق وتقتل فراريجهما. ومن الدجاج الذي يربى في المنازل ما يبيض مرتين في اليوم، ومن الدجاج ما إذا باض كثيراً مات سريعاً، لذلك العرض⁽⁸⁾.

(1) كذا في ل، ش. وفي ط: «يفعل».

(2) أصفى الرجل: نفذ ماء صلبه. ل: «إذا أكثر من الجماع».

(3) العاتق: فوق الناهض، وذلك في أول ما يتحسر ريشه ونبت له ريش جلدي، أي شديد، والجمع عتق. المخصص 8: 128، وفي ط، ل: «القائق» وفي ش: «العايق»، وصوابه ما أثبت. وانظر صفحة 125 س3، والمخلف: المراد به المسن. وأصله في الإبل ما فوق البازل: الذي في التاسعة.

(4) الرجال: إرسال الحمام كما سبق في ص 84، ط: «الرجل»، ل: «الرجال»، وصوابه مما سبق ومن صفحة 124.

(5) ليست بالأصل.

(6) ط، ش: «يبيض بيضاً كبيراً».

(7) كذا في ط، ش. وفي ل: «ارديانوس». وانظر الاستدراكات بآخر هذا الجزء.

(8) أي ما يعرض لها من كثرة البيض. ط: «الفرض»، ل، ش: «الغرض»، وهما تحريف ما أثبت.

(عدد مرات البيض عند الطيور)

قال : والخُطَاف تبيض مَرَّتَيْنِ⁽¹⁾ في السَّنة ، وتبني بيتَها في أوثق مكانٍ وأعلاه . فأما الحمام والفواخت ، والأطْرُغَلَاتِ⁽²⁾ والحمام البري ، فإنها تبيض مَرَّتَيْنِ في السنة . والحمام الأهلي يبيض عَشْرَ مرات . وأما القَبَج والدَّرَاج فهما يبيضان بين العُشب ، ولا سيما فيما طال شيئاً والتوى .

(خروج البيضة)

وإذا باضَ الطَّيْرُ بيضاً لم تخرُج البيضة⁽³⁾ من حدِّ التحديد والتَّلطيف ، بل يكون الذي يبدأ بالخروج الجانب الأعظم ، وكان الظنُّ يسرعُ إلى أنَّ الرأسَ المحدد هو الذي يخرج أولاً . [قال] : وما كان من البيض مُستطيلاً محدَّد الأطراف فهو للإناث ، وما كان مستديراً عريضَ الأطراف فهو للذكور .

قال : والبيضة عندَ خروجِها لينة القِشْر ، غير جاسية⁽⁴⁾ ولا يابسة ولا جامدة .

(بيض الريح والتراب)

قال : والبيض⁽⁵⁾ الذي يتولد من الريح والتراب أصغرُ وألطف ، وهو⁽⁶⁾ في الطَّيْب دُونَ الآخر⁽⁷⁾ . ويكونُ بيضُ الرِّيح من الدجاج والقَبَج⁽⁸⁾ ، والحمام ، والطاوس ، والإوز .

(أثر حضن الطائر)

قال : وحَضْن الطائر وجثومه على البَيض صلاح لبَدَن الطائر ، كما يكون صلاحاً لبَدَن البيض . و[لا⁽⁹⁾] كذلك الحَضْن على الفراخ والفرايح⁽¹⁰⁾ فربما⁽¹¹⁾ هلك الطائر عن ذلك السبب .

(1) كذا في ط . وفي ل : «مرة» .

(2) ل : «الأطْرغلة» ، والوجه ما أثبت من ط ، ش .

(3) ش : «لم يخرج بيضه» .

(4) الجاسية : الصلبة . وفي ط : «قاسية» ، وهي صحيحة أيضاً .

(5) في الأصل : «والبعض» .

(6) ط ، ش : «وهي» ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب 10 : 180 .

(7) كذا في ل ، وهو الموافق لما في نهاية الأرب ، والدميري حيث يقول : «وأغذى البيض وألطفه ذوات الصفرة ، وأقله غذاء ما كان من دجاج لا ديك لها» ، يعني بذلك البيض الترابي . وانظر عجائب المخلوقات في الكلام على الدجاج . في ط ، ش : «أطيب من الآخر» ، وهو خطأ .

(8) القبيح : بالتحريك : الحجل ، وهو طائر على قدر الحمام أحمر المنقار والرجلين .

(9) ليست بالأصل .

(10) جمع فروج ، وهو فرخ الدجاج خاصة . وفي ط : «الزراريج» ، وفي ش : «الدراريج» ، وكلاهما تحريف .

(11) ط ، ش : «والأوز وربما» ، ل : «والأفرىما» ، وقد جعلت العبارة كما ترى .

(تَكُونُ بَيْضَ الرِّيحِ)

وزعم ناسٌ أن بَيْضَ الرِّيحِ إنما تَكُونُ ⁽¹⁾ مِنْ سَفَادٍ مُتَقَدِّمٍ . وذلك خطأٌ من وجهين : أمَّا أحدهما فأن ذلك قد عُرِفَ ⁽²⁾ مِنْ فَرَارِيحٍ لَمْ يَرَيْنَ دِيكاً قَطْ . والوجه الآخر : أن بَيْضَ الرِّيحِ لم يكن منه فُرُوجٌ ⁽³⁾ قَطْ إلا أن يَسْفَدَ الدَّجَاجَةُ دِيكاً ، بعد أن يَمْضِي ⁽⁴⁾ أَيْضاً خَلْقُ البَيْضِ .

(معارف شتى في البَيْضِ)

قال : وبَيْضَ الصَّيْفِ المحضون أسرعُ خروجاً منه في الشتاء ، ولذلك تحضن الدجاجة البَيْضَةَ في الصَّيْفِ خمس عشرة ليلة ⁽⁵⁾ .

قال : وربما عَرَضَ غَيْمٌ في الهواء أو رَعْدٌ ، في وقتِ حَضْنِ الطائر ، فيفسدُ البَيْضَ . وعلى كل حال ففساده في الصيف أكثرُ ، والموتُ فيها في ذلك الزمان أعم . وأكثرُ ما يكون فسادُ البَيْضِ في الجَنَائِبِ ⁽⁶⁾ ، ولذلك كان ابن الجهم ⁽⁷⁾ لا يطلبُ من نسائه الولدَ إلاَّ والرَّيحَ شمال . وهذا عندي تعرُّضٌ للبلاء ، وتحكُّكٌ بالشرِّ ، واستدعاءٌ للعقوبة . وقال : وبعضهم ⁽⁸⁾ يسمي بَيْضَ الرِّيحِ : البَيْضَ الجُنُوبِيَّ ؛ لأنَّ أصنافَ الطَّيْرِ تَقْبَلُ الرِّيحَ في أجوافها . وربما أفرخ ⁽⁹⁾ بَيْضُ الرِّيحِ بسفادٍ كان ، [و] لكنَّ لونه يكونُ متغيِّراً . وإن سفدَ الأنثى طائرٌ من غير جنسها ⁽¹⁰⁾ ، غير خلق [ذلك] المخلوق الذي كان من الذَّكَرِ المتقدِّم . وهو ⁽¹¹⁾ في الديكةِ أعم . ويقولون : إنَّ البَيْضَ يكون من أربعة أشياء : فمنه ما يكون من التُّراب ، و[منه ما يكون] من السفاد ، ومنه ما يكون من التَّسِيمِ إذا وصلَ إلى أرحامهن وفي بعض الزَّمان ⁽¹²⁾ ، ومنه شيءٌ يعتري الحَجَلَ وما شاكلة في الطَّبيعة ؛ فإنَّ الأنثى ربَّما كانت على سُفَالَةِ الرِّيحِ التي تهبُّ من شِقِّ ⁽¹³⁾ الذَّكَرِ في بعض الزَّمان فتحتشي من ذلك بَيْضاً . ولم أرهم يشكون أن النَّخْلَةَ الْمُطْلَعَةَ ⁽¹⁴⁾ تكونُ بقرِبِ الفُحَّالِ ⁽¹⁵⁾ وتحت رِيحه ، فتلقح بتلك الرِّيح وتكتفي بذلك . قال : وبَيْضُ أبكارِ الطَّيْرِ أصغر ، وكذلك أولادُ النساء ، إلى أن تتسع الأرحام وتنتفخ الجنوب ⁽¹⁶⁾ .

- (1) ش : «يكون» .
- (2) ط : «عرض» وهي صحيحة ، وأثبت ما في ش ، ل ونهاية الأرب 10 : 180 .
- (3) ش : «منه» . ل : «فرخ» ، نهاية الأرب : «فروخ» : جمع فرخ ، كما في القاموس .
- (4) ل : «يتم» . (5) ش : «ثمان عشرة ليلة» .
- (6) جمع جنوب بالفتح ، وهي الرِّيح الجنوبية .
- (7) هو محمد بن الجهم البرمكي ، أسلفنا ترجمته في 2 : 128 .
- (8) ط ، ش : «وقال بعضهم» . (9) ط : «افترخ» ، وهو تحريف .
- (10) ل : «شكلها» . (11) ش : «وهي» .
- (12) ل : «ومنه ما يكون من نسيم ريح إذا وصل إلى أرحامها في بعض الزمان» .
- (13) ط ، ش : «جهة» وهما بمعنى .
- (14) المطعمة : التي أدركت أن تثمر . يقال : أطعمت الشجرة . وانظر الحيوان 2 : 133 و 5 : 142 والعقد : 6 : 240 تأليف .
- (15) الفحال : ذكر النخل . (16) كذا في ل . وفي ط ، ش : «إلا أن تتسع الأرحام وتنتفخ الجنوب» .

(هديل الحمام)

ويكون هديل الحمام [الفتي] ضئيلاً، فإذا زق مراراً فَتَحَ الرِّقَّ جُلْدَةً عَبَّه ⁽¹⁾ وحوصلته، فخرَجَ الصَّوْتُ أَعْلَظَ وأَجْهَرَ.

(حياة البكر)

وهم لا يثقون بحياة البكر ⁽²⁾ من النَّاسِ ⁽³⁾ كما يثقون بحياة الثاني ⁽⁴⁾ ويرون أنَّ طَبِيعَةَ الشباب والابتداء لا يعطيان ⁽⁵⁾ شيئاً إِلَّا أَخَذَهُ تَضَائِقُ مَكَانِهِ مِنَ الرَّحْمِ، ويحبُّون أن تبكَّرَ بجارية! وأظُنُّ أن ذلك إنما هو لشدة خوفهم على الذكر. وفي الجملة لا يتيَّمُونُ بالبكر الذكر ⁽⁶⁾. فإن كان البكرُ ابنَ بكرٍ تشاءموا ⁽⁷⁾ به، فإن كان البكرُ ابنَ بكرين فهو في الشؤم مثل قيس بن زهير، والبسوس ⁽⁸⁾، فإن قيساً كان أزرق ⁽⁹⁾ وبكراً ابن بكرين ولا أحفظ شأن البسوس حفظاً أجزم عليه.

(ما يعتري الحمام والإوز بعد السفاد)

قال: وأما الحمام فإنه إذا قَمَطَ تَنَفَّشَ ⁽¹⁰⁾ وتكَبَّرَ وَنَفَضَ ذَنْبَهُ ⁽¹¹⁾ وَضَرَبَ بِجَنَاحِهِ، وأما الإوزُ فإنه إذا سفد أكثر من السباحة، واعتراه في الماء من المَرَحِ مثل ما يعتري الحمام في الهواء.

قال: وبيضُ الدجاج يتمُّ خلقه في عشرة أيام وأكثر شيئاً ⁽¹²⁾، وأما بيض الحمام ففي أقل من ذلك.

(1) الغيب: ما تحت الحنك. وفي ط، ش: «عينه»، وهو تحريف عجيب.

(2) كذا في ل، ش. وفي ط: «بحيات ولد البكر»، تحريف.

(3) ما عدا ش: «النساء». (4) ط: «بحيات»، ش: «أنثى»، تحريفان.

(5) أي يعطيان البكر. ط، ل: «يعطيان».

(6) يتيَّمون: من التيمن: ضد التشاؤم. ط، ش: «لا يتيَّمون للبكر»، وهو على الوجه في ل. وانظر الحيوان 5: 224.

(7) في الأصل: «تشأم»، وإنما يقال هذه لمن انتسب إلى بلاد الشام.

(8) هي البسوس بنت منقذ التميمية، قالوا: استجار بها جار لها من جرم ومعه ناقة له، فرماها كليب بن وائل لما رآها في حماء، فلجأ الجرمي إلى البسوس، فهيجت أهلها للحرب، فهاجوا واستمرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة. وسميت بحرب البسوس - ثمار القلوب 245 والعقد 3: 347 وكامل ابن الأثير 1: 313 وأمثال الميداني 2: 359 والأغاني 4: 139.

(9) ليس المراد زرقة الجلد، وإنما المراد زرقة العين، يقال رجل أزرق وامرأة زرقاء، ويراد بذلك خضرة الحدقة. المخصص 1: 100، والعرب يكرهون ذلك ويتهاجون به. قال:

لقد زرقت عيناك يابن مكعبير
كذا كل ضبي من اللؤم أزرق

وجاء في القرآن: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: 102]، أي زرق العيون. وكان شؤم قيس بن زهير في إثارة حرب داحس والغبراء، وكان هو صاحب داحس: فحل من الخيل، وكان صاحب الغبراء حمل بن بدر، وتراهننا على السباق، وحدث خلاف بينهما في مستحق الرهان، أدى إلى حروب دامت أربعين سنة. العقد 3: 313 وانظر كامل ابن الأثير 1: 343 والأغاني 7: 143، 16: 23 وأمثال الميداني 2: 51.

(10) تنفش: نفث ريشه.

(11) ش: «ثوبه».

(12) الواو هنا بمعنى أو، كما جاء في قوله:

(احتباس بيض الحمامة)

والحمامة ربّما احتبَسَ البيضُ في جوفها بعدَ الوقتِ ⁽¹⁾ لأُمورٍ تُعرِضُ لها: إمّا لأمرٍ عَرَضَ لِعُشِّها [وأفحوصها]، وإمّا لنتفٍ [ريشها] ⁽²⁾، وإمّا لعلّةٍ وجعٍ من أوجاعها ⁽³⁾ وإمّا لصوتٍ رعدٍ؛ فإنَّ الرّعدَ إذا اشتدَّ لم يَبْقَ طائرٌ على الأرضِ واقعٍ ⁽⁴⁾ إلّا عداً فزعاً، وإن كان يطيرُ رَمَى بنفسه إلى الأرضِ ⁽⁵⁾. قال علقمة بن عبدة:

رغاً فوقهم سَقُبُ السَّماءِ فداحضٌ بشكّته لم يُستَلَبْ وسليبٌ ⁽⁶⁾
كأنّهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطيرهنّ ديبٌ ⁽⁷⁾

(تقبيل الحمام)

قال: وليس التّقْبِيلُ إلّا للحمام والإنسان، ولا يدعُ ذلك ذكرُ الحمام إلّا بعدَ الهَرَمِ. وكان في أكثرِ الظّنِّ أنّه أحوَجُ ما يكونُ [إلى] ذلك التّهييجُ به عندَ الكِبَرِ والضعفِ. وتزعُمُ العوالمُ أنّ تسافدَ الغرّبان هو تطاعُمُهما بالمناكيرِ، وأنّ إلحاقها إنّما يكونُ من ذلك الوجه. ولم أَرَ العلماءَ يعرفون هذا. قال: وإنّاتُ الحمام إذا تسافدت أيضاً قَبَلَ بَعْضُهُنَّ بعضاً، ويقال إنّها تبيضُ عند ذلك، ولكن لا يكون عن ذلك البيضُ فراخ، وإنّه في سبيل بيض الريح ⁽⁸⁾.

(تكوّن الفرخ في البيضة)

قال: وَيَسْتَبِينُ خَلْقُ الْفِرَاحِ إذا مضت لها ثلاثَةُ أَيّامٍ بلياليها، وذلك في شَبَابِ الدّجاج، وأمّا في المَسَانِ منها فهو أكثر. وفي ذلك الوقت تُوجَدُ الصُّفْرَةُ من النّاحيةِ العُليا ⁽⁹⁾ من البيضة، عند الطّرفِ المحدّد [و] حيث يكون أَوَّلُ نَقَرِها، فَثُمَّ ⁽¹⁰⁾ يستبين في بَيَاضِ البِيضَةِ مثلاً نقطة من دَمٍ، وهي تختلج وتتحرك. والفرخ إنّما يُخلق من البَيَاضِ، وَيَعْتَذِي الصُّفْرَةُ، ويتمّ خَلْقُهُ لعشرةِ أَيّامٍ. والرّأْسُ وحْدَهُ يكون أكبرَ من سائرِ البدنِ.

(1) أي بعد الوقت المقدّر لنزوله. (2) الزيادة من ل، ش.

(3) ل: «وإمّا لوجع من أوجاعها».

(4) ل: «واقعاً»، فهو نصب على الحال من النكرة الموصوفة. والرفع جائز على الوصف أيضاً.

(5) ط، ش: «وإن كان يطير إلا رمى»، ل: «وإن يطير رمى»، وجعلت الكلام كما ترى.

(6) سقب السماء، وهو ولد ناقة صالح، قالوا: لما عقرت أمه رغا، فنزل العذاب بقوم صالح: فجعل العرب ذلك مثلاً في الاستئصال. انظر ثمار القلوب 282: وفي اللسان: «دحض برجله ودحّص: فحص برجله». وروى القالي البيت في أماليه 2: 133 بالصاد المهملة. وقال: «وكان بعض العلماء يرويه: (فداحض). وهذا البيت أحد ما نسب فيه إلى التحريف». ولعله يعني الجاحظ. والشكة: السلاح.

(7) طير الصواعق: طيرانها، أي سرعتها. وفي ش: «للطير هن ديب»، أي إن تلك الصواعق التي تنزل بهم تجلب الموت فتتحرك الطير لتأكل من القتلى. أي إن الصواعق سبب لديب الطير.

(8) سماه في 2: 134 «البيض الترابي».

(9) ط: «العلياء».

(10) ل فقط: «فالقلب»، وأراه تحريقاً.

(البيض العجيب)

قال: ومن الدجاج ما يبيض بيضاً له صُفْرَتَانِ في بعض الأحيان، خبرني بذلك كم شئت⁽¹⁾، من ثقات أصحابنا.

وقال صاحب المنطق: وقد باضت فيما مضى دجاجة ثمانِي عشرة بيضة، لكل بيضة مُحْتَانِ⁽²⁾، ثم سَخِنَتْ وحُضِنَتْ، فخرج من كل بيضة فُرُوجَانِ، ما خلا البيض الذي كان فاسداً في الأصل، وقد يخرج من البيضة فُرُوجَانِ⁽³⁾، ويكون أحدهما أعظم جثّة، وكذلك الحمام. وما أقل ما يغادر الحمام أن يكون أحد الفرخين⁽⁴⁾ ذكراً، والآخر أنثى.

(معارف في البيض)

قال: وربما باضت الحمامة وأشباهها من الفواخيت ثلاث بيضات، فأما الأطرغلات والفواخيت⁽⁵⁾ فإنها تبيض بيضتين، وربما باضت ثلاث بيضات، ولكن لا يخرج منها أكثر من فرخين، وربما كان واحداً فقط.

قال: وبعض الطير لا يبيض إلا بعد مُرُورِ الحَوْلِ عليه كَمَلًا⁽⁶⁾، والحمامة في أكثر أمرها يكون أحد فرخيها ذكراً والآخر أنثى، وهي تبيض أولاً البيضة التي فيها الذكر، ثم تُقيم يوماً وليلة، ثم تبيض الأخرى، وتحضن ما بين السبعة عشر يوماً إلى العشرين، على قدر اختلاف طباع الزمان، والذي يعرض لها من العلل. والحمامة أبر بالبيض، والحمام أبر بالفراخ.

[قال]: و[أما] جميع أجناس الطير ممّا يأكل اللحم، فلم يظهر لنا أنه يبيض ويُفرخ أكثر من مرة واحدة، ما خلا الخُطّاف فإنه يبيض مرتين.

(تربية الطيور فراخها)

والعقاب تبيض⁽⁷⁾ ثلاث بيضات، فيخرج لها فرخان. واختلفوا فقال بعضهم: لأنها لا تحضن إلا بيضتين، وقال آخرون: قد تحضن ويخرج لها ثلاثة أفراخ، ولكنها ترمي بواحد⁽⁸⁾

(1) كذا في ل، ش. وانظر 3: 128 و 4: 27 و 5: 252 وكتاب البغال 264، وفي ط: «شبيث»، تحريف.

(2) المحة والمخ: صفة البيض. جاء في ش: «محان»، وهما صحيحان.

(3) ل: «فرخان»، والأفضل ما أثبت من ط، ش.

(4) في الأصل: «الفروجين»، وإنما يكون الفروج للدجاج خاصة.

(5) ط، ش: «الفواخيت»، ووجه ما أثبت من ل.

(6) كَمَلًا: أي كاملاً. وبالأخيرة جاءت الرواية في ط، ش.

(7) في الأصل: «يبيض». والعقاب يطلق على الذكر والأنثى، ولكنه أراد الأنثى هنا.

(8) ط، ش: «بواحدة».

استثقالاً للتكسب على ثلاثة. وقال آخرون: ليس ذلك إلا بما⁽¹⁾ يعتريها من الضعف عن الصيد؛ كما يعتري النفساء من الوهن والضعف، وقال آخرون: العقاب طائر سيئ الخلق، رديء التربية، وليس يستعان⁽²⁾ على تربية الأولاد إلا بالصبر. وقال آخرون: [لا، و] لكنها شديدة النهم والشرة، وإذا لم تكن أم الفراخ ذات أثر لها، ضاعت. وكذلك قالوا في العقق، عند إضاعتها لفراخها، حتى قالوا: «أحمق من عقق»، كما قالوا: «أحذر من عقق».

وقالوا: وأما الفرخ الذي يخرج العقاب، فإن المكلفة، وهي طائر يقال لها كاسر العظام⁽³⁾، تقبله⁽⁴⁾ وتربيته.

والعقاب تحضن⁽⁵⁾ ثلاثين يوماً، وكذلك كل طائر عظيم الجثة، مثل الإوز وأشباه ذلك، فأما الوسط فهو يحضن عشرين يوماً. مثل الجدا⁽⁶⁾ ومثل أصناف البزاة⁽⁷⁾ كالبواشق واليأيى⁽⁸⁾. والحدأة⁽⁹⁾ تبيض بيضتين، وربما باضت ثلاث بيضات وخرج منهن ثلاثة فراخ.

قالوا: وأما العقبان السود الألوان، فإنها تربي وتحضن⁽¹⁰⁾.

وجميع الطير المعقف المخالب تطرد فراخها من أعشاشها⁽¹¹⁾ عند قوتها على الطيران. وكذلك سائر الأصناف من الطير⁽¹²⁾؛ فإنها تطرد الفراخ [ثم] لا تعرفها، ما عدا الغداف⁽¹³⁾؛ فإنها لا تزال لولدها قابلة، ولحاله متفقدة.

(1) بما: بمعنى لما. وفي ل: «ليس ذلك لما»، وهو كلام ناقص.

(2) ل: «يقوى شيء».

(3) ل: «يقال لها قينا».

(4) تقبله: تكفله. والقبيل: الكفيل.

(5) في الأصل: «يحضن». والعقاب هنا مؤنثة.

(6) هو جمع حدأة. وفي ط، ل: «الحدأة».

(7) ط: «البزات»، وصوابه في ش، ل. وهو جمع باز.

(8) اليأيى: جمع يؤيؤ، وهو طير جارح يشبه الباشق. قال أبو نواس في طردية:

حفظ المهيمن يؤيئي ورعاه ما في اليأيى يؤيؤ شرواه

أي شبيهه. ط: «اليأيى». ش: «اليأيى»، وهما تحريف ما أثبت وهذه الكلمة والتي قبلها ساقطتان من ل.

(9) ش: «والحدأة»، وهو تحريف.

(10) ل: «تبيض وتحضن».

(11) ط، ش: «أعشتها»، ولم أر هذا الجمع ووجدتهم يجمعون العش على عشاش، وعششة وأعشاش. انظر المصباح.

(12) ل: «سائر أصناف الطير».

(13) كذا.

(أجناس العقبان)

وقال قوم⁽¹⁾: إِنَّ الْعُقْبَانَ وَالْبُزَاةَ التَّامَةَ، وَالْجَهَارَرَانِكَ⁽²⁾، وَالسُّمْنَانَ⁽³⁾. وَالزَّمَامِجَ⁽⁴⁾ وَالزَّرَارِقَةَ⁽⁵⁾ إِنَّهَا كُلُّهَا عُقْبَان. وَأَمَّا الشَّوَاهِينُ وَالصُّقُورَةُ، وَالْيَوَائِي⁽⁶⁾، فَإِنَّهَا أَجْنَاسٌ أُخَر.

(حضن الطير)

[قال: وقالوا: فراخ البزاة سمينَةٌ طَيِّبَةٌ جَدًّا]. وَأَمَّا الْإِوزَةُ فَإِنَّهَا [التي] تَحْضُنْ دُونَ الذَّكَرِ⁽⁷⁾، وَأَمَّا الْغُرْبَانُ فَعَلَى الْإِنَاثِ الْحَضْنِ، وَالذَّكَورَةُ تَأْتِي الْإِنَاثَ بِالطُّعْمَةِ⁽⁸⁾. وَأَمَّا الْحَجَلُ فَإِنَّ الزَّوْجَ مِنْهَا⁽⁹⁾ يَهَيِّئَانِ لِلْبَيْضِ عُشَّيْنِ وَثِقَتَيْنِ⁽¹⁰⁾ مَقْسُومَتَيْنِ⁽¹¹⁾ عَلَيْهِمَا، فَيَحْضُنْ أَحَدُهُمَا الذَّكَرُ، وَالْآخَرُ الْأُنْثَى⁽¹²⁾، وَكَذَلِكَ هُمَا فِي التَّرْبِيَةِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَعِيشُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَلَا تَلْفَحُ الْأُنْثَى بِالْبَيْضِ⁽¹³⁾ وَلَا يُلْقِحُ الذَّكَرُ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ.

(1) ل: «وزعم غيره».

(2) المراد بالبزاة أو العقبان التامة: التامة الأوصاف، وهو من تعبير البزرة، كتب بذلك إلينا حضرة العلامة الكبير الأب أنستاس، كما كتب أيضاً: «الجهاررنك» أو «الجهاررنك» هي مركبة من «جهار» أي أربعة، و«رنك» أو «رانك» أي لون، فيكون معنى الكلمة المركبة الفارسية: ذا الألوان الأربعة. وسبب تسمية هذه العقبان، أو البزاة ذات أربعة ألوان هو وجود الأبيض والأصفر والأسود والأزرق فيها. واللونان الأولان بالتصغير، أي الضارب إلى الأبيض والضارب إلى الأصفر؛ لأن هذين اللونين ليسا محضين في ريش تلك الطير. وقلت: هذه الكلمة هي في الأصل محرفة ففي ط، ش: «الجهدانك» وفي ل: «الجهدانك». وقد اتضح الصواب مما تفضل به حضرة الأب.

(3) كذا في ط، ش. وفي ل: «النيميات». وقد تفضل حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس، فكتب إلى: «والسمان من البزاة والجوارح: كل ما طعن منها في السن، وهي جمع سمين. والعوام من العراقيين يسمونها: سمنان - كرجفان - فهي إذا طعنت في السن ضخم جسمها وقعدت عن الصيد». «والنيميات منسوبة إلى نيم، بالكسر، الفارسية، بمعنى نصف. ويشار به إلى تلك البزاة، أو العقبان الصغيرة الجسم، وهي تكون في أغلب الأحيان أشد صيداً وجراءة من نظائرها الكبيرة الجسم أو الجثة. ويؤتى بها من البلاد الباردة، أو من الأرجاء الجبلية». وعقب حضرته على ذلك بقوله: «وكل ذلك مذكور في كتب البزرة التي سرت مني. وكان عندي منها ثلاث نسخ مملوءة أو مشحونة اصطلاحات».

(4) الزمامج: جمع زمج، بضم الزاي وتشديد الميم المفتوحة.

(5) الزرارقة: جمع زرق بضم الزاي وتشديد الراء المفتوحة، والمعروف زراريق. وفي الأصل: «الزراقة»، وهو تحريف.

(6) كذا على الصواب في ل. وهو جمع يؤيؤ. ط، ش: «البوازي».

(7) كذا في ل وهو الصواب. وفي ط: «وأما الأوز فإنها تحضن دون الذكورة» ومثله في س زيادة: «التي» بعد «فإنها».

(8) في اللسان: «الطعمة، بالضم: شبه الرزق». وفي ل: «بالطعم»، ومثله في عيون الأخبار (2: 94) وهو بالضم: الطعام.

(9) ل، ط: «منهما»، وصوابه في ش.

(10) الوثيق: المحكم. وبدلها في ط: «بيضتين» وفي ش: «بيضين» وهو تحريف عجيب.

(11) ط فقط: «مقسومتين».

(12) فضلت هذا الضبط لما جاء في نهاية الأرب نقلاً عن الجاحظ: «وإذا باضت الحجلة ميز الذكر الذكور منها فيحضنها، وميزت الأنثى الإناث فتحضنها، وكذلك هما في التربية». ومثل هذا الكلام عند الدميري، مع نسبتة إلى التوحيدي.

(13) ط، ش: «الببيض»، والوجه ما أثبت كما في ل ونهاية الأرب (10: 233).

(الطاوس)

قال : وأما الطَّائِسُ فأوَّلُ ما تبييضُ فإنها تبيضُ ثمانِيَّ⁽¹⁾ بيضات . وتبيضُ أيضاً ببيضُ الريح . والطَّائِسُ يُلقِي ريشَه في زَمَن الحَرِيف إذا بدأ أوَّل ورقِ الشَّجَرِ يسْقُطُ⁽²⁾ . وإذا بدأ الشَّجَرُ يكتسي ورقاً ، بدأ الطَّائِسُ فاكْتَسَى⁽³⁾ ريشاً .

(ما ليس له عَشُّ من الطير)

قال : وما كان من الطَّيْرِ الثَّقِيلِ الجَنَّةِ فليس يَهْيئُ لبيضِه عَشّاً ؛ من أَجْلِ أَنَّهُ لا يُجيدُ⁽⁴⁾ الطَّيْران ، ويثقل عليه النهوض ولا يتحلَّق⁽⁵⁾ ، مثل الدَّرَّاجِ والقَبَجِ ، [وإنما يبيض على التُّراب] . وفراخ هذه الأجناس كفرايح الدَّجاج ، وكذلك فرايح البطِّ الصَّيْنِي ، فإنَّ هذه كُلُّها تخرُج من البيض كاسية [كاسبة⁽⁶⁾] تَلْقَط من ساعتها ، وتكفي نفسها .

(القبجة)

قال : [و] إذا دنا الصَّيَّاد من عَشِّ القَبْجَةِ⁽⁷⁾ ولها فراخ ، مرَّت بين يَدَيْهِ مرَّاً غيرَ مُفِتٍ⁽⁸⁾ ، وأطمعته في نفسها لاتباعها⁽⁹⁾ ، فتمرُّ الفراخ في رجوعها إلى موضع عَشِّها⁽¹⁰⁾ . والفراخ⁽¹¹⁾ ليس معها من الهداية ما مع أمِّها . وعلى أَنَّ القَبْجَةَ سَيِّئَةُ الدَّلَالَةِ والهِدَايَةِ ، وكذلك كُلُّ طائرٍ يعجِّلُ له الكَيْسُ والكُسُوة ، ويعجِّلُ له الكَسْبُ في صغره . وهذا إنَّما اعترأها لِقَرَابَةٍ ما بينها وبين الديك .

قال : فإذا أمعن الصَّائِد خلفها وقد خرجت الفراخ من موضعها ، طارت وقد نَحَّتْ⁽¹²⁾ إلى حيثُ لا يَهْتدي الرُّجوعُ منه إلى موضع عَشِّها⁽¹³⁾ ، فإذا سَقَطَتْ قريباً دَعَتْها بأصواتٍ لها ، حتَّى يجتمعنَ إليها .

قال : وإنَّاتُ القَبَجِ تبيضُ [حَمْسَ عَشْرَةَ بيضةً إلى ستِّ عشرةٍ بيضة . قال : والقَبَجُ طيرٌ منكرٌ] وهي تفرُّ⁽¹⁴⁾ ببيضها من الذَّكر ؛ لأنَّ الأنثى تشتغل بالحضن عن طاعة الذَّكر في طلب السَّفاد . والقَبَجُ الذَّكْرُ يوصَفُ بالقوَّة على السَّفاد ، كما يوصف الديك والحجلُّ والعصفور .

-
- (1) كذا في ل ونهاية الأرب ، وفي ط ، ش : « ثلاث » .
(2) كذا على الصواب في ش . وفي ل : « يلقى ورقه » وفي ط : « فإذا بدا » ، وكلاهما تحريف .
(3) ط : « يكتسي » .
(4) ط ، ش : « يجد » .
(5) يتحلَّق : لم أجدها بمعنى حلق الطائر أي طار واستدار في طيرانه ، لكن هكذا جاءت في ل . وانظر 5 : 103 ، وفي ط ، ش : « يتحلَّق » ، وهو تحريف .
(6) الزيادة م ش .
(7) سبق قريباً أنها ليست ذات عش . فالمراد أفحوصتها .
(8) ط فقط : « معين » ، وهو تحريف .
(9) ط ، ش : « فيتبعها » .
(10) ل ، ش : « فتمر الفراخ ولئلا تغلط في رجوعها إلى موضع عَشِّها » .
(11) ل : « فإنها » .
(12) ط : « نحت » ، وتصحيحه من ل ، ش .
(13) يقال : هو لا يَهْتدي الطريق ، ولا يَهْدِي - بفتح الياء والهاء وتشديد الدال المكسورة ، ولا يَهْدِي - بفتح الياء وكسر الهاء والدال المشددة . كل أولئك بمعنى لا يَهْتدي إليه . في ط : « إلى موضعها » .
(14) ش : « تشغل » .

قال: فإذا شُغِلَتْ عنه بالحُضْنِ، طَلَبَ مواضعَ بيضها حتى يفسدهُ⁽¹⁾ فلذلك ترداد⁽²⁾ الأنتى [عشها] في مخابئ⁽³⁾ إذا أحسَّتْ بوقتِ البيض. وإذا قاتل بعضُ ذُكُورِ القَبَجِ بعضاً فالمغلوبُ منها مسفودٌ، والغالبُ سافد. وهذا [العرض] يعرضُ للدَّيْكة ولذكور الدَّراريج، فإذا دَخَلَ بين الدَّيْكة⁽⁴⁾ ديكٌ غريب، فما أَكْثَرَ ما تجتمع عليه حتى تسفده!

(وثب الذكورة على الذكورة)

وسفادُ ذُكُورِ هذه الأجناسِ إنما يعرض لها لهذه الأسباب، فأما ذُكُورَةُ الحَمِيرِ والخَنَازِيرِ والحمام، فإنَّ ذُكُورَها تَثْبُ على بعض من جهة الشهوة. وكان عند يعقوب بن صباح⁽⁵⁾ الأشعبي، هَرَّانِ ضُخْمان، أحدهما يكومُ الآخرَ متى أرادهُ، مِنْ غيرِ إكراه، ومن غيرِ أن يكونَ المسفودُ يريدُ من السَّافِدِ مثلاً ما يريدُ منه السَّافِد. وهذا البابُ شائعٌ في كثير من الأجناس، إلاَّ أنَّه في هذه [الأجناس]⁽⁶⁾ أُوْجِدَ.

(صيد البُزاة للحمام)

ثمَّ رَجَعَ بنا القَوْلُ إلى ذِكْرِ الحمام، من غير أن يشاب⁽⁷⁾ بذكر غيره. زعم صاحبُ المنطق أنَّ البُزاةَ عشرة أجناس، فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جائمة، ومنها ما لا يضرب الحمامَ إلاَّ وهو يطير، ومنها ما لا يضرب الحمام في حال طيرانه ولا في حالِ جثومه، [ولا يعرض له] إلاَّ أن يجده⁽⁸⁾ في بعض الأغصان، أو على [بعض] الأنشاز⁽⁹⁾ والأشجار. فعَدَّدَ أجناسَ صيدها، ثمَّ ذَكَرَ أنَّ الحمامَ⁽¹⁰⁾ لا يخفى عليه في أول ما يرى البازي في الهواء أيُّ البُزاةِ هو، وأيُّ نوع صيده⁽¹¹⁾، فيخالف ذلك. ولمعرفة الحمام بذلك من البازي أشكال: أولُ ذلك أنَّ الحمامَ في أولِ نُهوِضه يفصلُ بين النَّسر والعُقاب، وبين الرَّحمة والبازي، وبين الغراب والصَّقر؛ فهو يَرى الكَرَكِيَّ والطَّبْرَزين⁽¹²⁾ ولا يستوحشُ منهما! ويرى الزُّرْقَ فيتضاءل. فإنَّ رأى الشَّاهينَ فَقَدْ رَأَى السَّمَّ الذعاف النافع⁽¹³⁾.

(1) ل: «يفسدها»، ولها وجه. (2) ترداد: تطلب. وفي ل: «توغل»، ولا يقال أوغله.

(3) ط، ش: مخافي، وتصحيحه من ل. (4) ط: «الرمكة». ولا تصح. والصواب من ل. ش.

(5) ل: «الصباح».

(6) الزيادة من ل، ش.

(7) ط، ش: «انتساب» ويصح بـ«انتشاب» أي تعلق. وأثبت ما في ل. ويشاب: يخلط.

(8) ل: «يراه».

(9) الأنشاز: جمع نشز، بالتحريك، أو بالفتح، وهو المكان المرتفع.

(10) ط: «صاحب الحمام»، والوجه ما أثبت من ل، ش.

(11) ط: «ضده»، وصوابه من ل، ش.

(12) كذا في ل، ش. والمعروف في الطبرزين أنه الفأس التي يعلقها الفارس في سرج جواده. انظر معرب الجواليقي

194 والألفاظ الفارسية 111، وفي ط: «الطيران». وانظر الاستدراكات.

(13) ل: «فقد رأى السم النافع».

(إحساس الحيوان بعدوه)

والنَّعْجَةُ تَرَى الْفِيلَ وَالزَّنْدَبِيلَ وَالْجَامُوسَ وَالْبَعِيرَ، فَلَا يَهْزُهَا ⁽¹⁾ ذَلِكَ، وَتَرَى السَّبْعَ وَهِيَ لَمْ تَرَهُ قَبْلَ ذَلِكَ ⁽²⁾، وَعَضُوْ مِنْ أَعْضَاءِ تِلْكَ الْبَهَائِمِ أَعْظَمُ، وَهِيَ أَهْوَلُ فِي الْعَيْنِ وَأَشْنَعُ، ثُمَّ تَرَى الْأَسَدَ فَتَخَافُهُ. وَكَذَلِكَ الْبَبْرُ وَالنَّمْرُ. فَإِنْ رَأَتْ الذَّنْبَ [وَحْدَهُ] اعْتَرَاهَا مِنْهُ وَحْدَهُ مِثْلُ مَا اعْتَرَاهَا مِنْ تِلْكَ الْأَجْنَاسِ لَوْ كَانَتْ مَجْمُوعَةً فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. وَلَيْسَ ذَلِكَ عَنْ تَجَرُّبَةٍ، وَلَا لِأَنَّ مَنْظَرَهُ أَشْنَعُ وَأَعْظَمُ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ عِلَّةٌ ⁽³⁾ إِلَّا مَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ مِنْ تَمْيِيزِ الْحَيَوَانِ عِنْدَهَا. فَلَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ تَفْصِلَ الْحَمَامَةَ بَيْنَ الْبَازِي ⁽⁴⁾ وَالْبَازِي، كَمَا فَصَلَتْ بَيْنَ الْبَازِي وَالْكُرْكِيِّ. فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّهَا تَعْرِفُ بِالْمَخَالِبِ ⁽⁵⁾ فَمِنْقَارُ الْكُرْكِيِّ أَشْنَعُ [وَأَعْظَمُ] وَأَقْطَعُ ⁽⁶⁾، وَأَطْوَلُ وَأَعْرَضُ ⁽⁷⁾. فَأَمَّا ⁽⁸⁾ طَرَفُ مَنْقَارِ [الْأَبْغَثِ] ⁽⁹⁾ فَمَا كَانَ ⁽¹⁰⁾ كُلُّ سِنَانٍ وَإِنْ كَانَ مَذْرَبًا ⁽¹¹⁾ لِيَلْبِغَهُ.

(بلاهة الحمام وخرقه)

قال صاحب الديك: وكيف يكون للحمام من المعرفة ⁽¹²⁾ والفطنة ما تذكرون، وقد جاء في الأثر ⁽¹³⁾: «كُونُوا بُلْهًا» ⁽¹⁴⁾ كالحمام؟! وقال صاحب الديك: تقول العرب: «أُخْرِقَ مِنْ حَمَامَةٍ»، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ عَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ:

عَيُّوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بِبَيْضَتِهَا الْحَمَامَةُ
جَعَلَتْ لَهَا عُودِينَ مِنْ نَشْمٍ وَآخَرَ مِنْ ثِمَامَةٍ ⁽¹⁵⁾

- (1) ل: «يهدها».
- (2) ل: «الذي لم تره قبل فتخافه». وفيه تحريف.
- (3) ط: «عليه»، وهي على الصواب في ل، ش.
- (4) أي تعرف أنواع البزاة وطريقة صيدها لها، كما فصل ذلك في الصفحة السابقة س: 17، ل فقط: «الرخمة» تحريف.
- (5) في الأصل: «تضرب مخالب».
- (6) ل: «وأقطع».
- (7) ليست في ل.
- (8) ط، ش: «فما»، وهو تحريف.
- (9) في القاموس: أن الأبغث طائر، ولم ينعه.
- (10) ليست بالأصل. والكلام في حاجة إليها.
- (11) مذبذبًا، بالذال المعجمة: محدداً، وفي الأصل، وهو هنا ل: «مذبذبًا»، تصحيف.
- (12) ط، ش: «الحركة»، ووجهه ما في ل.
- (13) كذا في ل، ش. وهو الموافق لما جاء في البيان (2: 275): «وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كونوا بلها كالحمام». وفي ط: «وقد جاء في الحديث» كما في محاضرات الراغب (2: 300). وجاء في عيون الأخبار (2: 72): «وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال للحواريين: كونوا حلماء كالحيات، وبلها كالحمام». قلت: والنص في إنجيل متى (الإصحاح العاشر: 16): «ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام».
- (14) في الأصل: «بلها»، وإنما هي «بلها» كما في 7: 171، وهو جمع أبله. والمراد به الغافل عن الشر المطبوع على الخير. انظر نهاية ابن الأثير (بله).
- (15) النشم، بالتحريك: شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي. والشمام: واحدة الشمامة، وهو نبت قصير يضرب به المثل في الضعف. وذلك حمقها: أن تجمع بين ضعيف وقوي: فيتكسر عشاها ويقع البيض فيتكسر. انظر عيون الأخبار (2: 72) وثمار القلوب 369 وأمثال الميداني (1: 234) وأدب الكاتب (55).

فإن كان عبيدٌ إنما عَنَى حمامةٌ من حمامكم هذا الذي أنتم به تَفْخَرُونَ، فقد أكثرتم في ذكر⁽¹⁾ تدبيرها لمواضع يَبْضُحُها، وإحكامها لصنعة عشاها⁽²⁾ وأفاحيصها.

وإن قلتُم: إنه إنما عَنَى بعضَ أجناسِ الحَمَامِ الوحشى والبري، فقد أخرجتم بعضَ الحَمَامِ مِن حُسْنِ التَّدْبِيرِ، وعبيدٌ لم يُخَصَّ حماماً دُونَ حمام.

(رغبة عثمان في ذبح الحمام)

وحدَّث أسامة بن زيد قال: سمعتُ بعضَ أشياخنا منذُ زمانٍ، يحدثُ أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ رضي الله عنه أراد أن يذبحَ الحَمَامَ ثمَّ قال: «لولا أنَّها أُمَّةٌ من الأُمَمِ لأمرتُ بذبحهنَّ»⁽³⁾، ولكنَّ قُصُوهنَّ». [فدلَّ بقوله: قُصُوهنَّ] على أنَّها إنما تُذْبَحُ لرغبة⁽⁴⁾ مَنْ يَتَّخِذهنَّ، ويلعبُ بهنَّ من الفتيانِ والأحداثِ والسَّطَّارِ⁽⁵⁾، وأصحابِ المراهنة والقمار، والذين يتشرفون⁽⁶⁾ على حُرْمِ الناسِ والجيران، ويختدعون⁽⁷⁾ بفراخِ الحَمَامِ أولادِ النَّاسِ، ويرمون بالجلَّاهقِ⁽⁸⁾ وما أكثرَ مَنْ قد فقأ عيناً وهشمَ أنفاً، وهشمَ فماً، وهو لا يدري ما يصنع، ولا يَقِفُ على مقدارِ ما رَكِبَ به القومَ. ثم تذهب⁽⁹⁾ جِنايتُهُ هَذَراً؛ ويعودُ ذلك الدَّمُ مطلولاً بلا عَقْلٍ ولا قوَدٍ ولا قِصاصٍ ولا أَرَشٍ⁽¹⁰⁾؛ إذ كان صاحِبُهُ مجهولاً. وعلى شبيهِ بذلك كان عمرُ رضي الله عنه أمرَ بِذبحِ الدِّيكةِ⁽¹¹⁾ وأمرَ النبي ﷺ بقتلِ الكلاب.

قالوا: ففيمَا ذكرنا دليلٌ على أنَّ أكلَ لحومِ الكلابِ لم يكنْ مِنْ دينهم ولا أخلاقهم، ولا مِنْ دواعي⁽¹²⁾ شهواتهم. ولولا ذلك لما جاء الأثرُ عن النبي ﷺ وعُمَرُ وعُثمانُ رضي الله عنهما بِذبحِ الدِّيكةِ والحَمَامِ، وقتلِ الكلابِ. [ولولا أنَّ الأمرَ على ما قلنا، لقالوا: اقتلوا الدِّيوكَ والحَمَامَ كما قال: اقتلوا الكلابِ]. وفي تفریقهم بينها دليلٌ على افتراقِ الحالاتِ عندهم.

قال: حدَّثني أسامة بن زيد⁽¹³⁾، وإبراهيمُ بنُ أبي يحيى، أنَّ عثمانَ شكَّوا إليه الحَمَامَ،

(1) ل: «ذلك»، وهو تحريف. والمراد بالإكثار التزديد والمبالغة.

(2) كذا في ل. وفي ط، ش: «أعشتها» وانظر التنبيه رقم 11 ص 101.

(3) ط، ش: «بذبحها»، وأثبت ما في ل. (4) ل: «لسورة»!

(5) السطَّار: جمع شاطر، وهو الذي أعيا أهله ومؤدبه خبئاً، وشطر عن الطريق السوى: أي عدل عنه. وفي ل فقط: «السطَّار» وهو تصحيف. واللعب بالحمام التسابق به، على نحو ما يفعل بالخيول. انظر صورة من ذلك من أخبار الظراف ص 38.

(6) التشرف: التطلع. وفي ط فقط: «يشرفون» من الإشراف: أي الاطلاع. وما أثبت أقرب وأشبه.

(7) ط، ش: «ويخدعون».

(8) الجلاهق: هو الطين المدور المدملق، يرمى به عن القوس، فارسي، أصله جلاؤه، الجواليقي 42.

(9) كذا في ل. وفي ط، ش: «ذهبت».

(10) العقل: الدية. والقود، بالتحريك، بمعنى القصاص، وهو قتل النفس بالنفس. والأرش: دية الجراحات.

(11) كذا في ل. وكما سبق في الجزء الأول ص 210 س: 11، 16، وفي ط، ش: «أراد عمر رضي الله عنه أن يذبح الدِّيكة».

(12) ط، ش: «ولا كان في دواعي».

(13) ل: «بدر».

وأنه قال: «مَنْ أَخَذَ مِنْهِنَّ شَيْئاً فَهُوَ لَهُ». وقد علمنا أنَّ اللَّفْظَ وإن كان قد وَقَعَ على شِكَايَةِ الْحَمَامِ، فإنَّ المعنى إنما هو على شِكَايَةِ أَصْحَابِ الْحَمَامِ؛ لأنَّه ليس في الْحَمَامِ مَعْنَى يَدْعُو إِلَى شِكَايَةٍ⁽¹⁾.

قال: وحدثنا عُثْمَانُ قال: سئل الحسنُ عن الْحَمَامِ الذي يصطاده النَّاسُ، قال: لا تأكله، فَإِنَّهُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ! فجعله مالا، ونَهَى عن أَكْلِهِ بغيرِ إِذْنِ أَهْلِهِ. وكلُّ ما كان مالا فبيعه حسنٌ وابتياعه حسن. فكيف يجوزُ لشيءٍ هذه صفتُهُ أَنْ يُذْبَحَ، إلاَّ أَنْ يكونَ ذلك على طريقِ الْعِقَابِ وَالزَّجْرِ لِمَنْ اتَّخَذَهُ لِمَا لَا يَحِلُّ!!

قال: ورووا عن الزُّهري عن سَعِيدِ بنِ سَعِيدٍ عن المسيَّب قال: نهى عُثْمَانُ عن اللَّعِبِ بِالْحَمَامِ⁽²⁾، وعن رمي الجَلاهِق. فهذا يدلُّ على ما قلنا.

(أَمْنُ حَمَامِ مَكَّةَ وَغَزْلَانِهَا)

والناس يقولون: «أَمْنٌ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ، وَمِنْ غَزْلَانِ مَكَّةَ». وهذا شائعٌ على جميع الألسنة، لا يردُّ ذلك أحدٌ ممن يعرفُ الأمثالَ والشَّواهدَ. قال عُبَيْدُ الأَسَدِيِّ⁽³⁾ لابن الزُّبَيْرِ:

ما زلتَ مذَّجَجَ بِمَكَّةَ مُحَرَّمًا⁽⁴⁾ في حيثِ يَأْمَنُ طَائِرٌ وَحَمَامٌ
فَلَتَنَّهُضَنَ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي الْبُرَا يَجْتَبِنُ عُرْضَ مَخَارِمِ الْأَعْلَامِ⁽⁵⁾
أَبْنُو الْمَغِيرَةِ مِثْلُ آلِ خُوَيْلِدٍ؟! يَا لَلرَّجَالِ لِخَفَّةِ الْأَحْلَامِ⁽⁶⁾!

وقال النابغة في الغزْلانِ وأُمْنِيهَا، كقول جميع الشعراء في الحمام:

لا والذي أَمْنِ الْغَزْلانِ تَمَسَّحُهَا رُكبانَ مَكَّةَ بَيْنَ الْغِيلِ وَالسَّعَدِ⁽⁷⁾

(1) ط: «شكايته».

(2) ل: «عن ذكر الحمام»، وهو تحريف. انظر ص 106.

(3) عقيبة بن هبيرة الأسدي: شاعر جاهلي إسلامي. اللالكئ 149، وانظر الأغاني 18: 128 وفي الأصل: «عقبة»، تحريف.

(4) كذا في ل، وهو الوجه. . وفي ط، ش: «ملحدًا»، من الإلحاد بمعنى الظلم في الحرم. ولا يصح لأن الشعر مدح. وقد أشار عقبة إلى ما كان من عبد الله بن الزبير في مكة، حيث بويع له بمكة سنة أربع وستين، وخلع يزيد بن معاوية، وأقام بها تسع سنين وقتل في خلافة عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بمكة سنة ثلاثة وسبعين. انظر تاريخ الإسحاق ص 51.

(5) العيس، الإبل البيض يخالط بياضها شقرة. والبرا: جمع برة، كثة، وهي الحلقة في أنف البعير. يجتنبن: يقطعن. والمخارم: الطرق في الأرض الغليظة. ش: «تجنبن عرض مخارج» وهو تحريف.

(6) بنو المغيرة هم بنو مروان؛ لأن أمهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية. انظر الإصابة 709 من قسم النساء، والعقد 3: 148، وآل خويلد هم بنو الزبير، وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى. انظر المعارف 96.

(7) ط، ش: «والمؤمن العائذات الطير»، وما أثبت من ل هو الوجه؛ لما سبق من الكلام، والغيل، بالكسر، والسعد، بالتحريك: أجمتان كانتا بين مكة ومنى. شرح المعلمات للتبريزي 300.

ولو أَنَّ الطَّبَّاءَ ابْتُلِيتْ مِمَّنْ يَتَّخِذُهَا بِمِثْلِ (١) الذي ابْتُلِيتْ بِهِ الْحَمَامُ ثُمَّ رَكِبُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الْغَزْلَانِ بِمِثْلِ مَا رَكِبُوهُمْ بِهِ فِي الْحَمَامِ، لَسَارُوا فِي ذَبْحِ الْغَزْلَانِ كَسِيرَتِهِمْ فِي ذَبْحِ الْحَمَامِ. وقالوا: إِنَّهُ لَيَبْلُغُ مَنْ تَعْظِيمُ الْحَمَامِ لِحُرْمَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يَشْهَدُونَ عَنْ آخِرِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا حَمَامًا قَطُّ سَقَطَ عَلَى ظَهْرِ الْكُعْبَةِ، إِلَّا مِنْ عِلَّةٍ عَرَضَتْ لَهُ. فَإِنْ (٢) كَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ اكْتِسَابًا مِنَ الْحَمَامِ فَالْحَمَامُ فَوْقَ جَمِيعِ الطَّيْرِ وَكُلِّ ذِي أَرْبَعٍ. وَإِنْ كَانَ هَذَا إِنَّمَا كَانَ [مِنْ] طَرِيقِ الْإِلْهَامِ، فَلَيْسَ مَا يُلْهِمُهُمْ كَمَا لَا يُلْهِمُهُمْ. وقال الشَّاعِرُ (٣) فِي أَمْنِ الْحَمَامِ:

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ بَيْتِي تَفَرَّعَ فِي الذَّوَائِبِ وَالسَّنَامِ
وَأَنَا نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ تَبَنَّى بِمَكَّتِهَا الْبُيُوتَ مَعَ الْحَمَامِ (٤)
وقال كَثِيرٌ - أَوْ غَيْرُهُ مِنْ (٥) بَنِي سَهْمٍ - فِي أَمْنِ الْحَمَامِ:

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا مِنْ سُوقَةٍ وَإِمَامٍ
أَيُسَبُّ الْمُطِيبُونَ جَدُودًا (٦) وَالْكَرَامُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامُ
يَأْمَنُ الطَّبِي (٧) وَالْحَمَامُ وَلَا يَأْ مِنْ أَلِ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ!!
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كَلِمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامٍ (٨)
وَذَكَرَ شَأْنَ ابْنِ الزَّيْبِرِ وَشَأْنَ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ (٩)، فَقَالَ:

وَمِنْ يَرِ هَذَا الشَّيْخَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى (١٠) مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ

(١) كَذَا فِي ل. وَفِي ط، ش: «بِمَنْ يَتَّخِذُهَا مِثْلًا».

(٢) هُوَ الزَّيْبِرُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، كَمَا فِي الْمُؤْتَلَفِ 130-131.

(٣) فِي الْمُؤْتَلَفِ: «بِمَكَّتِنَا». وَفِي الْأَصْلِ: «مِنْ الْحَمَامِ»، صَوَابُهُ فِي الْمُؤْتَلَفِ.

(٤) ط، ش: «فِي» وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل. وَالسَّهْمِيُّ هَذَا، هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرِ السَّهْمِيِّ، قَالَ الْجَاهِظُ فِي الْبَيَانِ 3: 359: «وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرِ السَّهْمِيِّ وَكَانَ يَتَشَبَّهُ لَوْلَادَةً كَانَتْ نَالَتهُ، وَسَمِعَ عَمَالَ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقُسْرِيَّ يَلْعَنُونَ عَلِيًّا وَالحَسَنَ وَالحُسَيْنَ عَلَى الْمَنَابِرِ». وَأَنْشَدَ الشَّعْرَ الْآتِي. أَوْ هُوَ كَثِيرٌ بْنُ كَثِيرِ السَّهْمِيِّ كَمَا فِي مَعْجَمِ الْمَرْزُبَانِيِّ 348، قَالَهَا لَمَّا كَتَبَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى عَامِلِهِ بِالْمَدِينَةِ أَنْ يَأْخُذَ النَّاسَ بِسَبِّ عَلِيٍّ.

(٥) الْمُطِيبُونَ: الْمُطَهَّرُونَ. فِي ل: «أَيُسَبُّ الْمُطِيبِينَ»، وَفِي الْمَعْجَمِ «أَتُسَبُّ الْمُطِيبِينَ» وَلِكُلِّ مِنْهُمَا وَجْهٌ. وَبَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْمَعْجَمِ وَبَعْدَ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ فِي الْبَيَانِ:

طَبْتُ بَيْتًا وَطَابَ بَيْتُكَ بَيْتًا أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ وَالْإِسْلَامِ

(٦) ط فَقَطُّ: «الطَّبِي»، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ مِنْ ل، ش وَالْبَيَانِ.

(٧) ط، ش: «الْإِسْلَامُ»، وَهِيَ رِوَايَةٌ مُحَرَّفَةٌ عَمَّا أَثْبَتَ مِنْ ل وَالْبَيَانِ وَالْمَعْجَمِ.

(٨) ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ، هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ أَخُو الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنِي عَلِيٍّ بَيْدَ أَنْ وَالِدَةُ هَذَيْنِ هِيَ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ، وَأُمُّ ذَاكَ هِيَ خَوْلَةُ بِنْتُ جَعْفَرِ الْحَنْفِيَّةِ، فَنسَبَ إِلَيْهَا تَمْيِيزًا لَهُ. كَانَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ أَحَدُ أَبْطَالِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ وَرَعًا وَاسِعَ الْعِلْمِ. وَكَانَ الْمُخْتَارُ الثَّقَفِيُّ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى إِمَامَتِهِ، وَبِزَعْمِ أَنَّهُ الْمَهْدِيُّ، وَكَانَتْ الْكَيْسَانِيَّةُ تَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَأَنَّهُ مُقِيمٌ بِرِضْوَى. وَلَدَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ 21 وَتَوَفَّى سَنَةَ 81، وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ (449: 1) وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ (5: 66).

(٩) الْخَيْفُ بِالْفَتْحِ: نَاحِيَةٌ مِنْ مَنَى. وَمَنَى: بَلِيدَةٌ عَلَى فَرْسَخٍ مِنْ مَكَّةَ.

سَمِيَّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ⁽¹⁾ وَفَكَأْكَ أَغْلَالٍ وَنَفَّاعُ غَارِمٍ
أَبَى فَهُوَ لَا يَشْرِي هُدًى بَضَالَةٍ وَلَا يَتَّقِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمٍ
وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ نَتْلُو كِتَابَهُ حُلُولًا بِهَذَا الْخَيْفِ خَيْفِ الْمَحَارِمِ⁽²⁾
بَحِيثُ الْحَمَامِ آمَنَاتٌ سَوَاكِنُ وَتَلْقَى الْعَدُوَّ كَالْوَلِيِّ الْمَسَالِمِ
(حمامة نوح)

قال صاحب الحمام: أمّا العرب والأعراب والشُّعراء، فقد أطبقوا على أن الحمامة هي التي كانت دليل نوح ورائده⁽³⁾، وهي التي استجعلت⁽⁴⁾ عليه الطوق الذي في عنقها، وعند ذلك أعطاهما الله تعالى تلك الحلية؛ ومنحها تلك الزينة، بدعاء نوح عليه السلام، حين رجعت إليه ومعها من الكرم ما معها، وفي رجليها من الطين والحماة ما برجليها، فعوضت من ذلك الطين خضاب الرجلين، ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق.

(شعر في طوق الحمامة)

وفي طوقها يقول الفرزدق⁽⁵⁾:
فَمَنْ يَكُ خَائِفًا لِأَذَاةٍ⁽⁶⁾ شِعْرِي فَقَدْ أَمِنَ الْهَجَاءَ بَنُو حَرَامٍ
هَمَّ قَادُوا⁽⁷⁾ سَفِيهِهُمْ وَخَافُوا قَلَائِدَ مِثْلَ أَطْوَاقِ الْحَمَامِ
وَقَالَ فِي ذَلِكَ بَكْرُ بْنُ النَّطَّاحِ⁽⁸⁾:
إِذَا شِئْتُ غَثَّتْنِي بِبَغْدَادَ قَيْنَةٍ وَإِنْ شِئْتُ غَثَّنِي الْحَمَامُ الْمَطْوَقُ

(1) ليس ابن الحنفية ابن عم للرسول لحا، بل هو ابن ابن عمه. والعرب يتجاوزون في مثل ذلك.

(2) ط فقط: «المخارم»، وهو تصحيف.

(3) قالوا: أرسلها لتكشف موضعاً في الأرض يصلح مرفأً للسفينة. انظر الحيوان (2: 183).

(4) استجعلت: طلبت الجعالة - كسحابة - وهي الرشوة. والرشوة: العطاء في مقابل نفع.

(5) يقول هذا الشعر في رجل من بني حرام، كان قد هجا الفرزدق، فخشى قومه من لسان الفرزدق فجاءوا به يقدونه إليه، فقال البيهقي. انظر العمدة (1: 38).

والبيتان لم أجدهما في الديوان، وقد أثبتتهما
الثعالبي في الثمار 368

(6) الأذاة: الأذى، وفي ط فقط: «الأذات» محرفة.

(7) ط: «قادرُوا»، وتصحيحه من ل، ش والعمدة. وبدلها في الثمار: «منعوا».

(8) بكر بن النطاح: شاعر كان في زمن هارون الرشيد، وهو بصري نزل بغداد، وكان يعاشر أبا العتاهية وأضرابه.

وكان أبو هفان يقول: «أشعر أهل الغزل من المحدثين أربعة أولهم بكر بن النطاح. تاريخ بغداد 5326، قلت: وبكر صاحب المقطعة الرقيقة التي تغنيها في عصرنا هذا زعيمة الغناء أم كلثوم. وأول هذه المقطعة:

أكذب نفسي عنك في كل ما أرى وأسمع أذني منك ما ليس تسمع
وهي صوت من أصوات الأغاني (17: 153).

لباسي الحُسامُ أو إزارُ مُعصفَرٍ ودِرْعُ حديدٍ أو قميصُ مخلَقٍ⁽¹⁾
 فذكر الطوق، ووصفها بالغناء والإطراب. وكذلك قال حميد بن ثور:
 رَقودُ الضُّحَى لَا تَعْرِفُ الجِيرةَ⁽²⁾ القصا⁽³⁾ ولا الجِيرةَ الأذنينِ إِلَّا تَجشُّما⁽⁴⁾
 وليستَ مِنَ اللائي يكونُ حديثُها أَمَامَ بيوتِ الحَيِّ إِنَّ وَإِنَّمَا
 ثم قال:
 وما هاج هذا الشَّوقَ إِلَّا حمامةٌ دَعَتْ ساقَ حُرٍّ تَرَحَّةً وَتَرَنُما⁽⁵⁾
 مطوِّقةٌ خطباء⁽⁶⁾ تصدَحُ كلما دنا الصَّيْفُ وانجابَ الربيعِ فَأَنجما⁽⁷⁾
 ثم قال بعد ذكر الطوق:
 إِذا شئتُ غَتَّني بأجزاءِ بيشةٍ أو التَّخُلُ مِنْ تَثْلِيثٍ أو بيلملم⁽⁸⁾
 عَجبتُ لها، أُنَى يكونُ غناؤها فصيحاً ولم تَفْعَرْ بِمِنْطَقِها فَمَا
 ولم أَرِ محزُوناً لَهُ مِثْلُ صوتِها ولا عَرَبِيّاً شاقَهُ صوتُ أعجما

(1) يقول: هو يلبس الحسام والدرع الحديد في الحرب، والإزار المعصفر والقميص المخلق في حال السلم. المخلق: المطيب بالخلوق، وهو بفتح الخاء: ضرب من الطيب.

(2) الجيرة: جمع جار، مثل قاع وقبعة. وهم يمدحون المرأة الكريمة الخفرة بعدم زيارتها لجاراتها أو ندرة ذلك. قال أبو قيس بن الأسلت:

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن إتيانهن فتعذر
 وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر

وهذان خير ما قيل في امرأة خفرة. الأغاني (95: 159). ل: «الجيرة» تصحيف.

(3) القصا: جمع قصوى، وهي البعيدة. وقد رسمت في ل: «القصي»، وهي كتابة جائزة، فما كان من المقصور ثلاثياً وكان أوله مكسوراً أو مضموماً، جاز أن يكتب بالياء، وإن كان أصله الواو، كما هنا. انظر المقصور ص 6

(4) يقال: تجشم الأمر: إذا حمل نفسه عليه وتكلفه. وفي ل: «تجشما» وهو تصحيف.

(5) ساق حر: ذكر القماري، أو هو صوت الحمام. وروى في ل وكذا اللسان (حرر): «في حمام نرنا» وأثبت ما في ط، ش، وكذا الكامل 503 لبيسك وزهر الآداب (1: 202) ومحاضرات الراغب (2: 26) وأدب الكاتب 23 ونثار الأزهار 78 والخزانة (4: 299 بولاق). والترحة: ضد الفرحة.

(6) الخطباء: التي فيها خطبة، أي سواد وبياض. وفي ش فقط: «خضباء» أي محمرة الساقين، ويعزز هذه ما ورد في الصفحة 109 س 10، وهي رواية العقد (4: 28).

(7) انجاب الربيع: ذهب. وفي ل «وانزال» وهي صحيحة، يقال: انزال عنه: فارقه. وأنجم: ألقع وولى. وفي ش: «بأنجما» تحريف.

(8) الأجزاء: جمع جزع بالكسر، وهي منحني الوادي. وبيشة، بالكسر: بلد جنوبي مكة على خمس مراحل منها. وتثليث: بلد قريب من مكة ويلملم: موضع على ليلتين جنوبي مكة. ويقال له أيضاً: «ألملم» و«يرمرم». وجاء في ل: «بيننما» ولم أر هذه اللغة. وفي ش: «يتلملما» وهي تحريف.

وقال في ذكر الطوق - وأن الحمامة نواحة - عبد الله بن أبي بكر⁽¹⁾ وهو شهيد يوم الطائف⁽²⁾، وهو صاحب ابن صاحب⁽³⁾:

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير جرم تطلق⁽⁴⁾
أعاتك لا أنساك ما هبت الصبا وما ناح قمرى الحمام المطوق
وقال جهم بن خلف، وذكرها بالنوح، والغناء، والطوق، ودعوة نوح؛ وهو قوله:
وقد شاقني نوح قمرية طروب العشي هتوف الضحى
من الورق نواحة باكرت عسيب أشاء بذات الغضا⁽⁵⁾
تغنت⁽⁶⁾ عليه بلحن لها يهيج للصب ما قد مضى
مطوقة كسيث زينة بدعوة نوح لها إذ دعا⁽⁷⁾
فلم أر باكية مثلها تبكي ودعتها لا ترى⁽⁸⁾
أضلت فريخاً فطافت له⁽⁹⁾ وقد علقته حبال الردى
فلما بدا اليأس منه بكث عليه، وما ذا يرد البكا
وقد صاده ضرماً ملحم خفوق الجناح حثيث النجا⁽¹⁰⁾

(1) هو عبد الله بن أبي بكر الصديق، كان عبد الله يحضر إلى رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار ومعه أخبار قريش فبييت عندهما ويخرج من السحر فيصبح مع قريش. وشهد فتح مكة، وحنيناً والطائف حيث أصابه حجر في حصارها، فمات شهيداً في خلافة أبيه في شوال سنة 11، قالوا: وترك سبعة ذنانير فاستكثرها أبو بكر المعارف 75 والإصابة 4559.

(2) غزوة الطائف كانت إثر غزوة حنين في السنة الثامنة من الهجرة. لما انهزمت ثقيف في غزوة حنين سار إليهم الرسول ﷺ وحاصروهم بالطائف نيفاً وعشرين يوماً ثم انصرف عنهم. وفي الأصل: «يوم الطف» وليس يصح ذلك؛ فإن هذا اليوم كان في سنة 61 من الهجرة وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي بعد وفاة عبد الله بنحو خمسين سنة. وانظر التنبيه السابق وعيون الأخبار 4: 114.

(3) هذه العبارة ساقطة من ل.

(4) يشير بذلك إلى زوجه، عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، تزوجها وكانت حسناء جميلة فأولع بها وشغلته عن مغازيه، فأمره أبوه بطلاقها، ففعل ثم تبعها نفسه وقال هذين البيتين، فرق له أبوه وأذن له فارتجعها. الإصابة 692 قسم النساء، والعقد 4: 175 - وقد عقد باباً لمن طلق امرأته ثم تبعها نفسه - وتبعه الراغب الأصفهاني في المحاضرات (2: 99). وانظر أخبار الطراف 20 والمستطرف (2: 221، 228) وعيون الأخبار (4: 114).

(5) الأشاء: صغار النخل، أو عامته. والعسيب: الذي لم ينبت عليه الخوص من السعف.

(6) ل: «فغنت»، وما أثبت أجزل.

(7) انظر لهذا المعنى ص 109 س 8.

(8) هذا البيت أثبت في ط بعد البيت الآتي. والوجه ما كتبت من ل، ش.

(9) أضلته: فقدته. ل: «فطافت به» أي من أجله أيضًا.

(10) الضرم: الشديد الجوع. والملحم، بكسر الحاء: الذي يطعمه صاحبه لحم الصيد، وفتح الحاء: الذي يطعم اللحم، بالبناء للمفعول، والحديث النجا: السريع الطيران. وقد عنى به البازي أو الصقر.

حَدِيدُ الْمُخَالِبِ عَارِي الْوَظِي فِ ضَارٍ مِنَ الْوُرْقِ فِيهِ قَنَا⁽¹⁾
تَرَى الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ مِنْ خَوْفِهِ جِوَامِزُ⁽²⁾ مِنْهُ إِذَا مَا اغْتَدَى
(نزاع صاحب الديك في الفخر بالطوق)

قال صاحب الديك : وأما قوله :

مَطْوَقَةٌ كَسَاهَا اللَّهُ طَوْقاً وَلَمْ يَخْصُصْ بِهِ⁽³⁾ طَيْراً سِوَاهَا
كيف لم يخصص بالأطواق⁽⁴⁾ غَيْرَ الْحَمَامِ ، وَالتَّدَارِجُ أَحَقُّ بِالْأَطْوَقِ وَأَحْسَنُ أَطْوَقاً
منها ، وهي في ذُكُورِهَا أَعْمَ ؟ ! وعلى أنه لم يصف بالطوق الحَمَامَةُ التي فاخرتم بها الديك ؛
لأنَّ الحَمَامَةَ ليست بمَطْوَقَةٍ ، وإنما الْأَطْوَقُ لذكورة⁽⁵⁾ الْوَرَّاشِينَ [وأشباه الوراشين ، من نوائح
الطير وهواتفها ومغنياتها . ولذلك قال شاعرُكم ، حيث يقول⁽⁶⁾ :

أَعَاتِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَاحَ قُمْرِيُّ الْحَمَامِ الْمَطْوَقُ⁽⁷⁾
وقال الآخر⁽⁸⁾ :

وَقَدْ شَاقَنِي نُوحَ قُمْرِيَّة طَرُوبِ الْعَشِيِّ هَتُوفِ الضُّحَى
ووصفها فقال :

مَطْوَقَةٌ كَسَيْتَ زِينَةً بَدَعُوهُ نُوحَ لَهَا إِذْ دَعَا
فإن زعمتم أَنَّ الْحَمَامَ وَالْقُمْرِيَّ وَالْيَمَامَ وَالْفَوَاحِشَ وَالِدَّبَاسِيَّ⁽⁹⁾ وَالشَّفَانِينَ وَالْوَرَّاشِينَ
حَمَامٌ كُلُّهُ ، قلنا : إِنَّا نَزَعُ أَنَّ ذِكُورَةَ التَّدَارِجِ وَذِكُورَةَ الْقَبَجِ ، وَذِكُورَةَ الْحَجَلِ دِيوُكٌ كُلُّهَا . فَإِنْ
كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَالْفَخْرُ بِالطُّوقِ نَحْنُ⁽¹⁰⁾ أَوْلَى بِهِ .

قال صاحب الحَمَامِ : الْعَرَبُ تَسْمِي هَذِهِ الْأَجْنَاسَ كُلَّهَا حَمَاماً ، فَجَمَعُوها بِالْأَسْمِ

(1) الورق : جمع أورك ، وهو ما في لونه بياض إلى سواد . وفي ل : «الزرق» ومما جاء في وصف الصقر بالزرقعة قول ذي الرمة :

نَظَرْتُ كَمَا جَلَى عَلَى رَأْسِ رَهْوَةٍ مِنْ الطَّيْرِ أَقْنَى يَنْفُضُ الطَّلَ أَزْرَقَ
والقنا : نتو وسط قصبه الأنف وضيق المنخرين ، وهذا في الفرس عيب ، وفي الصقر والبازي مدح . ش : «قشا» تحريف .

(2) جوامز : من جمز إذا عدا . (3) في الأصل : «بها» والضمير عائد إلى الطوق .

(4) ل : «بالطوق» . (5) ط ، ش : «للذكورة» وصوابه في ل .

(6) الشعر لعبد الله بن أبي بكر كما سبق في ص 111 .

(7) بدل هذا الشطر الأخير في كل من ط ، ش كلمة : «البيتين» .

(8) هو جهم بن خلف كما سبق في ص 111 ، ل : «ثم قال الآخر» .

(9) الدباسي : جمع دبسي يفتح الدال أو ضمها ، وهو من أنواع الحمام الوحشي ، ط ، ش : «الديسي» ، ل : «الدبسي» والوجه فيه ما كتبت .

(10) ل : «ونحن» .

العام، وفرّقوها بالاسم الخاص، ورأينا صورها متشابهة⁽¹⁾ وإن كان في الأجسام بعض الاختلاف، وفي الجثث بعض الالتفاف⁽²⁾ وكذلك المناقير. ووجدناها تتشابه⁽³⁾ من طريق الزواج، ومن طريق الدعاء والغناء والنوح، وكذلك هي في القدود وصور الأعناق، وقصب الريش، وصيغته⁽⁴⁾ الرؤوس والأرجل والسوق والبرائن⁽⁵⁾. والأجناس التي عدتكم ليس يجمعها اسم ولا بلدة، ولا صورة ولا زواج. وليس بين الديكة وبين تلك الذكورة نسب إلا أنها من الطير الموصوفة⁽⁶⁾ بكثرة السفاد، وأن فراخها وفراريجها تخرج من بيضها كاسية [كاسية]. والبط طائر مثقل، وقد ينبغي أن تجعلوا فرخ البطة فرجاً، والأنثى دجاجة والذكر ديكاً، ونحن نجد الحمام، ونجد الوراشرين، تتسافد وتتلاقح، [ويجيء منها الراعي والورداني؛ ونجد الفواخت والقماري تتسافد وتتلاقح]، مع ما ذكرنا من التشابه في تلك الوجوه. وهذا كله يدل على أن بعضها من بعض كالبحث والعرب ونتائج ما بينهما⁽⁷⁾، وكالبراذين والعناق، وكلها خيل، وتلك كلها إبل. وليس بين التدارج والقبج والحجل والدجاج هذه الأمور التي ذكرنا.

وعلى أننا قد وجدنا الأطواق عامة في ذوات الأوصاح من الحمام، لأن فيها من الألوان، ولها من الشيات وأشكال [و] ألوان الريش ما ليس غيرها من الطير. ولو احتججنا بالتسافد دون التلاقيح، لكان لقائل مقال، ولكنا وجدناها تجمع⁽⁹⁾ الحاصلتين، لأننا قد نجد سفهاء الناس، ومن لا يتقذر⁽¹⁰⁾ من الناس والأحداث⁽¹¹⁾ ومن تشتد غلمته عند احتلامه، ويقل طروفه⁽¹²⁾، وتطول عزيبته⁽¹³⁾؛ كالمعزب⁽¹⁴⁾ من الرعاء⁽¹⁵⁾ فإن هذه الطبقة من الناس، لم يدعوا⁽¹⁶⁾ ناقة، ولا بقرة، ولا شاة، ولا أتاناً، ولا رمكة، ولا حجرأ، ولا كلبه، إلا وقد وقعوا عليها. ولولا أن في نفوس الناس وشهواتهم ما يدعو إلى هذه القاذورة⁽¹⁷⁾، لما وجدت هذا العمل شائعاً في أهل هذه الصفة⁽¹⁸⁾، ولو جمعتهم لجمعت أكثر من أهل بغداد والبصرة. ثم لم يلقح واحد⁽¹⁹⁾ منهم شيئاً من هذه الأجناس على أن بعض هذه الأجناس يتلقى⁽²⁰⁾ ذلك بالشهوة المفرطة.

ولقد خبرني من إخواني من لا أنهم خبره أن مملوكاً كان لبعض أهل القطيعة -

- (1) هذه الجملة ساقطة من ل.
- (2) كذا في ل. وفي ط، ش: «وفي الجثث كذلك».
- (3) ط فقط: «تشابه» بحذف التاء الأولى.
- (4) الصيغة، بالكسر: الهيئة والخلفة. وفي ط، ش: «وصفة».
- (5) البرائن: جمع برثن، وهو بمنزلة الإصبع من الإنسان.
- (6) ل: «الموصوف».
- (7) ل: «ونائج بينها» تحريف.
- (8) هذا الحرف ليس بالأصل.
- (9) كذا في ل. وفي ط، ش: «وجدنا ما يجمع».
- (10) ل، ش: «يتقزز»، ومعنيهما متقاربان.
- (11) ل: «من الأحداث».
- (12) الطروق: مصدر طرق الفحل الأنثى. وفي الأصل: «تقل طروفه» والطروقة بالفتح: المرأة، وبهذه يفسد المعنى.
- (13) العزبة، بالضم: ألا يكون للمرء أهل.
- (14) المعزب: الذي أبعد بماشيتة.
- (15) الرعاء، بضم الراء وكسرها: جمع راع، ومثله الرعاة. وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في ل.
- (16) ط، ش: «لم يرعوا»، وليست ترعى الكلبة.
- (17) القاذورة: الفعل القبيح.
- (18) ل: «في هذه الصفة» ولعل صوابهما: «في هذه الطبقة».
- (19) ل: «أحد».
- (20) على بمعنى مع. وفي ط، ش: «وعلى أنها تتلقى ذلك بالشهوة المفرطة».

أعني قطيعة الربيع⁽¹⁾ - وكان ذلك المملوك يَكُومُ بغلةً وأنها كانت تودق وتلمظ⁽²⁾ وأنها⁽³⁾ في بعض تلك الوقعات تأخّرت وهو موعِبٌ فيها ذكره تطلبُ الزيادة، فلم يزل المملوك يتأخّر وتتأخّر البغلة حتّى أسندته إلى زاويةٍ مِنْ زوايا الإصطبل، فأَضَعَطَتْهُ حتّى بَرَدَ⁽⁴⁾، فدخل بعضٌ من دخل فرآه على تلك الحال⁽⁵⁾ فصاح بها [فتنحّث] وخرّ الغلام ميّتاً⁽⁶⁾.

وأخبرني صديقٌ لي قال: بلغني عن بَرْدُونٍ لِرُزْقان⁽⁷⁾ المتكلّم، أنّه كان يدرّبخ⁽⁸⁾ للبالغ والحمير والبراذين حتّى تكومهُ، قال: فأقبلت يوماً في ذلك الإصطبل، فتناولت المجرفة⁽⁹⁾، فَوَضَعْتُ رَأْسَ عودِ المِجْرَفَةِ على مَرَاتِهِ⁽¹⁰⁾ وإنّه لأَكْثَرُ مِنْ ذَرَاعٍ ونصف⁽¹¹⁾، وإنّه لَخَشِنٌ غليظٌ غير محكوك [الرأس] ولا مُمَلِّسِهِ⁽¹²⁾، فدفعته حتّى بلغ أقصى العود، وامتنع من الدُخُولِ ببدن المِجْرَفَةِ. فحلّف أنّه ما رآه تَأَطَّرَ ولا ائثنى.

قال صاحب الحمام: فهذا فرق ما بيننا وبينكم.

(1) القطيعة: ما يقطعه الأمير الناس من الأرض التي لا ملك لأحد عليها، ولا عمارة توجب ملكاً لأحد. ويظهر أن أول من توسع في هذا النظام في الإسلام هو الخليفة المنصور. معجم البلدان (قطيعة). وقد تحدث الماوردي في الأحكام السلطانية (168-175) حديثاً مسهباً في هذا النظام. والربيع هذا هو الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه، وهو والد الفضل وزير المنصور، وهذه القطيعة كانت بكرخ بغداد. معجم البلدان.

(2) تودق: تريد الفحل، ل: «تودق». تتلمظ: تخرج لسانها كتلمظ الآكل. ط، ش: «تلمظ».

(3) ط: «فإنها» ووجهه في ل، ش.

(4) «اضغطته» بقلب تاء الافتعال ضاذاً، شدوذ صرفي، قياسه: اضطغطته. وحكى صاحب اللسان: «اضتغط». قال: «والقياس اضطغط». ولم أرها إلا متعدية بعلى. وبرد: مات.

(5) ل: «فإذا هو على تلك الحال».

(6) ل: «فخر العبد ميّتاً». خر: سقط.

(7) زرقان هذا هو غلام إبراهيم بن سيار النظام وتلميذه، واسمه محمد بن شداد بن عيسى، كما في معجم البلدان (المسامعة). وقد حكى زرقان عن النظام أقوالاً في الفرق 50-5 وقد عده المسعودي في التنبيه والإشراف 342، ط، ش: «لوزقان» ل: «لذرقان» وهو تحريف.

(8) يدرّبخ لها: يطاوعها فيما تطلب منه، وأصل ذلك في الحمام. وفي ط، ش: «يشمع» ومؤداهما واحد.

(9) المجرفة: المكسنة وزناً ومعنى. ط، ش: «المحرقة» تصحيف ما في ل.

(10) الكلام من: «فوضعت» ساقط من ل. والمراث: مخرج الروث.

(11) ط، ش: «وهو أكثر» إلخ. وما أثبت من ل أشبه بالكلام.

(12) ط، ش: «ولا ملين».

(ما وصف به الحمام من الإسعاد وحسن الغناء والنوح)

ونذكر⁽¹⁾ ما وُصف به الحمام من الإسعاد⁽²⁾ ، ومن حُسن الغناء والإطراب والنَّوح والشَّجَا⁽³⁾ . قال الحسن بن هانئ :

إذا ننته الغصون جللني فِينَانُ مَا فِي أَدِيمِهِ جُوبٌ⁽⁴⁾
تبیتُ في مائِم حمائمهُ كما تُرِنُ الفَوَاقِدُ السُّلْبُ⁽⁵⁾
يَهْبُ شوقي وشوقهُنَّ معاً كأنما يستخفُّنا طرب⁽⁶⁾
وقال آخر⁽⁷⁾ :

لقد هتفتُ في جُنج ليل حَمَامَةٍ على فَنَنٍ وهنَا⁽⁸⁾ وإنِّي لَنَائِمٌ
فقلتُ اعتذاراً عند ذاك وإنني⁽⁹⁾ لنفسي ممَّا قد سمعتُ لَلَائِمِ
كذبتُ - وبیتِ اللّهُ - لو كنتُ عاشقاً لما سَبَقْتَنِي بالبُكاءِ الحَمَائِمِ
وقال نُصَيْب :

ولو قَبِلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً بسُعدي شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنْدَمِ
ولكنْ بَكَتْ قَبلي فَهَيَّجَ لي البُكَاءُ بُكَاهَا فقلتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ
وقال أعرابي :

(1) في الأصل : « وذكر » .

(2) الإسعاد : المعاونة والمشاركة في البكاء والنوح . والعرب يعرفون ذلك من الحمام ، والشعر الآتي وما بعده ناطق به . وفي الأصل : « الأشعار » وهو تحريف خفي ، صوابه ما أثبت .

(3) الشجَا : التطريب . ل : « الشجي » ومادته واوية .

(4) ننته الغصون ، يعني ظل العنب . جللني : غطاني . والفينان : أصله الحسن الشعر الطويله ، وأراد به الغصون المشبهة بالشعر . والجوب : جمع جوبة بالفتح بمعنى الفجوة . وفي ط ، ش والديوان : « جرب » وما أثبت من ل أجود وأصح . وقبل هذا الأبيات في الديوان 242 :

قطربل مربعي ولي بقرى الكر خ مصيف وأمي العنب
ترضعني درها وتلحفني بظلها والهجير يلتهب

(5) ترن : من الإرنان ، وهو الصياح والتصويت . وفي ل : « ترثي » وهي صحيحة ، يقال رثى الميت ورثاه ، بالتشديد : بكاء وعدد محاسنه . وفي الديوان : « تراءى » وهي رواية غير مقبولة . الفوائد : جمع فاقد ، وهي التي مات زوجها أو ولدها . والسلب بمعنى الفوائد ، جمع سلوب .

(6) كذا في ل والديوان . وفي ط ، ش : « الطرب » . وهذا البيت هو الثاني في ط ، وصواب الترتيب ما أثبت من ل ، ش والديوان .

(7) هو نصيب الأكبر مولى بني مروان ، كما في حماسة أبي تمام (2 : 97) .

(8) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وفي ط ، ش : « تبكي » وأثبت ما في ل والحماسة .

(9) ط : « ذا عندك » وهو تحريف مطبوعي صوابه في ش والحماسة . وهذا البيت ساقط من ل .

- عليك سَلامُ اللَّهِ قاطعةُ القُوى⁽¹⁾
قريحٌ بتغريدِ الحمامِ إذا بكت⁽²⁾
[وقال] المجنون، أو غيره:
- ولو لم يهَجني⁽⁴⁾ الرائحون لهاَجني
تجاوُبنَ فاستبَكَيْنَ من كان ذا هوى
[وقال الآخر]:
- ألا يا سَيالاتِ الدَّحائِلِ⁽⁶⁾ باللّوى⁽⁷⁾
أرى الوَحشَ أَجالاً⁽⁸⁾ إلَيكَ بالضحى
وإنني لمجلوبٌ لي الشَّوقُ كلما
وقال عمرو⁽¹²⁾ بن الوليد:
- حالٍ مِنْ دونِ أَنْ أحلَّ بِهِ النِّأُ
فتبدَّلْتُ من مَساكِنِ قُومي
- على أَنَّ قلبي للفراقِ كليمُ
وإن هبَّ يوماً للجنوبِ نَسيمُ⁽³⁾
- حمائمُ ورقٌ في الديارِ وقوعُ
نوائِحُ لا⁽⁵⁾ تجري لهنَّ دُموعُ
- عليك من بين السَّيالِ سَلامُ
لهنَّ إلى أفيائِكُنَّ⁽⁹⁾ بُغامُ⁽¹⁰⁾
ترنَّم في أفنانِكُنَّ⁽¹¹⁾ حَمَامُ
- يُ وصَرَفُ النّوى وحَرْبُ عَقامُ⁽¹³⁾
والقصور التي بها الأَطامُ

- (1) قوى الحبل: طاقاته، جمع قوة، أراد أنها قطعت حبل وده.
- (2) ل: «يقرفه نوح الحمام إذا دعا». يقال قرف الجرح: قشره قبل أن يبرأ.
- (3) ل: «وإن هب من ريح الجنوب نسيم». ش: «أو أن يهب للجنوب نسيم».
- (4) ل: «ترعني» وصواب هذه الرواية: «يرعني». (5) ل: «ما».
- (6) الدحل بالفتح: نقب في الأرض ضيق فمه، ثم يتسع أسفل حتى يمشى فيه، وهو أشبه ما يكون بهذه المخابئ الصناعية التي يحتتمي بها الناس وقت الحرب. والجمع أدحل وأدحال ودحول ودحلان. وجمع الجمع دحائل. والدحائل هنا في البيت لعلها اسم موضع بعينه، كما قال ياقوت. وجاءت محرفة في الأصل، فهي في ط: «الأخايل» وش: «الأحايل» ول: «الدخايل». والصواب ما أثبت من معجم البلدان حيث وردت الأبيات. والسيالات: جمع سيالة، كسحابة، وهي واحدة السيال، نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه شبه اللبن.
- (7) ل: «بالضحى» ووجه الرواية ما أثبت من ط، ش والمعجم.
- (8) آجال: جمع إجّل، بالكسر، وهو القطيع من بقر الوحش. ط، ش: «إجلالاً» وهو تحريف. ورواية المعجم: «أرى العيس أحاداً».
- (9) الأفياء: جمع فيء، وهو الظل. ط فقط: «أفنانكن»، تحريف يتهافت به البيت. ورواية المعجم: «أطلالكن».
- (10) البغام: التصويت. ل: «نام» وضبطت بضم النون، ولم أر لها وجهًا.
- (11) ش: «أفيائكن» تحريف.
- (12) ل: «عمر» وصوابه ما أثبت من ط، ش والأغاني (6: 1)، وكذا ذكره المرزباني في الشعراء 240 فيمن اسمه «عمرو» من الشعراء. وهو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي، وقد غلب عليه لقب: «أبو قطيفة». وكان يكثر القول في حنينه إلى وطنه بالمدينة، لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من أخرج من بني أمية ونفاهم إلى الشام. وفي ذلك يقول الأبيات الآتية. وقبلها:

ليت شعري وأين مني ليت
أم كعهدي العقيق أم غيرته
وبأهلي بدلت عكا ولخما
وإذا ما وأين مني جذام

- (13) ل: «أصل به النأي» محرف. والحرب العقام، بضم العين، وفتحها: الشديدة.

كَلَّ قَصْرَ مَشِيدٍ ذِي أَوَاسٍ⁽¹⁾ تَتَغَنَّى عَلَى ذُرَاهِ الْحَمَامِ
وقال آخر⁽²⁾:

أَلَا يَا صَبَا نَجِدَ مَتَى هَجَّتْ مِنْ نَجْدٍ فَقَدْ هَاجَ لِي مَسْرَاكٌ وَجَدًا عَلَى وَجَدٍ⁽³⁾
أَنَّ هَتَفَتْ وَرَقَاءَ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى غُصْنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرُّنْدِ⁽⁴⁾
بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي⁽⁵⁾
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَحَبَّ إِذَا دَنَا⁽⁶⁾ يُمَلُّ، وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يَشْفِ مَا بَنَا عَلَى أَنَّ قَرَبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ⁽⁷⁾

(أنساب الحمام)

وقال صاحب الحَمَام: للحمام مجاهيل، ومعروفات، وخارجيات، ومنسوبات. والذي يشتمل عليه دواوين أصحاب الحمام أكثر من كتب النسب التي تضاف إلى ابن الكلبي، والشرقي بن القطامي، وأبي اليقظان⁽⁸⁾، وأبي عبيدة النحوي؛ بل إلى دَعْفَلِ بن حنظلة، وابن لسان الحُمَرَة⁽⁹⁾، بل إلى صُحَارِ العبدِي. وإلى أبي السَّطَّاح اللَّخْمِي⁽¹⁰⁾، بل إلى النَّخَّارِ العذري⁽¹¹⁾، وصُبح⁽¹²⁾ الطائي، بل

(1) أواس: جمع آسية، على فاعلة: وهي الدعامة أو السارية. ويروي: «أواش» قال أبو الفرج: كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أي منقوشة.

(2) هو عبد الله بن الدمينه الخثعمي، كما في الحماسة (2: 100)، والأبيات في ديوان ابن الدمينه 29 ثم 28.

(3) الصبا، بالفتح: الريح الشرقية. ل: «جهداً من الجهد».

(4) أأن: أي ألأن؟ ورواية الديوان والحماسة: «على فنن». والرند: شجر طيب الرائحة.

(5) الجليلد: الصبور. ط، ش: «كنت لا تبدي» وأثبت رواية ل والحماسة والديوان.

(6) ط، ش: «نأى» وهو تحريف يفسد المعنى، وهو على الصواب في ل والحماسة والديوان.

(7) بعد هذا البيت - وكان جديراً بالجاحظ أن يثبته؛ لأنه يتمم المعنى:

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذِي ود

(8) في الأصل: «ابن أبي اليقظان»، والصواب ما أثبت. وانظر ترجمة أبي اليقظان في الجزء الثاني ص 6.

(9) سبقت ترجمته في (2: 113)، وترجمة صُحَارِ في (1: 87).

(10) وكذا في البيان (1: 362) وفي بعض نسخ البيان: «أبو الشطاح»، وفي الفهرست 156: «ابن النطاح»، وذكر أن اسمه محمد بن صالح.

(11) النخار العذري، هو النخار بن أوس، قال فيه صاحب القاموس: «أنسب العرب». وكان معاصراً لجميل الشاعر، وقد هجاه بشعر في الأغاني (7: 95) وقد ذكر الجاحظ في البيان (1: 105) علة تسميته بالنخار: قال: «كان إذا تكلم في الحمامات، وفي الصفح والاحتمال، وإصلاح ذات البين، وتخويف الفريقين من التفاني والبوار - كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف، وربما حمى فنخر». وفي البيان (1: 237) خبر طريف له مع معاوية. وانظر تلطف معاوية معه في البيان (1: 333).

(12) ل: «صلح» وفي البيان (1: 304): «صبح الحنفي».

إلى مثجور⁽¹⁾ بن غيلان الضبي، وإلى سطيح الذئبي⁽²⁾، بل ابن شريّة الجرهمي⁽³⁾، وإلى زيد بن الكيس النمري؛ وإلى كل نسابة راوية، وكل مُتَقَنِّ علامة.

ووصف الهذيل المازني، مثني بن زهير وحفظه لأنساب الحمام، فقال: واللّه لهو أنسب من سعيد بن المسيّب، وقَتَادَة بن دَعَامَة⁽⁴⁾ للنّاس، بل هو أنسب من أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه! لقد دخلت على رجل أعرف بالأَمْهَاتِ الْمُتَجِبَاتِ من سُحَيْمِ بن حَفْص⁽⁵⁾، وأعرف بما دخلها من الهُجْنَةِ والإِقْرَافِ، من يُونس بن حبيب.

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

قال: ومما أشبه فيه الحمام النّاس في الصُّور والشَّمَائِلِ ورقّة الطباع، وسُرعة القبول والانقلاب⁽⁶⁾، أنك إذا كنت صاحب فِرَاسَة، فمرّ بك رجالٌ بعضهم كوفي، وبعضهم بصري، وبعضهم مدني⁽⁷⁾، وبعضهم شامي وبعضهم يمني، لم يخف عليك أمورهم في الصُّور والشَّمَائِلِ والقُدود والنَّغم أيهم⁽⁸⁾ بصري، وأيهم كوفي، وأيهم شامي، وأيهم يمني، وأيهم مدني. وكذلك الحمام؛ لا⁽⁹⁾ ترى صاحب حمام تخفى عليه نسب الحمام⁽¹⁰⁾ وجنسها وبلاؤها إذا رآها.

(1) ط: «ميجور» ش: «متجوز» وصوابه ما أثبت من ل والقاموس والبيان (1: 341). وفيه يقول القلاخ بن حزن المنقري:

إذا قال بذ القائلين مقالَه وبأخذ من أكفائه بالمخنق

ولجير فيه هجاء. انظر ديوانه 233.

(2) سطيح الذئبي، قال ابن إسحق في السيرة 47 جوتنجن: «وكانت العرب تقول لسطيح: الذئبي؛ لأنه سطيح بن ربعة بن مسعود بن مازن بن ذئب». وسطيح هذا هو الكاهن الجاهلي، وهو وشق الكاهن المعاصر له، كانا قد طلبهما ربعة بن نصر ملك اليمن ليعبرا له رؤيا حالته - زعموا - فاتفقا في تعبير الرؤيا وبشرا برسالة الرسول الكريم ﷺ، بأستجاع تجدها في أوائل السيرة. ط، ش: «الديلي»، وهو تحريف صوابه في السيرة والبيان (1: 290). وقد ذكر في المعمرين ص 4.

(3) هو عبيد بن شرية - ويقال سرية، ويقال سارية - الجرهمي، أحد معمرى العرب وأدرك الإسلام فأسلم، وقدم على معاوية بن أبي سفيان، وجرى بينهما حديث طويل طريف تجده في معجم الأدباء (12: 73)، والمعمرين 39، وهو أول من نسب إليه كتاب في التاريخ من المسلمين. انظر الفهرست 89 ليبسك 132 مصر. وشرية، بوزن عطية، كما في الإصابة 6391.

(4) هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ينتهي نسبه إلى الحارث بن سدوس، ولد أعمى، وكان تابعياً عالمًا كبيراً نسابة، وكان ذا علم في القرآن والحديث والفقه، أخذ عن الحسن البصري وابن سيرين. وقد أثر عنه النسيان: قال يوماً: ما نسيت شيئاً قط! ثم قال: يا غلام ناولني نعلي. فقال: نعلك في رجلك!! ولد سنة 60 وتوفي سنة 117 في أيام هشام بن عبد الملك. وفيات الأعيان، ومعجم الأدباء، والمعارف.

(5) هو أبو اليقظان الذي سبقت ترجمته في (2: 6).

(6) ط، ش: «للألقاب».

(7) كذا في ط، ش وهو الوجه. جاء في معجم البلدان: «والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول ﷺ، مدني، مطلقاً. وإلى غيرها من المدن، مديني؛ للفرق لا لعلة أخرى. وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول ﷺ أيضاً مديني». وفي ل: «مديني».

(8) ط، ش: «أنه» مكان «أيهم» في مواضعها الخمسة.

(9) كذا في ل وهو الصواب، وفي ط، ش: «ألا». (10) ط، ش: «جماعته».

(مبلغ ثمن الحمام وغيره)

وللحمام من الفضيلة والفخر، أنَّ الحمامَ الواحدَ يباعُ بخمسمائة دينار، ولا يبلغ ⁽¹⁾ ذلك بازٍ ولا شاهين، ولا صقرٌ ولا عقاب، ولا طاوس، ولا تدرجٌ ولا ديك، ولا بغيرٍ ولا حمارٌ، ولا بغلٌ. ولو أردنا أن نحقق الخبرَ بأنَّ برذونا أو فرساً بيعَ بخمسمائة دينار، لما قدرنا عليه إلا في حديث السمر ⁽²⁾. وأنت إذا أردت أن تتعرفَ مبلغَ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية، ثم دخلتَ بغدادَ والبصرةَ وجدتَ ذلك بلا معاناة. وفيه أنَّ الحمامَ إذا جاء من الغاية بيعَ الفرخَ الذكورُ من فراخه بعشرين ديناراً أو أكثر، وبيعت الأنثى بعشرةً دنانير أو أكثر، وبيعت البيضة بخمسة دنانير. فيقوم الزوجُ منهما [في الغلة] مقام ضيعة، وحتى ⁽³⁾ ينهضَ بمؤنة العيال، ويقضي الدين، وتبنى من غلاته وأثمان رقبه الدورَ الجيدة ⁽⁴⁾، وتبتاع الحوانيت المغلة. هذا؛ وهي في ذلك الوقت ملهى عجيب، ومنظرٌ أنيق، ومعتبرٌ لمن فكر ودليلٌ لمن نظر ⁽⁵⁾.

(عناية الناس بالحمام)

ومن دخل الحجر ورأى قصورها ⁽⁶⁾ المبنية لها بالشامات ⁽⁷⁾ وكيف اختزان ⁽⁸⁾ تلك الغلات، وحفظ ⁽⁹⁾ تلك المئونات؛ ومن شهد أرباب الحمام، وأصحاب الهدى ⁽¹⁰⁾ وما يحتملون فيها من الكلف الغلاظ أيام الزجل، في حملانها على ظهور الرجال، وقبل ذلك في بطون السفن، وكيف تُفرد في البيوت، وتجمع إذا كان الجمع أمثل، وتفرق إذا كانت التفرقة أمثل ⁽¹¹⁾ وكيف تنقل ⁽¹²⁾ الإناث عن ذكورتها، وكيف تنقل الذكورة عن إناثها ⁽¹³⁾ إلى غيرها، وكيف يخاف عليها الضوى ⁽¹⁴⁾ إذا تقاربت أنسابها، وكيف يخاف على أعراقها من دخول الخارجيات فيها، وكيف يحتاط ⁽¹⁵⁾ في صحة طرقتها ونجلها ⁽¹⁶⁾؛ لأنه لا يؤمن ⁽¹⁷⁾ أن يقط

(1) ل: «ولم».

(2) السمر، أصله الحديث لياً، ولكنه يراد به في مثل هذا الموضع حديث الخرافة. وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين في الفهرس (المقالة الثامنة).

(3) ط، ش: «حتى».

(4) ط، ش ونهاية الأرب (10: 275): «والجنان»، جمع جنة، والجنان ليست مما يبنى. وصوابه في ل ونثار الأزهار 93.

(5) هذه الجملة ساقطة من ل.

(6) الحجر، بالتحريك، هو حجر شغلان، كسلطان: حصن في جبل اللكام قرب أنطاكية. والقصر: المنزل، أو كل بيت من حجر.

(7) الشامات هي بلاد الشام، وتشمل الثغور، وهي المصبصة وطرسوس وأذنة وأنطاكية، وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس وغير ذلك. ط، ش: «بالسامان» محرف.

(8) ط، ش: «اقتران»، ل: «أقدار»، والوجه فيه ما أثبت.

(9) ل: «وخفة» تحريف.

(10) انظر ما أسلفت من تحقيق هذه الكلمة (2: 47) في التنبيه الثالث.

(11) هذه الجملة ليست في ل. (12) ط، ش: «تغفل»، وصوابه في ل.

(13) الضوى: الهزال والدقة والضعف. ط، ش: «يحتال».

(14) ط، ش: «يحتال». (15) النجل: النسل وزناً ومعنى. (16) في الأصل: «يأمن».

الأنثى ذكرٌ من عُرض الحمام، فيضرب في التَّجَلِّ بنصيبٍ، فتعترية الهُجْنة - والبيضة عند ذلك تنسب إلى طَرَقِها⁽¹⁾. وهم لا يحوطون أرحام نسائهم كما يحوطون أرحام المنجبات من إناث الحمام. [ومن شهد أصحاب الحمام] عند زَجْلِها من الغاية، والذين يعلمون⁽²⁾ الحمام كيف يختارون لصاحب العلامات، وكيف يتخيرون الثقة وموضع⁽³⁾ الصَّدق والأمانة، والبُعد من الكذب والرَّشوة، وكيف يتوخَّون ذا التَّجربة والمعرفة اللطيفة، وكيف تسخو أنفسهم بالجمالة⁽⁴⁾ الرِّفِعة، وكيف يختارون لحملها من رجال الأمانة والجلد والشَّفَقَّة والبَصَر وحُسن المعرفة - لعلم عند ذلك⁽⁵⁾ صاحب الديك والكلب أنَّهما لا يجريان في هذه الحلية، ولا يتعاطيان هذه الفضيلة⁽⁶⁾.

(بعض خصائص الحمام)

قال: وللحمام من حسن الاهتداء، وجودة الاستدلال، وثبات الحِفْظ والذِّكْر، وقوَّة النزاع إلى أربابه، والإلف لوطنه، [ما ليس لشيء] وكفاك اهتداء ونزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير، يجيء من بَرَعْمَة⁽⁷⁾، لا بل من العليق، أو من خَرَشْنَة⁽⁸⁾ [أ]و من الصفصاف⁽⁹⁾، لا بل من البَغْرَاس⁽¹⁰⁾، ومن لؤلؤة⁽¹¹⁾. ثم الدليل على أنه يستدل بالعقل والمعرفة، والفكرة⁽¹²⁾ والعناية، أنه إنما يجيء من الغاية على تدرّج وتدرّيب وتنزيل⁽¹³⁾. والدليل على علم أربابه بأن تلك المقدمات قد نجعن فيه، وعملن في طباعه، أنه إذا بلغ الرِّقَّة غمروا به بكَرَّة⁽¹⁴⁾ إلى الدَّرب وما فوق الدَّرب من بلاد الروم، بل لا يجعلون ذلك تغميراً⁽¹⁵⁾؛ لمكان المقدمات والترتيبات التي قد عملت فيه وحذقته ومَرتَّته.

- (1) طرقها: أي طارقتها، وهو فحل الأنثى.
- (2) ل، ط: «يعملون» وهو تحريف ظريف، صوابه في ش.
- (3) ط، ش: «في موضع»، ووجه ما أثبت من ل. (4) الجمالة، مثلثة: ما جعل للإنسان في مقابل عمله.
- (5) لعلم: جواب: «ومن دخل الحجر». إلخ في ص 119، ط، ش: «ذلك عند» وصوابه من ل.
- (6) ط، ش: «القضيه»، بمعنى الحكم.
- (7) برعمة: مدينة من بلاد الروم. ذكرها ابن بطوطة في رحلته (1: 231) وضبطت بباء موحدة مفتوحة، وراء مسكنة وغيث معجمة مفتوحة وميم مفتوحة. ط، ش: «ركمة» ل: «رعمة». ولعل صوابهما ما أثبت.
- (8) خرشنة: بلد قرب ملطية من بلاد الروم. معجم البلدان. وفي ط، ش: «حوساء».
- (9) الصفصاف: كورة من ثغر المصبصة والمصبصة. من ثغور الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم. والمراد ببلاد الروم ما يعبر عنه اليوم بتركية آسيا.
- (10) بغراس، بالفتح: مدينة في لحف جبل اللكام - بضم اللام - بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ. وفي الأصل: «النقراس»، وهو تحريف ما أثبت من المعجم والقاموس. وهذه الكلمة وكلمة «من» بعدها ساقطتان من ل.
- (11) لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس.
- (12) هذه الكلمة ساقطة من ل.
- (13) كذا في ل. وفي ط: «عن التدرّج والتدرب والتنزيل»، وفي ش مثل ما في ط مع إبدال كلمة: «والتدرب» بجعلها: «التدريب».
- (14) غمروا به: دفعوا به. في ط، ش: «غمزوا أنه قطرة»، وهو تحريف صوابه في ل.
- (15) ط، ش: «تغميزا»، وهو تصحيف ما في ل.

ولو كان الحمام ممّا يُرسل بالليل⁽¹⁾، لكان ممّا يستدلُّ بالثُّجوم؛ لأنّا رأيناها يلزم بطنَ الفُرات، أو بطنَ دجلة، أو بطون الأودية التي قد مرّ بها، وهو يرى ويُبصرُ ويفهمُ انحدارَ الماء، ويعلمُ بعدَ طولِ الجولانِ [و]⁽²⁾ بعدَ⁽³⁾ الرّجال، إذا هو أشرف على الفُرات أو دجلة، أنّ طريقه وطريقَ الماء واحد، وأنّه ينبغي أن ينحدر معه. وما أكثرَ ما يستدلُّ بالجواد⁽⁴⁾ من الطُّرُق إذا أعيته بطون الأودية. فإذا لم يدرِ أمْصَعِدْ هو أمْ مُنْحَدِرْ، تعرّف ذلك بالريّح، ومواضع⁽⁵⁾ قُرُص الشمس في السماء. وإنّما يحتاج إلى ذلك كلّ إذا لم يكن وقَعَ بعدُ على رسمٍ يعملُ عليه⁽⁶⁾. فربّما كرّر⁽⁷⁾ حين يزجل به⁽⁸⁾ [يميناً و]شمالاً، وجنوباً وشمالاً، وصَبّاً ودُبوراً - الفَراسِخَ الكثيرةَ وفوقَ الكثيرة.

(العُمر والمجرّب من الحمام)

وفي الحمام العُمر والمجرّب. وهم لا يُخاطرون بالأغمار لوجهين: أحدهما أن يكون العُمر عريفاً⁽⁹⁾ فصاحبه يضمنُ به، فهو يريدُ أن يدرّبه ويمرّنه⁽¹⁰⁾ ثمّ يكلفه بعدُ الشيء الذي اتّخذ له، وبسببه⁽¹¹⁾ أصطنعه [واتخذهُ]. وإمّا أن يكون العُمر مجهولاً، فهو لا يتعنّى⁽¹²⁾ ويُشقى نفسه، ويتوقّع⁽¹³⁾ الهدايةَ من الأغمار المجاهيل.

وخَصْلَةُ أخرى: أنّ المجهول إذا رَجَعَ مع الهدى⁽¹⁴⁾ المعروفات، فحمله معها إلى الغاية⁽¹⁵⁾ فجاء سابقاً، لم يكن له كبيرُ ثمنٍ حتّى تتلاحق به⁽¹⁶⁾ الأولاد. فإنّ أنجَبَ فيهنّ صار أباً⁽¹⁷⁾ مذكوراً، وصار نَسَباً⁽¹⁸⁾ يرجع إليه، وزاد ذلك في ثمنه. فأما المجرّب غير العُمر، فهو

- (1) ل: «بالحيل»، وصوابه من ط، ش ونثار الأزهار 93.
- (2) زدتها لحاجة الكلام إليها.
- (3) كذا في ل، ط، وفي ش: «بقدر».
- (4) الجواد: جمع جادة، وهي معظم الطريق. وفي ط، ش: «بالجوّ أو»، تحريف.
- (5) كذا في ل ونثار الأزهار. وفي ط، ش: «وبموضع».
- (6) كلمة «على» ساقطة من ش. وفي الأصل: «يعمل به عليه»، والوجه ما أثبت من نثار الأزهار.
- (7) كرّ: عطف، أي مال في سيره. ل، وكذا نثار الأزهار: «كسر».
- (8) كذا في ل. وفي ط، ش: «حتّى يرحل» وهذا تحريف وتصحيف.
- (9) العريف: المعروف، وبه سمى عريف القوم: أي رئيسهم. وأراد به المعروف النسب. وفي ل: «عريقاً»، من قولهم: فلان عريق النسب.
- (10) ل: «وهو على أن يدرّبه أو يمرّنه».
- (11) هذه الكلمة وكذلك كلمة «اتخذهُ» قبلها، ساقطتان من ل.
- (12) يتعنّى: ينصب، أي يتعب. ط، ش: «يبقى» تحريف ما في ل.
- (13) ط، ش: «وتتوقع»، وهو خطأ.
- (14) انظر الجزء الثاني من الحيوان ص 47 التنبيه الثالث.
- (15) فحمله، ضمير الفاعل عائد إلى صاحب الحمام، وضمير المفعول راجع إلى المجهول من الحمام، وضمير «معها» عائد إلى «الهدى». وفي ش: «معه» ويصح فإن «الهدى» جمع هاد كما سبق في الجزء الثاني. والأفضل ما أثبت من ط، ل.
- (16) ل: «له» وكلاهما جائز.
- (17) ط، ش: «أبداً» وهو تحريف ما أثبت من ل.
- (18) ط: «نسيباً».

الذي قد عَرَفُوهُ الْوُرُودَ وَالتَّحَصُّبَ⁽¹⁾؛ لَأَنَّهُ مَتَى لَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يَنْقُضَ حَتَّى يَشْرَبَ الْمَاءَ مِنْ بَطُونِ الْأَوْدِيَةِ⁽²⁾ وَالْأَنْهَارِ وَالْعُدْرَانِ، وَمَنَاقِعِ⁽³⁾ الْمِيَاهِ، وَلَمْ يَتَحَصَّبْ⁽⁴⁾ بِطَلَبِ بُزُورِ الْبَرَارِيِّ، وَجَاعَ وَعَطَشَ - التَّمَسَّ مَوَاضِعَ النَّاسِ. وَإِذَا مَرَّ بِالْقَرَى وَالْعُمُرَانِ⁽⁵⁾ سَقَطَ، وَإِذَا سَقَطَ أُخِذَ بِالْبَائِكِيرِ⁽⁶⁾ وَبِالْفَقَاعَةِ⁽⁷⁾ وَبِالْمَلْقَفِ⁽⁸⁾ وَبِالتَّدْبِيقِ⁽⁹⁾ وَبِالدُّشَاخِ⁽¹⁰⁾؛ وَرَمِيَ أَيْضًا بِالْجَلَاهِقِ⁽¹¹⁾، وَبِغَيْرِ⁽¹²⁾ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الصَّيْدِ. وَالْحَمَامُ طَائِرٌ مُلْقَى غَيْرُ مُوقَى⁽¹³⁾، وَأَعْدَاؤُهُ كَثِيرٌ، وَسَبَاعُ الطَّيْرِ تَطْلُبُهُ أَشَدَّ الطَّلَبِ. وَقَدْ يَتَرَفَّعُ مَعَ الشَّاهِينِ⁽¹⁴⁾، وَهُوَ لِلشَّاهِينِ أَخَوْفٌ، فَالْحَمَامُ أَطْيَرُ مِنْهُ وَمِنْ جَمِيعِ سَبَاعِ الطَّيْرِ، وَلَكِنَّهُ يُذْعَرُ فَيَجْهَلُ بَابَ الْمَخْلَصِ وَيَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْحَمَامَ مِنَ الْأَسَدِ إِذَا رَأَهُ⁽¹⁵⁾، وَالشَّاةُ إِذَا رَأَتْ الذِّئْبَ، وَالْفَارَةُ إِذَا رَأَتْ السَّنُورَ.

- (1) المراد بالورود ورود الماء. وفي ط، ش: «بالورود» ولا يصح؛ لأن «عرف» لا تتعدى بالباء، إلا في معنى آخر، فيقال: عرفه بزيد، أي سماه بزيد، وعرفه بكذا: أي وسمه به. انظر اللسان. والتحصب، بالحاء المهملة: خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب، وإنما يريدونه على ذلك ليعتاد البعد عن المدن حتى لا يقع في أيدي الناس. ط: «والتخصب»، ش: «والتخضب» وصوابهما في ل.
- (2) كذا في ش. وفي ط: «من بطون أوساط الأودية». وفي ل: «من أوساط الأودية».
- (3) المناقع: جمع منقع كجمع، وهو الموضع يستنقع فيه الماء. وفي ط، ش: «مواقع»، وليس من لغة الجاحظ.
- (4) انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة. ط: «يتخصب» ش: «يتخضب». محرفتان عما في ل.
- (5) المراد بالعمران: الموضع العامة بالناس. ل: «العمران» ولا وجه له.
- (6) كتب إلي حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرمل، بما يأتي: «البايكير» باء موحدة تحتية، يليها ألف فياء مثناة ساكنة، فكاف فارسية مثثلة مكسورة، فياء مثناة تحتية ساكنة فراء: كلمة فارسية مركبة من: باي وهو نوع من الطير يسمى بالعربية: بوهة، وبالفرنسية: *Effraie naine* وباللارمية بأوا. ومن «كير»، ومعناها جاذب. ومحصل اللفظين: جالب البوهة ويراد بذلك مصيدة تحبك بالحبال عيوناً كعيون شبكة صيد السمك، وتجعل على شكل سلة كبيرة تقلب على فمها. وقد دبر فيها بابان: باب خارجي أو أصلي، وباب داخلي، أو فرعي. فالباب الخارجي، أو الأصلي، يراه كل ناظر إليه. أما الداخلي فيكون في مثل دهليز يمتد من الباب الخارجي، ويفتح على يمين الطائر الداخل إليه أو على يساره. فيدخل الطائر من الباب الأول، ثم إذا صار في الدهليز يبحث عن الباب الآخر فيجده على يمينه، أو يساره، حسبما دبر في أول صنع المصيدة، فإذا وجده ولجه ذاهباً إلى بطن السلة ليجد الطائر الذي يطلبه. فإذا دخل، ثم حاول الخروج عائداً إلى موطنه الأول لا يهتدي إلى الباب الداخلي لأنه مزور عن الخارج، فيقبض عليه أسيراً، أو محاولاً التخلص من مأزقه. ووضعت البوهة لتكون ملوآحاً لساير الطير، فإن هذا الملواح يضطرب فتراه بعض إخوته الطير، فتدخل لتنقذه من ورطته، أو لترافقه في أسره، أو لتشاطره طعامه، أو لتصيب شيئاً من نعيمه. فيؤخذ المخدوع بهذه الحيلة اللطيفة الدقيقة على فهم الطائر، بدون أن يجرح المصيد» اهـ.
- (7) الفقاعة كرامة: شيء يتخذ من جريد النخل، ثم يغدف به على الطير فيصا. يغدف: يسبل.
- (8) آلة من آلات الصيد. ط، ش: «باللقف».
- (9) التدبيق: الاصطياد بالدبق. والدبيق، بكسر الدال: غراء يصاد به الطير.
- (10) الدشاخ: وأكثرهم يكتبونها «الدوشاخ» كلمة فارسية مركبة من (دو) أي اثنين، و(شاخ) أي شعبة، أو طرف أو رأس. ومحصل معناه: ذو الشعبتين أو ذو الرأسين أو ذو الطرفين. وأكثر ما تكون هذه الآلة من حديد، يصاد بها السمك، في دجلة والفراة. واسمها معروف هناك إلى يومنا هذا. كتب بذلك إلي حضرة المحقق الأكبر الأب أنستاس ماري الكرمل. قلت: وهذه الكلمة هي في ط، ش: «وبالفخ» وصواب نصها من ل.
- (11) الجلاهي: البندق الذي يرمى به الصيد. فارسي معرف. ل: «وبالرمي بالجلاهق».
- (12) ل: «وبغيره».
- (13) ملقى: أي يلقي عتناً من الناس والطير. وغير موقى: غير مصون من الأذى، ط، ش: «والحمام أنيس» إلخ.
- (14) يترفع معه: أراد يطير معه طيراً سريعاً. (15) قالوا: إنه يفر إلى الأسد منه.

(سرعة طيران الحمام)

والحمام أشد طيراناً من [جميع] سباع الطير، إلا في انقضاض وانحدار⁽¹⁾؛ فإن تلك تنحط انحطاط الصخور. [و]⁽²⁾ متى التقت أمة⁽³⁾ من سباع الطير، أو جفالة⁽⁴⁾ من بهائم الطير، أو طرن⁽⁵⁾ على عرق⁽⁶⁾ وخيط ممدود، فكلها يعتريها عند ذلك التقصير عما⁽⁶⁾ ما كانت عليه، إذا طارت⁽⁷⁾ في غير جماعة. ولن ترى جماعة طير أكثر طيراناً إذا كثرت من الحمام؛ فإنهن كلما التفتن وضاق موضعهن كان أشد لطيرانهن. وقد ذكر ذلك النابغة الذبياني في قوله:

وَاحْكُم كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حِمَامٍ شَرَّاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ⁽⁸⁾
يَحْفُهُ جَانِباً نَيْقٍ وَيَتْبَعُهُ مِثْلُ الرُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ⁽⁹⁾
قَالَتْ: أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحِمَامُ لَنَا إِلَى حِمَامَتَا وَنُصْفُهُ فَقَدِ⁽¹⁰⁾
فَحَسَبُوهُ فَأَلْفُوهُ كَمَا حَسَبْتُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ⁽¹¹⁾
فَكَمَلْتُ مَائَةً فِيهَا حِمَامَتُهَا وَأُسْرَعْتُ حَسْبَةَ فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ⁽¹²⁾

قال الأصمعي: لما أراد مديح الحاسب وسرعة إصابته، شدد الأمر وضيقه عليه؛ ليكون أحمد له إذا أصاب؛ فجعله حزر⁽¹³⁾ طيراً، والطير أخف من غيره، ثم جعله حماماً والحمام أسرع الطير، وأكثرها اجتهداً في السرعة⁽¹⁴⁾ إذا كثر عددهن؛ وذلك أنه يشتد⁽¹⁵⁾

- (1) ل: «إلا في الانقضاض والانحدار». والانحدار بمعنى الانقضاض.
- (2) هذه الزيادة الضرورية من ل، ش.
- (3) الأمة، بالضم: الجماعة، كما في اللسان. ل: «رامة» ش: «وامه» ط: «وأمة»، وصواب ذلك كله ما أثبت.
- (4) الجفالة: بالجيم: الجماعة، وفي ط، ش: «حفالة» بالحاء المهملة، وهي بمعنى الحثالة: الرديء من كل شيء.
- (5) العرق، بالتحريك: السطر من الطير، جمعه عرق، بالتحريك أيضاً. وفي ط، ش: «غرفة» ولا تصح. و«طرن» محرفة في الأصل فهي في ط، ش: «طرف» وفي ل: «كن»، وقد جعلتها كما ترى.
- (6) ط، ش: «عند»، تحريف.
- (7) ل: «إذ كانت».
- (8) احكم: كن حكيماً، وأراد بفتاة الحي: زرقاء اليمامة. و«شرع» هي رواية الأصمعي كما في الخزانة (4: 300 بولاق). والشرع: التي شرعت في الماء. والرواية المعروفة: «سراع» بالمهملة، جمع سريعة. وهذه أوجه؛ فإن بالأولى يكون التكرار؛ إذ الشرع هن الوردات. والثمد: الماء القليل. والحمام وما أشبهه من أسماء الأجناس يجوز أن يعتبر جمعاً ومفرداً.
- (9) النيق، بالكسر: الجبل أو أعلاه. و«يتبعه» روى فيها «تبعه» من الإتيان كما في الخزانة، وشرح التبريزي للمعلقات. والفاعل في الرواية الأولى هو كلمة: «مثل» وفي الثانية الضمير المستكن الراجع إلى «فتاة الحي». وأراد ب«مثل الزجاجة» عيني الزباء. يقول: هي صافية كما صفت الزجاجة. و«لم تكحل من الرم» أي لم ترمد فتكحل، كقوله:
- على لا حب لا بهتدي بمناره
- (10) للنحويين كلام طويل في هذا البيت، تجده في مراجع النحو في الكلام على «ليت». وانظر الكلام على «ونصفه» في الخزانة. وقد بمعنى حسب.
- (11) حسبه: عدوه.
- (12) كان الحمام الذي رأت ستاً وستين، وهو ونصفه مع حمامتها مائة.
- (13) الحزر، بالزاي الساكنة: التقدير.
- (14) «وأكثرها اجتهداً في السرعة» ساقطة من ل.
- (15) ل: «وكثر العدد لأن الحمام».

طيرائه عند المسابقة والمنافسة . وقال : يحقّه جانباً نيق ويتبعه ، فأراد أن الحمام إذا كان في مضيق من الهواء كان أسرع منه إذا اتسع عليه الفضاء .

(غايات الحمام)

وصاحب الحمام قد كان يدرّب ويمرّن ويُنزّل في الزّجال ، والغاية يومئذٍ واسط^(١) . فكيف يصنّع اليوم بتعريفه الطّريق وتعريفه الورود والتحصّب^(٢) ، مع بُعد الغاية؟!^(٣) .

(ما يختار للزّجل من الحمام)

والبغداديون يختارون للزّجال من الغاية الإناث ، والبصريّون يختارون الذّكور . فحجّة البغداديين أن الذّكر إذا سافر وبُعد عهده بقمط الإناث ، وتأقّت نفسه إلى السّفاد ، ورأى أنثاه في طريقه^(٤) ، ترك الطّلب إن كان بُعد في الجولان ؛ أو ترك السّير إن كان وقع على القصد ، ومال إلى الأنثى وفي ذلك الفساد^(٥) كلّهُ .

وقال البصريّ : الذّكر أحنّ إلى بيته لمكان أنثاه ، وهو أشدّ متناً وأقوى بدناً ، وهو أحسنّ اهتداء . فنحن لا ندعّ تقديم الشيء القائم إلى معنّى قد يعرض وقد لا يعرض .

(نصيحة شدفويه في تربية الحمام)

وسمعتُ شدفويه السلاّحي^(٦) من نحو خمسين سنة ، وهو يقول لعبد السلام بن أبي عمار^(٧) : اجعل كعبة حمامك في صحن دارك ، فإنّ الحمام إذا كان متى خرج من بيته إلى المعلاة لم يصل إلى معالته إلّا بجمع النّفس والجناحين ، وبالنهوض ومكابدة الصعود - اشتدّ مثنّه ، وقويّ جناحه ولحمه . ومتى أراد بيته فاحتاج^(٨) إلى أن ينتكس ويجيء منقضّاً - كان أقوى على الارتفاع في الهواء بعد أن يروي^(٩) . وقد تعلمون أنّ الباطنيين أشدّ متناً من

(١) تسمى واسط الحجاج ، سميت بذلك لأنها توسّط بين البصرة والكوفة ، فبينها وبين كل واحدة منهما خمسون فرسخاً ، وبدلها في ط ، ش : «أقصر» .

(٢) التحصّب : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب . ط : «التخصّب» ل ، ش : «التخضب» ، مصحفتان .

(٣) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) ل : «في طريقه ومجيئه» .

(٥) ط فقط : «السّفاد» محرف .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، ش : «سرفوحة السّاحي» .

(٧) كذا في ل . وفي ط ، ش : «أبي العمان» .

(٨) ط : «فاحتاج» ، تحريف ما في ش ، ل .

(٩) كلمة «الهواء» هي في ط ، ش : «الهوى» محرفة . وكلمة «بعد» ساقطة من ل .

الظاهرين^(١)، وأنَّ النَّفَرَسَ لَا يُصِيبُ الْبَاطِنِيَّ فِي رَجْلِهِ^(٢) ليس ذلك إلاَّ لأنَّه يصعد إلى العلالي^(٣) فوق الكناديج^(٤) درجةً بعد درجة، وكذلك نزوله. فلو درَّبتهم الحمامَ [على]^(٥) هذا التَّرتيب كانَ أصوب. ولا يعجبني تَدْرِيبُ العاتق وما فوق العاتق^(٦) إلاَّ من الأماكن القريبة؛ لأنَّ العاتق كالفتاة العاتق، وكالصبي الغرير، فهو لا يَعْدُمُهُ ضَعْفُ البدن، وَقَلَّةُ المعرفة، وسوء الإلف. ولا يُعْجِبُنِي أَنْ تتركوا الحمامَ حتَّى إذا صار في عدد المسانِّ واكتهل، وولَدَ البطونَ بَعْدَ البطونِ، وأخذ ذلك من قوَّةِ شبابه، حملتموه على الرَّجُل، وعلى التَّمْرين، ثمَّ رميتم به أقصى غاية، لا، ولكنَّ التَّدْرِيبَ مع الشباب، وانتهاء الحدة^(٧)، وكمال القوَّة، من قبل أن تأخذ القوَّة في التَّقْصان. فهو يلقن بقربه من الحادثة^(٨)، ويُعرِّف بخروجه من حدِّ الحادثة^(٩)، فابتدئوا به التَّعليم والتَّمْرين في هذه المنزلة الوسطى.

(الوقت الملائم لتمرين فراخ الحمام)

وَهُمْ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَمْرُنُوا^(١٠) الْفَرَاخَ أَخْرَجُوهَا وَهِيَ جَائِعَةٌ، حَتَّى إِذَا أُلْقُوا إِلَيْهَا الْحَبَّ أَسْرَعَتِ النُّزُولَ. وَلَا تُخْرَجُ وَالرَّيْحُ عَاصِفٌ، فَتُخْرَجُ قَبْلَ الْمَغْرَبِ وَانْتِصَافِ النَّهَارِ. وَخُذَاقَهُمْ لَا يَخْرُجُونَهَا مَعَ ذُكُورَةِ الْحَمَامِ؛ فَإِنَّ الذُّكُورَةَ يَعْتَرِيهَا النَّشَاطُ وَالطَّيْرَانِ وَالتَّبَاعُدُ وَمَجَاوِزَةُ الْقَبِيلَةِ. فَإِنْ طَارَتِ الْفَرَاخُ مَعَهَا سَقَطَتْ عَلَى دُورِ النَّاسِ. فَرِيَاضَتُهَا شَدِيدَةٌ، وَتَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةٍ وَعِنَايَةٍ، وَإِلَى صَبْرِ وَمُطَاوَلَةٍ؛ لِأَنَّ الَّذِي يُرَادُ مِنْهَا إِذَا احْتِيجَ^(١١) إِلَيْهِ بَعْدَ هَذِهِ الْمَقْدَمَاتِ كَانَ أَيْضًا مِنَ الْعَجَبِ الْعَجِيبِ.

(حوار يعقوب بن داود مع رجل في اختيار الحمام)

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ أَتَيْتُ بِهِ أَنَّ يَعْقُوبَ بْنَ دَاوُدَ، قَالَ لِبَعْضِ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ - وَقَدْ ذَهَبَ عَنِّي اسْمُهُ وَنَسِيَّتُهُ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ عَرَفْتُهُ - : أَمَا تَرَى كَيْفَ أَخْلَفَ ظَنُّنَا وَأَخْطَأَ رَأْيُنَا، حَتَّى عَمَّ

(١) كذا جاءت كلمتا: «الباطنيين» و«الظاهريين» في ل. وإن كان وجهه في العربية: «الباطنيات» و«الظاهريات» إما لأن الجاحظ أراد أن ينقل كلام «شدفويه» كما وقع، وإما لأنه نزل الحمام منزلة العاقل، فجعله جمع العاقلين. وفي ط: ش: «الباطنتين» و«الظاهرتين» وهو لا جرم تحريف. والباطني: نسبة إلى الباطن، وهو الذي تكون تربيته في باطن بيت مكنون قد مهدت له في داخله كناديج: أي درجات يصعد عليها إلى قروصه. والظاهري: نسبة إلى الظاهر، والمراد به ما كان صعوده إلى قروصه من ظاهر البيت فيصعد إليه بالطيران لا بالصعود التدريجي كما يصنع الباطني.

(٢) ل: «لا يصيب الباطني في رجليه». (٣) العلالي: جمع عليّة، بالضم والكسر، وهي الغرفة.

(٤) الكناديج: جمع كندجة: معرب كندة بالضم، وهي خشبة عظيمة يستخدمها الباني في بناء الجدران والطبقان، انظر الألفاظ الفارسية 138، وضبطت: «الكندجة» في القاموس بفتح الكاف والdal، ضبط قلم. والمراد بها الدرجات التي يصعد عليها الحمام. وفي ط: «الكساويح»، محرفة.

(٥) ليست بالأصل.

(٦) العاتق من الحمام: فرخه ما لم يستحكم. ل: «العق» في الموضعين.

(٧) ش: «مع انتهائه الحدة والشباب». (٨) كذا في ل: وفي ط، ش: «بقوته مع الحادثة».

(٩) ل: «الحلاثة»، تحريف. (١٠) ل: «بثبوت».

(١١) ل: «جثن».

ذلك ولم يخص؟! أما كان في جميع من اصطنعناه واخترناه، وتفَرَّسنا فيه الخير وأردناه⁽¹⁾ به - واحد⁽²⁾ تكفيناً معرفته⁽³⁾ [مؤنة] الاحتجاج عنه، حتى صرْتُ لا أقرع⁽⁴⁾ إلا بهم، ولا أعاب⁽⁵⁾ إلا باختيارهم!! قال: فقال له رجل إنَّ الحمام يُختار من جهة السَّب، ومن جهة الخَلقة، ثم لا يرضى له أربابه بذلك حتى ترتبه وتنزله وتدرجه⁽⁶⁾، ثم تُحمل الجماعة منه⁽⁷⁾ بعد ذلك الترتيب والتدريب إلى الغاية، فيذهب الشطر ويرجع الشطر، أو شبيه بذلك أو قريب⁽⁸⁾ من ذلك. وأنت عمدت إلى حمام لم تنظر في أنسابها ولم تتأمل مخيلة الخير في خلقها⁽⁹⁾ ثم لم ترض حتى ضربت بها بكرة⁽¹⁰⁾ واحدة إلى الغاية⁽¹¹⁾، فليس بعجب ولا منكراً⁽¹²⁾ ألا يرجع إليك واحد منها، وإنما كان العجب في الرجوع، فأما في الضلال فليس [في] ذلك عجب⁽¹³⁾. وعلى أنه لو رجع منها⁽¹⁴⁾ واحد أو أكثر من الواحد لكان خطوك موقراً عليك، ولم ينتقضه خطأ من أخطأ؛ لأنه ليس من الصواب أن يجيء طائراً من الغاية على غير [عرق، وعلى غير] تدريب.

باب ومن كرم الحمام

ومن كرم الحمام الإلف والأنس والنزاع والشوق. وذلك يدل على ثبات العهد، وحفظ ما ينبغي أن يحفظ، وصون ما ينبغي أن يصاب وإنه لخلق صدق⁽¹⁵⁾ في بني آدم فكيف إذا كان ذلك الخلق⁽¹⁶⁾ في بعض الطير.

وقد قالوا: عمّر الله البلدان بحب الأوطان⁽¹⁷⁾.

قال ابن الزبير: ليس الناس بشيء من أقسامهم⁽¹⁸⁾ أقنع منهم بأوطانهم!

- (1) ط، ش: «أردنا به».
- (2) ط: «واحدًا»، وإنما هو اسم كان أو فاعلها.
- (3) ل: «معرفته» محرفة، وبعد هذه الكلمة واو حذفها. (4) كذا في ل، ش. وهو الصواب. وفي ط: «أقرع».
- (5) ط، ش: «أداب» محرف.
- (6) كذا في ط، ش، وفي ل: «حتى يرتبه وينزله».
- (7) ط، ش: «معه» وتصحيحه من ل.
- (8) ط، ش: «شبيهاً» و«قريباً» والوجه الرفع كما في ل.
- (9) المخيلة: موضع الظن، فهي كالمظنة. انظر اللسان. ط، ش: «مخيلة موضع الخير» وفيهما أيضاً: «في خلقتها».
- (10) ط، ش: «ضربة»، تحريف ما في ل.
- (11) كذا في ط، ش. وفي ل: «واحدة الغايات».
- (12) ط، ش: «فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر» إلخ.
- (13) ط، ش: «فليس ذلك بعجب ولا بمنكر».
- (14) ط، ش: «منهن».
- (15) خلق صدق، بالإضافة، أي نعم الخلق. وبالوصف، أي الخلق الكامل. «لخبي صدق»، تحريف.
- (16) ل: «فكيف بذلك الحق».
- (17) القول في الحنين إلى الأوطان من رسائل الجاحظ 2: 389 مع نسبته إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- (18) أقسام: جمع قسم، بالكسر. وهو الحظ والنصيب: ل: «لشيء» تحريف. ط، ش: «في اقتسامهم»، ووجهه ما أثبت من ل.

وأخبر الله - عز وجل - عن طبائع الناس في حب الأوطان، فقال: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾ [البقرة: 246]. ⁽¹⁾ وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 66] ⁽²⁾.

وقال الشاعر:

وكنْتُ فيهِمْ كممطورٍ ببلدته فسُرَّ أن جمَعَ الأوطانَ والمطرًا ⁽³⁾

فتجده يُرسلُ من موضع فيجيء؛ ثم يخرج من بيته إلى أضييق موضع وإلى رخام ⁽⁴⁾ ونقان ⁽⁵⁾ فيرسل من أبعد من ذلك فيجيء. [ثم يصنع به مثل ذلك الممرار الكثيرة، ويزاد في الفراسخ، ثم يكون جزاؤه ⁽⁶⁾ أن يغمر به ⁽⁷⁾ [من] ⁽⁸⁾ الرقة إلى لؤلؤة ⁽⁹⁾ فيجيء. ويُسْتَرْقُ من منزل صاحبه ⁽¹⁰⁾ فيقص، ويعبرُ هناك حولاً وأكثر من الحول، فحين ينبت جناحه يحنُّ إلى إلفه وينزع إلى وطنه، وإن كان الموضع الثاني أنفع له، وأنعم لباله، فيهبُ فضل ما بينهما لموضع تربيته وسكنه؛ كالإنسان الذي لو أصاب في غير بلاده الرِّيفَ لم يقع ذلك في قلبه، وهو يعالجهم ⁽¹¹⁾ على أن يُعطى عُشر ما هو فيه ⁽¹²⁾ في وطنه. ثم ربّما باعه صاحبه، فإذا وجد مخلصاً رجع إليه، حتّى ربّما فعل ذلك مراراً. وربّما طار دهره وجال في البلاد، وألف الطيران والتقلّب في الهواء، والنظر إلى الدنيا، فيبدو لصاحبه ⁽¹³⁾ فيقص جناحه ويلقيه في ديماس ⁽¹⁴⁾، ينبت جناحه، فلا يذهب عنه ولا يتغيّر له. نعم، حتّى ربّما جدف ⁽¹⁵⁾ وهو مقصوص، فإمّا صار إليه، وإمّا بلغ عذراً.

(1) هذا القول حكاية عن بني إسرائيل، وكانوا طلبوا من نبي لهم - وهو يوشع، أو شمعون، أو أشمويل - أن يعين لهم أميراً يتولى قيادتهم في حرب العمالقة وكان العمالقة قد أجلوا الإسرائيليين وسبوا أولادهم. وكان النبي قال لهم: «هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا» - يقول ذلك متوقفاً جنبهم عن القتال - فأجابوه بما في هذه الآية. انظر التفاسير.

(2) قال العسكري في ديوان المعاني (187: 2) تعقيباً على هذه الآية: «فجعل خروجهم من ديارهم كفاء قتلهم لأنفسهم».

(3) أنشده في الحنين إلى الأوطان. وأخذ ابن المولى هذا المعنى فقال (ديوان المعاني 190: 2):

كممطور ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحاب

(4) هو اسم موضع، ولم أحقه. وفي ط فقط: «زحام».

(5) نقان، بضم النون ويكسر: اسم جبل في بلاد أرمينية. وفي ط، ش: «قفار»: وفي ل: «تفاد» وهو تحريف ما أثبت.

(6) كذا في ل. وفي ط: «الحرارة»! وفي ش: «الجرادة».

(7) يغمر به: أي يدفع به. ش: «يغمر» تصحيف.

(8) التكملة من ل، ش.

(9) لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس.

(10) يسترق: من الاستراق، وهو السرقة. ل: «يسرق» وفيها أيضاً: «نزل» مكان «منزل»، وهما بمعنى.

(11) يعالجهم: يمارسهم. وفي ل: «بصالحهم».

(12) ل: «عشر ذلك».

(13) يقال بدا له في الأمر: نشأ له فيه رأي.

(14) الديماس بالكسر: الكن.

(15) جدف الطائر: طار وهو مقصوص الجناحين كأنه يرد جناحه إلى خلفه. وهذه الكلمة محرفة في الأصل، فهي في ط، ش: «جد»، وفي ل: «حذف».

(قص جناح الحمام)

ومتى قصَّ أحد جناحيه كان أعجزَ له عن الطَّيران، ومتى قصَّهما جميعاً كان أقوى له عليه، ولكنه لا يُبْعِد، لأنَّه إذا كان مقصوفاً من شِقِّ واحدٍ اختلفَ خلقه، ولم يَعتَدِلْ وزنه، وصارَ أحدهما هوائياً والآخر أرضياً. فإذا قُصَّ الجناحانِ جميعاً طار، وإن كان مقصوفاً فقد بلغ بذلك التعديل من جناحيه⁽¹⁾ أكثر مما كان يبلغ [بهما] إذا كان أحدهما [وافياً] والآخر مبتوراً⁽²⁾. فالكلب الذي تدعون له الإلف وثبات العهد، لا يبلغ هذا. وصاحب الديك الذي لا يفخر⁽³⁾ للديك بشيء من الوفاء والحفاظ والإلف، أحقُّ بالأعرج في هذا الباب.

قال: وقد يكون الإنسان شديد الحُضر، فإذا قُطِعَتْ إحدى يديه فأراد العدو كان خطوه أفسر، وكان عن ذلك القصد والسَّنين أذهب، وكانت غايته مجهوده أقرب⁽⁴⁾.

(حديث نباتة الأقطع)

وخبرني كم شئت⁽⁵⁾، أن نباتة الأقطع [وكان] من أشداء الفتيان⁽⁶⁾ وكانت يده قُطِعَتْ⁽⁷⁾ من دوين المنكب، وكان ذلك في شقه الأيسر؛ فكان إذا صار إلى القتال وضرب بسيفه، فإن أصاب الضريبة ثبَّت، وإن أخطأ سقط لوجهه؛ إذ لم يكن جناحه⁽⁸⁾ [الأيسر] يمسكه ويثقله حتَّى يعتدل بدنه.

(أجنحة الملائكة)

وقد طعن قوم في أجنحة الملائكة، وقد قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحُ مِثْنَى وَثُلُثَ وَرُبْعَ بَزِيدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: 1]. وزعموا أن الجناحين كاليدنين، وإذا كان الجناح اثنين أو أربعة كانت معتدلة، وإذا كانت ثلاثة كان⁽⁹⁾ صاحب الثلاثة كالجاذف⁽¹⁰⁾ من الطير، الذي أحد جناحيه مقصوص، فلا يستطيع الطَّيران لعدم التعديل. وإذا كان أحد جناحيه وافياً والآخر مقصوفاً، اختلف خلقه وصار بعُضه يذهب إلى أسفل والآخر إلى فوق.

(1) في الأصل: «جناحه». (2) ط، ش: «إذا قص أحدهما وترك الآخر وافياً».

(3) أي لا يجد شيئاً من وفاء الديك يستطيع أن يفخر به.

(4) ل: «أنقص».

(5) ل، ط: «من شئت». وانظر ما سبق في ص 100 وكذا 4: 27 و5: 252 وكتاب البغال من رسائل الجاحظ 2: 264.

(6) في الأصل: «من أشداء الفتيان أن نباتة الأقطع»، وقد رددت الكلمات الثلاثة الأولى إلى موضعها، كما زدت «وكان» لينتظم الكلام.

(7) ل: «وكانت قطعتة».

(8) الجناح، ليس خاصاً بالطير، بل يقال أيضاً: جناح الإنسان: أي يده، أو عضده، أو إبطه.

(9) كذا في ط. وفي ل، ش: «صار».

(10) الجاذف: الذي يطير وهو مقصوص. وفي ط: «كالجاذق» وفي ل، ش: «كالجاذف»، وصوابهما ما أثبت.

وقالوا: إنما الجناحُ مثل اليد، ووجدنا الأيدي والأرجل في جميع الحيوان لا تكون إلا أزواجاً. فلو جعلتم لكل واحد منهم مائة جناح لم تُنكر ذلك. وإن جعلتموها أنقص بواحد أو أكثر بواحد لم نجوزه.

قيل لهم: قد رأينا من ذوات الأربع ما ليس له قرن، ورأينا ما له قرنان أملسان، ورأينا ما له قرنان لهما شُعَب في مقادير القرون⁽¹⁾، ورأينا بعضها جُمًّا ولأخواتها قرون، ورأينا منها ما لا يقال لها جُمٌّ لأنّها ليست لها شكل ذوات القرون، ورأينا لبعض الشاءِ عدّة⁽²⁾ قرون نابتة في عظم الرأس أزواجاً وأفراداً، ورأينا قرونًا جوفاً فيها قرون، ورأينا قرونًا لا قرون فيها، ورأيناها مُصمّنة، ورأينا بعضها ينصل قرنه في كل سنة، كما تسلخ الحيّة جلدها، وتنفض الأشجار ورقها، وهي قرون الأيائل، وقد زعموا أنّ للحمار الهندي⁽³⁾ قرناً واحداً. وقد رأينا طائراً شديداً الطيران بلا ريش كالخفاش، ورأينا طائراً لا يطير وهو وافي الجناح، ورأينا طائراً لا يمشي وهو الزُرُور. ونحن نؤمن بأن جعفر الطيّار ابن أبي طالب، له جناحان يطير بهما في الجنان، جُعلا له عوضاً من يديه اللتين قطعنا على لواء المسلمين في يوم مؤتة⁽⁴⁾. وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق. فقد يستقيم - وهو سهل جائز شائع مفهوم، ومعقول قريب غير بعيد - أن يكون إذا وُضع طباع الطائر على هذا الوضع الذي تراه الأليطير⁽⁵⁾ إلا بالأزواج. فإذا وُضع على غير هذا الوضع، ورُكّب غير هذا التركيب صارت ثلاثة أجنحة وفوق⁽⁶⁾ تلك الطبيعة. ولو كان الوطواط في وضع أخلاطه⁽⁷⁾ وأعضائه وامتزاجاته⁽⁸⁾ كسائر الطير، لما طار⁽⁹⁾ بلا ريش.

(الطير الدائم الطيران)

وقد زعم البحريون أنهم يعرفون⁽¹⁰⁾ طائراً لم يسقط قط، وإنما كان سقوطه من لدن خروجه من بيضه [إلى] أن يتم⁽¹¹⁾ قصب ريشه، ثم يطير فليس له رِزق إلا من بعوض الهواء وأشباه البعوض؛ إلا أنه قصير العمر سريع الانحطام.

- (1) ط: «مقادير» وتصحيحه من ل، ش.
- (2) ط: «لبعض الساعدة»، وتصحيحه من ل، ش.
- (3) الحمار الهندي هو الكركدن، وحيد القرن. والذي سماه بالحمار الهندي هو أرسطو في كتابه (الحيوان). قال الجاحظ في الحيوان (7: 79): «وقد ذكره صاحب المنطق في كتاب الحيوان، إلا أنه سماه بالحمار الهندي».
- (4) كان يوم مؤتة في الثامنة من الهجرة بين المسلمين والروم. وكان قد حمل لواء المسلمين زيد بن حارثة فقتل، فحملة جعفر يمينه فقطعت، ثم بشماله فقطعت، فاحتضنها بعضديه فقتل وخر شهيداً، فحمل اللواء بعده عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً. وكان جعفر أيضاً يلقب بذي الهجرتين: هجرة الحبشة والمدينة. وانظر الإصابة 1162 وجمهرة أنساب العرب لابن حزم 68-69.
- (5) ط: «لا يسير»، ش: «لا تطير» وتصحيحه من ل.
- (6) وفوق، كرسول، بمعنى ملائمة موافقة. ومثلها وفق، بالفتح. انظر اللسان (وفق) ومعنى الكلام أن الأجنحة الثلاثة تكون موافقة لهذا التركيب الشاذ.
- (7) كذا في ل. وفي ط، ش: «وضع في أخلاطه». (8) ط، ش: «وامتزاجه».
- (9) كذا في ل. وفي ط، ش: «كان».
- (10) كذا في ل. وفي ط، ش: «وقد زعم البحريون أن». وهذا الطائر الذي حكى عنه الجاحظ، تحدث عنه القزويني في عجائب المخلوقات 103 عند كلامه على بحر الصين، ولم يسمه.
- (11) ط، ش: «تم».

(بقية الحديث في أجنحة الملائكة)

وليس بمستنكر أن يُمزَجَ (1) الطائر ويُعَجَنَ غيرَ عَجْنِه الأول (2) [فيعيشَ ضعفَ ذلك العُمر]. وقد يجوز أيضاً أن يكونَ موضعُ الجَنَاحِ الثالثِ بين (3) الجَنَاحَيْنِ، فيكونَ الثالثُ للثاني كالثاني للأوّل، وتكونُ كلُّ واحدةٍ من ريشةٍ عاملةٍ في التي تليها من ذلك الجسم (4)، فتستوي في القوَى وفي الحَصَصِ. ولعلَّ الجَنَاحَ الذي أنكره المَلْحَدُ الضَّيِّقُ العَطَنَ (5) أن يكونَ مركزُ قوادمِهِ في حاقِّ الصُّلبِ (6). ولعلَّ ذلكَ الجَنَاحَ أن تكونَ الريشةُ الأولى منه معينةً للجَنَاحِ الأيمنِ والثانيةُ معينةً للجَنَاحِ الأيسرِ. وهذا مما لا يضيقُ عنه الوهم، ولا يعجزُ عنه الجواز (7). فإذا كان ذلك ممكناً (8) في معرفة العبد بما أعاره الربُّ جلَّ وعزَّ، كان ذلك في قدرة الله أجوز. وما أكثرَ من يضيقُ صدرُهُ لقلَّةِ علمه!

(أعضاء المشي لدى الحيوان والإنسان)

وقد علموا أنَّ كلَّ ذي أربعٍ فإنه إذا مشى قدَّم إحدى يديه، ولا (9) يجوز أن يستعمل اليدَ الأخرى ويقدمها بعدَ الأولى حتَّى يستعمل الرجلُ المخالفةَ لتلك اليد: إن كانت اليدُ المتقدمةَ اليمنى حرَّكَ الرجلَ اليسرى، وإذا حرَّكَ الرجلَ اليسرى لم يحركَ الرجلَ اليمنى - وهي أقربُ إليها (10) وأشبهُ بها - حتَّى يحركَ اليدَ اليسرى. وهذا كثير.

[و (11)] في طريقٍ أخرى فقد يقال: إنَّ كلَّ إنسانٍ فإنما رُكِبَتْهُ في رجله، وجميعَ ذواتِ الأربعِ فإنما رُكِبَها في أيديها. وكلُّ شيءٍ ذي كَفٍّ وبَنانٍ كالإنسانِ، والقردِ، والأسدِ، والضَّبِّ، والدَّبِّ، فكفُّه في يده. والطَّائرُ كفُّه في رجله.

(استعمال الإنسان رجله فيما يعملُه في العادة بيديه)

وما رأيتُ أحداً ليس له يدٌ إلّا وهو يعملُ برجليه ما كان [يعمل (12)] بيديه، وما أقف على شيءٍ من عمل الأيدي إلّا وأنا قد رأيتُ قوماً يتكلّفونه بأرجلهم.

(1) كذا في ل. وفي ط: «يمرح». وفي ش: «يموج»، محرفتان.

(2) ش: «غير عجنة الأوابد».

(3) ل: «البدن».

(4) الضيق العطن: الضيق الصدر، السريع الغضب. وأصل العطن مريض الإبل والغنم حول الماء. ط، ل: «الضيق العطن».

(5) كذا في ل. وفي ط، ش: «الجواب».

(6) حاق الصلب: وسطه.

(7) ل: «مكيفاً»، وهو تحريف.

(8) كذا في ل، ش: وهو الصواب. وفي ط: «اليد».

(9) الزيادة من ش.

(10) التكملة من ل، ش.

ولقد رأيتُ واحداً منهم راهنَ على أن يُفرغَ برجليه ما في دَسْتِجَةٍ⁽¹⁾ نبيذ في قنانيّ رِطليّاتٍ وفُقّاعِيّاتٍ⁽²⁾، فراهنوه، وأزعجني أمرُ فتركته عند ثقاتٍ لا أشكُ في خبرهم، فزعموا أنّه وفَى وزاد. قلت: قد عَرَفْتُ قولَكم «وفى» فما معنى قولكم «زاد». قالوا: هو أنّه لو صبَّ من رأس الدَسْتِجَةِ حوالِيّ أفواه القنانيّ كما يعجز عن ضَبْطِهِ جميعُ أصحاب الكمال في الجوارح، لما أنكرنا ذلك. ولقد فرَّغ ما فيها في جميع القنانيّ فما ضَبَعَ أوقِيَّةً واحدة.

(قيام بعض الناس بعمل دقيق في الظلام)

وحَبَرَنِي الحَزَامِيُّ⁽³⁾ عن خليل أخيه⁽⁴⁾، أنّه متى شاء أن يَدْخُلَ في بيت ليلاً بلا مصباح، ويفرغ [قربة]⁽⁵⁾ في قنانيّ فلا يصبُّ إستاراً⁽⁶⁾ واحداً فعله. و[لو] حكى لي الحزاميّ هذا الصَّنِيعَ عن رجل وُلِدَ أعمى أو عمي في صباه، كان يعجبني منه أقلُّ. فأما من تعود أن يفعل مثل ذلك وهو يبصر فما⁽⁷⁾ أشدَّ عليه أن يفعله وهو مُعْمَضُ العينين. فإن كان أخوه قد كان يقدر على ذلك إذا غَمَضَ عينيه فهو عندي عجب. وإن كان يبصر في الظلمة فهو قد أشبه في هذا الوجه السُّنُورَ والفأر؛ فإنَّ هذا عندي عجبٌ آخر، وغرائب الدنيا كثيرة عند كلِّ من كان كلفاً بتعرافها، وكان له في العلم أصلٌ، وكان بينه وبين التَّبَيُّنِ⁽⁸⁾ نَسَبٌ.

(اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب)

وأكثر الناس لا تجدُّهم إلّا في حالتين: [إما في حال]⁽⁹⁾ إعراض عن التَّبَيُّنِ وإهمالٍ للنفس⁽¹⁰⁾، وإما في حالٍ⁽¹¹⁾ تكذيبٍ وإنكارٍ وتسرعٍ إلى أصحاب الاعتبارِ وتتبعُ الغرائب، والرغبة في الفوائد. ثمَّ يرى بعضهم أنّ له بذلك التكذيب فضيلةً⁽¹²⁾، وأنَّ ذلك بابٌ من التوقّي، وجنسٌ من استعظام الكذب، وأنّه لم يكن كذلك إلّا من حاقَّ الرِّغْبَةَ⁽¹³⁾ في الصّدق،

(1) الدَسْتِجَةُ: واحدة الدَسْتِج، وهي - كما في تاج العروس - آنية تحول باليد وتنقل. فارسي معرب: «دستي».

وأصل «دست» في الفارسية بمعنى اليد. انظر الألفاظ الفارسية 63.

(2) رطليات، أي تسع الواحدة منها رطلاً. والفقاعيات: ضرب من القوارير صغار، ولم أجد لها نصّاً يفسرها.

(3) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب، كان معاصراً للجاحظ، وقد أفرد له حديثاً في البخلاء 47-54، وفي ط، ش: «الحزامي» وفي ل: «الحرامي».

(4) ل: «مليك».

(5) الزيادة من ش. وبدلها في ل: «قربة» محرفة.

(6) الإستار: ثلاثة أخماس الأوقية؛ إذ الأوقية إستار وثلاثا إستار.

(7) ل: «يبصره».

(8) التبيين: التفهم. وفي ط، ش: «التبيين»، وتوجيهه من ل. و«نسب» هي في الأصل: «نصيب»، والوجه ما أثبت.

انظر (1: 37س4).

(9) الزيادة من ل، ش. (10) ط، ش: «النفس».

(11) ط: «حاله» وأثبت ما في ل، ش.

(12) ط، ش: «فوائد».

(13) حاقَّ الرغبة: شدتها. ط: «حاز الرغبة» وصوابها في ل، ش.

وبئس الشيء عادة الإقرار والقبول. والحق⁽¹⁾ الذي أمر الله تعالى به ورغب فيه، وحث عليه [أن ننكر من الخبر ضربين: أحدهما ما تناقض واستحال، والآخر ما امتنع في الطبيعة، وخرج من طاقة الخلقة. فإذا خرج الخبر من هذين البابين، وجرى عليه [حكم⁽²⁾ الجواز، فالتدبير⁽³⁾ في ذلك الثبوت وأن يكون الحق في ذلك هو ضالتك، والصدق هو بُغيتك، كائناً ما كان، وقّع منك بالموافقة، أم وقع منك بالمكروه. ومتى لم تعلم أنّ ثواب الحق وثمره الصدق أجدى عليك من تلك الموافقة لم تقّع⁽⁴⁾ على أن تعطى الثبوت حقه.

(تشبيه رماد الأثافي بالحمام)

قال: وهم يصفون الرماد الذي بين الأثافي بالحمامة، ويجعلون الأثافي أظناراً لها، للانحناء الذي في أعالي تلك الأحجار، ولأنّها كانت معطّفاتٍ عليها وحانيات على أولادها. قال ذو الرّمة:

كأنّ الحمامَ الورقَ في الدّارِ جثّمت على خرق بين الأثافي جوازله⁽⁵⁾
شبه الرماد بالفراخ قبل أن تنهض . والجثوم في الطير⁽⁶⁾ مثل الرّبوض في الغنم . وقال الشماخ:
وإرث رماد كالحمامة مائل ونؤيّن في مظلومتين كذاهما⁽⁷⁾
وقال أبو حية:

[مِنَ العَرَصاتِ غير مَخْدُ نُؤي كباقي الوحي خُطَّ على إمام⁽⁸⁾
وغير خوالِدٍ لُوْحَن حَتَّى بهنّ علامة من غير شام⁽⁹⁾
كأنّ بها حمامات ثلثاً مثلنّ ولم يطرّن مع الحمام

(1) ط، ش: «أوتبين الشيء معاندة للإقرار وقهراً بالحق و»، مكان «وبئس الشيء». . الخ، وهو تحريف ما أثبت من ل.

(2) ط، ش: «ذكر». (3) ط، ش: «والترتيب»، محرفة.

(4) ل: «لم تقو».

(5) ط: «أجثم» مكان «جثمت»، وهو تحريف صوابه في ل، ش والديوان 465، وروى في أمالي المرتضى 3: 121:

«وقعت». قال المرتضى: «شبه الأثافي بالحمام الورق، وجعلها ظنوراً لتعطفها على الرماد. وشبه الرماد بفراخ

خرق قد سقط ريشه. والجواز: الفراخ، واحدها جوزل».

(6) ل: «الخیل»، وهو تحريف ظاهر.

(7) إرث رماد: أي أصله. والنؤي بالضم: حفيرة تحفر حول الخباء يجعل ترابه حاجزاً لمنع المطر. والمظلومة:

الأرض حفرت ولم تكن حفرت قبل ذلك. والكدي: جمع كدية بالضم، وهي الأرض الغليظة. والرواية في

ديوان الشماخ: «ونؤيان». وقبل البيت:

وبعده: أقامت على ربيعهما جارتا صفا كميتا الأعالي جونتاً مصطلاما

أقاما ليلى والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا طلالهما

(8) المخد: موضع الخد، وهو الشق. والوحي: الكتابة. والإمام: الكتاب. وفي القرآن الكريم: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ

أَنَاسٍ بِإِمْبِهِمْ﴾ [الإسراء: 71] أي كتابهم.

(9) لوحن: غيرتهن النار. وعنى بالخوالد الأثافي لأنهن يبقين بعد هجرة أصحابهن ودروس ربوعهم. والشام: جمع

شامة، وهو الأثر الأسود في البدن، أو الأرض.

وقال العرجي :

وَمَرْبُطُ أَفْرَاسٍ وَخَيْمٍ مُصَرَّعٍ وَهَابٍ كَجُثْمَانِ الْحَمَامَةِ هَامِدٌ⁽¹⁾

وقال البعيث :

وَسُفْعٌ ثَوِيْنُ الْعَامِ وَالْعَامُ قَبْلُهُ وَسَخَقَ رَمَادٍ كَالنَّصِيفِ مِنَ الْعَصَبِ⁽²⁾

(بعض ما قيل من الشعر في نوح الحمام ، وفي بيوتها)

وقالوا في نوح الحمام ، قال جرّان العود :

وَاسْتَقْبَلُوا وَاِدِيَا نَوْحِ الْحَمَامِ بِهِ كَأَنَّهُ صَوْتُ أَنْبَاطٍ مَثَاكِيلِ⁽³⁾

وقالوا في ارتفاع مواضع بيوتها وأعشاشها ، قال الأعشى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعِرْضَ أَصْبَحَ بَطْنُهُ نَخِيلاً وَزَرْعاً نَابِتاً وَفَصَافِصَا⁽⁴⁾

وَذَا⁽⁵⁾ شُرَفَاتٍ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ تَرَى لِلْحَمَامِ الْوُرْقَ فِيهِ قَرَامِصَا⁽⁶⁾

وقال عمرو⁽⁷⁾ بن الوليد :

فَتَبَدَّلْتُ مِنْ مَسَاكِنِ قَوْمِي وَالْقُصُورِ الَّتِي بِهَا الْأَطَامُ

كُلَّ قَصْرِ مَشِيْدٍ ذِي أَوَاسٍ تَتَغَنَّى عَلَى ذُرَاهِ الْحَمَامِ⁽⁸⁾

والحمام أيضاً ربما سكن أجواف⁽⁹⁾ الرّكايا ، ولا يكون ذلك إلاّ للوحشي منها ، وفي

البيّر التي لا تُورَد . قال الشاعر :

بَدَلُوا⁽¹⁰⁾ غَيْرَ مُكْرَبَةٍ أَصَابَتْ⁽¹¹⁾ حَمَاماً⁽¹²⁾ فِي مَسَاكِنِهِ فَطَارَا

يقول : استقى بسفرتة⁽¹³⁾ من هذه البيّر ، ولم يستق بدلو ، وهذه بيّر قد سكنها الحمام

لأنّها لا تُورَدُ .

(1) الخيم : أعواد تنصب في القبط وتجعل لها عوارض وتظلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية . وقبل : هي عيدان يبنى عليها الخيام . والهابي : الرقيق الدقيق المرتفع ، وأراد به الرماد . وقبل البيت كما في ديوان العرجي 117 :

فَوَادِكُ أَنْ يَهْتَاجَ لِمَا بَدَا لَهُ رَسُومُ الْمَغَانِي وَالْأَثَافِي الرُّوَاقِدِ

(2) النصيف : ماله لوان . والعصب : ضرب من البرود اليمينية ، يعصب غزلها أي يجمع ويشد ، ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً ، لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(3) ط : « ودياً » .

(4) الفصافص : جمع فصفص أو فصفصة ، بكسر الفاءين من كل منهما ، وهي رطب القت .

(5) ط ، ش : « وذي » .

(6) القرامص : جمع قرموص ، بضم القاف ، وهو عش الحمام . وقد حذف ياء القراميص للشعر .

(7) ل : « عمر » ، وهو تحريف ما أثبت من ط ، ش . وانظر تحقيقي السابق في التنبيه الثاني عشر ص 116 حيث تجد ترجمته .

(8) سبق الكلام في شرح الشعر وأصله ص 116 و 117 .

(9) ط ، ل : « أجواف » جمع جرف ، والمراد به الحفرة في جدار الركبة .

(10) ط : « بدلو » وصوابه في ل ، ش .

(11) كذا في ل : وهو الصواب . وفي ط : س : « أطابت » . والمكربة : ذات الكرب بالتحريك ، وهو جبل الدلو .

(12) ط : « جماما » وهو تطبيع .

(13) السفرة : ما يضع فيه المسافر طعامه ، وأكثر ما يكون ذلك جلداً مستديراً . ط : « بملغوة » ش : « بملغوة » .

وقال جهنم بن خلف⁽¹⁾:

وقد هاج شوقي أن تغنت حمامة
هتوف تبكي ساق حُرٍّ، ولن ترى
تغنت⁽²⁾ بلحن فاستجابت لصوتها
إذا فترت كرت بلحن شج لها⁽⁵⁾
دعتهن مطراب العشيات والضحي
فلم أر ذا وجد يزيد صباية
فأسعدنها بالنوح حتى كأنما
تجاوبن لحناً في الغصون كأنها
بسرة واد من تباله مونيقي

مطوّقة ورقاء تصدح في الفجر
لها دمة يوماً على خدّها تجري
نوائح بالأصياف⁽³⁾ في فتن السدر⁽⁴⁾
يُهيج⁽⁶⁾ للصبّ الحزين جوى الصدر
بصوت يهيج المستهام على الذكر
عليها، ولا تكلّي تبكي على بكر⁽⁷⁾
شربن سلفاً من معتقة الخمر⁽⁸⁾
نوائح ميت يلتدمن لدى قبر⁽⁹⁾
كسا جانبيه الطلح واعتم بالزهر⁽¹⁰⁾

(استطراد لغوي)

ويقال: هدر الحمام يهدر. قال: ويقال في الحمام الوحشي من القماري والفواخت والدباسي وما أشبه ذلك: قد هدل يهدل هديلاً. فإذا طرب قيل غرد يغرد تغريداً. والتغريد يكون للحمام والإنسان، وأصله من الطير.

وأما أصحابنا فيقولون: إنّ الجمل يهدر، ولا يكون باللام، والحمام يهدل وربما كان بالراء. وبعضهم يزعم أنّ الهديل من أسماء الحمام الذكر. قال الراعي واسمه عبيد بن الحصين:

كُهداهد كسر الرّماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلاً⁽¹¹⁾

(1) جهنم بن خلف المازني: راوية عالم بالغريب والشعر في زمان خلف والأصمعي، وله شعر في الحشرات والجراح من الطير. الفهرست 47 لبيسك 70 مصر. ط، ش: «بن ضابئ» وأثبت ما في ل.

(2) ل: «فغنت» والأجزل ما أثبت من ط، ش.

(3) الأصياف: جمع صيف. ط، ش: «بالأصناف» ل: «بالأصياف» وهما تصحيف.

(4) السدر: شجر النبق. وقد أراد بكلمة «فن» الأفتان: أي الأغصان، أطلق المفرد وأراد الجمع وذلك كثير في كلامهم.

(5) ط، ش: «شجونها». (6) ط، ش: «تهيج».

(7) يزيد صباية، أي تكون صبايته أشد وأعنف من صبايتها. ط، ش: «على وكر» والوجه ما أثبت من ل.

(8) ل: «فأسعدتها بالعوج»! وجعلهن قد شربن الخمر لما كان لهن من شدة الصوت؛ فعل العرييد.

(9) يلتدمن، من الالتدام، وهو ضرب المرأة صدرها في النباحة.

(10) تباله: موضع ببلاد اليمن، حيث الشجر والنضرة. والطلح: شجر عظام. ط، ش: «الزهر».

(11) الهداهد: الهدهد. وقد شبه بذلك الهدهد الذي كسر جناحه، رجلاً أخذ المصدق إبله، وقبل البيت:

أخذوا حمولته فأصبح قاعداً لا يستطيع عن الديار حويلاً

يدعو أمير المؤمنين ودونه خرق تجر به الرياح ذيولاً

وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها تسعة وثمانون، ذكر منها البغدادي في الخزانة (3: 131 سلفية) أربعة وعشرين.

(ساق حُرّ)

وزعم الأصمعي أن قوله: «هتوف تبكي ساق حرّ» إنّما هو حكاية صوت وحشي الطير من هذه النّوّاحات، وبعضهم يزعم أنّ «ساق حرّ» هو الذكر، وذهب إلى قول الطّرمّاح في تشبيه الرّماد بالحمام، فقال:

بين أظّارٍ بمظلومةٍ كسّرة السّاق ساق الحمام⁽¹⁾

(صفة فرس)

وقال آخر⁽²⁾ يصف فرساً:

ينجيه من مثل حمام⁽³⁾ الأغلال رفع يد عجلي ورجل شمالاً
تظماً من تحت وتروى من عال⁽⁴⁾

الأغلال⁽⁵⁾: جمع غلّ، وهو الماء الذي يجري بين ظهري الشّجر⁽⁶⁾ قال: والمعنى: أنّ الحمام إذا كان يريد الماء فهو أسرع لها. وقوله: شمال أي خفيفة.

باب⁽⁷⁾

ليس في الأرض جنس يعتريه الأوضاح والشّيات، ويكون فيها المصمت والبهيم أكثر ألواناً، [و] من أصناف التّحاسين⁽⁸⁾ ما يكون في الحمام، فمنها ما يكون أخضر مصمتاً، [وأحمر مصمتاً]، وأسود مصمتاً، [وأبيض مصمتاً⁽⁹⁾]، وضروباً من ذلك، كلها مصمتة. إلّا أنّ الهداية للخضر والنمر⁽¹⁰⁾، فإذا أبيض الحمام [كالفقيع] فمثله من النّاس الصّقلابي⁽¹¹⁾، فإن

(1) الأظّار: الأثافي. والمظلومة: الأرض حفرت في غير موضع حفر. والسّرة: الظهر. ط، ش: «كسرات» تحريف. والساق: الحمام. وقصيدة البيت في ديوان الطرمّاح 95-110 والبيت في ص 96، والقصيدة من بحر المديد يصح في رويها الإسكان والكسر، كما في تكملة الصاغاني.

(2) هو دكين الراجز، كما في اللسان (غلل).

(3) يقول: ينجي هذا الفرس من خيل سراع في الغارة كالحمام الواردة. ل: «حمام» تصحيف.

(4) تظماً: أي تكون متوترة ليس فيها رهل، وذلك محمود في الفرس. وفي الأصل: «يظماً». وتروى: أي يكثر لحمها. من عال: من أعلى.

(5) قبل هذه الكلمة في ط، ش كلمة: «حمام» وليس يتطلبها الكلام.

(6) بين ظهري الشّجر: وسطه. ومثله بين ظهرائه.

(7) هذه الكلمة ساقطة من ل، وبديلها: «وقال صاحب الحمام».

(8) التّحاسين: جمع تحسين. وفي ط: «التّحاسين»، وهو تصحيف.

(9) الزيادة من ل، ش. والمراد بالمصمت: الخالص.

(10) النمر: جمع أنمر، وهو ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء.

(11) كذا جاء. والوجه «صقلي»، نسبة إلى صقلب، وهو موضع بصقلية، وآخر بين بلغار والقسطنطينية.

الصَّقْلَابِيُّ فطيرٌ^(١) خامٌ^(٢) لم تُنْضِجْهُ الأرحام؛ [إذ كانت الأرحام] في البلاد التي شمسُها ضعيفة. وإن أسودَّ^(٣) الحمامُ فإنما ذلك احتراقٌ، ومجاورة لحدِّ النَّضْجِ. ومثلُ [سود الحمام]^(٤) من الناس الزَّنج؛ فإن أرحامهم جاوزت حدَّ الإنضاج إلى الإحراق، وشيَّطت^(٥) الشَّمْسُ شعورهم فتقبَّضت. والشَّعر إذا أدبته من النَّار تجعدُ، فإن زُدَّتْه تَفَلَقَلُ^(٦)، فإن زُدَّتْه احترق. وكما أنَّ عقولَ سُودانِ النَّاسِ وحُمرانهم دونَ عقولِ السُّمر، كذلك بيضُ الحمام وسودُّها دون الخُضر في المعرفة والهداية.

(استطراد لغوي)

وأصل الخضرة إنما هو لون الرِّيحانِ والبقول^(٧)، ثم جعلوا بعد الحديد أخضرَ، والسماء خضراء، حتَّى سمَّوا بذلك الكحلَّ واللَّيل. قال الشَّماخ بن ضرار:

وَرُحْنٌ رَوَاحاً مِنْ زُرُودٍ فَنَازَعَتْ زُبَالَةً جَلْبَاباً مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَا^(٨)

وقال الرَّاجز:

حَتَّى انْتَضَاهُ الصُّبْحُ مِنْ لَيْلٍ خَضِرٍ^(٩) مِثْلَ انْتِضَاءِ الْبَطْلِ السَّيْفِ الذَّكَرُ^(١٠)

نَضَوْهُوْىَ بِأَلٍ عَلَى نَضْوِ سَفَرٍ^(١١)

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَإِذَا يَأْتِي الْآءُ رَبِّكُمَا تُكَدِّبَانِ * مُدْهَمَّتَانِ﴾ [الرحمن: 62 -

64]، قال: خضروان من الرِّي سوداوان.

ويقال: إن العراق إنما سمِّي سواداً بلون السَّعَف الذي في التخل، ومائه.

والأسودان: الماء والتمر. والأبيضان: الماء واللبن. والماء^(١٢) أسود إذا كان مع

التمر، وأبيض إذا كان مع اللبن.

(1) فطير: لم ينضج. وفي ط: «قطر» وتصحيحه من ل، ش.

(2) الخام: أصل معناه الدبس الذي لم تمسه النار، وكذلك الجلد لم يدبغ أو لم يبالغ في دبغه، وهي كلمة معربة. ط، ش: «خاص» تحريف.

(3) ط: «أسود» وهو خطأ. (4) بدل هذه الزيادة المثبتة من ل، كلمة «به» في ط، ش.

(5) شبطت: أحرقت. ط: «كشطت» س: «نشطت» تحريف ما أثبت من ل.

(6) يقال شعر مفلل: شديد الجعودة. في الأصل: «تقلقل» وهو تصحيف.

(7) ل: «إنما هو للرِّيحان والبقول».

(8) بدل هذا البيت جميعه في ط، ش: «فنازعت جلباباً من الليل أخضرًا»، وأثبت البيت كاملاً من ل. على أن صواب روايته: «وراحت رواحاً» لأنه في صفة ناقة واحدة كما في الديوان ص 31 وما قبلها وكما في رسائل الجاحظ 70، وزرود: رمال بين الثعلبية والخزيمية. وزبالة، بالضم: منزل بطريق مكة من الكوفة.

(9) الرواية في رسائل الجاحظ: «حتى انتضاني».

(10) السيف الذكر: الجيد الحديدية الشديدها. ل: «اللبليل الذكر» تحريف.

(11) عنى بالنضو البالي: الراكب. وبالنضو الآخر: مركبه من الإبل.

(12) ل: «فالماء».

ويقولون: سُودُ البطونِ وَحُمْرُ الكُلَى⁽¹⁾، ويقولون: سود الأكبَاد يريدون العداوة، وأن الأَحْقَاد قد أحرقت أكبَادَهُمْ⁽²⁾، ويقال للحافر أسود البطن؛ لأنَّ الحافر لا يكون في بطونها شحم⁽³⁾.
ويقولون: نحن بخير ما رأينا سَوَاد فلان بين أظهرنا، يريدون شخصه. وقالوا: بل يريدون ظله.

فأما خَضِرُ مُحَارِب⁽⁴⁾، فإنما يريدون السُّود⁽⁵⁾ وكذلك: خَضِرُ غَسَّان. ولذلك قال الشاعرُ:

إِنَّ الْخَضَارِمَةَ الْخَضِرَ الَّذِينَ غَدَوْا أَهْلَ الْبَرِيصِ ثَمَانٍ مِنْهُمْ الْحَكَمُ⁽⁶⁾

ومن هذا المعنى قول القرشي⁽⁷⁾ في مديح نفسه:

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ

وإذا قالوا: فلان أخضر القفا، فإنما يعنون به أَنَّهُ قد ولدته سوداء. وإذا قالوا: فلان أخضر البطن، فإنما يريدون أَنَّهُ حائك، لأنَّ الحائك بطنه لطول⁽⁸⁾ التزاقه بالخشب التي يطوى عليها الثوب يسود.

(عداوة العروضي للنظام)

وكان سبب عداوة العروضي⁽⁹⁾ لإبراهيم النظام، أَنَّهُ كان يسمّيه الْأَخْضَرَ البطن، والأسود البطن؛ فكان يكشف بطنه للناس - يريد بذلك تكذيب أبي إسحاق - حتى قال له إسماعيل بن غزوان: إِنَّمَا يريد أَنَّك من أبناء الحاكّة! فعاده لذلك.

(استطراد لغوي)

فإذا قيل أخضر التَّوْاجِذ، فإنما يريدون أَنَّهُ من أهل القُرَى، مَن يأكل الكُرَّاث والبصل. وإذا قيل للتَّوْر: خاضب؛ فإنما يريدون أَنَّ البقل قد خَضِبَ أَطْلَافه بالخضرة. وإذا قيل

(1) الكلى: جمع كلية. وفي الأصل: «سود البطن حمر الكلا»، وذا تحريف وتشويه.

(2) كذا في ل. وفي ط، ش: «كالأحقاد أحرقت الأكبَاد»، تحريف.

(3) كذا في ل، ش. وفي ط: «لأن الحوافر لا يكون في بطنها شحم».

(4) هم بنو محارب بن خصفة بن قيس عيلان.

(5) كذا في ل. وفي ط، ش: «السودد» وليس مرادًا، وجاء في الرسائل 72 ساسي: «وقد فخرت خضر محارب بأنها سود، والسود عند العرب الخضر».

(6) الخضارمة: جمع خضرم، بكسر الخاء والراء - وهو السيد الحمول. وفي الأصل: «الحضارمة» وصوابه في رسائل الجاحظ. والبريص، بالصاد المهملة: اسم نهر دمشق، حيث ملك الغساسنة. وفي الأصل: «البريص» بالصاد المعجمة، خطأ تصويبه من الرسائل، وفي الرسائل: «نماني»، أي ارتفع نسبي إليه.

(7) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي كما في رسائل الجاحظ 71 أو الفضل بن العباس اللّهي، كما في الرسائل أيضًا والكامل 143 ليسك ومعجم المرزباني 309 وكنيات الجرجاني 51 والأضداد 335، وهذه الأخيرة هي التسمية الصحيحة. وابن الأنباري في الأضداد يرى أن معنى الخضرة السخاء والعطاء.

(8) ل: «لأن بطن الحائك». والحائك: الساج.

(9) اسمه عبد الله، كما ورد في البخلاء ص 45، وهو من معاصري الجاحظ.

للظلم: خاضب، فإنما يُريدون⁽¹⁾ حمرةً وظيفيه⁽²⁾ فإنهما يحمرّان في القَيْظ، وإذا قيل للرجل خاضب، فإنما يريدون الحثاء، فإذا كان خضابُه بغير الحثاء قالوا: صَبَغ⁽³⁾ ولا يقال خضب. ويقولون في شبيهه بالباب الأول: الأحمران: الذهب والزعفران. والأبيضان: الماء واللبن، والأسودان: الماء والتمر. ويقولون: أهلك النساء الأحمران⁽⁴⁾: الذهب والزعفران، وأهلك الناس الأحمر: الذهب، والزعفران، واللحم، والخمر. والجديدان: الليل والنهار، وهما المَلَوَان⁽⁵⁾. والعصر: الدهر، والعصران: صلاة الفجر وصلاة العشي⁽⁶⁾، والعصران: العدة والعشي، قال الشاعر⁽⁷⁾:

وأَمْطَلُهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمَلَّنِي وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفِ رَاغِمٌ⁽⁸⁾

ويقال: «البائع بالخيار» وإنما هو البائع والمشتري⁽⁹⁾، فدخل المبتاع في البائع. وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَبْيِذْهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا أَلْسُدُسٌ مِّمَّا تَرَكَ﴾ [النساء: 11]، دخلت الأم في اسم الأبوة، كأنهم يجمعون على أَنَبِه⁽¹⁰⁾ الاسمين وكقولهم: بُيَيْرَيْنِ⁽¹¹⁾، والبَصْرَتَيْنِ⁽¹²⁾، وليس ذلك بالواجب؛ وقد قالوا: سيرة العَمْرَيْنِ، وأبو بكرٍ فوق عمر، قال الفرزدق:

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالتُّجُومُ الطَّوَالُغُ

-
- (1) كذا في ش. وفي ط، ل: «يرون».
- (2) الوظيف: مستدق الذراع والساق. ل: «وظيفة». ط: «وظيفة» وهذه تحريف.
- (3) ط، ش: «صبغ» وصوابه في ل.
- (4) كذا في ل، وهو الصواب. وفي ط: «الأحمران» وفي ش: «الأحمر يراد». وانظر جني الجنتين للمحبي 16-17.
- (5) كذا في ل وهو الصواب. وفي ط، ش: «لونان».
- (6) جاء في الحديث: «حافظ على العصرين» أي صلاة الفجر وصلاة العصر، وسميا العصرين لأنهما يقعان في طرفي العصرين، وهما الليل والنهار. وجاء أيضًا تفسيره في الحديث: «قيل: وما العصران؟ قال: صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها». وكلمة: «الفجر» هي في الأصل «العصر» محرفة. و«صلاة العشي» بدلها في ط، ش: «العشاء» وهو تحريف أيضًا.
- (7) هو عبيد بن الأبرص الأسدي كما في حماسة البحري 415، وقيله:
- أَلَيْنَ إِذَا لَانَ الْغَرِيمَ، وَأَلْتَوِي إِذَا اشْتَدَّ حَتَّى يَدْرِكَ الدِّينَ قَاتِلِي
- (8) روى: «وأَمْطَلُهُ» في أمالي المرتضى (2: 38) وهي لغة. وكلمة «راغم» هي في ط: «زاغم» وتصحيحه من ل، ش واللسان والأضداد 175 ومحاضرات الراغب (1: 229) حيث تجد نظائر هذا المعنى.
- (9) ل: «فإنما هو بائع ومشتري».
- (10) أَنَبِه الاسمين: أشهرهما وأعرفهما. وفي ط، ش: «ابنه» وصوابه في ل.
- (11) بُيَيْرَان: هما بُيَيْرٌ وحراء كما في المزمهر (2: 122)، وهما جبلان متقابلان من جبال مكة، وفي ثانيهما الغار المشهور. وبدل ما أثبت من ل في كل من ط، ش: «كالبحرين والمسلمين والزهدمين».
- (12) البصرتان: البصرة والكوفة، والأولى أقدم من الثانية.

وَأَمَّا قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ :

وليل كجلباب العروس أدرعته بأربعة والشخص في العين واحد⁽¹⁾
فإنه ليس يريد لون الجلباب، ولكنه يريد سبوغه.

(جواب أعرابي)

قال: وكذلك قول الأعرابي حين قيل له: بأي شيء تعرف حمل شاتك؟ قال: «إذا استفاضت خاصرتها، ودجت شعرتها⁽²⁾». فالداجي هاهنا اللابس.

قال الأصمعي ومسعود [بن فيد⁽³⁾] الفزاري: ألا ترونه يقول: «كان ذلك وثوب الإسلام داج». وأما لفظ الأصمعي فإنه قال: كان ذلك منذ دجا الإسلام. يعني أنه ألبس كل شيء⁽⁴⁾.

(شيات الحمام)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر شيات الحمام. وزعموا أن الأوضح كلها ضعف، قليلها وكثيرها، إلا أن ذلك بالحصص على قدر الكثرة والقلّة، كذلك هي في جميع الحيوان سواء مستقبلها ومستدبرها. وذلك ليس بالواجب حتى لا يغادر شيئاً ألبته؛ لأن الكلبة السلوقية البيضاء أكرم وأصيد، وأصبر من السوداء⁽⁵⁾.

والبياض في الناس على ضروب: فالمعيب منه بياض المغرب⁽⁶⁾ والأشقر والأحمر أقل في الضعف والفساد، إذا⁽⁷⁾ كان مشتقاً من بياض البهق والبرص والشيب. والمغرب عند العرب لا خير فيه ألبته، والفقيع⁽⁸⁾ لا يُنجب، وليس عنده إلا حسن بياضه، عند من اشتهى ذلك.

(1) أدرعته: لبسته كما يلبس الدرع. وقد فسر ذو الرمة الأربعة التي شخصها واحد في العين، أي التي يراها الناظر شخصاً واحداً، بقوله بعده:

أحم علافي وأبيض صارم وأعيس مهري وأروع ماجد

فالأحم العلافي، بكسر العين، هو الرجل. والأحم: الأسود. والعلافي: المنسوب إلى علاف: رجل من الأزدي صانع للرجال. والأبيض الصارم عنى به سيفه القاطع. والأعيس: الذي خالط بياضه شقرة. وعن جملته. والمهري: منسوب إلى مهرة بن حيدان. والأروع: الذي يعجبك حسنه. وعن نفسه. وللشعر حديث في ديوان المعاني (2: 342)، والعمدة (2: 29) والصناعتين 221.

(2) انظر 5: 325.

(3) هذه الزيادة المثبتة من ل، هي في الأصل «قيد» بالقاف. وصوابه ما أثبت.

(4) أي قوي وانتشر، كما في اللسان (دجا).

(5) ط، ش: «السواد»، وصوابه في ل.

(6) المغرب بضم الميم وفتح الراء: ما كل شيء منه أبيض. ط: «البياض المغرب» وتصحيحه من ل، ش.

(7) كذا في ل، ش. وفي ط: «وإذا».

(8) الفقيع: الأبيض من الحمام.

(سوابق الخيل)

وزعم ابن سلام الجُمحيّ أنّه لم ير قطّ بقاء ولا أبلق [جاء] سابقاً .
وقال الأصمعيّ: لم يسبق الحَلَبَة أهْضَمُ قطّ؛ لأنهم يمدحون المُجَفَّرَ⁽¹⁾ من الخيل،
كما قال⁽²⁾:

خِيطَ عَلَى زَفَرَةٍ فَتَمَّ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دَقَّةٍ وَلَا هَضَمٍ⁽³⁾
ويقولون: إنّ الفرس بعُتْقِه وبطْنِه . وخبرني بعض أصحابنا، أنّه رأى فَرَساً للمأمون بقاء
سبقت الحلبه . وهذه نادرة غريبة .

(نظافة الحمام ونفع ذرقه)

والحمام طائر ألوّف مألوف ومحَبَّب، موصوفٌ بالنَّظَافَة، حتى إنّ ذرقه لا يعاف⁽⁴⁾ ولا
تنن له، كسُلَاح⁽⁵⁾ الدَّجَاج والدِّيَكَة، وقد يُعالج بذرقه صاحبُ الحصاة . والفلاحون يجدون فيه
أكثرَ المنافع . والخبَّاز يُلقَى الشيء منه في الخمير لينتفخ العجينُ ويعظمَ الرغيف، ثمَّ لا يستبينُ
ذلك فيه . ولذرقه غَلَاثٌ، يعرف ذلك أصحاب الحَجَر . وهو يصلحُ في بعض وُجوه الدَّبَغ .

باب⁽⁶⁾

[وقال صاحبُ الدِّيَك]: الحمامُ طائرٌ لِيَمَّ قاسي القلب، وإن برَّ بزَعْمِكُم⁽⁷⁾ ولدَ غيره،
وصنَّعَ به كما يصنع بفرخه؛ وذلك أنهما يحضنان كلَّ بيض، ويُرْقَان كلَّ فرخ، وما ذاك منهما
إلا في الفَرْط .

(لَوَم الحمام)

فأمَّا لَوَمُه فمِن⁽⁸⁾ طريق الغيرة، فإنّه يرى بعينه الذَّكَرَ الذي هو أضعف منه، وهو يطرُدُّ
أنثاه ويكسحُ بذنبه حَوْلَهَا، ويتطوَّس⁽⁹⁾ لها ويستميلها، وهو يرى ذلك بعينه - ثمَّ لم نر قط
ذكراً واثبَّ ذكراً عند مثل ذلك .

(1) المجفر، يضم الميم وفتح الفاء: الواسع الجفرة بالضم، وهي وسط الفرس .
(2) هو النابغة الجعدي، كما في أدب الكاتب 89 والافتصاب 330 .
(3) يقول: كأنه زفر زفرة امتلاً جوفه بها ثم خيط على ذلك فلم تلحقه دقة ولا هضم . والهضم (بالتحريك): استقامة
الصلوع وانضمام أعالي البطن . وهذا البيت ساقط من ل . وقد أصلحته من اللسان والمصدرين السابقين . وهو في
ط: س محرف: هكذا:

خِيطَ عَلَى زَفَرَةٍ فَمَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دَرَقَةٍ وَهَضَمٍ
(4) لا يعاف: لا يكره .
(5) السلاح، بالضم: النجو .
(6) ليست في ل .
(7) كذا في ط، ش . وفي ل: «وإن برعم ببره»، وليس يستقيم هذا .
(8) كذا في ل . وبدلها في ط، ش: «في» وأثبت الصواب .
(9) التطوس: التزين . ويراد به هنا إبداء المحاسن في الشكل والحركة .

فإذا قلت: إنّه يشتدّ عليه ويمنعه إذا جثمت⁽¹⁾ له وأراد أن يعلوها؛ فكلّ ذكر وأنثى هنالك يفعل ذلك، وليس ذلك من الذكر الغريب من طريق الغيرة، ولكنه ضرب من البخل ومن النفاسة⁽²⁾، وإذا لم يكن من ذكرها إلّا مثل ما يكون من جميع الحمام علم أنّ ذلك منه ليس من طريق الغيرة. [وأنا رأيت النواهض تفعل ذلك، وتقطع على الذكر بعد أن يعلو على الأنثى].

قال: وأمّا ما ذكرتم من أن الحمام معطوف على فراخه ما دامت محتاجة إلى الرّق، فإذا استغنت نرعت منها الرحمة، فليس ذلك كما قلتم. الحمام طائر ليس له عهد؛ وذلك أنّ الذكر ربما كانت معه الأنثى السنين، ثمّ تُنقل عنه وتواري عنه [عنه] شهراً واحداً، ثم تظهر له مع زوج أضعف منه، فيراها طول دهره وهي إلى جنب بيته وتماريده⁽³⁾ فكأنه لا يعرفها بعد معرفتها الدهر الطويل⁽⁴⁾، وإنما غابت عنه الأيام اليسيرة. فليس يوجّه⁽⁵⁾ ذلك الجهل الذي يُعامل به فراخه بعد أن كبرت، إلّا على الغباوة وسوء الذكر، وأنّ الفرخ حين استوى ريشه وأشبّه غيره من الحمام جهل الفضل⁽⁶⁾ الذي بينهما. فإن كان يعرف أثنائه وهو يجدها مع ذكر ضعيف وهو مسلم لذلك وقانع به، وقليل الاكتراث به، فهو من لؤم في أصل الطبيعة.

(قسوة الحمام)

قال: وباب آخر من لؤمه: القسوة، وهي ألأم اللؤم؛ وذلك أن الذكر ربّما كان في البيت طائر ذكر قد اشتدّ ضعفه، فينقر رأسه والآخر مستخذ⁽⁷⁾ له، قد أمكنه من رأسه خاضعاً له، شديد الاستسلام لأمره، فلا هو يرحمه لضعفه وعجزه عنه، ولا هو يرحمه لخضوعه، ولا هو يمل⁽⁸⁾ وليس له عنده وتر. ثمّ ينقر يافوخه حتى ينقب عنه، ثمّ لا يزال ينقر ذلك المكان بعد الثقب حتى يخرج دماغه فيموت بين يديه. فلو كان ممّا يأكل اللحم واشتهى الدماغ كان ذلك له عذراً؛ إذ لم يعد ما طبّع الله عليه سباع الطير. فإذا رأينا من بعض بهائم الطير من القسوة ما لا نرى من سباع الطير لم يكن لنا إلّا أن نقضي عليه من اللؤم على حسب مباينته لشكل البهيمة، ويزيد⁽⁹⁾ في ذلك على ما في جوارح الطير من⁽¹⁰⁾ السبعية.

(1) جثمت: لزمت مكانها أو وقعت على صدرها. وبدلها في ط: «اجتمعت».

(2) النفاسة، هنا، من نفس عليه، بكسر الفاء: حسده، أو لم يره أهلاً.

(3) التماريد: جمع تمراد بالكسر، وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه. ط: «وبمراه». س: «بمرداته» وهذه محرفة.

(4) ل: «بعد معرفة». ل، ش: «العمر الطويل». (5) كذا الصواب في ل، ش. وفي ط: «يوجد».

(6) الفصل بالصاد المهملة: أي الفرق. ط، ش: «الفضل» وليس بشيء.

(7) مستخذ، بالذال: خاضع. س فقط: «مستخر»، وهو تصحيف.

(8) ل: «ولا يميل».

(9) ل: «ونزيده».

(10) ط، ش: «مثل» وصوابه في ل.

(أقوال لصاحب الديك في الحمام)

وقال صاحب الديك^(١) : زعم أبو الأصبع بن ربيعي^(٢) قال : كان رَوْحُ أبو همام صاحب المعمى ، عند مثنى بن زهير ، فينما هو يوماً وهو معه في السطح إذ جاء جماعة فصعدوا . فلم يلبث أن جاء آخرون ، ثم لم يلبث أن جاء مثلهم ، فأقبل عليهم فقال : أي شيء جاء بكم؟ وما الذي جمعكم اليوم؟ قالوا : هذا اليوم الذي يرجع فيه مزاجيل الحمام من الغاية . قال : ثم ماذا؟ قالوا : ثم نتمتع بالنظر إليها إذا أقبلت . قال : لكُنني أتمتع بتغميض العين إذا أقبلت ، وترك النظر إليها!! ثم نزل وجلس وحده .

(التلهي بالحمام)

وقال مثنى بن زهير ذات يوم : ما تلهي الناس بشيء مثل الحمام ، ولا وجدنا شيئاً مما يتخذة الناس ويلعب به ويلهي به ، يخرج من أبواب الهزل إلى أبواب الجد - كالحمام - وأبو إسحاق^(٣) حاضر - فغاضه ذلك ، وكظم على غيظه . فلما رأى مثنى سكوته عن الرد عليه طمع فيه فقال : يبلغ والله من كرم الحمام ووفائه ، وثبات عهده ، وحنينه إلى أهله ، أنني ربما قصص الطائر^(٤) بعد أن طار عندي دهرًا ، فمتى نبت جناحه كنباته الأول ، لم يدعه سوء صنيي إليه إلى الذهاب عني . ولربما بعثه فيقصه المبتاع حيناً ، فما هو إلا أن يجد في جناحه قوة على الشهووض [حتى أراه^(٥)] أتاني جادفاً أو غير جادف^(٦) . وربما فعلت ذلك به مراراً كثيرة ، كل ذلك لا يزداد إلا وفاء .

قال أبو إسحاق : أما أنت فأراك دائماً تحمده وتذم نفسك . ولئن كان رجوعه إليك من الكرم إن إخراجك له من اللؤم ! وما يعجبني من الرجال من يقطع نفسه لصلية طائر ، وينسى ما عليه في جنب ما للبهيمة . ثم قال : خبرني عنك حين تقول : رجع إلي مرة بعد مرة ، وكلما زهدت فيه كان في أرغب ، وكلما باعدته كان لي أطلب ؛ إليك جاء ، وإليك حن أم إلى عشه الذي درج منه ، وإلى وكره الذي ربي فيه؟! أرايت أن لو رجع إلي وكره وبيته ثم لم يجدك ، وألفاك غائباً أو ميتاً ، أكان يرجع إلى موضعه الذي خلفه؟! وعلى أنك تتعجب من هدايته ، وما لك فيه مقال غيره . فأما شكرك على إرادته لك ، فقد تبين خطأك^(٧) فيه ، وإنما بقي الآن حسنُ الاهتداء ، والحنين إلى الوطن .

(١) هذه الجملة ليست في ط ، ش . وبدلها كلمة «باب» .

(٢) ما عدل : «أبو الأصبع بن ربيعي» . وانظر ص 62 .

(٣) هو إبراهيم بن سيار النظام شيخ الجاحظ .

(٤) في الأصل : «قصص الطائر دهرًا» . وكلمة : «دهرًا» مقحمة بلا ريب .

(٥) ليست بالأصل ، وزدتها تكملة للكلام .

(٦) جدف الطائر جدوفاً : طار وهو مقصوص .

(٧) الخطاء ، كسحاب ، مثل الخطأ .

(مشابهة هداية الحمام لهداية الرخم)

وقد أجمعوا على أنَّ الرِّخْمَ من لثام الطير وبغائها، وليست من عِتاقها وأحرارها، وهي من قواطع الطَّير، ومن موضع مَقْطَعِها إلينا^(١) [ثمَّ] مرجعها إليه من عندنا، أكثر وأطول من مقدار أبعد غايات حمامكم. فإن كانت وقت خروجها من أوطانها إلينا خرجت تقطع الصحارى والبراري والجزائر والغياض والبحار والجبال، حتى تصير إلينا في كل عام - فإن قلت: إنها ليست تخرج إلينا على سميت ولا على هداية ولا دلالة، ولا على أمانة وعلامة، وإنما هربت من الثلوج والبرد الشديد، وعلمت أنها تحتاج إلى الطعام، وأنَّ الثلج قد ألبس ذلك العالم، فخرجت هاربة فلا تزال في هربها إلى أن تصادف أرضاً خصباً^(٢) دفناً، فتقيم عند أدنى ما تجد - فما تقول فيها عند رجوعها ومعرفتها بانحسار الثلوج عن بلادها؟! أليست قد اهتدت^(٣) طريق الرجوع؟! ومعلوم عند أهل تلك الأطراف، وعند أصحاب التجارب وعند القانص، أنَّ طير كل جهة إذا قطعت رجعت إلى بلادها وجبالها وأوكارها، وإلى غياضها وأعشيتها^(٤). فتجد هذه الصفة في جميع القواطع من الطير، كرامها كلثامها^(٥)، وبهائمها كسباعها. ثم لا يكون اهتداؤها على تمرين وتوطين، ولا عن تدريب وتجريب، ولم تلقن^(٦) بالتعليم، ولم تثبت بالتدبير والتقويم. فالقواطع لأنفسها تصير إلينا، ولأنفسها تعود إلى أوكارها. وكذلك الأوابد من الحمام، لأنفسها ترجع. وإلها للوطن إلف مشترك مقسوم على جميع الطير. فقد بطل جميع ما ذكرت.

(قواطع السمك)

ثم قال: وأعجب من جميع قواطع الطير قواطع السمك، كالأسبور^(٧) والجواف^(٨)،

(١) ط، ش: «إلى»، وصوابه في ل.

(٢) يقال: أرض خصب وخصب بكسرهما، وخصب بالفتح. بدلها في ل: «بيضاء» وليس بشيء.

(٣) يقال هو يهدي الطريق ويهتدي الطريق بمعنى يعرفه.

(٤) لم أر هذا الجمع لغير الجاحظ. والمعروف عشاش وعششة وأعشاش.

(٥) ط، ش: «ولثامها» وصوابه ما أثبت من ل.

(٦) كذا في ط، ش. وفي ل: «ولم تعل».

(٧) فصيحة الأسبور، أسماك بحرية مشهورة، منها المرجان، والسرغوس، والسرب والكحلاء، ونحوها. معجم المعلوم 232، ولم أهد إلى ضبطه لأنه ليس من ألفاظ المعاجم المشهورة. وبدل هذه الكلمة في ط، ش: «الأسبور» وبدون إلحاق كاف التشبيه في أوله، وهو تحريف. وجاء الكلام عليه في عجائب المخلوقات 114.

(٨) الجواف بالواو، بوزن غراب، كما في القاموس: ضرب من السمك. وقال صاحب عجائب المخلوقات: «ووصفه مثل وصف الأسبور». وهذه الكلمة جاءت محرفة في س وعجائب المخلوقات بلفظ «الجواف». وفي ط بلفظ «الجوان» وصوابه في القاموس و ل.

والبرستوج⁽¹⁾، فإن هذه الأنواع تأتي دجلة البصرة من أقصى البحار، تستعذب الماء في ذلك الإبان، كأنها، تتحمض بحلاوة الماء وعذوبته، بعد ملوحة البحر؛ كما تتحمض الإبل فتطلب الحمض - وهو ملح - بعد الخلّة - وهو ما حلا وعذب.

(طلب الأسد للملح)

والأسد إذا أكثر من حسو الدماء - والدماء حلوة - وأكل اللحم واللحم حلو - طلبت الملح لتتملح⁽²⁾ به، وتجعله كالحمض بعد الخلّة. ولولا حسن موقع الملح لم يدخله الناس في أكثر طعامهم. والأسد يخرج للتملح، فلا يزال يسير حتى يجد ملاحه⁽³⁾، وربما اعتاد الأسد مكاناً فيجده ممنوعاً، فلا يزال يقطع الفراسخ الكثيرة بعد ذلك⁽⁴⁾ فإذا تملح رجع⁽⁵⁾ إلى موضعه وعيضته وعرينه، وغابه وعريسته⁽⁶⁾، وإن كان الذي قطع خمسين فرسخاً.

(مجيء قواطع السمك إلى البصرة)

ونحن بالبصرة نعرف الأشهر التي يقبل إلينا فيها هذه الأصناف⁽⁷⁾ وهي تقبل مرتين في كل سنة، ثم نجدّها في إحداهما أسمن⁽⁸⁾ الجنس فيقيم كل جنس منها عندنا شهرين إلى ثلاثة أشهر، فإذا مضى ذلك الأجل، وانقضت عدّة⁽⁹⁾ ذلك الجنس، أقبل⁽¹⁰⁾ الجنس الآخر. فهم⁽¹¹⁾ في جميع أقسام شهور السنة من الشتاء والربيع، والصيف والخريف، في نوع من السمك غير النوع الآخر. إلا أن البرستوج⁽¹²⁾ يقبل إلينا قاطعاً من بلاد الزنج⁽¹³⁾، يستعذب الماء من دجلة البصرة، يعرف ذلك جميع الزنج والبحريين.

(1) البرستوج، هو في القاموس: «البرشتوك كسقتقور: سمك بحري» قلت: هو معرب «برستوك»، وهو لفظ فارسي معناه الخطاف واحد الخطاطيف، ولعل سبب تسميته بذلك أنه يشبه الخطاف في أنه من القواطع كما أن الخطاف من القواطع. وفي عجائب المخلوقات 114: «وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من مكان إلى مكان». وذكر البحريون أن البرستوج في الوقت الذي يوجد في البصرة لا يوجد بالزنج، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في البصرة. ط: «البرستوج» تصحيف.

(2) كذا في ل. وفي ط، ش: «تستملح».

(3) الملاحة: منبت الملح أي معدنه. وأفعال هذه الجملة في س مبدوءة بالتاء، فتقرأ «الأسد» بهذه جمعاً، أي بضم الهمزة وإسكان السين.

(4) كذا في ل، ش. وفي ط: «وبعد ذاك» والواو مقحمة. (5) ش: «عاد».

(6) الغاب: جمع غابة، وهي الأجمة. والأوفق في هذه الكلمة أن تكون «وغابته» بالإنفراد ليتساقط الكلام، ولكن هكذا وردت في ل. وفي ط، ش: «محاربه»، وهو تحريف ظاهر. والعريسة، بكسر العين وتشديد الراء المكسورة: مأوى الأسد، ومثلها «العريس» بالضبط المتقدم، وجاءت بهذه في ط، ش.

(7) كذا في ل. ويدل الكلمتين الأخيرتين في ط، ش: «الأشبور وأصناف السمك»، وكلمة «الأشبور» مصحفة سبق الكلام فيها ص 143.

(8) بعد هذا اللفظ في ط فقط كلمة «الجنس»، وليس لها وجه.

(9) عدته أي عدد أيامه. وفي الكتاب العزيز: ﴿وَلْيُكَلِّمُوا الْيَتَامَى﴾ [البقرة: 185]، ط، ش: «مدة».

(10) ط: «قبل» صوابه في ل، ش. (11) فهم: أي فأهل البصرة. ش: «فيهم» تحريف.

(12) ط: «البرسوج»، وهو تصحيف نبهت عليه في هامش رقم 1 من هذه الصفحة.

(13) بلاد الزنج، يراد بها ما يعرف الآن ببلاد الصومال الإيطالي وما جاورها من الجنوب وأكبر بلادهم هي (مقدشو) كما ورد في معجم البلدان برسم (بحر الزنج). ولا تزال هذه المدينة عامرة إلى وقتنا هذا. وهي عاصمة بلاد الصومال.

(بُعْدُ بِلَادِ الزُّنْجِ وَالصَّيْنِ عَنِ الْبَصْرَةِ)

وهم يزعمون أنَّ الذي بين البصرة والزنج، أبعدُ مما بين الصين وبينها⁽¹⁾. وإنما غلط ناسٌ فزعموا أنَّ الصين أبعد، لأن بحرَ الزنج⁽²⁾ حفرةٌ واحدة عميقة⁽³⁾ واسعة، وأمواجها عظام، ولذلك البحر ريحٌ تهبُّ من عُمانَ إلى جهة الزنج شهرين، وريحٌ تهبُّ من بلاد الزنج تريدُ جهة عُمان شهرين، على مقدارٍ واحدٍ فيما بين الشدة واللين، إلا أنها إلى الشدة أقرب، فلما كان البحر عميقاً والرياح قويّةً، والأمواج عظيمةً، وكان الشراغ لا يحطُّ، وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس⁽⁴⁾، ولا يعرفون الخب والمكلا⁽⁵⁾، صارت الأيَّام التي تسير فيها السفن إلى الزنج أقل.

(البرستوج)

قال: والبرستوج⁽⁶⁾ سمكٌ يقطعُ أمواجَ الماء، ويسبح⁽⁷⁾ إلى البصرة من الزنج، ثم يعودُ ما فضلَ عن صيد الناس إلى بلاده وبحره. وذلك أبعدُ مما بين البصرة إلى العليق⁽⁸⁾ المرار الكثيرة. وهم [لا]⁽⁹⁾ يصيدون من البحر فيما بين البصرة إلى الزنج⁽¹⁰⁾ من البرستوج⁽¹¹⁾ شيئاً [لا] في إبان مجيئها إلينا ورجوعها عنا⁽¹²⁾، وإلا فالبحر منها فارغٌ خالٍ. فعامّة الطير أعجبُ من حمامكم، وعامّة السمك أعجبُ من الطير.

(هداية السمك والحمام)

والطير ذو جناحين، يحلق في الهواء، فله سرعة الدرك وبلوغ الغاية بالطيران⁽¹³⁾، وله إدراك العالم بما فيه بعلامات وأمارات⁽¹⁴⁾ إذا هو حلق⁽¹⁵⁾ في الهواء، وعلا⁽¹⁶⁾ فوق كل

(1) أي وبين البصرة. ط، ش: «بينهما»، وصوابه في ل.

(2) بحر الزنج، هو الجانب الغربي من المحيط الهندي، المجاور لبلاد الزنج. وانظر 144.

(3) ل: «عميقة» وصوابه في ط، ش.

(4) المراد بالوتر: الوتر الهندسي، وهو الخط الذي يصل بين طرفي القوس. والوتر أبداً أقل من قوسه.

(5) الخب، بالكسر: اضطراب أمواج البحر. والمكلا، كمعظم: المرفأ. يقول: لا يضطرب بهم الموج فيلجئهم إلى الرسو بجوار الساحل. ط، ش: «الجيب الميل»، وهما على الصواب الذي أثبت في ل.

(6) ط: «والبزسبوج» وصوابه في ل، ش. وانظر التحقيق في ص 144.

(7) كذا في ل، ط. وفي ش: «يسبح» بالموحدة.

(8) كذا في ل، وانظر ما سبق في ص 120، ط: «العين» س: «العين».

(9) الزيادة من ل، ش.

(10) في ط فقط بعد هذه الكلمة: «ولا نرى».

(11) ط: «البرزسبوج» وهو تصحيف انظر له ص 144.

(12) ل: «عنها» تحريف. (13) ط، ش: «والطيران».

(14) ل: بعلاماته وأماراته.

(15) تحليق الطائر: ارتفاعه في طيرانه. ل: «تحلق»، ولم أجد هذه إلا في تحلق القمر: صارت حوله دواة، وتحلق القوم: جلسوا حلقة حلقة.

(16) علا: ارتفع. ط: «على» تحريف.

شيء. والسَّمكة تسبّح في غَمَرِ الْبَحْرِ والماء⁽¹⁾، ولا تسبّح في أعلاه. ونَسِيمُ الْهَوَاءِ الذي⁽²⁾ يعيشُ به الطيرُ لو دامَ على السَّمك ساعةً مِنْ نَهَارٍ لقتله⁽³⁾.

وقال أبو العنبر⁽⁴⁾: قال أبو نخيلة الراجز⁽⁵⁾ ودَكَرَ السَّمك:

تَغْمُهُ النَشْرَةُ⁽⁶⁾ والنَّسِيمُ فَلَا يَزَالُ مُغْرَقًا⁽⁷⁾ يَغُومُ
فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ لَهُ تَخْمِيمُ⁽⁸⁾ وَأُمُّهُ الْوَالِدَةُ الرُّعُومُ
تَلْهَمُهُ جَهْلًا وَمَا يَرِيمُ

يقول: النشرة والنسيم الذي يُحيي جميع الحيوانات، إذا طال عليه الخُمُومُ⁽⁹⁾ واللَّخْنُ والعَفْنُ، والرُّطوباتُ الغليظة، فذلك يغمُ السَّمك ويكرُّبه، وأُمُّه التي ولدته تأكله؛ لأنَّ السَّمك يأكلُ بعضه بعضاً، وهو في ذلك لا يَرِيمُ هذا الموضع⁽¹⁰⁾. وقال رؤبة⁽¹¹⁾:

وَالْحَوْتُ⁽¹²⁾ لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْهَمُهُ يُصْبِحُ عَطْشَانٌ وَفِي الْمَاءِ فَمُهُ⁽¹³⁾
يَصِفُ طَبَاعَهُ وَاتِّصَالَهَ بِالْمَاءِ، وَأَنَّهُ شَدِيدُ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ غَرِقًا⁽¹⁴⁾ فِيهِ أَبَدًا.

(1) ل: «غمر الماء». وتجد أني ضبطت «تسبح» من التسبيح، وهو مراد الجاحظ، جاء في نقل الدميري: «قال الجاحظ: السمك يسبح الله في غمر الماء» وانظر ما نقله عن صفوة الصفوة.

(2) ط: «والذي» وصوابه في ل، ش والدميري.

(3) قال الدميري معترضاً: «وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس على إطلاقه، فإن الغزالي قد استثنى منه نوعاً لا يضره النسيم فقال: ومن السمك نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل».

(4) ط، ش: «ابن أبي العنبر» ل: «أبو العس». وجاء في معجم المرزباني 513: «أبو العنبر بن أبي نخيلة، ويقال هو أبو العبير».

(5) أبو نخيلة الراجز سبقت ترجمته في (2: 59)، في الأصل: «بن أبي نخيلة الراجز»، وقد أبدلته بما ترى.

(6) ط: «النشرة» وصوابه في ل، ش واللسان (نشر).

(7) ش: «مغرَقًا» وتصحيحه من ط، ل واللسان.

(8) ط، ش والدميري: «حميم»، وصوابه في ل واللسان.

(9) الخُموم: العفن. ط، ش: «الحموم» وتصحيحه من ل واللسان.

(10) رام الموضع يريمه: تركه.

(11) في محاضرات الراغب (1: 304) نسبة الرجز إلى جرير والصواب ما هنا. والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة أولها كما في ديوانه 149، وشرح شواهد المغني 120:

قَلْتُ لَزِيرٌ لَمْ تَصْلِهِ مَرِيْمُهُ

(12) الرواية الصحيحة: «كالحوت». انظر المحاضرات وشرح شواهد المغني. وقد روى البكري الأرجوزة في أراجيز العرب 139-155، وقبل هذا البيت:

أَتَاكَ لَمْ يَخْطِئْ بِهِ تَرْسَمُهُ

يعني نفسه. ويخاطب أبا جعفر المنصور مادحاً.

(13) استشهد به ابن سيده في المخصص (1: 136) على أنه اضطر فقال «فمه» وقال: «وهذا الإبدال إنما هو في الإفراد»، أي إبدال عين الكلمة بميم، وكان ينبغي أن يقول: «فوه»، ولا يصح النطق بكلمة «فم» إلا حين إفرادها عن الإضافة. قال البكري: «يقول: إنه لا يروى حتى يلقي الممدوح».

(14) الزيادة من ل، ش.

(شعر في الهجاء)

وَأُنْشِدْنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ لِبَعْضِ الْمَدَنِيِّينَ ⁽¹⁾ ، يَهْجُو رَجُلًا ، وَهُوَ قَوْلُهُ :
 لَوْ رَأَى فِي السَّقْفِ فَرْجًا لَنَزَا حَتَّى يَمُوتَا ⁽²⁾
 أَوْ رَأَهُ وَسَطَ بَحْرٍ صَارَ فِيهِ الدَّهْرُ حُوتَا ⁽³⁾
 قَالَ : يَقُولُ فِي الْعَوْصِ فِي الْبَحْرِ ، وَفِي طُولِ اللَّبْثِ فِيهِ ⁽⁴⁾ .

(شعر في الضفدع)

وَقَالَ الذَّكْوَانِي ، وَهُوَ يَصِفُ الضَّفْدَعَ :
 يُدْخِلُ فِي الْأَشْدَاقِ ⁽⁵⁾ مَاءً يَنْصُفُهُ كَيْمَا ⁽⁶⁾ يَنْقُ وَالنَّقِيقُ يُثْلِفُهُ
 قَالَ : يَقُولُ : الضَّفْدَعُ لَا يَصُوتُ ، وَلَا يَتَهَيَّأُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ مَاءٌ ، وَإِذَا أَرَادَ
 ذَلِكَ أَدْخَلَ فَمَهُ الْأَسْفَلَ فِي الْمَاءِ ، وَتَرَكَ الْأَعْلَى حَتَّى يَبْلُغَ الْمَاءُ نَصْفَهُ .
 وَالْمَثَلُ الَّذِي يَتِمَثَّلُ بِهِ النَّاسُ : «فَلَانٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيبَ خُصُومَهُ لَأَنَّ فَاهُ مَلَانُ مَاءً» .
 وَقَالَ شَاعِرُهُمْ ⁽⁷⁾ :

وَمَا نَسِيتُ مَكَانَ الْأَمْرِيكَ بِذَا يَا مَنْ هَوِيْتُ وَلَكِنْ فِي فَمِي مَاءٌ ⁽⁸⁾
 وَإِنَّمَا جَعَلُوا ذَلِكَ مَثَلًا ⁽⁹⁾ ، حِينَ وَجَدُوا الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ فِي فَمِهِ مَاءٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمْ
 يَسْتَطِعْ ⁽¹⁰⁾ الْكَلَامَ . فَهُوَ تَأْوِيلُ قَوْلِ الذَّكْوَانِيِّ :
 يُدْخِلُ فِي الْأَشْدَاقِ مَاءً يَنْصُفُهُ
 بَفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الصَّادِ ، فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ ⁽¹¹⁾ :

- (1) الصواب أن الشعر لأبي نواس ، وليس في هجاء رجل ، بل في غرض آخر . انظر الكنايات للجرجاني 37 ومعاهد التنصيص (1: 34) وأخبار أبي نواس 35 .
- (2) نزا: وثب . وفي الأصل : «لزننا» وصوابه في أخبار أبي نواس . وفي المعاهد : «لنزي» تحريف كتابي . وفي الكنايات : «لرقى» .
- (3) ل : «صار للتغطاط» ، وصوابها «للتنعاط» . المعاهد : «صار للإنعاط» .
- (4) هذا التفسير ساقط من ل .
- (5) في الأصل «الأشديق» ، ولم أر هذا الجمع ، وأثبت ما في الديميري وعبون الأخبار (2: 97) .
- (6) ط ، ش : «كما» ، تحريف . وانظر 358:5 .
- (7) هو أبو نواس من أبيات في الديوان 359 .
- (8) كذا في ط ، ش . وفي ل : «بذا» من الوشاة . وفي الديوان : «وما جهلت مكان لا شريك به» من الوشاة .
- (9) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، ش : «مثله» .
- (10) ط : «يستطيع» ، وهو خطأ .
- (11) هو أبو جندب الهذلي ، كما في اللسان (نصف) .

وكنْتُ إذا جاري دَعَا لِمُضُوفَةٍ أَشْمَرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِثْرَِي⁽¹⁾
[المضوفة: الأمر الذي يشفقُ منه].

وكقول الآخر⁽²⁾:

فإنَّ الظَّنَّ يَنْصُفُ أو يَزِيدُ

وهذا ليس من الإنصاف الذي هو العَدْل، وإنَّما هو من بلوغِ نِصْفِ الساقِ.
وأما قوله:

كَيْما⁽³⁾ يَنْقُ والنَّقِيقُ يُتْلِفُهُ

فإنه ذهبَ إلى قول الشاعر⁽⁴⁾:

ضفادِعُ في ظِلْماء ليل تجاوبَت فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

(معرفة العرب والأعراب بالحيوان)

وقلَّ معنَى سَمِعْنَاهُ في باب مَعْرِفَةِ الحيوان من الفلاسفة، وقرأناه في كتبِ الأطباءِ والمتكلمين - إلاَّ ونحنُ قد وجدناه⁽⁵⁾ [أو] قريباً منه في أشعار العرب والأعراب، وفي⁽⁶⁾ معرفة أهل لغتنا وملتنا. ولولا أن يطولَ الكتابُ لذكرتُ ذلكَ أجمع⁽⁷⁾. وعلى أني قد تركتُ تفسيرَ أشعار كثيرة، وشواهد عديدة⁽⁸⁾ مما لا يعرفه إلاَّ الرَّأْيَةُ التَّحْرِيرُ⁽⁹⁾؛ مِنْ خوفِ التَّطْوِيلِ.

(حمام النساء وحمام الفراخ)

وقال أفليمون⁽¹⁰⁾ صاحبُ الفِراسة: اجعل حمامَ النساءِ المسرُولاتِ العِظامَ الحِسانَ، ذواتِ الاختيالِ والتَّبَخُّرِ والهديرِ؛ واجعل حمامَ الفِراخِ ذواتِ الأنسابِ الشريفة⁽¹¹⁾ والأعراقِ الكريمة، فإنَّ الفِراخَ إنَّما تكثُرُ عن حُسْنِ التَّعَهُدِ، ونِظَافَةِ القِرامِيصِ⁽¹²⁾ والبُرُوجِ. واتَّخِذْ لَهُنَّ

(1) تكلم في هذا البيت ابن الأنباري في الأضداد 113 وابن سيده في المخصص (12: 125) والبغداد في الخزانة (3: 321 بولاق).

(2) هو أبو الفضة قاتل أحمر بن شميظ، كما سبق في 32، وصدرة:

فإلا يأتكم خبر يقين

(3) ط، ش: «كما»، وصوابه في ل.

(4) هو الأخطل كما في البيان (1: 270) والحيوان (5: 358)، ولبيت قصة طريفة في العقد (2: 14) ومعاهد التنصيص (2: 199) والكنائيات 72.

(5) ط، ش: «وجدنا».

(6) ل: «في» والوجه ما أثبت من ط، ش.

(7) ط، ش: «لذكرت لك الجميع».

(8) كذا في ل. وفي ط، ش: «مع شواهد كثيرة».

(9) التحريز: الحاذق الفطن البصير بكل شيء. ط، ش: «إلا الرواة للتحريز» تحريف ما أثبت من ل.

(10) ط، ش: «أفليمون» بالقاف، تصحيف ما في ل.

(11) ط، ش: «من غير ذوات الأنساب» وكلمة «غير» تفسد الكلام، ولفظ «الشريفة» ساقط من ل.

(12) القرموص: العش يبيض فيه الحمام. قال الأب أنستاس ماري: هي يونانية بلا أدنى ريب، من: Kheramos, ou ومعناه الحفرة والأفحوص. والقلت، والوجار وهي مشتقة من فعل أصله عندهم Kha.

بيتاً محفوراً على خِلقة الصَّومعة، محفوفاً من أسفله ⁽¹⁾ إلى مقدارِ ثُلثي حيطانه بالتماريد ⁽²⁾، ولتكن واسعة وليكن بينها حِجاز ⁽³⁾. وأجود ذلك أن تكون تماريدها محفورة في الحائط ⁽⁴⁾ على ذلك المثال، وتعهد البُرج بالكنس والرَّش ⁽⁵⁾ [في زمان الرش]، وليكن مخرجهن من كُو ⁽⁶⁾ في أعلى الصَّومعة، وليكن مقتصداً في السَّعة والضيق، بقدر ما يدخل منه ويخرج [منه] الواحد [بعد الواحد]. وإن استطعت أن يكون البيت بقرب مزرعة فافعل. فإن أعجزك المنسوب منها فالتمس ذلك بالفِراسة التي لا تخطئ، وقلما يخطئ المتفرس. قال: وليس كلُّ الهُدَى ⁽⁷⁾ تقوى على الرجعة من حيث أرسلت؛ لأنَّ منها ما تفضل قوته على هدايته، ومنها البطيء وإن كان قوياً، ومنها السريع وإن كان ضعيفاً، على قدر الحنين والاعتزام ⁽⁸⁾، ولا بدَّ لجميعها من الصَّرامة، ومن التعليم أولاً والتَّوطين آخراً.

(انتخاب الحمام)

وقال: جماع الفِراسة لا يخرج ⁽⁹⁾ من أربعة أوجه: أولها التقطيع، والثاني المجسَّة، والثالث الشمائل، والرابع ⁽¹⁰⁾ الحركة.

فالتقطيع: انتصاب العنق والخِلقة، واستدارة الرأس من غير عظم ولا صغر، مع عظم القِرطمتين ⁽¹¹⁾، واتساع المنخرين، وانهرات الشدقين وهذان من أعلام الكرم في الخيل؛ للاسترواح ⁽¹²⁾ وغير ذلك. ثم حسن خِلقة العينين، وقصر المنقار في غير دقة ⁽¹³⁾ ثم اتساع الصدر وامتلاء الجؤجؤ، وطول العنق، وإشراف المنكبين، وطول القوادم في غير إفراط، ولُحوق بعض الخوافي ببعض، وصلابة العَصَب ⁽¹⁴⁾ في غير انتفاخ ولا يُبس واجتماع الخلق في ⁽¹⁵⁾ غير الجعودة والكزازة، وعظم الفخذين، وقصر الساقين والوظيفين، [وافتراق ⁽¹⁶⁾

(1) ط، ش: «أوله».

(2) التماريد: جمع تمراد بالكسر، وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه.

(3) حجاز، بالكسر: حاجز. ط فقط: «أحجاز» وهو تحريف.

(4) كذا في ل وهو الصواب. وفي ط، ش: «والحائط».

(5) ل: «بالكسح» وهو بمعنى الكنس. وكلمة «الرش» هي في ط: «الريش» وصوابها في ل، ش.

(6) الكو: الخرق في الحائط، ومثله الكوة بضم الكاف وفتحها، جمعه كوى وكواء. ط: «من كون» ولا يستقيم الجمع مع سياق الكلام.

(7) الهدى سبق الكلام عليها في (47:2). ط، ش: «وقال ليس» إلخ.

(8) ط، ش: «على قدر التحقيق والاعتزام» والوجه ما أثبت من ل.

(9) الجماع، كرم: مجتمع أصل الشيء. ط، ش: «جميع الفِراسة لا تخرج».

(10) في الأصل: «والرابعة» وهو خطأ. وفي ش أيضاً: «والثانية» «والثالثة» وليس بشيء.

(11) القِرطمتان بكسر القاف والطاء: نقطتان على أصل منقار الحمامة.

(12) الاسترواح: التشمس. ل: «وهذان من أعلام الكرم في الاسترواح» تحريف.

(13) ط، ش: «رقة» بالراء. وأثبت ما في ل ونهاية الأرب 10: 270 والمخصص 8: 170.

(14) ط، ش: «القصب» وتصحيحه من ل ونهاية الأرب. (15) ل: «من».

(16) في الأصل - وهو هنا ل-: «اقتدار» وتصحيحه من نهاية الأرب.

الأصابع^[١]، وقَصَرَ الذَّنْبَ وَخَفَّتْهُ، مِنْ غَيْرِ تَفْنِينٍ وَتَفَرُّقٍ^(١)، ثُمَّ تَوَقَّدُ الْحَدَقَتَيْنِ، وَصَفَاءُ اللَّوْنِ. فهذه أعلامُ الفِرَاسَةِ فِي التَّقْطِيعِ. وَأَمَّا أَعْلَامُ المَجْسَةِ، فَوَثَاقَةُ الخُلُقِ، وَشِدَّةُ اللَّحْمِ، وَمَتَانَةُ العَصَبِ، وَصَلَابَةُ القَّصَبِ، وَلِينُ الرِّيشِ فِي غَيْرِ رِقَّةٍ^(٢) وَصَلَابَةِ المنقَارِ فِي غَيْرِ دَقَّةٍ. وَأَمَّا أَعْلَامُ الشَّمَائِلِ، فَقِلَّةُ الاِخْتِيَالِ، وَصَفَاءُ البَصَرِ^(٣) وَثَبَاتُ النَّظَرِ وَشِدَّةُ الحَذَرِ، وَحُسْنُ التَّلَفُّتِ^(٤)، وَقِلَّةُ الرُّعْدَةِ عِنْدَ الفَزَعِ، وَخَفَّةُ التَّهَوُّضِ إِذَا طَارَ، وَتَرْكُ المِبَادَرَةِ إِذَا لَقِطَ. وَأَمَّا أَعْلَامُ الحَرَكَةِ، فَالطَّيْرَانِ^(٥) فِي عُلُوٍّ، وَمُدُّ العُنُقِ فِي سُمُوٍّ، وَقِلَّةُ الاِضْطِرَابِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ، وَضُمُّ الجَنَاحَيْنِ فِي الهَوَاءِ^(٦)، وَتَدَاوُعُ الرُّكُضِ فِي غَيْرِ اخْتِلَاطٍ، وَحُسْنُ القَصْدِ فِي غَيْرِ دَوْرَانٍ، وَشِدَّةُ المَدِّ فِي الطَّيْرَانِ. فَإِذَا أَصَبَتْهُ جَامِعاً لِهَذِهِ الخِصَالِ^(٧) فَهُوَ الطَّائِرُ الكَامِلُ. وَإِلَّا فَيَقْدَرُ مَا فِيهِ مِنَ المَحَاسِنِ تَكُونُ هِدَايَتُهُ وَفَرَاثَتُهُ.

(أدواء الحمام وعلاجها)

قال: فاعلموا أَنَّ الحمامَ مِنَ الطَّيْرِ الرَّقِيقِ، الَّذِي تَسْرِعُ إِلَيْهِ الآفَةُ، وَتَعْرُوهُ الأَدْوَاءُ^(٨)، وَطَبِيعَتُهُ الحَرَارَةُ وَالْيُسُ. وَأَكْثَرُ أَدْوَائِهِ الخُنَانُ وَالكِبَادُ، وَالْعُطَاشُ، وَالسَّلُ، وَالْقَمَلُ^(٩)، فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى المَكَانِ البَارِدِ وَالتَّنْظِيفِ، وَإِلَى الحَبُوبِ البَارِدَةِ كَالْعَدَسِ وَالمَاشِ^(١٠)، وَالشَّعِيرِ المُنخُولِ وَالْقُرْطُمُ لَهُ بِمَنْزِلَةِ اللَّحْمِ لِلإِنْسَانِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الدَّسَمِ.

فَمِمَّا يُعَالِجُ بِهِ الكِبَادُ: الزَّرْعَفَرَانُ وَالسُّكْرُ الطَّبْرَزْدُ^(١١)، وَمَاءُ الهِنْدْبَا، يَجْعَلُ فِي سُكْرَجَةٍ^(١٢)، ثُمَّ يُوجَرُ^(١٣) ذَلِكَ أَوْ يَمِجُّ فِي حَلْقِهِ مَجًّا وَهُوَ عَلَى الرِّيقِ. وَمِمَّا يُعَالِجُ بِهِ الخُنَانُ أَنْ يَلِينَنَّ لِسَانُهُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ بِدُهْنِ البَنْفَسَجِ، ثُمَّ بِالرَّمَادِ وَالمَلْحِ، يُدْلَكُ بِهَا^(١٤) حَتَّى تَنْسَلَخَ الجِلْدَةُ العُلْيَا^(١٥) الَّتِي غَشِيَتْ

- (١) التَّفْنِينُ أَصْلُهُ فِي الثَّوْبِ أَنْ يَبْلَى فَيَتَقَرَّرُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ. ل: «تَفَنَّنَ» وَأَثْبَتَ صَوَابَهُ مِنْ ط، ش: وَالمَصْدَرَيْنِ السَّابِقَيْنِ.
- (٢) فِي الأَصْلِ: «دَقَّةٌ» بِالدَّالِّ، وَأَثْبَتَ مَا فِي المَخْصَصِ وَالنِّهَايَةِ.
- (٣) ط، ش: «البَطْنُ» وَصَوَابُهُ مِنْ ل وَالمَرْجِعَيْنِ السَّابِقَيْنِ.
- (٤) فِي الأَصْلِ: «التَّقَلُّبُ» وَهُوَ تَحْرِيفٌ عَجِيبٌ، صَوَابُهُ فِي المَخْصَصِ وَالنِّهَايَةِ. وَقَدْ زَادَ المَخْصَصُ فِي أَعْلَامِ المَجْسَةِ خِصَالاً أُخْرَى كَثِيرَةً فَانْظُرْهَا.
- (٥) ش: «فَالطَّيْرَانِ» تَحْرِيفٌ.
- (٦) فِي الأَصْلِ: «فِي جَوِّ السَّمَاءِ»، فَيَكُونُ تَكَرُّراً رَكيكاً. وَأَثْبَتَ مَا فِي المَخْصَصِ وَالنِّهَايَةِ.
- (٧) ل: «الْصِفَةُ». المَخْصَصُ وَالنِّهَايَةُ: «الْصِفَاتُ». (٨) ل: «تَعْتُورُهُ».
- (٩) الخُنَانُ: دَاءٌ فِي الحَلْقِ. وَالكِبَادُ، كَغَرَابٍ: وَجَعُ الكَبِدِ. وَالْعُطَاشُ، كَغَرَابٍ أَيْضاً وَبِالشَّيْنِ المَعْجَمَةِ: دَاءٌ لَا يَرُوى صَاحِبُهُ. وَهِيَ فِي ط، ش: «العُطَاشُ» مَصْحُفَةٌ. وَالْقَمَلُ، بِالتَّحْرِيكِ: كَثْرَةُ القَمَلِ.
- (١٠) المَاشِ: حَبٌ صَغِيرٌ أَخْضَرُ اللَّوْنِ بَرَّاقٌ لَهُ عَيْنَانِ كَعَيْنِ اللُّوبِيَا، وَشَجَرَتُهُ كَشَجَرَةِ اللُّوبِيَا. المَعْتَمَدُ 326.
- (١١) السُّكْرُ الطَّبْرَزْدُ: الأَبْيَضُ الصَّلْبُ، مَعْرَبٌ تَبْرَزْدُ، تَبْرُ بِمَعْنَى الفَأْسِ، وَزَدَ بِمَعْنَى ضَرْبٍ، لِأَنَّهُ كَانَ يَدُقُّ بِالفَأْسِ. الأَلْفَاظُ الفَارْسِيَّةُ 111، ط: «وَالطَّبْرَزْدُ» تَحْرِيفٌ.
- (١٢) السُّكْرَجَةُ: الإِنَاءُ الصَّغِيرُ. وَأَكْثَرُ مَا يَوْضَعُ فِيهِ الكَوَامِخُ وَنَحْوُهَا.
- (١٣) يُوْجَرُ ذَلِكَ: أَيُّ يَصْبُ فِي حَلْقِهِ لِيَبْلَعَهُ. ط: «يُوْجَرُ»، تَحْرِيفٌ.
- (١٤) عَيُونُ الأَخْبَارِ: «بِهِمَا».
- (١٥) ط: «الْجِلْدَةُ العُلْيَا»، وَصَوَابُهُ فِي ل، ش وَعَيُونُ الأَخْبَارِ 2: 91.

لسانته⁽¹⁾. ثم يطلى بعسل ودُهْنٍ ورد⁽²⁾، حتّى يبرأ. وممّا يعالج به السّل أن يُطعم الماشّ المششور، ويمجّ في حلقه من اللبن الحليب، ويُقطّع من وظيفيّهِ عرقان ظاهران في أسفل ذلك، مما يلي المفصل [من باطن]. وممّا يعالج به القمل أن يطلى أصول ريشه بالزّبِق المحلّل⁽³⁾ بدُهْن البنفسج، يفعل به ذلك مرّاتٍ حتّى يسقط قملُه؛ ويُكسّ مكانه الذي يكون فيه كنساً نظيفاً.

(تعليم الحمام وتدريبه)

وقال: اعلم أن الحمام والطير كلّها لا يصلح التّغْمِير⁽⁴⁾ به من البُعْد، وهديته على قدر التعليم، وعلى قدر التّوطين، فأول ذلك أن يخرج إلى⁽⁵⁾ ظهر سطح يعلو عليه، ويُنصب عليه علم يعرفه، ويكون طيرائه لا يجاوز محلّته، وأن يكون علّفه⁽⁶⁾ بالغداة والعشيّ، يلقى له فوق ذلك السّطح، قريباً من علمه المنسوب له، حتّى يألّف المكان ويتعوّد الرّجوع إليه. ولكن لينظر⁽⁷⁾ من أيّ شيء يتخذ العلم؟ فإنّه لا ينبغي أن يكون أسود، ولا يكون شيئاً تراه من البُعْد أسود. وكلما⁽⁸⁾ كان أعظم كان أدلّ. ولا ينبغي أن يطيره وزوجته معاً، ولكن ينفّ أحدهما ويطير الآخر، ويُخرجان إلى السّطح جميعاً، ثمّ يطير الوافي الجناح؛ فإنّه ينازع إلى زوجته، وإذا عرف المكان، ودَار⁽⁹⁾ ورجع، وألّف ذلك الموضع، ونبت ريش الآخر، صنّع به كذلك. وأجود من ذلك أن يُخرجا إلى السّطح وهما مقصوصان، حتّى يألّفا ذلك الموضع، ثمّ يطير أحدهما قبل صاحبه، ويصنّع بالثّاني كما صنّع بالأوّل.

وما أشبه قوله هذا بقول ما سرجويه؛ فإنّه وصف في كتابه، طباع جميع الألبان، وشربها للدّواء⁽¹⁰⁾، فلمّا فرغ من الصّفة قال: وقد وصفت لك حال⁽¹¹⁾ الألبان في أنفسها، ولكن انظر إلى من يسقيك اللبن؛ فإنّك بدءاً⁽¹²⁾ تحتاج إلى تنظيف جوفك⁽¹³⁾، وتحتاج إلى من يعرف مقدار علّتك من قدر اللبن، وجنس علّتك من جنس اللبن⁽¹⁴⁾.

(1) ط، ش: «عشت على لسانه»، وتصحيحه من ل وعيون الأخبار.

(2) كذا في ل: وعيون الأخبار. وفي ط، ش: «الورد».

(3) في مفاتيح العلوم 149: «التحليل أن تجعل المنعقدات مثل الماء». وهذه الكلمة جاءت في ل: «المنحل». وجاء في عيون الأخبار: «ودواء القمل أن تطلى أصول ريشه بالزّبِق المخلوط بدُهْن البنفسج». وكلمة «الزّبِق» محرفة صوابها «الزّبِق» كما ورد في النسخة الألمانية من عيون الأخبار، يؤيد ذلك ما ورد في المعتمد 128 في الكلام على الزّبِق: «وإذا قتل كان جيّداً للجرب والقمل»، وما جاء في تذكرة داود في الكلام عليه أيضاً: «ويقتل القمل إذا جعل في الزيت والحناء ودُهْن به».

(4) التّغْمِير: مصدر غمر به تغميراً: دفعه وأرسله.

(5) كذا في ل. وفي ط، ش: «وأولى ذلك أن يخرج على» وما أثبت أشبه.

(6) العلف، أصله طعام الدواب، ولم يعهد استعماله للطير. ل: «غلّفه» تصحيف، كما أن كلمة «أن» ساقطة من ل.

(7) ط، ش: «ينظر».

(8) في الأصل: «وكل ما» وهو خطأ.

(9) ط، ش: «وداره»، ووجهه في ل.

(10) ل: «وصفت للرجال»، تحريف ما أثبت من ط، ش.

(11) بدءاً: أي أولاً. ل: «بديئاً». ط: «أبدأ» وهذه محرفة تفسد المعنى.

(12) ط، ش: «ثوبك»، وصوابه في ل.

(13) كذا في ل. وفي ط، ش: «من يعرف مقدار علّتك من جنس اللبن، وجنس اللبن من جنس علّتك».

(حوار مع نجار)

ومثل ذلك قول نجارٍ كان عندي، دعوته لتعليق بابٍ ثمين كريم فقلت له: إنَّ إحكامَ تعليق الباب شديدٌ، ولا يحسنه من مائة نجارٍ نجارٌ واحد. وقد يُذكر بالحدق في نجارة السَّقُوف^(١) والقِباب، وهو لا يكملُ لتعليق^(٢) بابٍ على تمامِ الإحكام [فيه. والسَّقُوف]، والقِباب عند العامة أصعب.

ولهذا أمثال: فمن ذلك أنَّ الغلام والجارية يشويان الجدَى والحملَ ويحكمان الشئ^(٣)، وهما لا يُحكمان شئً جنب. ومَن لا علِم له يظنُّ أنَّ شئَّ البعْض أهون من شئَّ الجميع!

فقال لي: قد أحسنت حين أعلمتني أنَّك تبصر العمل، فإنَّ معرفتي بمعرفتك تمنعني من التشفيق^(٤). فعَلَّقْه فأَحْكَمْ تَعْلِيْقَه؛ ثمَّ لم يكنْ عندي حَلَقَةٌ لوجه الباب إذا أردتُ إصْفاقَه، فقلت له: أكره أن أحبسك^(٥) إلى أن يذهب الغلامُ إلى السوق ويرجع. ولكن أثقُب لي موضعها^(٦). فلما ثَقُبْه وأخذ حَقَّه ولأني ظَهَرَه للانصراف، والتفت إليَّ فقال: قد جوَّدْتُ الثَّقْبَ، ولكن انظُرْ أيُّ نجارٍ يدُقُّ فيه الزَّرَّةُ^(٧)؛ فإنَّه إن أخطأ بضربة واحدة شقَّ الباب - [والشق عيب] - فعلمتُ أنَّه يَفْهَمُ صِنَاعَتَه فهماً تاماً.

(قص الحَمَام ونثفه)

وبعض الناس إذا أراد أن يعلم زوجاً قصَّهما ولم يثتفهما^(٨). وبين التثف والقصَّ بَوْنٌ بعيد. والقصُّ [كثير القصَّ] لا يُوجع ولا يُقرحُ مَغَارِزَ قصب الرِّيش^(٩)، والتثف يوهن المنكبين^(١٠). فإذا تُثِفَ الطائرُ مراراً لم يثوَّ على الغاية، ولم يزلْ واهنَ المنكبين. ومتى أبطأ^(١١) عليه فنتفه وقد جفَّت أصولُه وقُرِبَت من الطَّرَح كان أهونَ عليه، وكلما كان النباتُ أطرأ^(١٢) كان

(١) ط، ش: «السُوف»، وهو تحريف.

(٢) تعليق الباب: نصبه وتركيبه، كما في اللسان. ط، ش: «لا يكمل تعليق» وما أثبت من ل أجزل.

(٣) ط، ش: «وهما يحكمان الشئ» وأثبت ما في ل.

(٤) كذا في ل؛ بالفاء ثم القاف بينهما ياء. وهو من شقق النساج الملحفة تشفيقاً: جعلها شققاً - بالتحريك - في النسج. وشقق النسج: رديئه. وفي ط، ش: «التشقيق» بقافين بينهما ياء، وليس بشيء. وفيهما أيضاً: «تمنع».

(٥) ل: «أكره حبسك» ط، ش: «أكره أن أجلسك»، وجعلت القول كما ترى.

(٦) كذا في ط، وفي ل: «موضع» تحريف؛ فالضمير عائد إلى الحلقة. ش: «في موضعها».

(٧) في الأصل: «الزرة». وجاء في لسان العرب (زرر): «ويقال للحديدة التي تجعل فيها الحلقة التي تضرب على وجه الباب لإصفاقه: الزرة، قاله عمرو بن بحر».

(٨) كذا في ط، ش، وهو الصواب. وفي ل: «إذا أراد أن يلقي زوجاً يعليهما كتفهما».

(٩) بدل هذا في ط، ش: «لا يرجع بالتثف»، تحريف ونقص ظاهر.

(١٠) ط، ش: «لا يوهن المنكبين»، وهو عكس المعنى المراد لا جرم.

(١١) في الأصل: «أخطأ»، الوجه فيه ما أثبت.

(١٢) أطرأ: من الطرؤ، وهو ظهور الشيء فجأة. وفي ل: «أطرأ» بدون همز من طرا يطرؤ طرؤا بالمعنى المتقدم، أو من طرى كفرح: أي صار طريراً غضاً. وتكون صواب كتابة ما في ل: «أطرى».

أضرَّ عليه . وإنه ليلبغ من مضرته ، أنَّ الذَّكَرَ لا يجيدُ الإلقاحَ ، والأنثى لا تجيدُ القبولَ ، وربما انتفت الأنثى وقد احتشَّتْ بيضاً ، وقد قاربت أن تبيضَ ، فتبطئُ بعدَ وقتها الأيَّامَ ؛ وربما أضرَّ ذلك بالبيض .

(زجل الحمام)

قال : وإذا بلغ الثاني مبلغَ الأوَّل في استواء الرِّيش ، والاهتداء إلى العَلَم ، طيراً جميعاً ، ومُنِعاً من الاستقرار ؛ إلَّا أن يظنَّ بهما الإعياء والكلال . ثمَّ يُوطَّنُ^(١) لهما المَزَاجِلُ برأً وبحراً ، من حيث يبصران إذا هما ارتفعا في [الهواء] السَّمَتَ ونفَسَ العَلَمَ ، وأقاصي ما كانا يريانهُ^(٢) منها عند التَّباعد في الدَّورَانِ والجَوْلَانِ . فإذا رَجعا من ذلك المكانِ مَرَّاتٍ زُجلاً^(٣) من أبعدَ منه - وقد كانوا مَرَّةً يعجبهم أن يزجلوا من جميع التوطنات ، ما لم تبعُدْ ، مَرَّتَيْنِ^(٤) - فلا يزالان كذلك حتَّى يبلغا الغاية ، ويكون أحدهما محتبساً إذا أرسل صاحبه ؛ ليتذكَّره فيرجع إليه . فإنَّ^(٥) خيفَ عليه أن يكون قد ملَّ زوجته ، عرضت عليه زوجةً أخرى [قبل الزَّجل] ؛ فإذا تسنَّمتها^(٦) مَرَّةً حيلَ بينه وبينها يومه ذلك ، ثمَّ عرضوها عليه قبل أن يُحمَلَ^(٧) ، فإذا أطاف^(٨) بها نُحيت عنه ، ثمَّ حُمِلَ إلى الزَّجل ؛ فإنَّ ذلك أسرعُ له .

وقال : اعلموا أنَّ أشدَّ المَزَاجِلِ ما قلَّتْ أعلامُهُ ، كالصَّحاري والبحار .

قال : والطيَر تختلِفُ في الطَّباعِ اختلافاً شديداً : فمنها القويُّ ، ومنها الضعيفُ ، ومنها البطيءُ ، ومنها السريعُ ، ومنها الذَّهولُ ، ومنها الذَّكورُ ، ومنها القليلُ الصَّبْرِ على العطشِ ، ومنها الصَّبورُ ، وذلك لا يخفى فيهنَّ عند التَّعليم والتَّوطينِ ، في سرعة الإجابة والإبطاء . فلا تُبْعَدَنَّ^(٩) غايَةَ الضَّعيفِ والذَّهولِ والقليلِ الصَّبْرِ على العطشِ ، ولا تزجلَنَّ ما كان منشؤه في بلاد الحرِّ في بلاد البردِ ، ولا ما كان منشؤه في بلاد البردِ في بلاد الحرِّ ؛ إلَّا ما كان بعد الاعتیاد . ولا يصبرُ على طول الطيران في غير هوائه [وأجوائه طائرٌ] إلا بطول الإقامة في ذلك المكان ، ولا تستوي حاله وحال من لا يَعْدُو هَوَاءَهُ^(١٠) والهَوَاءُ الذي يقربُ من طباعِ هوائه .

(تعليم الحمام ورود الماء)

قال : ولا بدَّ أن يُعلَّم الوردُ ، فإذا أرَدتَ به ذلك فأورِدْهُ العيونَ والعُدرانَ والأنهارَ ، ثمَّ خُلْ^(١١) بينه وبين النَّظَرِ إلى الماء ، حتى تكفَّ بصره بأصابعك على جهة الماء واتَّساع المورِدِ ،

(١) كذا في ل . وفي ط ، ش : « وتوطن » . (٢) ط ، ش : « يريا » وصوابه في ل .

(٣) زجلاً : أي أرسلًا على بعد . ط ، ش : « رجعا » ، وهو تحريف ما في ل .

(٤) ط ، ش : « وإن » .

(٥) تسنمتها : علاها . وفي ل : « تجنمتها » ، وهي صحيحة وبمعنى الأولى . ومنه الحديث : « فلزمها حتى تجنمتها » .

(٦) أي يحمل على الزجل . ل : « يمل » ش : « تحمل » وهما تحريف ما في ط .

(٧) أطاف بها : قاربها . ط ، ش : « طاف » بمعنى دار . وما أثبت من ل أشبه .

(٨) ط : « تبعدون » ، صوابه في ل ، ش .

(٩) كذا في ل وهو الصواب . وفي س : « يعدو دواء » وط : « يعدو دواه » .

(١٠) ط : « خل » وهو عكس المعنى المراد . وأثبت ما في ل ، ش .

إِلَّا بِقَدْرٍ مَا كَانَ يَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَسَاقِي، ثُمَّ أَوْسَعُ لَهُ إِذَا عَبَّ قَلِيلًا بِقَدْرِ مَا لَا يَرُوعُهُ ذَلِكَ الْمَنْظَرُ⁽¹⁾ وَلَيْكُنْ مَعْطَشًا؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يَشْرَبَ. تَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ مَرَارًا، ثُمَّ تَفْسَحُ لَهُ الْمَنْظَرَ أَوَّلًا أَوَّلًا، حَتَّى لَا يُنْكِرَ مَا هُوَ فِيهِ. فَلَا تَزَالُ بِهِ حَتَّى يَعْتَادَ الشَّرْبَ بِغَيْرِ سِتْرَةٍ⁽²⁾.

(استئناسه واستيحاشه)

قال: واعلم أَنَّ الحمامَ الأَهْلِيَّ الذي عَاشَ النَّاسَ، وَشَرِبَ مِنَ الْمَسَاقِي، وَلَقَطَ فِي الْبُيُوتِ يَخْتَلُ⁽³⁾ بِالْوَحْدَةِ، وَيَسْتَوْحِشُ⁽⁴⁾ بِالْعُرْبَةِ.

قال: واعلم أَنَّ الْوَحْشِيَّ يَسْتَأْنِسُ، وَالْأَهْلِيَّ يَسْتَوْحِشُ⁽⁵⁾.

قال: واعلم أَنَّهُ يَنْسَى التَّأْدِيبَ إِذَا أَهْمِلَ، كَمَا يَتَأَدَّبُ بَعْدَ الْإِهْمَالِ.

(ترتيب الزجل)

وَإِذَا زَجَلَتْ فَلَا تُخْطَرُفُ بِهِ⁽⁶⁾ مِنْ نَصْفِ الْغَايَةِ إِلَى الْغَايَةِ، وَلَكِنْ رَتَّبَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ رَبَّمَا اعْتَادَ الْمَجِيءَ مِنْ ذَلِكَ الْبُعْدِ، فَمَتَّى⁽⁷⁾ أَرْسَلَتْهُ مِنْ أَقْرَبَ مِنْهُ تَحْيِيرًا، وَأَرَادَ أَنْ يَبْتَدِئَ أَمْرَهُ ابْتِدَاءً. وَهَمَّ الْيَوْمَ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إِذَا بَلَغَ الرَّقَّةَ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ شَيْئًا [فَقَدْ] صَارَ عُقْدَةً⁽⁸⁾، وَصَارَ لَهُ ثَمَنٌ وَغَلَّةٌ. فَهُوَ لَا يَرَى أَنْ يُخَاطَرَ بِشَيْءٍ لَهُ قَدْرٌ، وَلَكِنَّهُ إِنْ جَاءَ مِنْ هَيْتٍ أُدْرِبَ⁽⁹⁾ [بِهِ]؛ لِأَنَّهُ إِنْ ذَهَبَ لَمْ يَذْهَبْ شَيْءٌ لَهُ ثَمَنٌ، وَلَا طَائِرٌ لَهُ رِيَاةٌ؛ وَلَيْسَ لَهُ اسْمٌ وَلَا ذِكْرٌ؛ وَإِنْ جَاءَ جَاءَ شَيْءٌ كَبِيرٌ وَخَطِيرٌ⁽¹⁰⁾، وَإِنْ جَاءَ مِنَ الْغَايَةِ فَقَدْ حَوَى بِهِ مَلَكًا. عَلَى هَذَا [هَمَّ] الْيَوْمَ⁽¹¹⁾.

وقال: لَا تَرْسِلِ الزَّاقَ⁽¹²⁾ حَتَّى تَسْتَأْنِفَ [بِهِ] الرِّيَاةَ⁽¹³⁾ وَلَا تَدْعُ مَا تُعِدُّهُ لِلزَّجَالِ⁽¹⁴⁾ أَنْ

- (1) كَذَا فِي ل. وَفِي ط، ش: «النظر». وَفِي س أَيْضًا: «يردعه» مكان: «يروي» وهو تحريف.
- (2) كَذَا فِي ط، ش؛ وَهِيَ صَحِيحَةٌ، وَالسِتْرَةُ، بِالضَّمِّ، بِمَعْنَى السِتَارَةِ، وَهُوَ مَا يَسْتَرُ بِهِ. وَفِي ل: «ستر».
- (3) يَخْتَلُ: يَضْعَفُ. ط، ش: «بخيل»، تَضْعِيفٌ مَا فِي ل.
- (4) ط، ش: «ومستوحش»، صَوَابُهُ فِي ل.
- (5) ط، ش: «يستوحش بالغرابة»، وَالْكَلِمَةُ الْأَخِيرَةُ مَقْحَمَةٌ.
- (6) خَطَرُفٌ: أَسْرَعُ. وَمِثْلُهُ «تَخْطَرُفُ». وَفِي ل: «تتخطرف».
- (7) كَذَا فِي ل. وَفِي ط، ش: «وإن».
- (8) الْعُقْدَةُ، أَصْلُهَا: الضَّبْعَةُ وَالْعَقَارُ الَّذِي اعْتَقَدَهُ صَاحِبُهُ مَلَكًا.
- (9) هَيْتٌ، بِالْكَسْرِ: بَلَدَةٌ عَلَى الْفَرَاتِ مِنْ نَوَاحِي بَغْدَادِ فَوْقَ الْأَنْبَارِ. وَبَدَلُهَا فِي ط، ش: «حيث»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.
- (10) «أُدرِب» هُوَ مَنْ أُدْرِبَ الْقَوْمُ: إِذَا دَخَلُوا الدَّرْبَ. وَالدَّرْبُ هُنَا كُلُّ مَدْخَلٍ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَإِلَى تِلْكَ الدَّرُوبِ كَانَ يَزْجُلُ الْحَمَامُ مِنَ الْبَصْرَةِ. يَرِيدُ أَنَّهُ مَتَى عَرَفَ مِنْهُ الْهَدَايَةَ مِنَ الْمَكَانِ الْقَرِيبِ أَمْكُنَ أَنْ يَزْجُلَ إِلَى الْمَكَانِ الْبَعِيدِ.
- (11) جَاءَ فِي ط، ش: «درب»، وَهُوَ نَقْصٌ وَتَشْوِيهِ صَوَابُهُ فِي ل.
- (12) خَطِيرٌ: ذُو خَطَرٍ وَشَرَفٍ. ل: «فإن ذهب ذهب شيء ليس له كبير خطر»، فَيَكُونُ تَكَرَّرًا لِمَا سَبَقَ. وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ مِنْ ط، ش.
- (13) ط: «على هذا اليوم» ش: «على هذا هو اليوم». ل: «على هداهم اليوم» وصححته بما ترى.
- (14) الزَّاقُ: الَّذِي يَزِقُ فَرَاخَهُ، أَيْ يَطْعُمُهَا بِمَنْقَارِهِ. ط، ش: «المزاق»، وَلَيْسَ لَهَا وَجْهٌ هُنَا. وَالْوَجْهَ مَا أُثْبِتَ مِنْ ل.
- (15) ط، ش: «حتى تستأنف الرياضة له». (14) للزجال: للزجل. وجاء في ل: «للزجل».

يحضن بيضاً، ولا يجثم عليه، فإن ذلك ممّا ينقُضه⁽¹⁾، ويُفْتَحُه⁽²⁾، ويعظم له رأسه، لأنّه عند ذلك يسمّن وتكثر رطوبته، فتقذّف الحرارة تلك الرطوبة الحادة العارضة إلى رأسه، فإن ثقب⁽³⁾ البيض وزقّ وحضن، احتجّت إلى تضميره واستئنف⁽⁴⁾ سياسته، ولكن إن بدا لك أن تستفرخه⁽⁵⁾ فانقل بيضه إلى غيره، بعد أن تُعلّمه بعلامة تعرفه بها إذا انصدع.

(علاج الحمام الفزع)

وإن أصاب الحمام أيضاً فزعٌ ودُغرٌ؛ عن طلب شيءٍ من الجوارح له، فإنّك أن تعيده إلى الرّجل حتّى ترضمه وتستفرخه⁽⁶⁾؛ فإن ذلك الدُغر لا يفارقه ولا يسكن حتّى تستأنف به التّوطين.

(طريقة استكثار الحمام)

وإن أردت أن تستكثر من الفراخ فاعزل الذكورة عن الإناث شهراً أو نحوه، حتّى يصل بعضهما على بعض، ثم اجمع بينها؛ فإن يبيضها سيكثر ويقلّ سقطه ومروقه. وكذلك كلّ أرض أثّرت، وكذلك الحيات⁽⁷⁾ لما كان من الحيوان حائلاً. قال الأعشى:

مِنْ سَرَاةِ الْهَجَانِ صَلَبَهَا الْعُضُ وَرَعِي الْحِمَى وَطُولَ الْحِيَالِ⁽⁸⁾
وقال الحارث بن عبادٍ وجعل ذلك مثلاً:

قَرِيباً مَرَبُوطَ النَّعَامَةِ مَنِي لَقِحتُ حَرْبُ وائلٍ عَنْ حِيَالِ⁽⁹⁾

- (1) ينقضه: بمعنى يضعف قوته. ط، ش: «ينقضه» وليست من لغة الجاحظ.
- (2) كذا في ل. وهو بمعنى يسمنه. روى عن ابن السكيت: ناقة مفاتيح، وأينق مفاتيح: سمان. وفي ط، ش: «يقبّحه» ولست أثبتها.
- (3) كذا في ل. وفي ط، ش: «ثقب» وهما بمعنى.
- (4) ل: «استئنف» وليس بشيء.
- (5) تستفرخه: تطلب منه الفراخ، يقال: استفرخ الحمام: اتخذها للفراخ. ط، ش: «تستفرغه» وصوابه في ل.
- (6) ترضمه، هكذا وردت في ط، ش. وفي القاموس: «رضمت الطير: ثبتت» فلعلها بمعنى تثبته وتقره. وبدلها في ل: «تريحه». و«تستفرخه» هي في ط، ش: «تستفرغه». وانظر التنبيه رقم 5 السابق.
- (7) الحيات: مصدر حالة الناقة تحيل: لم تحمل. ل: «وكذلك الحيات من الحيوان».
- (8) يقول: هي من خيار الإبل البيض، قد شددتها رعي العض - بضم العين، وهو النوى المروض، أو ألقت - وكذلك رعيها في الحمى - وهو مكان في نجد - وخلوها من الحمل زمناً طويلاً. وكلمة «العض» هي في الأصل: «العرض» محرفة، وصوابها في ديوانه 6 والمعلقات بشرح الزوزني 188 وكذا في اللسان (مادتي: عضض، حيل).

- (9) النعامة: فرس الحارث بن عباد. وعنى بحرب وائل تلك الحروب الكثيرة التي كانت أبداً مشتعلة بين ابني وائل وهما تغلب وبكر. وقد قال الحارث الشعر الآتي لما قتل ابنه بجير، قتله مهلهل التغلبي، فلما قالوا له: إن ابنك قتل! قال: إن ابني لأعظم قتيل بركة؛ إذ أصلح الله به بين ابني وائل. فقيل له: إنه لما قتل قال مهلهل: بؤ بشسع نعل كليب! فعند ذلك أدخل الحارث يده في الحرب. وقال الشعر. انظر الكامل 371 ليسك والعقد (3: 352). واليوم الذي شهدته الحارث بن عباد البكري هو (يوم قضة). انظر خبره في العقد ومعجم البلدان.

(حديث أفليمون عن نفع الحمام)

وقال أفليمون^(١) صاحب الفِراسة، لصاحبه: وأنا محدّثك عن نفع الحمام بحديث يزيدك رغبة فيها: وذلك أنّ مَلِكَيْنِ طلب أحدهما مُلْكَ صاحبه، وكان المطلوبُ أكثرَ مالاً وأقلَّ رجالاً، وأخصب بلاداً، وكانت بينهما مسافة من الأرض بعيدة، فلما بلغه ذلك دعا خاصّته فشاوَرَهُمْ في أمره وشكا إليهم خوفه على مُلكه، فقال له بعضهم: دامت لك أيُّها المَلِكُ السلامة، ووُقيت المكروه! إنّ الذي تأقّت له نفسك قد يُحتالُ له باليسير من الطمع، وليس من شأن العاقل التَّغَيُّرُ، وليس بعد المُناجزة بقيّة، والمناجز لا يدري لمن تكون الغلبة، والتمسك بالثقة خيرٌ من الإقدام على الغرر.

وقال بعضهم: دام لك العزُّ، ومُدّ لك في البقاء! ليس في الدّلّ دَرَكٌ ولا في الرِّضا بالضم بقتية، فالرَّأيُ اتخاذ الحُصون وإذكاء العُيون، والاستعداد للقتال؛ فإن الموت في عزٍّ خيرٌ من الحياة في ذلٍّ^(٢)!

وقال بعضهم: وُقيت وكُفيت، وأُعطيت فَضْلَ المَزيد! الرَّأيُ طلب المصاهرة له^(٣) والخطبة إليه؛ فإنَّ الصَّهرَ سببُ أُلْفَةٍ تقع به الحُرْمَةُ، وتثبت به المودّة، ويحلُّ به صاحبه المحلُّ الأدنى^(٤). ومن حلَّ من صاحبه هذا المحلُّ لم يخله مما عراه^(٥)، ولم يمتنع من مناوأة من ناواه^(٦) فالتمس خلطته؛ فإنّه ليس بعد الخلطة عداوة، ولا مع الشَّرْكة مباينة!

فقال لهم^(٧) المَلِك: كلُّ قد أشار برأي، ولكلُّ مدّة، وأنا ناظرٌ في قولكم، وبالله العِصمة، وبشكره تتمُّ النعمة. وأظهر الخطبة إلى المَلِك الذي فوقه، وأرسل رُسلًا، وأهدى هدايا، وأمرهم بمصانعة جميع مَنْ يَصِلُ إليه، ودسَّ رجالاً من ثقافته، وأمرهم باتخاذ الحمام في بلاده وتوطينهنَّ واتخذ أيضاً عند نفسه مثلهنَّ، فرقعهن من غايّة إلى غايّة. فجعل هؤلاء يرسلون من بلاد صاحبه، وجعل مَنْ عند المَلِك يرسلون من بلاد^(٨) المَلِك، وأمرهم^(٩) بمكاتبتّه بخبر كلِّ يوم، وتعليقِ الكُتُب في أصول أجنحة الحمام^(١٠). فصار لا يخفى عليه شيءٌ من أمره. وأطمعه المَلِك في التزويج واستفرد^(١١) وطاوله، وتابع [بين] الهدايا، ودسَّ

(١) كذا في ل. وفي ط، ش: «أفليمون» وهو تصحيف.

(٢) ل: «فإن المحاماة عن العز خير من الحياة في ذل».

(٣) كذا في ل. وفي ط، ش: «الرأي أن تطلب مصاهرته».

(٤) ط، ش: «محل الأولياء».

(٥) عراه: اعتراه. والمراد أنه يخبره بكل ما يعرفه ويطلعه على دخيلته. ط: «لم يخل مما عراه» ش: «لم يخل ما عداه» وأثبت ما في ل.

(٦) كذا في ل. وناواه: تسهيل ناواه. والمناوأة: المعادة. ط، ش: «ولم يمتنع منه بشيء امتنع منه».

(٧) في الأصل: «له». والوجه ما أثبت. (٨) كذا في ل. وهو ما تقتضيه المقابلة. وفي ط، ش: «عند».

(٩) كذا على الصواب في ل. وفي ط، ش: «وأمره».

(١٠) هذا الصواب من ل، وفي ط، ش: «في أول أذنان الحمام»!

(١١) ل: «استفزه» ط: «استغره» وصوابه في س. واستفرد: أراد أرسل إليه رسلاً، وفي القاموس: «وأفرد: عزله، وإليه رسولاً: جهزه». وفي اللسان: «وأفردته: عزلته، وأفردت إليه رسولاً».

لحرسه رجالاً يلاطفونهم حتى صاروا يبيتون بأبوابه معهم . فلمَّا كَتَبَ أصحابُه إليه بغرَّتْهم وصل الخبر إليه من يومه ، فسار إليه في جندٍ قد انتخبهم ، حتى إذا كان على ليلةٍ أو بعض ليلة ، أخذ بمجامع الطُّرُق ، ثمَّ بَيْتَهُمْ ^(١) ووثب أصحابُه من داخل المدينة وهو وجنده من خارج ^(٢) ، ففتَحوا الأبوابَ وقتلوا المَلِكَ ، وأصْبَحَ قد غَلَبَ على تلك المدينة ، وعلى تلك المملكة ، فَعُظِمَ شأنه ، وأعظمته الملوك ، وذُكِرَ فيهم بالحزم والكَيْد . وإنما كان سبب ذلك كله الحمام !

(حديث آخر له في نفع الحمام)

قال : وأحدِّثك عن الحمام أيضاً بحديث آخر في أمر النساء والرجال وما يصاب من اللدَّةِ فيهنَّ ، والصَّواب في معاملتهنَّ . قال : وذلك أنَّ رجلاً أتاني مرَّةً فسَكَا إليَّ حاله في فتاةٍ علَّقها فترَوَّجها ^(٣) ، وكانت جاريةً [غَرّاً] حسناء ، وكانت بكرًا ذات عقل وحياء ، وكانت غريبةً فيما يحسن النساء من استمالة أهواء الرجال ، ومن أخذها بنصيبها من لدَّة النساء فلما دخل بها ^(٤) امتنعَتْ عليه ، ودافعته ^(٥) عن نفسها ، فزاولها بكلِّ ضربٍ كان يحسنه من لطفٍ ، وأدخل عليها من نسائه ونسائها مَنْ ظَنَّ ^(٦) أنَّها تقبلُ منهمْ ، فأعيثنَّه ، حتَّى هَمَّ ^(٧) برفضها مع شدَّة وجده بها ، فأتاني فشكا ذلك إليَّ مرَّةً ، فأمرته أن يُفَرِّدها ويخلِّيها من الناس ، فلا يصلَ إليها أحدٌ ، وأنَّ يُضَعِفَ لها الكرامة في اللُّطف والإقامة لما يُصلِحها من مَطْعَم ومشرب وملبس وطيب وغير ذلك ، مما تلهو به امرأةٌ ^(٨) وتُعَجِّبُ به ، وأنَّ يجعلَ خادمها أعجميَّةً لا تفهمُ عنها ، وهي في ذلك عاقلة ، ولا تفهمُها إلا بالإيماء ^(٩) ؛ حتَّى ^(١٠) تستوحشَ إليها وإلى كل من يصل ^(١١) إليها من النساء [و ^(١٢)] حتَّى تشتهي أن تجدَ مَنْ يراجعها الكلام وتشكو إليه وخشة الوحْدَةِ ، وأنَّ يدخلَ عليها أزواجاً من الحمام ، ذوات ^(١٣) صورةٍ حسنة ، وتخيل وهدير ^(١٤) فيصيرهنَّ في بيتٍ نظيف ، ويجعل لهنَّ في البيت تماريد ^(١٥) وبين يدي البيت حجرةً نظيفة ، ويفتح لها من بيتها باباً فيصِرْنَ نُصَبَ عينها فتلهو بهن وتنظر إليهنَّ ، ويجعل دخوله ^(١٦) عليها في اليوم دَفْعَةً لا يزيدها ^(١٧) فيه على النَّظَرِ إلى تلك ^(١٨) الحمام ، والتسلي بهنَّ ، والاستدعاء

(١) بيتهم : أوقع بهم ليلاً .

(٢) كذا في ل . وفي ط : « وهو من خارج وجنده » ش : « وهو من الخارج وجنده » .

(٣) ل : « فزوجه إياها » . (٤) ط ، ش : « عليها » .

(٥) ل : « ودفعته » . (٦) ط ، ش : « يظن » .

(٧) كذا في ل . أي عزم على ذلك . وفي ط ، ش : « اهتم » ، أي أحزنه رفضها إياه .

(٨) كذا في ش ، وفيه جزالة . وفي ط ، ل : « تلهو المرأة به » .

(٩) ط ، ش : « بالإشارة » وهما بمعنى . (١٠) ط ، ش : « ولا » وهو خطأ .

(١١) ل : « يقبل » . (١٢) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(١٣) ط ، ش : « ذات » . (١٤) التخيل هنا من الخيلاء . وفي ط ، ش : « تحيل » ، وهي هنا بمعنى الحذق في الاستمالة .

(١٥) ط ، ش : « ويحمل لهن » ، وصوابه في ل . والتماريد : جمع تمراد بالكسر وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه .

(١٦) ط ، ش : « وتجعل دخوله » . (١٧) ط ، ش : « لا تريدها » .

(١٨) كذا في ل . وفي ط ، ش : « ذلك » وهما صحيحتان . والحمام يذكر ويؤنث .

لهنّ إلى الهدير ساعةً، ثم يخرج⁽¹⁾، فإنّها لا تلبث أن تتفكّر في صنيعهنّ إذا رأتهنّ حالهنّ؛ فإنّ الطّبيعة لا تلبّث حتى تحرّكها، ويكون أوفق المقاعد لها الدنوّ منهن⁽²⁾، وأغلب الملاهي عليها التّطرّإيهن لأنّ الحواسّ لا تؤدي إلى النّفس شيئاً من قبّل السمع، والبصر، والذوق، والشم، والمجسّة⁽³⁾ إلاّ تحرّك من العّقل في قبُول ذلك أو ردّه، والاحتياّل في إصابته أو دفعه، والكراهية⁽⁴⁾ له أو السّرور به بقدر ما حرّك النّفس منه، فإذا رأيت الغالب عليها الدنوّ منهنّ، والتأمل لهنّ، فأدخل عليها امرأةً مجرّبةً غزلة تأنس بها، وتفطنها⁽⁵⁾ لصنيعهنّ، وتعجّبها منهنّ، وتستميل فكرتها إيهنّ، وتصف لها موقع اللّذة على قدر ما ترى من تحريك الشّهوة. ثمّ أخرج المرأة عنها، وحاول الدنوّ منها، فإنّ رأيت كراهية⁽⁶⁾ أمسكت وأعدت المرأة إليها، فإنّها لا تلبّث أن تمكّنك. فإنّ فعلت ما تحبّ وأمكنك بعض الإمكان، ولم تبلغ ما تريد فأخبرني بذلك.

قال: وقلت له: مرّ المرأة فلتسألها عن حالها في نفسها، وحالك عندها، فلعلّ فيها طبيعة من الحياء تمنّعها⁽⁷⁾ من الانبساط، ولعلّها [غرّ] لا يلمس ما قبلها من الخرق⁽⁸⁾. [ففعّل، وأمر المرأة أن تكشفها عن ذات نفسها، فشكت إليها الخرق]، فأشارت⁽⁹⁾ عليها بالمتابعة، وقالت: اعتبري بما ترين من هذا الحمام؛ فقد ترين الزّوجين كيف يصنعان! قالت: قد تأملت ذلك فعجبت منه، ولست أحسنه! فقالت لها: لا تمنعي يده ولا تحملي على نفسك الهيبة⁽¹⁰⁾، وإنّ وجدت من نفسك شيئاً تدعوك إليه لذّة فاصنعيه؛ فإنّ ذلك يأخذ بقلبه، ويزيد في محبّتك، ويحرّك ذلك منه أكثر ممّا أعطاك. فلم يلبّث أن نال حاجته وذهبت الحشمة، وسقطت المداراة⁽¹¹⁾ فكان سبب الصّنع لهما، والخروج من الوحشة إلى الأنس⁽¹²⁾، ومن الحال الدّاعية إلى مفارقتها إلى الحال الدّاعية إلى ملازمتها، والضّنّ بها⁽¹³⁾ - الحمام⁽¹⁴⁾.

(الخوف على النساء من الحمام)

وما أكثر من الرّجال، من ليس يمتنع من إدخال الحمام إلى نسائه إلاّ هذا الشيء الذي حثّ عليه صاحب الفراسة؛ وذلك أنّ تلك الرّؤية قد تذكّر وتشهّي⁽¹⁵⁾ وتمحّن⁽¹⁶⁾. وأكثر

(1) ط، ش: «تخرج». (2) ش: «لهن».

(3) ل: «من قبل سمع، أو بصر، أو ذوق، أو شم، أو مجسّة».

(4) ط، ش: «الكراهية»، وهما بمعنى. (5) تفطنها: تجعلها تفطن. ط، ش: «توقظها».

(6) ط، ش: «كراهية». (7) ط، ش: «منعتها».

(8) ط: «لا تلمس فاقبلها علي ما قبلها من الخرق» ش: «لا تلمس ما قبلها من الخرق» ل: «لا يلمس ما قبلها بالخرق»، وجعلت الكلام كما ترى. والخرق، بالتحريك: الحياء.

(9) ط، ش: «وأشارت». (10) ل: «له».

(11) ل: «وسقطت الحشمة، وذهبت المداراة».

(12) ل: «الأنسة»، وهي بالتحريك بمعنى الأنس، والأنس: ضد الوحشة.

(13) بدل هذه العبارة الطويلة في ط، ش: «ومن حال الفرقة إلى حال الانفاق».

(14) بعد هذا اللفظ في س كلمة: «باب»، وأراها مقحمة.

(15) ش: «وتشتهي»، وتصحيحه من ل، ش. (16) تمحّن: «تصيب بالمحنة، أي البلية». ل: «تحن».

النساء بين ثلاثة أحوال: إمّا امرأة قد مات زوجها، فتحريك طباعها خطار⁽¹⁾ بأمانتها وعفافها. والمُغَيبة⁽²⁾ في مثل هذا المعنى. والثالثة: امرأة قد طال لبثها مع زوجها؛ فقد ذهب الاستطراف، وماتت الشهوة. وإذا رأت⁽³⁾ ذلك تحرك منها كل ساكن وذكر ما كانت عنه بمندوحة. والمرأة سليمة الدين والعرض والقلب⁽⁴⁾، ما لم تهجس في صدرها الخواطر، ولم تنوهم حالات اللذة وتحرك⁽⁵⁾ الشهوة. فأما إذا وقع ذلك فعزمها أضعف العزم، وعزمها على ركوب الهوى⁽⁶⁾ أقوى العزم.

فأما الأبقار الغريرات فهنّ إلى أن يؤخذن بالقراءة في المصحف⁽⁷⁾، ويحتال لهن حتى⁽⁸⁾ يصرن إلى حال التشيخ⁽⁹⁾ والجبن والكرازة⁽¹⁰⁾، وحتى لا يسمعن من أحاديث الباه والغزل قليلاً ولا كثيراً - أحوج.

(نادرة لعجوز سنديّة)

ولقد ركبت عجوز سنديّة ظهر بعير، فلما أقبل بها [هذا] البعير وأدبر وطمر⁽¹¹⁾، فمخضها مرّة مخض السقاء⁽¹²⁾، وجعلها مرّة كأنها ترهز⁽¹³⁾ فقالت بلسانها - وهي سنديّة أعجميّة - أخزى الله هذا الذمل⁽¹⁴⁾؛ فإنه يذكر بالسر⁽¹⁵⁾! تريد: أخزى الله هذا الجمل، فإنه يذكر بالشر. حدثنا بهذه النادرة⁽¹⁶⁾ محمد بن عبّاد بن كاسب.

(نادرة لعجوز من الأعراب)

وحدثنا ربعي الأنصاري: أنّ عجوزاً من الأعراب جلست في طريق مكة إلى فتيان يشربون نبيذاً [لهم]، فسقوها قدحاً فطابت نفْسُها، وتبسمت؛ ثم سقوها قدحاً آخر فاحمر وجهها وضحك، فسقوها قدحاً ثالثاً فقالت: خبروني عن نسائكم بالعراق، أيشربن من هذا الشراب؟ فقالوا: نعم. فقالت: زَيْن ورَب الكعبة!

- (1) الخطار، بالكسر: مصدر خاطر: إذا ركب الخطر. ط: «خطر» ل: «إخطار».
- (2) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب بضم الميم، وكسر الغين في الأوليين وإسكانها في الثالثة: غاب عنها زوجها.
- (3) ل: «أرادت» ولا تصح. والمراد: رأت فعل الحمام.
- (4) ل: «والصدر».
- (5) ل: «وتخير»، وليس بشيء.
- (6) ط: «ركوبها لهوى».
- (7) ش: «مصحف».
- (8) كذا الصواب في ط، ش. وفي ل: «إلا أن».
- (9) التشيخ: مصدر شيخ: صار شيخاً. والمراد أن تطرأ عليهن طباع الشيخوخة ومالها من ركانة وتزمت. ل: «الشح».
- (10) الكرازة: البخل. ط، ش: «الغرازة»، وهي بالفتح بمعنى الغفلة وقلة التجربة.
- (11) طمر: وثب.
- (12) المخض: التحريك الشديد. كلمة «مرّة» ساقطة من ل. وكلمة: «مخض» جاءت في ط، ش: «بالحاء المهملة، وتصحيحها من ل».
- (13) رهزها: حركها فارتهزت هي.
- (14) في الأصل: «الزمل» وصواب بالذال، كما صرح بذلك الجاحظ في البيان (1: 74).
- (15) ط، ش: «بالشر» بالشين، وصوابه بالمهملة كما في ل والبيان. جاء في البيان: «فجعلت الشين سيناً والجيم ذالاً». وانظر نظائر هذه اللمكة في البيان (1: 71-74).
- (16) ط، ش: «بهذا النادر».

(عقاب خصي)

وزعم إبراهيم الأنصاري المعتزلي أنَّ عباس بن يزيد بن جرير دخل مقصورة لبعض جواريه، فأبصر حماماً قد قمت حمامة، ثم كسح بذنبه ونفش ريشه، فقال: لمن هذا الحمام؟ فقالوا: لفلان خادمك - يعنون⁽¹⁾ خصياً له - فقدّمه فضرَب عنقه.

(قول الحطيئة في الغناء)

و[قد] قال الحطيئة لفتيان من بني فُريع⁽²⁾ - و[قد] كانوا ربّما جلسوا بقُرب خيمته، فتعنى⁽³⁾ بعضهم غناء الرّكبان - فقال: يا بني فُريع! إيّاي والغناء، فإنّه داعية الزّنى⁽⁴⁾!

(أبو أحمد التمار وصاحب حمام)

وأما أبو أحمد التمار المتكلم، فإنّه شاهدَ صاحب حمام في يوم مجيء حمامه من واسط، وكانت واسط يومئذ الغاية، فرآه كلما أقبل طائر من حمامه نعر⁽⁵⁾ ورَقَص، فقال له: واللّه إني لأرى⁽⁶⁾ منك عجباً؛ أراك تفرّح بأن جاءك⁽⁷⁾ حمام من واسط، وهو ذلك الذي كان، وهو الذي جاء، وهو الذي اهتدى؛ وأنت لم تجيء ولم تهتد؛ وحين جاء من واسط، لم يجيء معه بشيء من خبر أبي حمزة، ولا بشيء من مقاريض⁽⁸⁾ واسط، وبزيون⁽⁹⁾ واسط، ولا جاء معه أيضاً بشيء من خطمي⁽¹⁰⁾، ولا بشيء من جوز ولا بشيء من زبيب⁽¹¹⁾. وقد مرّ

(1) ط، ش: «يريدون».

(2) بنو فريع كانوا ممن مدحهم الحطيئة، فرفع شأنهم. كان يقال لهم بنو أنف الناقة فيغضبون، حتى قال الحطيئة:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتباهون بهذه النسبة. العمدة (1: 25-26). ط: «قريع»، تحريف ما في ل، ش.

(3) ط، ش. «فيغنى».

(4) ط، ش: «إلى الزنا».

(5) نعر نعيّاً ونعازاً: صاح. ط، ش: «سر».

(6) في الأصل: «لا أرى».

(7) ط، ش: «بأزجال»، وصوابه من ل.

(8) لم أر واحد هذه الكلمة. وفي القاموس: المقارض: أوعية الخمر، والجرار الكبار.

(9) في القاموس: «الزيون كجر دخل وعصفور: السندس». والسندس: ضرب من رقيق الديباج. وهو مركب من

«بز» و«يون» أي يشبه «البز». و«يون» لغة في «كون» بالفارسية. الألفاظ الفارسية 22، ط: «بزيون» س: «بزيوه»

وهي على الصواب الذي أثبت في ل.

(10) الخطمي بكسر الخاء وفتحها: نبت له زهر شبيه بالورد، وتسمى شجرته «كثيرة المنافع». المعتمد 91، واسمه

العلمي Malvarotundifolia، ويعرف أيضاً بالخبازي البرية. وكتب الفقه الإسلامي تردد ذكر هذا النبت في باب

الجنائز؛ إذ أن من خواصه جودة تنظيف الشعر، وهو بمنزلة الصابون. انظر منلا مسكين 49-50، ل: «خطي» مع

حذف كلمة «واسط» قبلها.

(11) ل: «وشيء من جوز، وشيء من زبيب».

بكسكرك، فأين كان عن جداء كسكرك، ودجاج كسكرك⁽¹⁾، وسمك كسكرك، وصحناء⁽²⁾ كسكرك، ورُبيثاء⁽³⁾ كسكرك [وشعير كسكرك؟! و] ذهب صحيحاً نشيطاً، ورجع مريضاً كسلان، وقد غرمت ما غرمت⁽⁴⁾!! فقل لي: ما وجه فرحك؟ فقال: فرحي أنني أرجو أن أبيعك بخمسين ديناراً. قال: ومن يشتريه منك بخمسين ديناراً؟ قال: فلان، وفلان. فقام ومضى إلى فلان⁽⁵⁾ فقال: زعم فلان أنك تشتري منه⁽⁶⁾ حماماً جاء من واسط بخمسين ديناراً؟ قال: صدق. قال: فقل لي⁽⁷⁾ لم تشتريه بخمسين ديناراً؟ قال: لأنه جاء من واسط. قال: فإذا جاء من واسط فلم تشتريه بخمسين ديناراً؟ قال: لأنني أبيع الفرخ منه بثلاثة دنانير، والبيضة بدنانيرين. قال: ومن يشتري منك؟ قال: مثل فلان وفلان. فأخذ نعله ومضى إلى فلان، فقال: زعم فلان أنك تشتري منه فرخاً من طائر جاء من واسط بثلاثة دنانير، والبيضة بدنانيرين. قال: صدق. قال: فقل لي: لم تشتري فرخه بثلاثة دنانير؟ قال: لأن أباه جاء من واسط. قال: ولم تشتريه بثلاثة دنانير إذا جاء أبوه من واسط؟ قال: لأنني أرجو أن يجيء من واسط. قال: وإذا جاء من واسط فأني شيء يكون؟ قال: [يكون أن] أبيعك بخمسين ديناراً. قال: ومن يشتريه منك بخمسين ديناراً؟ قال: فلان. فتركه ومضى إلى فلان، فقال: زعم فلان أن فرخاً من فراخه إذا جاء أبوه من واسط اشتريته أنت منه بخمسين ديناراً⁽⁸⁾. قال: صدق. قال: ولم تشتريه بخمسين ديناراً؟ [قال: لأنه جاء من واسط. قال: وإذا جاء من واسط لم تشتريه بخمسين ديناراً؟ قال: فأعاد عليه مثل قول الأول⁽⁹⁾. فقال: لا رزق الله من يشتري حماماً جاء من واسط بخمسين ديناراً، ولا رزق الله [إلا] من لا يشتريه بقليل ولا بكثير⁽¹⁰⁾.

(1) دجاج كسكرك سبق الكلام فيه (2: 138). وقد أبدت عجبني هناك من تقدير ثمنه، لكن وجدت ياقوتاً يؤيد ما ذكره في كسكرك بما ذكره في (واسط) أيضاً حيث قال: «رأيت فيها - يعني واسطاً - كوز زبد بدرهمين وأثنى عشرة دجاجة بدرهم، وأربعة وعشرين فروجاً بدرهم». ط، ش: «عن دجاجها».

(2) الصحناء والصحناء، ويمدان ويكسران: إدام يتخذ من السمك الصغار والملح. القاموس والمعتمد 197، قال داود: «لا تعرف إلا بالعراق، يقرب منها ما يعمل بمصر ويسمى: الملوحة». ط: «وصحناء بها» تحريف وأثبت ما في ل. وفي ش: «وصحناء كسكرك». وانظر 52: 6.

(3) في مفاتيح العلوم 100: «الربيثاء، والصحناء، والصير: السميكات تعمل من السمك الصغار والملح». وبدل هذه الكلمة في ط، ش: «سعتير» وهو نبت طيب الرائحة.

(4) ط، ش: «وقد عرفت ما عرفت».

(5) ط، ش: «إلا فلان وفلان» وصوابه ما أثبت من ل.

(6) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(7) ش: «قال فقل له»، وصوابه ما أثبت من ل. وفي ط: «فقال له».

(8) كلمة «أبوه» ساقطة من ل. وكذا «أنت منه بخمسين ديناراً».

(9) ل: «مثل قوله الأول»، وصوابه في ط، ش.

(10) كلمة «ديناراً» ساقطة من ل. و«يشتريه» هي في ط: «يشريه». وشري تكون بمعنى اشترى.

(نواذر لأبي أحمد التمار)

وأبو أحمد هذا هو الذي قال - وهو يعظ بعض المسرفين - لو أنّ رجلاً كانت عنده ألف ألف دينار ثم أنفقها كلّها لذهبت [كلها] . وإنما سمع قول القائل : لو أنّ رجلاً عنده ألف ألف دينار فأخذ منها ولم يضع عليها لكان خليقاً أن يأتي عليها ⁽¹⁾ .

وهو القائل في قصصه : ولقد عظم [رسول الله صلى الله عليه وسلم] حق الجار ، وقال فيه قولاً أستحيي والله من ذكره!

وهو الذي قال لبعضهم ⁽²⁾ : بلغني أنّ في بستانك أشياء تهمّني ، فأحبّ أن تهب لي منه أمراً من أمر الله عظيم ⁽³⁾ . وكان زجّالاً ⁽⁴⁾ قبل أن يكون تماراً .

وزعم سليمان الزجال ⁽⁵⁾ وأخوه ثابت ، أنّه قبل أن يكون تماراً ⁽⁶⁾ قال يوماً - وذكر الحمام ، حين زهد في بيع الحمام ؛ وذكر بعض الملوك - فقال : أمّا فلان فإنّه لما بلغني أنّه يلعب بالحمام سقط من عيني ! والله سبحانه وتعالى أعلم ⁽⁷⁾ .

[تم القول في الحمام ، والحمد لله وحده] .

باب القول في أجناس الذبّان ⁽⁸⁾

بسم الله ، وبالله [والحمد لله] ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصلى الله على سيدنا محمّد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم ، وعلى أبرار عترته ⁽⁹⁾ الطيبين الأخيار ⁽¹⁰⁾ . أوصيك أيّها القارئ المتفهم ، وأيّها المستمع المنصت المصيح ⁽¹¹⁾ ، ألا تحقر شيئاً أبداً لصغر جثته ، ولا تستصغر قدره لقلة ثمن .

(1) ط ، ش : «على أكثرها» .

(2) ل : «للهفتي» .

(3) ل : «بلغني أنّ في أرضك أشياء تهمنا فهب لي منه أمراً من أمر الله عظيماً» .

(4) الزجال هنا : الذي يتاجر في حمام الزاجل ، كما يظهر من الكلام . ل : «جدالاً» تحريف .

(5) ل : «الجدال» . وما كتبت من ط ، ش أوفق ؛ لما سيأتي من الكلام .

(6) التمار : بائع التمر . والكلام من مبدأ «قبل» ساقط من ل .

(7) هذه الجملة ساقطة من ل .

(8) كلمة «باب» وكذا «أجناس» ساقطتان من ل .

(9) العترة ، بالكسر : نسل الرجل ، ورهطه ، وعشيرته الأذنون ممن مضى وغير ، ل ، ط : «عشيرته» .

(10) يبدو أن الفقرة من أولها دخيلة على الكتاب ، فليست من أسلوب صاحبنا .

(11) المصيح : المستمع . وبدلها في ط ، ش : «المتصفح» . وكيف يكون المستمع متصفحاً؟!

(دلالة الدقيق من الخلق على الله)

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْجَبَلَ لَيْسَ بِأَدَلَّ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْحَصَاةِ، وَلَا الْفَلَكَ الْمُشْتَمِلَ عَلَى عَالَمِنَا هَذَا بِأَدَلَّ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَدَنِ الْإِنْسَانِ، وَأَنَّ صَغِيرَ ذَلِكَ وَدَقِيقَهُ كَعَظِيمِهِ وَجَلِيلِهِ. وَلَمْ تَفْتَرِقِ الْأُمُورُ فِي حَقَائِقِهَا، وَإِنَّمَا افْتَرَقَ الْمَفْكَرُونَ فِيهَا، وَمَنْ أَهْمَلَ النَّظَرَ، وَأَغْفَلَ مَوَاضِعَ الْفَرْقِ، وَفُصُولَ الْحُدُودِ. فَمِنْ قَبْلِ تَرْكِ النَّظَرِ، وَمِنْ قَبْلِ قَطْعِ النَّظَرِ، وَمِنْ قَبْلِ النَّظَرِ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ النَّظَرِ، وَمِنْ قَبْلِ الْإِخْلَالِ بِبَعْضِ الْمَقْدَمَاتِ، وَمِنْ قَبْلِ ابْتِدَاءِ النَّظَرِ مِنْ جِهَةِ النَّظَرِ، وَاسْتِمَامِ النَّظَرِ مَعَ انْتِظَامِ الْمَقْدَمَاتِ - اخْتَلَفُوا. فَهَذِهِ الْخِصَالُ هِيَ جُمَاعُ هَذَا الْبَابِ، إِلَّا مَا لَمْ نَذْكُرْهُ مِنْ بَابِ الْعَجْزِ وَالنَّقْصِ؛ فَإِنَّ الَّذِي امْتَنَعَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مِنْ قَبْلِ التَّقْصَانِ الَّذِي فِي الْخَلْقَةِ⁽¹⁾ بَابٌ عَلَى حِدَةٍ.

وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا بَابَ الْخَطَأِ وَالصُّوَابِ، وَالتَّقْصِيرِ وَالتَّكْمِيلِ. فَيَاكَ أَنْ تَسِيءَ الظَّنَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ لِاضْطِرَابِ الْخَلْقِ، وَلِتَفَاوُتِ التَّرَكِيبِ، وَلِأَنَّهُ مَشْنُوءٌ فِي الْعَيْنِ، أَوْ لِأَنَّهُ قَلِيلُ النِّتْفَعِ وَالرَّدِّ؛ فَإِنَّ الَّذِي تَظُنُّ⁽²⁾ أَنَّهُ أَفْلَهُا نَفْعًا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُهَا رَدًّا. فَإِلَّا يَكُنْ⁽³⁾ ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ عَاجِلِ أَمْرِ الدُّنْيَا، كَانَ ذَلِكَ فِي آجَلِ أَمْرِ⁽⁴⁾ الدِّينِ. [وَتَوَابُ الدِّينِ] وَعِقَابُهُ بَاقِيَانِ، وَمَنَافِعُ الدُّنْيَا فَانِيَةٌ زَائِلَةٌ؛ فَلِذَلِكَ قَدِّمْتُ الْآخِرَةَ عَلَى الْأُولَى.

فَإِذَا رَأَيْتَ شَيْئًا مِنَ الْحَيَوَانِ بَعِيدًا مِنَ الْمَعَاوَنَةِ، وَجَاهِلًا بِسَبَبِ⁽⁵⁾ الْمَكَائِفَةِ⁽⁶⁾، أَوْ كَانَ مِمَّا يَشْتَدُّ ضَرُّهُ، وَتَشْتَدُّ الْحِرَاسَةُ مِنْهُ، كَذَوَاتِ الْأَنْيَابِ مِنَ الْحَيَّاتِ وَالذَّنَابِ⁽⁷⁾ وَذَوَاتِ الْمَخَالِبِ مِنَ الْأَسَدِ وَالثُّمُورِ، وَذَوَاتِ الْإِبْرِ وَالشَّعْرِ مِنَ الْعَقَارِبِ وَالذَّبَرِ، فَاعْلَمْ أَنَّ مَوَاقِعَ⁽⁸⁾ مَنَافِعِهَا مِنْ جِهَةِ الْامْتِحَانِ، وَالْبَلَوَى. وَمِنْ جِهَةٍ مَا أَعَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلصَّابِرِينَ، وَلِمَنْ فَهَمَ عَنْهُ، وَ[لِمَنْ]⁽⁹⁾ عِلْمُ أَنَّ الْإِخْتِيَارَ وَالْإِخْتِبَارَ [لَا]⁽¹⁰⁾ يَكُونَانِ، وَالدُّنْيَا كُلُّهَا شَرٌّ صِرْفٌ أَوْ خَيْرٌ مُحْضٌ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْمَزَاجَةِ بَيْنَ الْمَكْرُوهِ وَالْمَحْبُوبِ، وَالْمُؤْلَمِ وَالْمُلْدِّ، وَالْمَحْقَرِ وَالْمَعْظَمِ، وَالْمَأْمُونِ وَالْمَخُوفِ. فَإِذَا كَانَ الْحِطُّ الْأَوْفَرُ فِي الْإِخْتِبَارِ وَالْإِخْتِيَارِ⁽¹¹⁾، وَبِهِمَا يُتَوَسَّلُ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَبَدٍ⁽¹²⁾ كِرَامَتِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ إِنَّمَا⁽¹³⁾ يَكُونُ فِي الدَّارِ الْمَمْزُوجَةِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْمَشْتَرَكَةِ وَالْمَرْكَبَةِ بِالنِّتْفَعِ⁽¹⁴⁾ وَالضَّرِّ، الْمَشْتَبَةِ بِالْيُسْرِ وَالْعُسْرِ -

(1) ط، ش: «الذي بابه في الخلقة». وكلمة «بابه» مقحمة.

(2) ط، ش: «يظن»، وتقرأ بالبناء للمفعول. (3) ط: «إن لا يكون» ش: «ألا يكون» وتصحيحه وفق ما في ل.

(4) ط، ش: «توَاب».

(5) ش: «بَسِيل» ط: «لَسِيل» وهذه تحريف الأولى. وأثبت ما في ل.

(6) المكايفة، بالنون: المعاونة. كانفه: عاونه. ل: «المكايفة» بالتاء. ولم أجدها.

(7) ط: «الذبان»، وهو تحريف عجيب، صوابه في ل، ش.

(8) ليست في ل، ش. (9) الزيادة من ل، ش.

(10) الزيادة من ش. والكلام بعده إلى كلمة «ذلك» ساقط من ل.

(11) ط، ش: «والاعتبار»، والوجه ما أثبت من ل. (12) الأبد: الدائم. وبدلها في ط، ش: «وإلى».

(13) ل: «لا»، وهو تحريف يفسد المعنى. (14) ل: «ومكان النفع في صنع الحية».

فليعلم موضع النُّفْع في خَلْق العقرب، ومكان الصُّنْع في خَلْق الحيّة، فلا يحقرن الجرجس⁽¹⁾، والفراش والذرّ والذّبان⁽²⁾ ولتقف حتّى تتفكر في الباب الذي رميت إليك بجمليته، فإنك ستكثر حمد الله عزّ وجلّ، على خلق الهمج والحشرات، وذوات السُّموم والأنياب، كما تحمده على خلق الأغذية من الماء والنسيم. فإن أردت الزّراية والتّحقيق، والعداوة والتّصغير، فاصرف ذلك كلّ إلى الجنّ والإنس، واحقرّ منهم كلّ من عمل عملاً من جهة الاختيار⁽³⁾ يستوجب به الاحتقار، ويستحقّ به غاية المقت من وجه، والتصغير من وجه.

فإن أنت أبغضت من جهة الطبيعة⁽⁴⁾، واستثقلت من جهة الفطرة ضربين من الحيوان: ضرباً يقتلك بسمه، وضرباً يقتلك بشدة أسره⁽⁵⁾ لم تلم. إلا أن عليك أن تعلم أن خالقهما لم يخلقهما لأذاك⁽⁶⁾، وإنما خلقهما لتصير على أذاهما، ولأن تنال بالصبر الدرجة التي يستحيل أن تنالها [إلا] بالصبر⁽⁷⁾. والصبر لا يكون إلا على حال⁽⁸⁾ مكروه. فسواء عليك [أ] كان المكروه سبُعاً وثباً، أو كان مرصاً قاتلاً. وعلى أنك لا تدري، لعلّ النزع، والعلز والحشرجة⁽⁹⁾، أن يكون أشدّ من لدغ⁽¹⁰⁾ حيّة، وضغمة سبع⁽¹¹⁾. فإلا تكن له حرقة كحرق النار⁽¹²⁾ وألم كآلم الدهق⁽¹³⁾، فلعلّ هناك من الكرب ما يكون موقعه من النفس فوق ذلك.

وقد علمنا أن الناس يُسمون⁽¹⁴⁾ الانتظار لوقع السيف على [صليف⁽¹⁵⁾] العنق جهد البلاء؛ وليس ذلك الجهد من شكل لدغ النار، ولا من شكل ألم الضرب بالعصا، فافهم فهمك الله مواقع النفع كما يعرفها أهل الحكمة، وأصحاب الأحساس الصحيحة. ولا تذهب في الأمور مذهّب العامة، وقد جعلك الله تعالى من الخاصة، فإنك مسئول عن هذه الفضيلة؛ لأنّها لم تجعل لعباً⁽¹⁶⁾، ولم تترك هملاً. واصرف بغضك إلى مُريد ظلمك⁽¹⁷⁾، لا يراقب فيك إلا ولا ذمة، ولا مودة، ولا كتاباً ولا سنة. وكلما زادك الله - عزّ وجلّ - نعمة ازداد⁽¹⁸⁾ عليك حنقاً، ولك بغضاً. وفرّ كلّ الفرار واهرب كلّ الهرب، واحترس كلّ الاحتراس، ممن

(1) الجرجس، بكسر الجيمين: البعوض الصغار. ويقال أيضاً: القرص، بوزنه.

(2) الذر: صغار النمل. والذبان بالكسر: جمع «الذباب». وبهذه جاءت في ط، ش.

(3) ط، ش: «الاختيار» وهو تحريف ما في ل. (4) ل: «فإن أنت بنية الطبيعة» وهو كلام مشوه.

(5) الأسر: شدة الخلق والخلق. ط: «أسره» تحريف. (6) ط: «لذلك». وما أثبت من ش، ل أوفق.

(7) ط، ش: «التي تستحق أن تنالها بالصبر»، ومؤدى العبارتين واحد.

(8) حال، أي حاضر. ل: «عاجل».

(9) النزع: قلع الحياة. والعلز بالتحريك: هلع يصيب المحتضر. والحشرجة: الغرغرة عند الموت.

(10) ط، ش: «لدغ» وصوابه في ل.

(11) هاتان ساقطتان من ل. والضغمة: العضة. وسمى الأسد ضيغماً لذلك.

(12) كذا في ل. وفي ط: «فلا يكون حرقة كحرق اللسع». وفي ش: «فلا يكون لك حرقة كحرق اللسع»، محرفتان.

(13) الدهق بالتحريك: خشبتان يغمز بهما الساق، فارسيته: أشكنجه.

(14) ل: «لا يسمون»، وكلمة «لا» تفسد المعنى. (15) الصليف، كأمير: عرض العنق.

(16) ل: «لغوًا». (17) ش: «لن يريده ظلمًا».

(18) ط فقط: «ازدادوا».

لا يراقب الله - عز وجل - فإنه لا يخلو من أحد أمرين، إما أن يكون لا يعرف ربه مع ظهور آياته ودلالاته، وسوغ آلائه، وتتابع نعمائه، ومع برهانات رسله، وبين كتيبه؛ وإما أن يكون به عارفاً وبدينه⁽¹⁾ موقناً، وعليه مجترئاً، وبحرماته مستخفاً. فإن كان بحقه جاهلاً فهو بحقك أجهل، وله أنكرك. وإن كان به عارفاً وعليه مجترئاً فهو عليك أجراً، ولحقوقك أضيع⁽²⁾ ولأيديك أكفر. فأما خلق البعوضة والتملة والفراشة والذرة والذبان⁽³⁾ والجعلان، واليعاسيب والجراد - فإياك أن تتهاون بشأن هذا الجند، وتستخف⁽⁴⁾ بالآلة التي في هذا الذر⁽⁵⁾؛ فربت أمة قد أجلاها عن بلادها⁽⁶⁾ النمل، ونقلها عن مساقط رؤوسها الذر، وأهلكك بالفأر⁽⁷⁾، وجردت بالجراد، وعذبت بالبعوض، وأفسد عيشها الذبان؛ فهي جند إن أراد الله - عز وجل - أن يهلك بها قوماً بعد طغيانهم وتجبّرهم وعتوهم؛ ليعرفوا أو ليعرف بهم أن كثير أمرهم، لا يقوم بالقليل من أمر الله عز وجل. وفيها بعد معتبر لمن اعتبر، وموعظة لمن فكر، وصلاح لمن استبصر⁽⁸⁾، وبلوى ومحنة، وعذاب ونقمة، وحجة صادقة، وآية واضحة⁽⁹⁾، وسبب إلى الصبر والفكرة. وهما جماع الخير في باب المعرفة والاستبانة⁽¹⁰⁾، وفي باب الأجر وعظم المثوبة⁽¹¹⁾. وسنذكر جملة من حال الذبان، ثم نقول في جملة ما يحضرنا من شأن الغزيان والجعلان.

(أمثال في الفرائش والذباب)

ويقال⁽¹²⁾ في موضع الذم والهجاء: «ما هم إلا فراش نار وذبان طمع». ويقال: «أطيس من فراشة، وأزهي من ذبان». وقال الشاعر:

كأن بني ذويبة رهط سلمى فراش حول نار يضطلينا
يظفن بحرهما ويقعن فيها ولا يدريين ماذا يتقينا
والعرب تجعل الفراش والنحل والزنابير والذير كلها من الذبان. وأما قولهم⁽¹³⁾: «أزهي من ذباب»، فإن الذباب يسقط على أنف الملك⁽¹⁴⁾ الجبار، وعلى موق عينيه⁽¹⁵⁾ ليأكله، ثم يطرده فلا ينطرد⁽¹⁶⁾.

- (1) ش: «وبذنبه» وهو تحريف.
- (2) ط، ش: «ولحقك». و«أضيع» تفضيل من أضاع. وفي التفضيل من أفعل مذاهب ثلاثة: المنع مطلقاً، والجواز مطلقاً، والمنع إن كانت الهمزة لغير النقل.
- (3) الذبان: جمع ذباب. ط، ش: «والذباب».
- (4) ط: «تستخف» تحريف صوابه في ل، ش.
- (5) الذر: الخلق. وفي الأصل: «الذر».
- (6) ل: «مساكنها».
- (7) إشارة إلى حادثة سيل العرم. زعموا أن السبب فيه فارة، قال الجاحظ: «لا يشك الناس في أن أرض سبأ وجنتها إنما خربت حين دخلها سيل العرم، وأن الذي فجر المياه فارة». ثمار القلوب 328، ط، ش: «بالقرا»، وليس بشيء.
- (8) ل: «معتبر وموعظة وصلاح».
- (9) سقط الكلام من ل، من مبدأ: «وحجة».
- (10) ط: «والإبانة».
- (11) «وعظم المثوبة» ساقطة من ل.
- (12) ل: «قالوا»: يقال.
- (13) ل: «الملوك»، وهو تحريف.
- (14) موق العين: طرفها مما يلي الأنف. وللعينين موقان. ولكنه أفرد، وذلك جائز في العربية. ومنه قوله تعالى: ﴿فَبَدَّتْ كُفً سَوًّا تَهْمًا﴾ [طه: 121] بالافراد، في قراءة الحسن. انظر همع الهوامع (1: 51).
- (16) كذا في ل. وفي ثمار القلوب 395: «ثم يطرد فلا ينطرد». وفي ط، ش: «فيطرده ولا ينطرد».

(معانٍ وأمثالٌ في الأنف)

والأنف هو النَّخْوَة وموضعُ التَّجْبُرِ . وكان من شأن البطارقة⁽¹⁾ وقواد الملوك إذا أنفوا [من شيء] أن ينخروا كما ينخر الثور عند الدَّبح ، والبرذون عند النَّشاط . والأنف هو موضع الخنزروانة والنَّعرة⁽²⁾ ، وإذا تكبرت النَّاقةُ بعد أن تلَّحَحَ فإنَّها⁽³⁾ ترمُ بأنفها .

والأصيد : الملك الذي تراه أبداً من كِبَرِه مائلٌ الوجه . وشبهه بالأسد ففيل أصيد ؛ لأنَّ عُنقَ الأسد من عظم واحد ، فهو لا يلتفت إلاَّ بكُلِّه ، فلذلك يقال للمتَّكَبِّرُ : «إنَّما أنفه في أسلوب» ، ويقال : أرغمَ الله أنفه وأذلَّ معطسَه ! و[يقال] : ستفعل ذلك وأنفك راغم ! والرَّغام : التراب . ولولا كذا وكذا⁽⁴⁾ لهشَّمت أنفك . فإنما يخصُّون بذلك الأنف ؛ لأنَّ الكِبَرِ إليه يضاف⁽⁵⁾ ، قال الشاعر⁽⁶⁾ :

يَا رَبَّ مَنْ يُبْغِضُ أَذْوَادَنَا رُحْنَ عَلَى بَغْضَائِهِ وَاعْتَدَيْنَ⁽⁷⁾
لَوْ نَبَتَ الْبَقْلُ عَلَى أَنْفِهِ لَرُحْنَ مِنْهُ أَصْلًا قَدْ أَبِينَ⁽⁸⁾

ويقال «بعير مذبوب» إذا عرض له ما يدعو⁽⁹⁾ الذَّبَّانَ إلى السَّقُوطِ عليه . وهم يعرفون الغدَّة⁽¹⁰⁾ إذا فشت أو أصابت بعيراً بسقوط الذَّبَّانِ عليه .

(احتيال الجمالين على السلطان)

وبسقوط⁽¹¹⁾ الذَّبَّانِ على البعير يحتال الجمال للسلطان ، إذا كان قد تسخَّرَ إبلَه⁽¹²⁾ وهو لذلك كاره ، وإذا كان في جماله الجملُ النفيسُ أو الناقةُ الكريمة⁽¹³⁾ ؛ فإنه يعمد إلى

(1) البطريق ، ككبريت : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل . وهو معرب من الرومي Patricius .

(2) الخنزروانة ، بالخاء والزاي مضمومتين بينهما نون ساكنة : الكِبَر ، ومثله النعرة ، كهمة ، وبالتحريك .

(3) ل : «فإنما» .

(4) ل : «ولولا كذا» .

(5) كذا الوجه في ل ، ش . وفي ط : «يضاف إليه» .

(6) هو عمرو بن قميئة ، كما في أمالي ابن الشجري (2 : 311) .

(7) الأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل . وأراد بقوله : «على بغضائه» أنهم يرعين ويرتوين ، ولا يستطيع العدو منعهم لقدرة صاحبه وعزته . وكلمة «بغضائه» هي في ط : «بغضائه» وفي ش : «بعضائه» ، وصوابها من ل وأمالي ابن الشجري ، ومحاضرات الراغب (2 : 63) .

(8) الأصل ، بضمّتين : الأصل ، وهو العشي أي آخر النهار . وبعضهم قال : إن الأصل جمع أصيل . وليس بشيء . وأبين ، يقول : قد أبين الطعام من كثرة ما رعين فأشبعن شهواتهن . ط ، ش : «أبين» وصوابه في ل . والرواية في المحاضرات : رعين . وجاء في ط ، ش : «رحن إليه» وتصحيحه من ل والمحاضرات .

(9) ل : «داء يدعو» .

(10) الغدة بالضم : طاعون الإبل . ط ، ش : «العة» ، وهي بالضم بمعنى الجرب . ولا تستقيم هذه مع بقية الكلام .

(11) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، ش : «ولسقوط» .

(12) يقال سخره تسخييراً ، وتسخره كذلك كلفه عملاً بلا أجرة . ط ، ش : «يسخر إبله» وأثبت ما في ل .

(13) ل : «فإذا كان فيها جمل نفيس أو ناقة كريمة» .

الخَضْخَضُ (1) فيصْبُ فيه شيئاً من دِيس (2) ثم يَطْلَى به ذلك البعير، فإذا (3) وجد الذَّبَّانَ رِيحَ الدِّبْسِ تساقطَنَ عليه، فيدَّعي عند ذلك أنَّ به غُدَّةً (4) ويجعلُ الشاهدَ له عندَ السُّلطانِ (5) ما يُوجد عليه من الذَّبَّانِ! فما أكثر ما يتخلصون بكرائم أموالهم (6) بالحيل من أيدي السُّلطان، ولا يظنُّ ذلك السُّلطانُ إلَّا أنه متى شاء أن يبيعَ مائةَ أعرابيٍّ بدرهم فَعَلَ. والغُدَّةُ (7) عندهم تُعدي، وطِباع الإبل أقبلُ شيءٍ للأدواء التي تُعدي، فيقول الجمال عند ذلك للسُّلطان: لو لم أخف على [الإبل إلَّا] بعيري هذا المغدَّ أن يُعديَّ لم أبال (8)، ولكنِّي أخافُ إعداء الغُدَّةِ ومضرَّتها في سائر مالي! فلا يزالُ يستعطفه بذلك، ويحتالُ له به (9) حتَّى يخلي سبيلَه.

(نفور الذَّبَّانِ من بعض الأشياء)

ويقال إنَّ الذَّبَّانَ لا يقربُ قِدرًا فيه كمأة، كما لا يدخلُ سامٌ أبرص (10) بيتاً فيه زعفران.

(الخوف على المكلوب من الذَّبَّانِ)

ومن أصابه عضُّ الكلب الكلبِ حموا وجهه من سقوط الذَّبَّانِ عليه. قالوا: وهو أشدُّ عليه من ديبب النُّبَر (11) على البعير.

(النُّبَر)

والنُّبَر دويبةٌ إذا دبَّت على البعير، تورَّم، وربَّما كان ذلك سببَ هلاكه. قال الشاعر وهو يصف (12) سِمَنَ إبله، وعظَّم أبدانها:

حمر تحقَّنت النجيل كأنما بجلودهنَّ مدارجُ الأتبار (13)

- (1) الخضخاض: نفط أسود رقيق تهنأ به الإبل الجربى.
- (2) الدبس، بالكسر وبكسرتين: عسل التمر، وعسل النحل. والأول المعنى.
- (3) ط، ش: «وإذا».
- (4) كذا في ل. وفي ط، ش: «عرة». وانظر التنبيه العاشر من الصفحة السابقة وفي ل: «فتدعي عند ذلك أنه». وفيه تحريف.
- (5) كلمة: «له» ساقطة من ل.
- (6) يتخلصون: ينجون. ل: «يخلصون» وهما بمعنى. ل، ش: «من كرائم» والوجه ما أثبت من ط.
- (7) ط، ش: «والعرة». وانظر التنبيه العاشر من الصفحة السابقة.
- (8) المغد: هو من أغد البعير: أصابته الغدة، أي الطاعون. ط، ش: «المعر» ولم أجد لها وجهًا تصح به وكلمة «يعدي» هي في ش: «يعر» وليست مرادة. ل: «لم أبل» وهما صحيحتان.
- (9) كذا في ل. وفي ط، ش: «ويحتال له ويميله».
- (10) ل: «كما لا تدخل»، والوجه ما أثبت من ط، ش.
- (11) الديبب: المشي الخفيف، ل: «سقوط». والنبر، بالكسر، سيفسره الجاحظ بعد هذا.
- (12) ل: «يذكر».
- (13) «حمر» في اللسان: «جرذا». وتحقنت النجيل: امتلأت أجوافها به. ط، ش: «تحققت المحيل»، وتصحيحه من ل واللسان. والنجيل: خير الحمض كله وألينه على السائمة. والحمض: ما ملح وأمر من النبات. والأنبار: جمع نبر بالكسر وقد مر تفسيره. ومدارجه: مواضع دروجه، أي مشيه.

(مميزات خلقية لبعض الحيوان)

وليس في الأرض ذبابٌ إلا وهو أقرح⁽¹⁾، ولا في الأرض بغيرٍ إلا وهو أعلم⁽²⁾، كما أنه ليس في الأرض ثورٌ إلا وهو أفتس. وفي أن كل بغير أعلم يقول عنترة: وحليل غانية تركتُ مجدلاً تمكو فريصته كشدق الأعلم⁽³⁾ كأنه⁽⁴⁾ قال: كشدق البعير؛ إذ كان كل بغير أعلم. والشعراء يشبهون الضربة بشدق البعير، ولذلك قال الشاعر⁽⁵⁾:

كَمْ ضَرْبَةٍ لَكَ تَحْكِي فَا فُرَاسِيَّةٍ مِنْ الْمَصَاعِبِ فِي أَشْدَاقِهِ شَنَعٍ⁽⁶⁾
وقال الكميت: مَشَافِرَ قَرْحَى أَكْلَنَ الْبَرِيرَا⁽⁷⁾

وإذا قيل الأعلم، علم أنه البعير، كما أنه إذا قيل الأقرح⁽⁸⁾ علم أنه الذبان. قال الشاعر:

وَلَأَنْتَ أَطْيَشُ، حِينَ تَغْدُو سَادراً حذر الطعان، مِنْ الْقُدُوحِ الْأَقْرَحِ⁽⁹⁾
يعني الذبان لأنه أقرح⁽¹⁰⁾ ولأنه أبداً يحك بإحدى ذراعيه على الأخرى كأنه يقدح بعودي مرخ وعفار⁽¹¹⁾، أو عرجون، أو غير ذلك مما يقدح به.

(1) «أقرح»، وهو من القرحة. وكل ذباب في وجهه قرحة. انظر أمثال الميداني (2: 403). ط، ل: «أقدح» والوجه ما أثبت؛ إذ هو الصفة الخلقية التي تسير السياق. وانظر عيون الأخبار 2: 75 وفيه: «كل ذباب أقرح». وانظر كذلك العقد 6: 236 تأليف.

(2) الأعلم: مشقوق الشفة العليا.

(3) حليل: بمعنى زوج. ط، ش: «جليل» والصواب في ل، مجدلاً: ملقياً على الجدالة وهي الأرض. تمكو فريصته: تصفر. والفريصة: لحمية في وسط الجنب عند منبض القلب، وهي ترتعد عند الفزع. قال التبريزي: «كان هذه الطعنة في سعتها شدة الأعلم». وكان الجاحظ يفهم هذا المعنى كما سيأتي بعد سطر. وأنا أقول: إنه في هذا البيت ما شبهها بشدق الأعلم في السعة، بل أراد أن صوت الدم الدافق من هذه الطعنة، يحكي الصوت الصادر من شدق البعير. وهذا لا يمنع أن بعض الشعراء أراد في شعره هذا المعنى الذي أدركه التبريزي والجاحظ.

(4) كذا في ل، وهو الوجه. وفي ط، ش: «كما أنه». (5) هو النمر بن تولب، كما في البيان (1: 55).

(6) تحكى فاه: تماثله. والقراسية: الضخم الشديد من الإبل، ذكرًا كان أو أنثى، وهو في الذكور أغلب. والمصاعب، واحدها مصعب، وهو الفحل. في أشداقه: أراد في شذقيه، ومثل هذا جائز، في الأصل: «في أشداقها»، والوجه ما أثبت من البيان؛ إذ أن المراد بالقراسية هنا الفحل.

(7) قرحى: جمع قريح، وهو هنا المصاب بالقرحة في فيه، فيهدل لذلك مشفره. والبرير: الأول من ثمر الأراك. هذا عجز بيت، صدره كما في الحيوان 5: 413:

تَشَبَّهَ فِي الْهَامِ أَتَارَهَا

(8) في الأصل: «الأقداح».

(9) السادر: الراكب رأسه. و«حذر الطعان» كذا في ط، ش، وفي ل: «حذر العظام»، والرواية المعروفة: «عرش الجنان» كما في أمثال الميداني (1: 403) وثمار القلوب 395 واللسان والتاج (قدح). والجنان: القلب. والقُدُوح: الذي يحك ذراعًا بذراع، يحكى فعل القادح الذي يطلب النار. والأقرح: الذي في وجهه قرحة. وفي الأصل وكذا اللسان: «الأقدح»، خطأ، صوابه في الثمار وأمثال الميداني.

(10) في الأصل: «أقدح»، وانظر التنبيه السالف.

(11) المرخ، بالفتح: شجر من العضاة خشبه كثير الوري سريعه. والغفار، كسحاب: شجر خوار. ومن المرخ يتخذ الزنده، وهي السفلى، ومن الغفار يتخذ الزند وهو الأعلى، ويقتدح بهما. قال:

(أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض)

ولا يعلم في الأرض شاعرٌ تقدّم في تشبيهه مُصيب تام، وفي معنّى غريب عجيب، أو في معنّى شريف كريم، أو في بديع مُختَرع، إلّا وكلُّ مَنْ جاء من الشعراء مِنْ بَعْدِهِ أو معه، إنّ هو لم يعد⁽¹⁾ على لفظه فيسرق بعضه، أو يدعيه بأسره، فإنّه لا يدعُ أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكاً فيه؛ كالمعنى⁽²⁾ الذي تتنازعهُ الشعراء فتختلف ألفاظهم، وأعاريض أشعارهم، ولا يكون أحدٌ منهم أحقّ بذلك المعنى من صاحبه. أو لعلّه [أن] يجحد أنه سمع بذلك المعنى قطّ، وقال إنّهُ خطَرَ على بالي من غير سماع، كما خطَرَ على بال الأول. هذا إذا قرّعوه به. إلّا ما كان من عنترة في صفة الذباب؛ فإنه وصفه فأجاد صفته⁽³⁾ فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحدٌ منهم⁽⁴⁾. ولقد عَرَضَ له بعضُ المحدثين ممن كان يحسّن القول، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى، ومن اضطرابه فيه، أنّه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر⁽⁵⁾. قال عنترة:

جاءت عليها كلُّ عينٍ ثرّة فتركن كلَّ حديقة كالدرهم⁽⁶⁾
فترى الذباب بها يغنى وحده هزجاً كفعل الشارب المترنم
غرداً يحكُّ ذراعَه بذراعِه فعل المكب على الزناد الأجزم

قال: يريد فعل الأقطع المكب على الزناد. والأجزم: المقطوع اليدين. فوصف الذباب إذا كان واقعاً ثم حك إحدى يديه بالأخرى، فشبهه عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين، يقدح بعودين. ومتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك. ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أَرْضاه غير شعر عنترة.

(قول في حديث)

وقد كان عندنا في بني العدويّة⁽⁷⁾ شيخٌ منهم مُنكر⁽⁸⁾، شديد العارضة [فيه توضيح]⁽⁹⁾، فسمعني أقول: قد جاء في الحديث: «إنَّ تَحْتَ جَنَاحِ الذُّبَابِ اليمِينِ شَفَاءٌ وَتَحْتَ جَنَاحِ الأيسرِ⁽¹⁰⁾ سَمٌّ». فإذا سقط في إناءٍ أو في شرابٍ أو في مَرَقٍ فاغمسوه فيه؛ فإنه يرفع عند ذلك الجناح الذي تحته⁽¹¹⁾ الشفاء، ويحطّ [الجناح] الذي تحته السم. فقال: بأبي أنت وأمي هذا يجمع العداوة والمكيدة!

= إذا المرخ لم يور تحت العفار وضمن بقدر فلم تعقب

ط: «بعود من مرخ، أو غفار»، ش: «بعود في مرخ أو غفار» وتصحيحه من ل.

(1) كذا الصواب في ل. وفي ط، ش: «يقدر». (2) ل: «وكالمعنى».

(3) ط، ش: «وصفه». (4) ط، ش: «فلم يعرضوا له».

(5) لست أدري الآن من عنى الجاحظ بقوله، ولم أجِد الشعر الذي أشار إليه.

(6) أراد بالعين الثرة: السحابة الغزيرة المطر، وجعل الحديقة كالدرهم في استدارته لا قدره.

(7) ط: «العروبة» والأشبه ما أثبت من ل، ش.

(8) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(9) التوضيح: التخنيث. وفي الحديث: «إن رجلاً من خزاعة يقال له هيت، فيه توضيح» أي تخنيث.

(10) ش: «اليمنى» و«اليسرى». والجناح مذكر. (11) ل: «فيه».

(قصّة لتميمي مع أناس من الأزدي)

وقد كان عندنا أناس من الأزدي، ومعهم ابن حزن⁽¹⁾، وابن حزن هذا عدوي من آل عموج⁽²⁾، وكان يتعصب⁽³⁾ لأصحابه من بني تميم وكانوا على نبذ، فسقط ذباب في قدح بعضهم، فقال له الآخر: غطّ التميمي، ثم سقط آخر في قدح بعضهم، فقال الباقيون⁽⁴⁾: غطّ التميمي! فلمّا كان في الثالثة قال ابن حزن: غطّه فإن كان تميمياً رسب، وإن كان أزدياً طفا. فقال صاحب⁽⁵⁾ المنزل: ما يسرّني أنّه كان نقصكم حرفاً⁽⁶⁾. وإنما عني أنّ أزد عُمان ملاحون.

(ضروب الذبان)

والذبان⁽⁷⁾ ضروب سوى ما ذكرناه⁽⁸⁾ من الفراش والنحل والزنانير. فمنها الشعراء⁽⁹⁾، وقال الراجز:

ذبان شعراء وبيت ماذل⁽¹⁰⁾

وللكلاب ذباب على حدة يتخلّق منها ولا يريد سواها⁽¹¹⁾. ومنها ذبان⁽¹²⁾ الكلاب والرياض. وكل نوع منها يألّف ما خلّق منه. قال أبو النجم:

مستأسد ذبانه في غيطل يقلن للرائد أعشبت انزل⁽¹³⁾

- (1) ط، ش: «حذر» في المواضع الثلاثة. وأثبت ما في ل.
- (2) ط، ش: «عدولي»: نسبة إلى عدولي، بفتح أوله وثانيه وفتح اللام والقصر، وهي قرية بالبحرين تنسب إليها السفن. وأثبت ما في ل. وهو منسوب إلى بني العدوية السالف ذكرهم، وهم من تميم، كما في المعارف 35، و«آل عموج» هي في ط، ش: «أهل تنوخ».
- (3) في الأصل: «يتعصب».
- (4) ل: «بعضهم».
- (5) ل: «رب».
- (6) كذا في ل. وفي ط: «كان قال بعضهم مرقاً»، محرف. وفي ش: «كان قال بعضكم حرفاً».
- (7) الذبان بالكسر: جمع ذباب. ط، ش: «والذباب».
- (8) ل: «ما ذكر».
- (9) الشعراء، بفتح الشين وكسرها، وبالعين المهملة الساكنة: ذباب أزرق، أو أحمر، يقع على الإبل، والحمير، والكلاب، فيؤذيها أذى شديداً، واسمه العلمي: Hippodoscidae.
- (10) «بيت ماذل» كذا في الأصل وسيأتي في ص 208: «وصيف ماذل». وفي نهاية الأرب (10: 299): «ونبت مائل». وقبله:

تذب عنها بأثيث ذائل

- (11) ط، ش: «يخلق منها ولا يريد سواها».
- (12) ط، ش: «ذباب».
- (13) مستأسد: هو من استأسد النبت: إذا بلغ قوى والتف، أراد كثرته وتكاثفه. ويروى: «مستأسد». والغيطل: الشجر الكثير الملتف، وكذلك العشب. وأرجوزة أبي النجم هذه طويلة نادرة، عدة أشطارها 191 شطراً. وقد نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (8: 472-479). سنة 1928، وكان رؤية يسميها: أم الرجز.

(شعرٌ ومثل في طنين الذباب)

والعربُ تسمي طنينَ الذَّبَّانِ والبعوض غناءً . وقال الأخطلُ في صفة الثَّور :
فَرْدًا تُغَنِّيهِ ذَبَّانُ الرِّياضِ كما غَنَّى الغَوَاةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أُسْوَارٍ⁽¹⁾
وقال حَضْرَمِيُّ بن عامرٍ في طنين الذباب :
ما زالَ إهداءُ القَصائِدِ بَيْنَنَا شَتَمَ الصَّدِيقِ وكَثْرَةَ الألقابِ
حَتَّى تَرَكْتَ كَأَنَّ أَمْرَكَ بَيْنَهُمْ في كُلِّ مَجْمَعَةٍ طنينُ ذُبَابٍ⁽²⁾
ويقال : « ما قولِي هذا عندك إِلَّا طنينُ ذُبَابٍ⁽³⁾ » .

(سفاد الذباب وأعمارها)

وللذَّبَابِ وقتٌ تهيج فيه للسَّفاد⁽⁴⁾ ، مع قصر أعمارها . وفي الحديث : « أَنَّ عُمَرَ الذَّبَابِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا » ، ولها أيضًا وقتٌ هَيِج في⁽⁵⁾ أَكْلِ النَّاسِ وَعَضِّهِمْ ، وَشُرْبِ دِمَائِهِمْ . و[إنما يعرض هذا] الذَّبَّانِ في⁽⁶⁾ [البيوت عند قرب أيامها ؛ فَإِنَّ هَلَاكَهَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ وَشِيكًا . والذَّبَّانِ] في وقتٍ من الأوقات من حتوف الإبل والدواب .

(علة شدة عضّ الذباب)

والذَّبَابِ والبَعُوضُ من ذوات الخراطيم ؛ ولذلك اشتدَّ عَضُّها ، وقويَتْ على خَرْقِ الجلودِ الغِلاظِ . وقال الراجز [في وصف البعوضة] :

مثل السَّفَاةِ دائِمٍ طَنِينُها⁽⁷⁾ رَكِبَ في خُرطومِها سَكِينُها

(ذوات الخراطيم)

وقالوا : ذوات الخراطيم من كلِّ شيءٍ أقوى عَضًّا وَنَابًا وَفَكًّا ؛ كالذِّيبِ والخنزيرِ ، والكلبِ . وأمَّا الفيلُ فَإِنَّ خُرطومَه هو أنفه ، كما أَنَّ لكلَّ شيءٍ من الحيوانِ أنفًا ، وهو يده ، ومنه يُعَنِّي⁽⁸⁾ وفيه يجري الصَّوتُ ، كما يُجْري الزَّامِرُ

(1) ط : « فرد » . والصنج ، بالفتح : آلة موسيقية وترية . ط ، ش : « بصبح » ، وهي تصحيف ما أثبت من ل . والأسوار : واحد الأساورة ، وهم قواد الفرس ، أو قوم من العجم نزلوا بالبصرة قديمًا .

(2) ط ، و ثمار القلوب 397 : « في كل مجتمع » .

(3) طنين الذباب ، يضرب المثل به للكلام يستهان ولا يبالي به . ثمار القلوب . في ل : « كطينين ذباب » .

(4) ل : « وقت هيج للسفاد » .

(5) ل : « على » .

(6) زدت هذه الكلمة لحاجة الكلام إليها .

(7) السفاة : واحدة السفا ، وهو شوك البهي والسنبل ، أو كل الشوك . والرجز رواه أبو علي في الأمالي 3 : 129 .

وجاءت روايته عند الديميري : « مثل السفاة دائمًا طنينها » . وانظر 5 : 271 .

(8) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، ش : « يضي » .

الصَّوْتِ فِي الْقَصْبَةِ بِالتَّفْخِ . وَمتى تضاعطَّ الهواءُ صَوَّتَ عَلَى قَدْرِ الضَّعْطِ ، أَوْ عَلَى قَدْرِ الثَّقَبِ^(١) .

(أمثال من الشعر في الذباب)

والذباب : اسم الواحد ، والذَّبَّان : اسم الجماعة ، وإذا أرادوا التَّصْغِيرَ والتَّخْفِيلَ ضربوا بالذَّبَّانِ المثل . قال الشاعر^(٢) :

رَأَيْتُ الْخُبْزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الْخُبْزَ فِي جَوِّ السَّحَابِ
وَمَا رَوْحَتَنَا لِتَذُبَّ عَنَّا وَلَكِنْ خِفْتَ مَرَزِيَةَ الذُّبَابِ^(٣)
وقال آخر^(٤) :

لَمَّا رَأَيْتَ الْقَضْرَ أُغْلِقَ بَابَهُ وَتَعَلَّقْتُ هَمْدَانُ بِالْأَسْبَابِ^(٥)
أَيَقَنْتُ أَنَّ إِمَارَةَ^(٦) ابْنِ مُضَارِبٍ^(٧) لَمْ يَبْقَ مِنْهَا قَيْسُ أَيْرِ^(٨) ذَبَابٍ
قال بعضهم : لم يذهب إلى مقدار أيره^(٩) ، وإنما ذهب إلى مثل قول ابن أحرمر :
مَا كُنْتُ عَنْ قَوْمِي بِمَهْتَضَمٍ^(١٠) لَوْ أَنَّ مَعْصِيَاءَ لَهُ أَمْرٌ
كَلَفْتَنِي مَخَّ^(١١) الْبَعُوضِ فَقَدْ أَقْصَرْتُ لَا نُجْجُ وَلَا عُذْرُ^(١٢)

(١) ل : «السبب» ، وصوابه في ط ، ش .

(٢) هو أبو الشمقمق كما في عيون الأخبار (٢: 36 و 3: 347) ، وجاء في البخلاء 59 : «وكان أبو الشمقمق يعيب في طعام جعفر بن أبي زهير ، وكان له ضيفاً ، وهو مع ذلك يقول» ، وأنشد البيهقي ، كما أعادهما في 106 ، وقد نسب البيت الثاني مع سابق له غير المروي هنا ، إلى أبي الشيص . انظر محاضرات الراغب (١ : 318) ، وإلى أبي نواس كما في المحاسن والأضداد 50 والمحاسن والمساوي (3 : 203) . وهو بدون نسبة في العقد (6 : 191 تأليف) .
(٣) المرزفة ، بفتح الميم والراء الساكنة بعدها زاي مكسورة ؛ من رزأه : أي أصاب منه شيئاً . سهلت الهمزة هنا ، وجاءت بالهمز في البخلاء وديوان المعاني (1 : 187) . ورويت في العقد (4 : 225) : «من دب الذباب» . والدب بالفتح : مصدر دب : مشى على هيئته .

(٤) هو عبد الله بن همام السلولي ، كما سيأتي في (6 : 47) .

(٥) همدان : قبيلة يمنية . ط ، ش : «بالأسلاب» . وأثبت ما في ل والجزء السادس وثمار القلوب 398 .

(٦) ط ، ش : «إثارة» ، وتصحيحه من ل والجزء السادس وثمار القلوب .

(٧) كذا في ل والجزء السادس . ط ، ش : «مجرب» وفي الثمار : «ابني مقرب» .

(٨) قيس ، بالكسر : قدر . والكلمة التي بعدها هي في ط : «بن» ش : «ابن» وتصحيحه من ل والجزء السادس والثمار .

(٩) ط ، ش : «أثره» ، وصوابه في ل والثمار .

(١٠) ل : «بذاهلة» .

(١١) ط ، ش : «متح» وصوابه من ل والثمار . و«كلفتني مخ البعوض» ، مثل يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة . أمثال الميداني (2 : 84) .

(١٢) النجج ، بالضم : النجاح : ط : «ولا غدر» وتصحيحه من ل والثمار .

(ما يَلْعُ من الحيوان وما لا يَلْعُ)

قال: وليس شيء مما يطير يَلْعُ في الدَّم، وإنما يَلْعُ في الدماء من السَّبَّاع ذوات الأربع. وأما الطَّيْرُ فإنَّها تشرب حَسَوًا، أو عَبَّةَ بعد عَبَّةَ، ونُعْبَةً بعد نُعْبَةٍ. وسَبَّاع الطَّيْرُ قليلة الشُّرب للماء، والأسد كذلك. قال أبو زُبَيْد الطائي (1):

تَذُبُّ عَنْهُ كَفُّ بِهَا رَمَقٌ طَيْرًا عَكُوفًا كَزُورِ الْعُرْسِ (2)
إِذَا وَنَى وَنِيَّةَ دَلْفَنٍ لَهُ فَهِنَّ مِنْ وَالِغٍ وَمُنْتَهَسِ (3)

قال: والطَّيْرُ لا تَلْعُ، وإنما يَلْعُ الذباب. وجعله من الطَّيْر، وهو وإن كان يطير فليس ذلك من أسمائه، فإذا قد جاز أن يستعير له اسم الطائر، جاز أن يستعير للطير وَلِغُ السَّبَّاع فيجعل حَسَوًا وَلِغًا، وقال الشاعر:

سراع إلى وَلِغِ الدماءِ رماحهم وفي الحرب والهيِجاءِ أُسْدٌ صَرَاغُمُ (4)

(خَصْلَتَانِ مَحْمُودَتَانِ فِي الذَّبَابِ)

قال: وفي الذباب خَصْلَتَانِ من الخصال المحمودة: أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَقُرْبُ الْحِيلَةِ لَصَرْفِ أَذَاهَا وَدَفْعُ مَكْرُوهِهَا (5)؛ فَمَنْ (6) أَرَادَ إِخْرَاجَهَا مِنَ الْبَيْتِ فَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ عَلَى الْمَقْدَارِ الْأَوَّلِ مِنَ الضَّيَاءِ وَالْكِنِّ (7) [بعد إِخْرَاجِهَا] مع السَّلَامَةِ مِنَ التَّأْذِي بِالذَّبَابِ - إِلَّا أَنْ يُغْلَقَ الْبَابُ، فَإِنَّهُمْ يَتَبَادَرُونَ إِلَى الْخُرُوجِ، وَيَتَسَابَقُونَ فِي طَلَبِ الضَّوِّ وَالْهَرَبِ مِنَ الظُّلْمَةِ، فَإِذَا أُرْخِيَ السِّتْرُ وَفُتِحَ الْبَابُ عَادَ الضَّوُّ وَسَلِمَ أَهْلُهُ مِنْ مَكْرُوهِ الذَّبَابِ. فَإِنْ كَانَ فِي الْبَابِ شَقٌّ (8)، وَإِلَّا جَافَى الْمَغْلُقُ أَحَدَ الْبَابَيْنِ عَنْ صَاحِبِهِ (9) وَلَمْ يَطْبِقْهُ [عليه] (10) إطباقًا. وربما خرَّجَ من الفتح الذي يكون بين أسفل الباب والعتبة. والحيلة في إِخْرَاجِهَا وَالسَّلَامَةِ مِنْ أَذَاهَا يَسِيرَةٌ (11)،

(1) تقدمت ترجمته في (2: 153).

(2) يقول: إن كفه التي بها بقية من حياة، تدفع الذباب التي تحاول أن تظل عاكفة عليه مقيمة؛ لتأكل منه. وهي في تجمعها كأنه زور العرس قد اجتمعوا له. والعرس: وليمة الزواج، وقد ضم الراء للشعر. والزور: جمع زائر. وهذا تمثيل جيد بارع. ط: «كذود» وأراها تصحيفًا. والبيتان في صفة أسد صريع، كما في الأغاني 26: 11 حيث تجد القصيدة. وأنشدهما ابن الشجري في حماسته ص 273.

(3) ونى: أبطأ، أي عن ذب تلك الطيور ودفعها. دلف: مشى مشية المقيد.

(4) ل: «سريع» س: «سود ضراغم» ويصح إذا قصرت «الهيِجاء» وتكون صحة كتابتها على هذا الوجه: «والهيِجاء أسود ضراغم».

(5) ط: «مكروها» وصوابه في ل، ش.

(6) ل: «لمن».

(7) الكن بالكسر: الستر. ط، ش: «ولكن»، والوجه ما أثبت من ل.

(8) لم يذكر الجواب.

(9) ط، ش: «وإلا جاء في المغلق أحد - س: إحدى - البابين من صاحبه» وتصحيحه من ل. وجافي: أبعد.

(10) الزيادة من ش.

(11) ط، ش: «يسير» وتصحيحه من ل.

وليس كذلك البعوض؛ لأنَّ البعوضَ إنما يشتدُّ أذاه، ويقوى سلطانه، ويشتدُّ كَلْبُهُ ⁽¹⁾ في الظلمة، كما يقوى سلطان الذباب ⁽²⁾ في الضياء، وليس يمكنُ النَّاسَ أنْ يدخلوا منازلهم من الضِّياء ما يمنعُ عملَ البعوض؛ لأنَّ ذلك لا يكون إلا بإدخال الشَّمْسِ، والبعوض لا يكون إلا في الصَّيْف، وشمسُ الصَّيْفِ لا صَبْرَ عليها. وليس في الأرضِ ضياءٌ انفصلَ من الشمس إلا ومعه نصيبه من الحرِّ، وقد يفارق الحرُّ الضياءَ ⁽³⁾ في بعض المواضع، والضياء لا يفارق الحرَّ في مكانٍ من الأماكن. فإمكان الحيلة في الذباب يسير، وفي البعوض عسير!

والفضيلةُ الأخرى: أنه لولا أن الذَّبابَ تأكل البَعُوضَة [و] تطلبها وتلتمسها على وجوه حيطان البيوت، وفي الزوايا، لما كان لأهلها فيها قرار!

(الحكمة في الذباب)

وذكر محمد بن الجهم - فيما خبرني عنه بعض الثقات - أنه قال لهم ذات يوم: هل تعرفون الحكم التي استفدناها في الذباب ⁽⁴⁾؟ قالوا: لا.

قال: بلى، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتفنيه ⁽⁵⁾: وذلك أني كنت أريد القائلة ⁽⁶⁾، فأمرتُ بإخراج الذباب وطرح السِّتر وإغلاق الباب ⁽⁷⁾ قبل ذلك بساعة. فإذا خرجن حصل في البيت البعوض، في سلطان البعوض ⁽⁸⁾ و[موضع] قوته. فكنتُ أدخلُ إلى القائلة فيأكلني البعوض أكلًا شديدًا. فأتيتُ ذات يوم المنزل في وقت القائلة، فإذا ذلك البيت مفتوح، والسترُ مرفوع، وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك في يومهم، فلما اضطجعتُ للقائلة لم أجد من البعوض شيئًا ⁽⁹⁾ وقد كان غضبي اشتدَّ على الغلمان ⁽¹⁰⁾، فنمتُ في عافية. فلما كان من الغد عاودوا إلى إغلاق الباب وإخراج الذباب، فدخلتُ ألتمسُ القائلة، فإذا البعوض كثير. ثم أغفلوا ⁽¹¹⁾ إغلاق الباب يومًا آخر، فلما رأيتُه مفتوحًا شتمتهم فلما صرت إلى القائلة لم أجد بعوضة واحدة، فقلت في نفسي [عند ذلك]: أراني قد نمتُ في يومي [الإغفال والتضييع، وامتنع مني النوم في أيام التحفظ والاحتباس]. فلم لا أجربُ ترك إغلاق الباب في يومي هذا. فإن نمتُ ⁽¹²⁾ ثلاثة أيام ⁽¹³⁾ لا ألقى من البعوض أدنى مع فتح الباب، علمتُ أن الصواب في

(1) كلبه، بالتحريك: شدة رغبته في العض.

(2) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

(3) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

(4) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

(5) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

(6) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

(7) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

(8) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

(9) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

(10) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

(11) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

(12) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

(13) ط: «أيضًا»، وتصحيحه من ل، ش.

الجمع بين الذَّبَانِ و[بين⁽¹⁾] البعوض؛ فَإِنَّ الذَّبَانَ [هي التي] تُفنيه⁽²⁾، وَأَنَّ صَلَاحَ أَمْرنا فِي تَقْرِيبِ مَا كُنَّا نَبَاعِدُ. ففَعَلْتُ ذَلِكَ، فَإِذَا الأَمْرُ قَدْ تَمَّ. فَصَرْنَا إِذَا⁽³⁾ أَرَدْنَا إِخْرَاجَ الذَّبَانَ أَخْرَجْنَاهَا بِأَيْسَرِ حِيلَةٍ، وَإِذَا أَرَدْنَا إِفْنَاءَ البَعُوضِ أَفْنَيْنَاهَا [على أيدي الذَّبَانَ بِأَيْسَرِ حِيلَةٍ]. فَهَاتَانِ حَصْلَتَانِ مِنْ مَنَاقِبِ الذَّبَانَ.

(طَبَّ القَوَابِلِ والعَجَائِزِ)

وكان محمد بن الجهم⁽⁴⁾ يقول: لا تتهاونوا بكثير ممَّا تَرَوْنَ⁽⁵⁾ من علاج القوابل والعجائز، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا وَقَعَ إِلَيْهِنَّ⁽⁶⁾ مِنْ قَدَمَاءِ الأَطْبَاءِ؛ كَالذَّبَانَ يُلْقَى فِي الإِثْمِدِ وَيَسْحَقُ مَعَهُ، فَيَزِيدُ [ذلك⁽⁷⁾] فِي نُورِ البَصَرِ، وَنَفَاذِ⁽⁸⁾ النِّظَرِ، وَفِي تَشْدِيدِ⁽⁹⁾ مَرَاكِزِ [شعر⁽¹⁰⁾] الأَشْفَارِ⁽¹¹⁾ فِي حَافَاتِ الجُفُونِ.

(نَفْعُ دَوَامِ النِّظَرِ إِلَى الخُضْرَةِ)

وَقُلْتُ لَهُ مَرَّةً: قِيلَ لِمَاسَرَجَوِيهِ: مَا بَالُ الأَكْرَةِ⁽¹²⁾ وَسُكَّانِ البَسَاتِينِ، مَعَ أَكْلِهِمُ الكَرَاثِ وَالتَّمْرِ، وَشَرِبِهِمُ مَاءَ السَّوَاقي عَلَى المَالِحِ⁽¹³⁾ أَقَلَّ النَّاسِ خُفْشَانًا [وعَمِيَانًا] وَعُغْمَشَانًا⁽¹⁴⁾ وَعُورًا؟ قَالَ: إِنِّي فَكَّرْتُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ أَجِدْ لَهُ عِلَّةً إِلَّا طَوْلَ وَقُوعِ أَبْصَارِهِمْ عَلَى الخُضْرَةِ.

(مَنْ لَا يَتَقَرَّرُ مِنَ الذَّبَانَ والزَّنَابِيرِ والدُّودِ)

قَالَ ابْنُ الجَهِمِ: وَمَنْ أَهْلُ السُّفَالَةِ⁽¹⁵⁾ نَاسٌ يَأْكُلُونَ الذَّبَانَ، [وَهُمْ] لَا يَرْمِدُونَ. وَلَيْسَ لِذَلِكَ أَكْلُوهُ⁽¹⁶⁾ وَإِنَّمَا هُمْ كَأَهْلِ خُرَاسَانَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ فَرَاحَ الزَّنَابِيرِ، وَالزَّنَابِيرِ ذِبَانَ، وَأَصْحَابِ الجَبَنِ الرُّطْبِ يَأْخُذُونَ الجَبْنَةَ الَّتِي قَدْ نَغَلَتْ⁽¹⁷⁾ دُودًا، فَيَنْكُتُهَا [أَحْذَهُمْ⁽¹⁸⁾] حَتَّى يَخْرُجَ مَا فِيهَا مِنَ الدُّودِ فِي رَاحَتِهِ، ثُمَّ يَقْمَحُهَا كَمَا يَقْمَحُ السَّوِيقَ⁽¹⁹⁾، وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ:

- (1) مَنْ ش. (2) كَذَا فِي ل. وَفِي ط، ش: «يَفْنِيهِ».
- (3) ط، ش: «إِنْ».
- (4) ل: «وَكَانَ ابْنُ الْجَهْمِ».
- (5) ط: «تَرِيدُونَ» وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل، ش وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ (104: 2) وَالْعَقْدُ (245: 6).
- (6) ط، ش: «إِلَيْهِمْ»، وَهِيَ عَلَى الصَّوَابِ فِي ل وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ.
- (7) مِنْ ل وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ.
- (8) كَذَا فِي ل وَعِيُونَ الْأَخْبَارِ. وَفِي ط، ش: «وَيَقْوَى».
- (9) ط، ش: «وَيَشْدُ».
- (10) مِنْ ل، ش.
- (11) الْأَشْفَارُ جَمْعُ شَفْرِ بِالضَّمِّ، وَيُفْتَحُ، وَهُوَ أَصْلُ مَنبَتِ الشَّعْرِ فِي الْجَفْنِ.
- (12) الْأَكْرَةُ: جَمْعُ أَكَارٍ، وَهِيَ الْحَرَاثُ.
- (13) كَذَا. وَفِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ (108: 2): «وَشَرِبَهُمُ الْمَاءَ الْحَارَّ عَلَى السَّمَكِ الْمَالِحِ».
- (14) الْأَخْفَشُ: الضَّيْقُ الْعَيْنِينَ، أَوْ الَّذِي ضَعْفَ بَصَرِهِ خَلْقَةً، أَوْ الَّذِي فَسَدَ جَفْنُهُ بِلَا وَجْعٍ، ط، ش: «خَفْشَانَا وَعَشْيَانَا». وَالْأَعْشَى: الَّذِي لَا يَبْصُرُ لَيْلًا.
- (15) السُّفَالَةُ، بِالضَّمِّ مِنْ بِلَادِ الزَّنَجِ.
- (16) ط: «أَكَلُوا».
- (17) نَغَلَتْ: فَسَدَتْ.
- (18) لَيْسَتْ بِالْأَصْلِ، وَالْكَلَامُ فِي حَاجَةِ إِلَيْهَا.
- (19) قَمَحَ السَّوِيقَ، كَفَرَحَ: اسْتَفْهَ. وَالْكَلَامُ مِنْ: «يَأْخُذُونَ» إِلَى هُنَا، سَاقَطَ مِنْ ل.

ليت أَنَّهُمْ دفعوا إليَّ نصيبي من الذبان ضربة واحدة، بشرط أن أكله لراحة الأبد منها⁽¹⁾. وكان كما زعموا⁽²⁾ شديد التقذر لها [والتقزُر]⁽³⁾ منها.

(دعوتان طريفتان لأحد القصاص)

وقال ثمامة: تساقط⁽⁴⁾ الذبان في مرق بعض القصاص وعلى وجهه فقال: كثر الله بكن القبور! وحكى ثمامة عن هذا القاص أنه سمعه بعبادان⁽⁵⁾ يقول في قصصه: اللهم من علينا بالشهادة، وعلى جميع المسلمين!

(قصة في عمر الذباب)

وقال لي المكي مرة: إنما عُمر الذبان أربعون يوماً. قلت⁽⁶⁾: هكذا جاء في الأثر. وكنا يومئذ بواسط في أيام العسكر⁽⁷⁾ وليس بعد أرض الهند أكثر ذباباً من واسط، ولربما رأيت الحائط وكأنَّ عليه مسحاً⁽⁸⁾ شديد السواد من كثرة ما عليه من⁽⁹⁾ الذبان. فقلت للمكي: أحسب الذبان يموت⁽¹⁰⁾ في كل أربعين يوماً، وإن شئت فني⁽¹¹⁾ أكثر، وإن شئت فني أقل. ونحن كما ترى ندوسها بأرجلنا، ونحن هاهنا مقيمون من أكثر من أربعين يوماً⁽¹²⁾، بل منذ أشهر [وأشهر]، وما رأينا ذباباً واحداً ميتاً. فلو كان الأمر على ذلك لرأينا الموتى كما رأينا الأحياء. قال: إن الذبابة إذا أرادت أن تموت ذهبَتْ إلى بعض الخربات⁽¹³⁾. قلت: فإننا قد دخلنا كل خربة⁽¹⁴⁾ في الدنيا، ما رأينا فيها قط ذباباً ميتاً.

(1) ضمير «آكله» للنصيب، وضمير «منها» للذبان، ل: «منه» والتذكير والتأنيث جائزان.

(2) ل: «وكان زعموا».

(3) هذه من ش. وكلمة «لها» ساقطة من ل.

(4) كذا في ل والبيان (317:2) وفي ط، ش والعقد (200:4): «وقع».

(5) عبادان: جزيرة في دجلة، قرب مصبها. وفي العقد: «بيغداد».

(6) كذا في ل. وفي ط، ش: «أربعين»، ولا تصح هذه إلا بجعل «عمر» فعلاً.

(7) ل: «العساكر». وانظر ما ورد في ص 187.

(8) المسح، بالكسر: الكساء من الشعر، جمعه أمساح ومسوح. قال أبو ذؤيب:

ثم شربن بنبط والجمال كأ ن الرشح منهن بالآباط أمساح

(9) ط، ش: «من كثرة الذبان الذي عليه».

(10) ل: «أحسب أن الذبابة تموت».

(11) ط، ش: «في».

(12) ط، ش: «منذ أربعين يوماً».

(13) الخربات: جمع خربة، كفرحة، وهي موضع الخراب. ط، ش: «الحزائب» وصوابه ما أثبت. ل: «الخرابات»، ولم أر هذا الجمع ولا مفرده.

(14) ط، ش: «خربة»، وهي على الصواب في ل.

(المَكِّي)

وكان المَكِّي طيباً⁽¹⁾ طيب الحُجَج، ظريف الحِيل⁽²⁾، عجيب العلل، وكان يدَّعي كلَّ شيءٍ على غاية الإحكام، ولم يُحَكِّمْ شيئاً قطُّ، [لا] من الجليل ولا من الدقيق. وإذ قد جرى ذكره فسأحدثك ببعض أحاديثه، وأخبرك عن بعض علله؛ لِتَلَهَّى⁽³⁾ بها ساعة، ثمَّ نعود إلى [بقية] ذكر الدُّبَّان.

(نَوادر للمكِّي)

ادَّعى هذا المَكِّي البَصَرَ بالبراذين، ونظرَ إلى بردون واقف، قد ألقى صاحبه [في] فيه اللِّجام، فرأى فأس اللِّجام⁽⁴⁾ وأين بَلَغَ منه، فقال لي: العجب! كيف لا يذُرُّه القيء، وأنا لو أدخلت إصبعي [الصغرى] في حلقي لما بقيَ في جوفي شيءٌ إلاَّ خرج؟! قلت: الآن علمتُ أنَّكَ تُبْصِر⁽⁵⁾! ثمَّ مكث البردُون ساعةً يلوِّكُ لجامه، فأقبل عليَّ فقال لي: كيف لا يبرُدُ أسنانه؟! قلت: إنما يكون [علم هذا] عند البصراءِ مثلك! ثمَّ رأى البردُونُ كلَّما لآك اللِّجام والحديدة⁽⁶⁾ سال لعابه على الأرض فأقبل عليَّ وقال: لولا أنَّ البردُونُ أَفْسَدَ الخلق عقلاً لكان ذهنه قد صفأ⁽⁷⁾! قلت له: قد كنت أشك في بَصْرِكَ بالدُّوَابِّ، فأما بعدَ هذا فلسْتُ أشكُ فيه! وقلت له مرَّةً ونحن في طريق بغداد: ما بال الفرَسَخ في هذه الطريق يكون فرسخين، والفرسخ يكون أقلَّ من مقدار نصف فرسخ؟! ففكَّر طويلاً ثمَّ قال: كان كِسْرَى يُقَطِّعُ للنَّاسِ الفراسخ، فإذا صانَعَ صاحب القطيعة زادوه، وإذا لم يصانِعْ نقصوه! وقلت له مرَّةً: علمتُ أنَّ الشاري⁽⁸⁾ حدَّثني أنَّ المخلوع⁽⁹⁾ بعث إلى المأمونٍ بجراب فيه سمسم؛ كأنَّه يخبرُ أنَّ عنده من الجند بعدد ذلك [الحب] وأنَّ المأمونَ بعث إليه بديك أعور، يريد أنَّ طاهر بن الحسين⁽¹⁰⁾ يقتلُ هؤلاء كلَّهم، كما يلقط الديك الحبَّ! قال: فإنَّ هذا الحديث أنا ولدتَه. ولكن انظرُ كيف سار في الآفاق؟! وأحاديثه وأعاجيبه كثيرة.

(1) طيباً، أي ظريفاً فكها، وانظر هذا الجزء ص3، ش: «طيباً».

(2) ل: «كثير الحيل». (3) ل: «لتلهي»، وحذف التاء في مثل هذا جائز.

(4) فأس اللجام: الحديدة القائمة في الحنك. (5) ل: «يصير».

(6) لآكه يلوِّكه لوكاً: عضه. ل: «كلما لآك الحديدة».

(7) كذا في ل. وفي ط، ش: «فقال لي إن البردُون أَفْسَدَ الخلق عقلاً، ولولا ذلك لكان ذهنه قد صفى».

(8) ل: «السيارى».

(9) المخلوع هو محمد الأمين بن هارون الرشيد، وهو أخو المأمون.

(10) طاهر بن الحسين، كان الساعد الأيمن للمأمون، ولما خلع المأمون بيعة أخيه الأمين أرسل طاهراً إلى محاربته، فوجه الأمين على بن عيسى لملاقة طاهر، فلقية بالري فقتله طاهر سنة 195، وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد وحاصر بغداد والأمين بها، فقتله سنة 198، وحمل رأسه إلى خراسان ووضعه بين يدي المأمون، وعقد للمأمون على الخلافة. ولد طاهر سنة 159 وتوفى سنة 207، وكانت له عين واحدة، ففي ذلك يقول عمرو بن بانة:

يا ذا اليمينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائدة

(معارف في الذباب)

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلِ إِلَى صِلَةِ كَلَامِنَا فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الذَّبَّانِ . فَأَمَّا سَكَانُ بِلَادِ الْهِنْدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَطْبُخُونَ قِدْرًا ، وَلَا يَعْمَلُونَ حَلْوَى ⁽¹⁾ وَلَا يَكَادُونَ يَأْكُلُونَ إِلَّا لَيْلًا ؛ لِمَا يَتَهَاوَتْ مِنَ الذَّبَّانِ فِي طَعَامِهِمْ . وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَفْنِ التُّرْبَةِ وَلَخْنِ الْهَوَاءِ . وَلِلذَّبَّانِ يَعَاسِيْبٌ وَجِحْلَانٌ ⁽²⁾ ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهَا قَائِدٌ وَلَا أَمِيرٌ . وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ الَّتِي يَحْرُسُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَتَّخِذُ رِئِيسًا يَدَبِّرُهَا وَيَحُوطُهَا ، إِنَّمَا أَخْرَجَ ⁽³⁾ ذَلِكَ مِنْهَا الْعَقْلَ دُونَ الطَّبْعِ ، وَكَالشَّيْءِ يَخْصُصُ بِهِ الْبَعْضُ دُونَ الْكُلِّ ⁽⁴⁾ - لَكَانَ الذَّرُّ [وَالْتَّمُلُ] أَحَقَّ بِذَلِكَ مِنَ الْكِرَاكِيِّ وَالْغِرَانِيقِ ⁽⁵⁾ وَالثَّيْرَانِ ، وَلَكَانَ الْفِيلُ أَحَقَّ بِهِ مِنَ الْبَعِيرِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلذَّرِّ قَائِدٌ وَلَا حَارِسٌ ، وَلَا يَعْسُوبٌ يَجْمَعُهَا وَيَحْمِيهَا بَعْضُ الْمَوَاضِعِ ، وَيُورِدُهَا بَعْضًا . وَكُلُّ قَائِدٍ فَهُوَ يَعْسُوبٌ ذَلِكَ الْجَنْسِ الْمَقُودُ . وَهَذَا الْأَسْمُ مُسْتَعَارٌ مِنْ فَحْلِ النَّحْلِ وَأَمِيرِ الْعَسَالَاتِ ⁽⁶⁾ . وَقَالَ الشَّاعِرُ ⁽⁷⁾ وَهُوَ يَعْنِي الثَّوْرَ :

كَمَا ضَرَبَ الْيَعْسُوبُ إِذْ عَافَ بِاقِرٍّ وَمَا ذَنْبُهُ إِذْ عَافَتِ الْمَاءَ بِاقِرٍّ

وَكَمَا قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي صَلَاحِ الزَّمَانِ ⁽⁸⁾ وَفَسَادِهِ : «إِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرْبُ يَعْسُوبٍ الدِّينَ بِذَنْبِهِ» ⁽⁹⁾ .

وَعَلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى قَالَ حِينَ مَرَّ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابٍ [بْنِ أَسِيدٍ] ⁽¹⁰⁾ قَتِيلًا يَوْمَ الْجَمَلِ : «لَهْنِي عَلَيْكَ يَعْسُوبُ قَرِيشٍ ! جَدَعْتَ أَنْفِي وَشَقَيْتَ نَفْسِي !» .
قَالُوا : وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى قِيلَ : «يَعْسُوبُ الطُّفَاوَةِ» ⁽¹¹⁾ .

- (1) فِي الْأَصْلِ : «الْحَلْوَى» ، وَإِنَّمَا هِيَ «الْحَلْوَى» تَقْصُرُ وَتَمُدُّ .
- (2) الْجِحْلَانُ ، بِتَقْدِيمِ الْجِيمِ الْمَكْسُورَةِ عَلَى الْحَاءِ : جَمْعُ جَحْلٍ بِالْفَتْحِ ، وَهُوَ الْعَظِيمُ مِنَ الْيَعَاسِيْبِ ، وَالْيَعَاسِيْبُ هِيَ كِبَارُ الذَّبَابِ كَمَا نَقَلَ الدِّمِيرِيُّ عَنِ الْجَاحِظِ . وَلَفْظُ «الْجِحْلَانِ» جَاءَ فِي الْأَصْلِ بِتَقْدِيمِ الْحَاءِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
- (3) ل ، ش : «خَرَجَ» .
- (4) ل : «دُونَ الْبَعْضِ» ، وَمَوْدَى الْعِبَارَتَيْنِ وَاحِدٌ .
- (5) الْغِرَانِيقُ : جَمْعُ غَرْنِيقٍ ، بَضْمُ الْغَيْنِ وَفَتْحُ النُّونِ ، وَهُوَ طَائِرٌ أَبْيَضٌ طَوِيلُ الْعُنُقِ مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ ، وَيُطْلَقُ فِي الْعِرَاقِ عَلَى مَا يَسْمَى بِالْإِوزِ الْعِرَاقِيِّ .
- (6) الْعَسَالَاتُ : النَّحْلُ الَّتِي تَخْرُجُ الْعَسَلُ .
- (7) هُوَ الْهَيْبَانُ الْفَهْمِيُّ ، كَمَا سَبَقَ فِي (1 : 46) .
- (8) ط ، ش : «الذَّبَّانِ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ طَيِّبٌ ، صَوَابُهُ فِي ل .
- (9) يَعْسُوبُ الدِّينِ : سَيِّدُ النَّاسِ وَرِئِيسُهُمْ فِي الدِّينِ . وَضَرْبٌ ، أَيْ ضَرْبٌ فِي الْأَرْضِ مُسَافِرًا أَوْ مُجَاهِدًا . وَبِذَنْبِهِ أَيْ أَتْبَاعُهُ الَّذِي يَتَّبِعُونَهُ عَلَى رَأْيِهِ . وَلِلْعِبَارَةِ مَعَانٍ أُخْرَى تَكْفُلُ بِهَا صَاحِبُ اللِّسَانِ .
- (10) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَتَّابٍ ، أَحَدُ الرُّوَاةِ الَّذِينَ وَلَدُوا فِي آخِرِ عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ ، وَقَدْ شَهِدَ وَقْعَةَ الْجَمَلِ مَعَ عَائِشَةَ ، وَالتَّمَى هُوَ وَالْأَشْتَرُ فَقَتَلَهُ الْأَشْتَرُ ، وَقِيلَ قَتَلَهُ جَنْدُبُ بْنُ زُهَيْرٍ وَرَأَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ قَتِيلٌ فَقَالَ مَا قَالَ .
- (11) الْإِصَابَةُ 6220 وَالْمَعَارِفُ 123 ، وَ«أَسِيدٌ» ضَبُطٌ فِي الْإِصَابَةِ 50383 وَالْإِصَابَةُ 78 ، بِتَحْقِيقِنَا بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ . قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : «وَأَسِيدٌ : فَعِيلٌ مِنْ قَوْلِهِمْ أَسَدٌ يَأْسُدُ أَسْدًا إِذَا صَارَ كَالْأَسَدِ . وَفِي اللِّسَانِ (عَسِبَ) بِضَمِّهَا عَلَى هَيْئَةِ التَّصْغِيرِ ، تَحْرِيفٌ .
- (11) الطُّفَاوَةُ ، بِالضَّمِّ ؛ حَيٍّ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ . وَلَيْتَ شَعْرِي مِنْ سَمِي بِهَذَا اللَّقَبِ .

(أقدر الحيوان)

وزعم بعض الحكماء أنه لا ينبغي أن يكون في الأرض شيء من الأشياء أنثن من العذرة، فكذا لا شيء أقدر من الذبان والقمل . . وأما العذرة فلو لا أنها كذلك لكان الإنسان مع طول رؤيته لها، وكثرة شمه لها من نفسه في كل يوم صباحاً ومساءً، لقد كان ينبغي أن يكون قد ذهب تقدره له على الأيام⁽¹⁾، أو تمحق⁽²⁾، أو دخله⁽³⁾ النقص . فثباتها ستين عاماً وأكثر وأقل على مقدار واحد [من التثني] في أنف الرجل، ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك⁽⁴⁾، وقد رأينا الميران⁽⁵⁾ والعادات وصنيعها في الطبائع، وكيف تهون الشديد، وتقلل الكثير . فلو لا أنها فوق كل شيء من التثني، لما ثبتت هذا الثبات، ولعرض لها ما يعرض لسائر التثني . وبعد : فلو كان إنما يشم شيئاً خرج من جوف غيره ولم يخرج من جوف نفسه، لكان ذلك أشبه . فإذا قد ثبت في أنفه على هذا المقدار⁽⁶⁾، وهو منه دون غيره، وحتى صار يجده أنثن من رجيع [جميع] الأجناس - فليس ذلك إلا لما قد خص به من المكروه .

وكذلك القول في القمل الذي إنما يخلق من عرق الإنسان، ومن رائحته، ووسخ جلده، وبخار بدنه . وكذلك الذبان المخالطة لهم في جميع الحالات، والملايسة لهم دون جميع الهوام والهمج والطير والبهائم والسباع حتى تكون ألزم من كل ملازم، وأقرب من كل قريب؛ حتى ما يمتنع عليه شيء من بدن الإنسان، ولا من ثوبه، ولا من طعامه، ولا من شرابه، [حتى لزمه لزوماً] لم يلزمه شيء⁽⁷⁾ قط كلزومه، حتى إنه يسافر السفر البعيد من مواضع الخصب، فيقطع البراري والقفار التي ليس فيها ولا بقربها نبات ولا ماء ولا حيوان، ثم مع ذلك يتوخم عند الحاجة إلى الغائط في تلك البرية أن يفارق أصحابه، فيتباعد في الأرض، وفي صحراء خلقاء⁽⁸⁾، فإذا تبرر فمتى وقع بصره على برازه رأي الذبان ساقطاً عليه . فقبل ذلك ما كان يراه . فإن كان الذباب شيئاً يتخلق له في تلك الساعة فهذه أعجب مما رآه ومما أردنا⁽⁹⁾، وأكثر ممّا قلنا . وإن كان قد كان ساقطاً على الصخور الملس، والبقاع الجرد، في اليوم القاطئ، وفي الهاجرة التي تسوي كل شيء، وينتظر مجيئه - فهذه أعجب ممّا قلنا . وإن كانت قد تبعته من الأمصار، إما طائفة⁽¹⁰⁾ معه، وإما ساقطة عليه، فلما تبرر انتقلت عنه

(1) ط، ش : «أن يكون ذلك قد أذهب تقدره له على الأيام» . ل : «أن يكون ذلك قد ذهب على الأيام» . وقد عدلت القول بما ترى .

(2) تمحق : امحى وذهب . ط، ش : «يمحق»، وأثبت ما في ل .

(3) ط، ش : «يدخله» . (4) ل : «في أنف من وجده ألف عام كذلك» .

(5) لم أر الميران بمعنى التعود والإلف . ووجدته مصدرًا لما رنت الناقة مرانًا، إذا ظهر أنها قد لقحت ولم يكن بها لقاح . وأما المعنى الأول فلفظه المرون والمرونة والمرانة . ط، ش : «المرات» تحريف .

(6) ط، ش : «على هذا المقدار من التثني» . (7) ط، ش : «ولا من شرابه لم يلزم شيئاً»، وله وجه .

(8) الخلقاء : المصمتة التي لا نبت فيها، الملساء . ل : «صخرة ملساء» .

(9) ط فقط : أردناه . ل : «أعجب مما أردنا» .

(10) ط، ش : «سائرة» . والوجه ما أثبت من ل .

إلى برازه، فهذا تحقيق لقولنا إنه لا يلزم الإنسان شيء لزوم الذباب؛ لأن العصافير، والخطاطيف، والزراير، والسنانير، والكلاب وكل شيء يألف الناس، فهو يقيم مع الناس. فإذا مضى الإنسان في سفره، فصار كالمستوحش⁽¹⁾، وكالتازل بالقفار، فكل شيء أهلي يألف الناس فإنما هو مقيم على [مثل] ما كان من إلفه لهم، لا يتبعهم من دور الناس إلى منازل الوحش؛ إلا الذبان.

قال: فإذا كان الإنسان يستقذر الذبان في مرقه وفي طعامه هذا الاستقذار، ويستقذر القمل مع محله من القرابة والنسبة هذا الاستقذار فمعلوم أن ذلك لم يكن إلا لما خُص به من القدر. وإلا فبدون هذه القرابة وهذه الملازمة، تطيب الأنفس عن كثير من المحبوب.

(إلحاح الذباب)

قال: وفي الذبان خبر آخر: وذلك أنه ربما تعودن المبيت على خوص فسيلة وأقلا بها⁽²⁾ من فسائل الدور، أو شجرة، أو كيلة⁽³⁾، [أو] باب، أو سقف بيت، فيطردن إذا اجتمعن لوقتهن عند المساء⁽⁴⁾ ليلتين أو ثلاث ليالٍ، فيتفرقن أو يهجرن ذلك المكان في المستقبل، وإن كان ذلك المكان قريباً، وهو لهن معرض، ثم لا يدعن أن يلتصقن مبيتاً غيره. ولا يعرض لهن من اللجاج في مثل ذلك، مثل الذي يعرض لهن من كثرة الرجوع إلى العينين والأنف بعد الذب والطرد، وبعد الاجتهاد في ذلك.

(أذى الذباب ونحوها)

وقال محمد بن حرب⁽⁵⁾: ينبغي أن يكون الذبان سماً ناقعاً؛ لأن كل شيء يشتد أذاه باللمس من غيره، فهو بالمداخلة والملابسة أجدر أن يؤذى. وهذه الأفاعي والثعابين والجرارات⁽⁶⁾ قد تمس جلودها ناس فلا تضرهم⁽⁷⁾ إلا بأن تلبس إبرة العقرب، وناب الأفعى الدم. [ونحن] قد نجد الرجل يدخل في حرق أنفه ذباباً، فيجول في أوله من غير أن يجاوز [ما حاذى] روثه أنفه وأرنبته⁽⁸⁾ فيخرجه الإنسان من جوف أنفه بالتفخ وشدة النفس ولم يكن

(1) المستوحش: ضد المستأنس. ط ش: «كالمستوحش».

(2) الفسيلة ككريمة: النخلة الصغيرة. والأقلا ب: جمع قلب، بالضم، وهو شحمة النخلة أو أجود خوصها.

(3) الكيلة، بالكسر: الستر الرقيق، والعشاء الرقيق يتوفى به من البعوض. ط، ش: «أوبلة».

(4) ط، ش: «العشاء».

(5) هو أبو علي محمد بن حرب الهلالي، كان من أعلام متكلمي الخوارج، وكان من البلغاء الأبياء، وكتب للأمين. انظر الفهرست 258، 182، وقد روى عنه الجاحظ في غير ما موضع من البيان.

(6) الجرارات: ضرب من العقارب صغار تجرر أذناها، وهن أشد العقارب فتكاً. ط، ش: «والجرار»، وهي على الصواب في ل.

(7) ط: «ولا تضرهم» محرفة.

(8) روثه الأنف: طرف الأرنبة. والأرنبة: طرف الأنف. ط، ش: «روث أنفه»، وصحته في ل.

له هنالك لُبْتُ، ولا كان منه عَضٌّ، وليس إلّا ما مَسَّ⁽¹⁾ بقوائمه وأطراف جناحيه، فيقع [في⁽²⁾] ذلك المكان من أنفه، من الدَغْدَغَةِ والأُكَالِ⁽³⁾ والحِكَّةِ، ما لا يصنع الخَرْدَلُ⁽⁴⁾ وبَصَلُ التَّرْجِسِ، ولَبْنُ التَّيْنِ. فليس يكون ذلك منه إلّا وفي طبعه من مضادّة طباع الإنسان ما لا يبلغه مضادّة شيء وإن أفرط.

قال: وليس الشَّانُ في أنّه لم ينخُسْ⁽⁵⁾، ولم يجرح، ولم يخزْ⁽⁶⁾ ولم يعضّ، ولم [يغمز]، ولم يخدش. وإنّما هو على قدر منافرة الطَّبَاعِ للطَّبَاعِ، وعلى قدر القرابة والمشاكلة.

(الأصوات المكروهة)

[و] قد نجد الإنسان يغمّ بَتَنَقُضٍ⁽⁷⁾ الفتيلة وصوتها عند قرب انطفاء النار، [أ] ولبعض البَلَلِ يكون قد خالط الفتيلة، ولا يكون الصوت بالشَّدِيدِ⁽⁸⁾، ولكن الغتَمَ به، والتكره له، يكون في مقدار ما يعتريه من أشد الأصوات. ومن ذلك المكروه الذي يدخل على الإنسان من غَطِيطِ النَّائِمِ، وليست تلك الكراهة لعلّة الشدّة والصلابة، ولكن من قِبَلِ الصُّورَةِ والمقدار، إن لم يكن من قبل الجنس⁽⁹⁾، وكذلك صوت احتكاك الآجُرِّ الجديد ببعضه ببعض، وكذلك شجر الآجَامِ على الأجراف⁽¹⁰⁾؛ فإنّ النفس تكرهه كما تكره صوت الصّاعقة. ولو كان على ثقة من السلامة من الاحتراق، لَمَا احتفل بالصّاعقة ذلك الاحتفال. ولعلّ ذلك الصوت وحده ألا يقتله⁽¹¹⁾. فأما الذي نشاهد اليوم الأمر عليه، فإنّه متى قرب منه قتله. ولعلّ ذلك إنّما هو لأنّ الشيء إذا اشتدّ صدمته⁽¹²⁾ فسَخَّ القوّة أو لعلّ الهواء الذي فيه⁽¹³⁾ الإنسان والمحيط [به] أن يحمى ويستحيل ناراً⁽¹⁴⁾؛ للذي قد شارك ذلك الصوت من النار. وهم لم يجدوا الصوت⁽¹⁵⁾ شديداً جدّاً إلّا ما خالط منه النار.

(1) ط: «بما»، وهذه الكلمة وما قبلها ساقطان من ش.

(2) الزيادة من ل، ش.

(3) الأكال، بالضم: الحكّة.

(4) الخردل: نبت يسمى بمصر (الكبر) بالتحريك، يخرج كثيراً مع البرسيم، وله بذر حار. ومن طريف ما روى داود، أن أهل مصر يأكلونه مع الشواء في عيد الأضحى. وبديل هذه الكلمة في ل: «الحرب»، صوابها «الحرف» كقفل، وهو حب الرشاد.

(5) كذا في ل. وفي ط، ش: «يخمش».

(6) ط، ش: «يغمز».

(7) تنقضت الفتيلة: صوتت. وهذه الكلمة محرفة في الأصل، فهي في ط: «بتنقض»، وفي ش، ل: «بتنفض».

(8) ط: «بالشر» وتصحيحه من ل، ش.

(9) ط: «إذا لم يكن من قبل الجنس».

(10) الآجام: جمع أجمة، وهي الشجر الكثير الملتف. والأجراف: جمع جرف بالضم وبضمّتين، وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادي والنهر.

(11) ل: «ولعلّ ذلك الصوت أن لو خالطه لم يقتله».

(12) ط، ش: «صوته».

(13) ل: «في».

(14) كذا في ل واللسان (صعق 67). وفي ش: «يستخر» وفي ط: «ويستخر».

(15) ط، ش: «وهم لم يجدوا الصوت من النار». والوجه ما أثبت من ل.

(ما يقتات بالذباب)

وقال ابن حرب: الذَّبَّان قوتُ خُلُقٍ كثيرٍ من خلقِ الله - عزَّ وجلَّ - وهو قوتُ الفرايج، والخفافيش، والعنكبوت، والخُلْد⁽¹⁾، وضروب كثيرة من الهمج، همج الطير، وحشرات السَّباع⁽²⁾، فأما الطَّير والسُّودَانِيَّات⁽³⁾، والحَصَانِيَّات⁽⁴⁾، والشَّاهْمُرَكَات⁽⁵⁾، وغير ذلك من أصناف الطَّير؛ وأما الضُّبَاع - فإنَّها تأكل الجيف، وتدع في أفواها فُضُولاً، وتفتَحُ أفواها للذَّبَّان، فإذا احتشَّتْ ضَمَّتْ عليها. فهذه إنَّما تصيد الذَّبَّان بنوع واحد، وهو الاختطاف والاختلاس، وإعجالها عن الوثوب إذا تلَقَّطته بأطراف المناقير، أو كبعض ما ذكرنا من إطباق الفم عليها.

(صيد اللَّيْث للذَّبَّاب)

فأما الصَّيْدُ الذي ليس للكلب، ولا لعنَّاق الأرض⁽⁶⁾، ولا للفهد، ولا لشيء من ذوات الأربع مثله في الحِدْق والحَثْل والمدارة، وفي صواب الوثبة، وفي التسدُّ وسرعة الخطف، [فليس⁽⁷⁾] مثل الذي يقال له الليث وهو الصَّنْف المعروف من العناكب بصيد الذَّبَّان⁽⁸⁾؛ فإنَّك تجده إذا عاين الذَّبَّان ساقطاً، كيف يَلْطَأ⁽⁹⁾ بالأرض، وكيف يسكِّن جميع جوارحه للوثبة، وكيف يؤخِّر ذلك إلى وقت الغرَّة، وكيف يريها أنَّه عنها لاه؛ فإنَّك ترى من ذلك شيئاً لم تر مثله من فهدٍ قط، وإن كان الفهد موصوفاً منعوتاً. واعلم أنَّه قد ينبغي ألاَّ يكون في الأرض شيء أصيْد منه؛ لأنه لا يطير، ولا يصيْد إلا ما يطير! ويصيْد طائراً شديداً الحذر، ثم يصيد صيَّاداً! لأن الذَّبَّاب يصيد البعوض. وخديعتك للخداع أعجب، ومكرُّك بالماكر أغرب! فكذلك يكون صيْد هذا الفن⁽¹⁰⁾ من العنكبوت.

(1) الخلد، بالضم ويفتح: دابة عمياء صماء، سيحدث عنها الجاحظ في (6: 411).

(2) كذا.

(3) السودانيات: الزراير. ل: «وكالسودانيات» تحريف.

(4) في القاموس: «الحصانيات: طير». ط، ش: «الحصانيات»، تصحيف صوابه في ل.

(5) الشاهمرك، ويقال الشاهمرك كما ورد في المخصص (8: 152): كل طائر طويل الساقين. بهذا فسرهُ شيخ المحققين الأب أنستاس ماري في رسالة إلي، وقال: «هو بالفرنسية: Echassier، وبالمعنى المتقدم في الفارسية». قلت: قد ضبطت هذه الكلمة وفسرت خطأ في (1: 52)، وقد عدّه الجاحظ من الحيوان آكل الحيات (1: 52، 6: 240).

(6) عنَّاق الأرض: دابة نحو الكلب الصغير تصيد صيِّداً حسناً. الحيوان (6: 225) في الأصل: «لعنَّاق» بالثناء، وهو خطأ.

(7) ليست بالأصل. والكلام في حاجة إليها.

(8) ل: «وهو صنف من العناكب».

(9) لَطَأً بالأرض، كمنع وفرح: لصق. ط، ش: «يلتطى».

(10) الفن: الضرب والنوع. ل: «الفن»، وهو تحريف.

(صيد الوزغ والزنابير للذباب)

وزعم الجرداني⁽¹⁾ أَنَّ الوزغَ تَحْتَلُّ الذَّبَابَ، وتصيدُها صيداً حسناً شبيهاً بصيد اللَّيْث .
قال: والزُّنْبُور حريصٌ على صيد الذَّبَّانِ، ولكنه لا يطمع فيها إلا أن تكون ساقطةً على خَرْءٍ، دونَ كُلِّ تمر وعسل؛ لشدة عجبها بالخَرْءِ، وتشاغلها به! فعند ذلك يطمَعُ فيه الزنبور ويصيده .

وزعم الجرداني⁽²⁾ وتابعه كيسان: أَنَّ الفهدَ إنما أخذ ذلكَ عن اللَّيْث . ومتى رآه⁽³⁾ الفهدُ يصيد الذَّبَّانَ حتى تَعْلَمَ منه؟! فظننت أنهما قلداً في ذلك بعض مَنْ إذا مدَحَ شيئاً أسرف فيه .

(تقليد الحيوان للحيوان ، وتعلُّمه منه)

ويزعمون أَنَّ السَّبعَ الصَّيُودَ إذا كان مع سبع هو أَصِيدُ منه، تَعْلَمَ منه وأخذَ عنه . وهذا لم أحقّه . فأما الذي لا أَشْكُ فيه فَأَنَّ الطَّائِرَ الحَسَنَ الصَّوْتِ المَلْحَنَ، إذا كان مع نوائح [الطَّيْرِ]⁽⁴⁾ ومغنياتها، فكان بقربِ الطَّائِرِ⁽⁵⁾ من شِكْلِهِ، وهو أحذق منه [وأكرز]⁽⁶⁾ وأمهر، جاوبه وحكاه، وتعلَّم منه، أو صنَّع شيئاً يقوم مقامَ التعلُّم .

(تعليم البراذين والطيور)

والبرَدُونُ يُراضُ فيعرفُ ما يراد منه، فيعين على نفسه . وربما استأجروا للطَّيْرَ رجلاً يعلمها . فأما الذي رأيته أنا في البلابل، فقد رأيت رجلاً يدعى لها فيطارحها من شكل أصواتها .

(ما يخترع الأصوات واللحون من الطير)

وفي الطَّيْرِ ما يخترع الأصواتَ واللَّحُونَ التي لم يُسَمَّعَ بمثلها قطُّ من المؤلِّفِ للحنون من النَّاسِ؛ فإنه ربَّما أنشأ لحناً لم يَمَرَّ على أَسْمَاعِ⁽⁷⁾ المغنِّين قطُّ . وأكثر ما يجدون ذلك من الطَّيْرِ في القماريِّ، وفي السُّودَانِيَّاتِ⁽⁸⁾، ثم في الكرارزة⁽⁹⁾ . وهي تأكل الذَّبَّانَ أَكْلاً ذريعاً .

(اللجوج من الحيوان)

ويقال إن اللَّجَاجَ في ثلاثة أجناس من بين جميع الحيوان: الخنفساء، والذَّبَابُ، والدُّودَةُ الحمراء؛ فإنَّها في إِبَانِ ذلك ترومُّ الصُّعُودَ إِلَى السَّقْفِ، وتمرُّ على الحائط الأملس

(1) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلها في ش : «الجرذابي» .

(2) ش : «الجدابي» . ل : «الجرادي» .

(3) ل : «وحتى» ، وهو تحريف .

(4) ط : «يقرب» .

(4) ليست بالأصل .

(5) ط : «سماع» .

(6) أكرز بمعنى أحذق .

(7) ط : «سماع» .

(8) السودانيات : الزرازير .

(9) الكرارزة : جمع كرز، وهو البازي . ط، ش : «الكرارة» وهو تحريف .

شيئاً قليلاً فتسقط وتعود، ثم لا تزال تزداد شيئاً ثم تسقط، إلى أن تمضي إلى باطن السَّفَف، فربما سقطت ولم يبق عليها إلا مقدارُ إصبع، ثم تعود.

(لجاج الخنفساء واعتقاد المفاليس فيها)

والخنفساء تُقْبَلُ قَبْلَ الإنسانِ فيدفعُها، فتبْعُدُ بقدر تلك الطَّرْدَةِ والدَّفْعَةِ ثم تعود أيضاً، فيصنع بها أشدَّ من تلك ثم تعود، حتَّى ربما كان ذلك سبباً لغضبه، ويكون غضبه سبباً لقتلها. وما زالوا كذلك، وما زالت كذلك، حتَّى سقط إلى المفاليس⁽¹⁾ أنَّ الخنافس تجلب الرِّزْق. وأنَّ دنوَّها دليلٌ على رِزْقٍ حاضر: من صِلَةٍ أو جائِزة، أو ربح، أو هديَّة، أو حظ. فصارت الخنافس إنْ دخلتْ في قَمَصِهِمْ ثمَّ نفذتْ إلى سَراويلاتهم لم يَقُولُوا لها قليلاً ولا كثيراً. وأكثر ما عندهم اليوم الدَّفْعُ لها ببعض الرِّفق. ويظنُّ بعضهم أنه إذا دفعها⁽²⁾ فعادت، ثم دفعها، ثم دافعها فعدت - أنَّ ذلك كلما كان أكثر، كان حظُّه من المال الذي يؤمِّله عند مجيئها أجزَل⁽³⁾. فانظر، آية واقية، وآية حافظة⁽⁴⁾، وأيُّ حارس، وأيُّ حصن أنشأ لها هذا القول⁽⁵⁾! وأيُّ حظٍّ [كان] لها حين صدَّقوا [بهذا الخبر] هذا التصديق⁽⁶⁾! والطَّمْعُ هو الذي أثارَ هذا الأمرَ من مدافنه⁽⁷⁾، والفقر هو الذي اجتذب⁽⁸⁾ هذا الطَّمْعَ واجتلبه. ولكن الويل له إنَّ ألَحَّتْ على غِنْيٍ عالم، وخاصَّةً إن كان مع جدِّته وعلمه حديداً عجولاً⁽⁹⁾.

(اعتقاد العامة في أمير الذَّبَّان)

وقد كانوا يقتلون الذبابَ الكبيرَ الشديدَ الطنين⁽¹⁰⁾ الملحَّ في ذلك، الجهميرَ الصوت، الذي تسميه العوامُّ: «أمير الذَّبَّان»، فكانوا يحتالون في صرفه⁽¹¹⁾ وطرده [وقته]، إذا أكرَبَهُمْ بكثرة طنينه وزَجَلِه وهماهمه⁽¹²⁾ فإنَّه لا يفتر⁽¹³⁾. فلما سقط إليهم أنه مبشِّرٌ بقدوم غائب وُبرء سقيم، صاروا⁽¹⁴⁾ إذا دخل المنزل وأوسَعَهُمْ شَرّاً، لم يَهَيِّجْهُ أحدٌ منهم. وإذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ أن يُنْسِيَّ في أجل شيءٍ من الحيوان شيئاً لذلك سبباً، كما أنه إذا أرادَ أن يقصُرَ عمره [ويَحِينَ يومه] شيئاً لذلك⁽¹⁵⁾ سبباً. فتعالى الله علواً كبيراً! ثم رَجَعَ بنا القولُ إلى إلحاح الذَّبَّان.

(1) المفاليس: جمع مفلس. ط، ش: «المقاييس» ولا تصح.

(2) ل: «دفعها» في مواضعها الثلاثة. (3) كذا في ل. وفي ط، ش: «أكثر».

(4) كذا في ل، ش. وفي ط: «آية واقية دائمة حافظة».

(5) القول هنا بمعنى الاعتقاد. ط، ش: «وأي حصن إن شاء الله تعالى لها بهذا القول»، ووجهه من ل.

(6) كذا في ل، ش: «بهذا القول ذلك التصديق». (7) ل: «مواقية».

(8) كذا في ل. وفي ط، ش: «سبب».

(9) هذه العبارة ساقطة من ل. والجدَّة، كعدة: الغنى واليسار. وفي الأصل: «مع حدوثه».

(10) كلمة «الكبير» ساقطة من ل. ولفظ «الطنين» هي في ط، ش: «البطش» وتصحيحه من ل.

(11) ل: «ضربه» وليس بشيء. (12) هماهم: جمع همهمة، والمراد بها الطنين.

(13) أي لا يسكن ولا ينقطع عن الطنين. ط: «يغير» وصوابه في ل، ش.

(14) ل: «صار». (15) ط، ش: «له».

(عبد الله بن سوار وإلحاح الذباب)

كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار⁽¹⁾، لم ير الناس حاكماً قط ولا زميتاً ولا ركيناً⁽²⁾، ولا وقوراً حليماً، ضبط من نفسه ومملك من حركته مثل الذي ضبط وملك. كان يصلي الغداة في منزله، وهو قريب الدار من مسجده، فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكى، فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو، ولا يلتفت، ولا يحل حبوته⁽³⁾ ولا يحول رجلاً عن رجل⁽⁴⁾، ولا يعتمد على أحد شقيقه، حتى كأنه بناء مبني، أو صخرة منصوبة. فلا يزال كذلك، حتى يقوم إلى صلاة الظهر ثم يعود إلى مجلسه فلا يزال كذلك⁽⁵⁾ حتى يقوم إلى العصر، ثم يرجع لمجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب، ثم ربما عاد إلى محله، بل كثيراً ما كان يكون ذلك إذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق، ثم يصلي العشاء [الأخيرة⁽⁶⁾] وينصرف. فالحق يقال: لم يقم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة إلى الوضوء، ولا احتاج إليه، ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب. كذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها، وفي صيفها وفي شتائها⁽⁷⁾. وكان مع ذلك لا يحرك يده، ولا يشير برأسه، وليس إلا أن يتكلم [ثم يوجز، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة⁽⁸⁾]. فبينما هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواله، وفي السماطين⁽⁹⁾ بين يديه، إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث، ثم تحول إلى مؤق عينه⁽¹⁰⁾، فرام⁽¹¹⁾ الصبر في سقوطه على المؤق، وعلى عضه ونفاذ خرطوميه كما رام⁽¹²⁾ من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته، أو يغض⁽¹³⁾ وجهه، أو يذب بإصبعه. فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه، وقصد إلى مكان لا يحتمل التغافل، أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض، فدعا ذلك إلى أن والى⁽¹⁴⁾ بين الإطباق والفتح، فتنحى ريشاً سكن جفنه، ثم عاد إلى مؤقه بأشد من مرته الأولى فعمس خرطوميه في مكان كان قد أوهأ قبل ذلك، فكان احتمال له أضعف،

(1) هو عبد الله بن سوار (بالتشديد) بن عبد الله بن قدامة العنبري البصري. وسبقت ترجمة ولده سوار بن عبد الله بن سوار في 2: 106، والقصة رواها المرتضى في أماليه 4: 22.

(2) كلمة: «قط» ساقطة من ل، كما سقطت «ولا» من ط، ش. والزميت كسكيت: العظيم الوقار. والركين الرزين.

(3) الحبوته، بالفتح وتضم: أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها.

(4) ط، ش: «ولا يحل رجلاً على رجل» وأثبت ما في ل وثمار القلوب 396.

(5) الكلام من مبدأ «حتى يقوم» ساقط من ل، وثمار.

(6) الزيادة من ثمار القلوب. والعشاء الأخير خلاف الأولى، والأولى هي المغرب.

(7) كلمة: «في» ساقطة من ل في الموضعين.

(8) الزيادة من ل، وثمار القلوب. (9) السماط، بالكسر: الصف.

(10) في الأصل: «عينه»، وأثبت ما في الثمار. والمؤق: طرف العين مما يلي الأنف.

(11) ل فقط: «فدام»، وبكل من العبارتين يتجه المعنى. (12) ل فقط: «ودام» وانظر التنبيه السابق.

(13) غضن وجهه: جعل به غضوناً، وذلك بأن يقبض جلده. ط، ش: «يغض» بمعنى يخفض. وفي الثمار: «بعض».

(14) والي: تابع. ط، ش: «يوالي» وأثبت ما في ل وثمار.

وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى⁽¹⁾، فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وفي فتح العين⁽²⁾، وفي تتابع الفتح والإطباق، فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده. فلم يجد بداً من أن يذب عن عينيه بيده، ففعل، وعيون القوم إليه ترمقه، وكأنهم لا يروونه⁽³⁾، فتنحى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه، ثم ألجأه إلى أن ذب عن وجهه بطرف كفه، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك، وعلم أن فعله كله بعين من حضره من أمنائه وجلسائه. فلما نظروا إليه قال: أشهد أن الذباب ألح⁽⁴⁾ من الخنفساء، وأزهى من الغراب! وأستغفر الله! فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله - عز وجل - أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً! وقد علمت أنني عند الناس من أزميت الناس⁽⁵⁾، فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه! ثم تلا قوله تعالى: ﴿وإن يسئلهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضمك الطالب والمطلوب﴾ [الحج: 73]. وكان بين اللسان، قليل فضول الكلام، وكان مهيباً في أصحابه، وكان أحد من لم يطعن عليه في نفسه، ولا في تعريض أصحابه للمثالة⁽⁶⁾.

(قصة في إلحاح الذباب)

فأما الذي أصابني أنا من الذبان، فإني خرجت أمشي في المبارك⁽⁷⁾ أريد دَيْرَ الربيع، ولم أقدر على دابة، فمررت في عشب [أشب]⁽⁸⁾ ونبات ملتف كثير الذبان، فسقط ذباب من تلك⁽⁹⁾ الذبان على أنفي، فطرده، فتحول إلى عيني⁽¹⁰⁾ فطرده، فعاد إلى موق عيني، فزدت في تحريك يدي فتنحى عني بقدر شدة حركتي⁽¹¹⁾ وذبي عن عيني - ولذبان الكلال والغياض والرياض وقع ليس لغيرها - ثم عاد إلي فعدت عليه، ثم عاد [إلي] فعدت بأشد من ذلك، فلما عاد استعملت كمي فذببت به عن وجهي، ثم عاد، وأنا في ذلك أحث السير، أو مل بسرعتي انقطاعه عني⁽¹²⁾ فلما عاد نزع طيلسانني⁽¹³⁾ من عنقي فذببت به عني بدل

(1) ط، ش: «وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل»، وصوابه في ل. ونحو منه ما في الثمار.

(2) ط، ش: «وألح في فتح العين».

(3) كلمة: «إليه» ليست في الثمار. وليس ما يمنع بقاءها. و«يرونه» هي في الأصل «يريدونه»، وتصحيحه من الثمار.

(4) كذا في الأصل: «الح» بالحاء كما في أمثال الميداني 2: 180 ويروى بالجيم، كما في الثمار وكما سيأتي في ص 272.

(5) أزميت الناس: أي أشدهم وقاراً وسكوناً ط: «أضعف» ووجهه في ش، ل. وفي الثمار: «أرزن»، وكلمة «الناس» الأولى هي في ط، ش فقط: «نفس». كما أن كلمة «من» ساقطة من ش.

(6) المثالة: مصدر نلت أنال.

(7) المبارك: اسم نهر بالبصرة احتفراه خالد بن عبد الله القسري. ويمشي فيه: أي في شاطئه. ط، ش: «من عند ابن المبارك».

(8) أشب: أي ملتف. وكلمة «عشب» ساقطة من ل. (9) ط، ش: «ذلك».

(10) كذا في ل. وفي ط، ش: «فطرده فلم أقدر فتحول إلى عيني».

(11) ل: «فتنحى على قدر شدة حركتي». (12) ل: «أحث السير» وقد سقط منها «أو مل بسرعتي».

(13) الطيلسان: كساء مدور أخضر، لحمته أو سده من صوف، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ، وهو من لباس العجم، وهو لفظ معرب من تالسان الفارسية.

كُمِّي، فلما عاودَ ولم أجِدْ له حيلةً استعملتُ العدو، فعدوتُ منه شوطاً [تأماً] لم أتكلفُ مثله مذُ كنتُ صبيّاً، فتلقتُني الأندلسيُّ فقال لي: ما لك يا أبا عثمان! هل مِنْ حادثة؟ قلت: نعم، [أكبر الحوادث]، أريد أن أخرج من موضع للذَّبَّانِ عَلَيَّ فيه سلطاناً! فضحك حتى جلس. وانقطع عني، وما صدقتُ بانقطاعه عني حتى تباعد⁽¹⁾ جداً.

(ذَبَّانُ الْعَسَاكِرِ)

والعساكر أبداً كثيرة الذَّبَّانِ. فإذا ارتحلوا لم يَرِ المقيمُ بعدَ الظاعن منها إلا اليسير. وزعم بعضُ النَّاسِ أَنَّهُنَّ يتبعن العساكرَ، ويسقُطْنَ على المتاع، وعلى جِلَالِ⁽²⁾ الدَّوَابِّ، وأعجاز البراذين التي عليها [أسبابها]⁽³⁾ حتى تؤدِّي إلى المنزل الآخر. [و] قال المكيُّ: يتبعوننا ليؤذونا، ثم لا يركبون إلّا أعناقنا ودوابنا⁽⁴⁾!

(تَخْلُقُ الذَّبَابُ - 1 -)

ويقول بعضهم: بل إنما يتخلَّق من تلك العُفُوناتِ والأبخرَةِ والأنفاس، فإذا ذهبت فئيت مع ذهابها⁽⁵⁾ ويزعمون أَنَّهُم يعرفون ذلك بكثرتها في الجناثِ، وبقلتها في الشِّمَائِلِ⁽⁶⁾. قالوا: وربّما سدّدنا فَمَ الآنية التي فيها الشَّرَابُ بالصَّمَامَةِ، فإذا نزَعناها وجدنا [هناك] ذباباً صغاراً. وقال ذو الرِّمَّة⁽⁷⁾:

وَأَيَقُنُّ أَنَّ الْقَنْعَ صَارَتْ نِطَافُهُ⁽⁸⁾ فَرَأَشاً وَأَنَّ الْبَقْلَ ذَاوٍ وَيَابِسُ

[القَنْعُ: الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء⁽⁹⁾. والفراش: الماء الرقيق الذي يبقى في أسفل الحِياض]. وأخبرني رجلٌ من ثقيف، من أصحاب التَّيِّدِ أَنَّهُمْ [رُبَّما] فلقوا السَّفَرَجَلَةَ أَيَّامَ السَّفَرِ جُلَّ لِلنَّفْلِ⁽¹⁰⁾ والأكل، وليس هناك من صغار الذَّبَّانِ شيءٌ أَلَبَّةً ولا يُعِدُّهُمْ أَنْ يَرَوْا على مَقَاطِعِ السَّفَرِ جُلَّ ذُبَاباً صغاراً. وربّما رصدوها وتأمَّلوها، فيجدونها تعظُمُ حتَّى تلحق بالكبار في السَّاعَةِ الواحدة.

(1) ل: «تباعدت».

(2) الجلال: جمع جل بالضم وبالفتح، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به.

(3) كذا في ش. وبدلها في ل: «أربابها».

(4) هذه حكاية من الجاحظ للفظ المكي. وفيه استعمال ضمير العاقل لغيره.

(5) كذا في ل. وفي ط، ش: «إذا ذهب ذلك خف».

(6) الجناث: جمع جنوب. وهي الريح الجنوبية. والشِّمَائِل: جمع شمال، بالفتح، وهي الريح الشمالية. ل: «في الشمال».

(7) يصف الحمر الوحشية. ديوانه 313.

(8) النطاف: جمع نطفة، وهي هنا الماء الكثير. وتقال أيضاً للماء القليل، بل هو الأكثر. ط، ش: «نطاقة» ووجهه في ل.

(9) النقران: جمع نقيير. و«يجتمع» هي في الأصل: «يجمع»، والتفسير بعده مخالف للاستشهاد. وانظر ما سيأتي في 272: 5.

(10) النقل بالفتح: ما ينتقل به على الشراب، وهو ما يعبث به الشارب على شرابه.

(حياة الذباب بعد موته)

قال: وفي الذبان طبع كطبع الجعلان، فهو طبع غريب عجيب. ولولا أن العيان قهر أهله لكانوا خلفاء أن يدفعوا الخبر عنه؛ فإن الجعل إذا دفن في الورد⁽¹⁾ مات في العين، وفنيته حركاته كلها، وعاد جامداً تارزاً⁽²⁾ ولم يفصل الناظر إليه بينه وبين الجعل الميت، ما أقام على تأمله⁽³⁾. فإذا أعيد إلى الروث عادت إليه حركة الحياة من ساعته⁽⁴⁾. وجربت أنا [مثل] ذلك في الخنفساء، فوجدت الأمر فيها قريباً من صفة الجعل، ولم يبلغ كل ذلك إلا⁽⁵⁾ [لقرابة] ما بين الخنفساء والجعل. ودخلت يوماً على ابن أبي كريمة، وإذا هو قد أخرج إجانة⁽⁶⁾ كان فيها ماء من غسالة أوساخ الثياب، وإذا ذبان كثيرة قد تساقطت فيه من الليل فموتن⁽⁷⁾. هكذا كن⁽⁸⁾ في رأى العين. فعبرن كذلك عشيتهن وليلتهن، والغد إلى انتصاف النهار، حتى انتفخن وعفن⁽⁹⁾ واسترخين؛ وإذا ابن أبي كريمة قد أعد أجرة جديدة⁽¹⁰⁾، وفنات أجر جديد، وإذا هو يأخذ الخمس منهن⁽¹¹⁾ والست، ثم يضعهن على ظهر الأجرة الجديدة، ويذر عليهن من دقاق ذلك الأجر الجديد المدقوق بقدر ما يغمرها فلا تلبث أن يراها⁽¹²⁾ قد تحركت، ثم مشت، ثم طارت؛ إلا أنه طيران ضعيف.

(ابن أبي كريمة وعود الحياة إلى غلامه)

وكان ابن أبي كريمة يقول: [لا] والله، لا دفنت ميتاً حتى يئتن! قلت: وكيف [ذاك] قال: إن غلامي هذا نُصيراً مات، فأخزت دفنه لبعض الأمر، فقدم أخوه تلك الليلة فقال: ما أظن أخي مات! ثم أخذ فتيلتين ضخمتين، فرواهما دهنًا ثم أشعل فيهما النار، ثم أطفأهما وقرَّبهما إلى منخريه، فلم يلبث أن تحرك، وها هو ذا قد تراه! قلت له: إن أصحاب الحروب [و] الذين يغسلون الموتى، والأطباء، عندهم في هذا دلالات وعلامات فلا تحمل على نفسك في واحد من أولئك ألا تستره بالدفن حتى يجيف. والمجوس يقربون الميت من أنف الكلب، ويستدلون بذلك على أمره. فعلمت أن الذي عايناه⁽¹³⁾ من الذبان قد زاد في عزمه.

(1) ط: «المورد» وصوابه في ل، ش. وانظر ما سبق في (2: 65).

(2) التارز: اليابس الذي لا روح فيه. (3) ل: «تأملها»، ولكل وجه.

(4) ل: «عاد إليه حركة الحيوان من ساعته». (5) ليست بالأصل، وبها يستقيم الكلام.

(6) الإجانة: الوعاء يغسل فيه الثياب. في الأصل: «من إجانة»، والوجه حذف «من».

(7) يقال موتت الدواب تمويتاً: كثر فيها الموت. انظر اللسان. ط، ش: «فمتن».

(8) كذا في ل، ش. وفي ط: «كان» أي كان الأمر.

(9) ل: «وغضن».

(10) ل: «أجرًا جديدًا».

(11) ل: «منها».

(12) ش: «نراها» ل: «تراها».

(13) ل: «عايناه».

(النُّعْر)

والنُّعْر: ضربٌ من الذَّبَان، والواحدة نُعْرَة. وربما دخلت في أنف البعير أو السَّبع، فيزُمُ بأنفه⁽¹⁾؛ للذي يلقى من المكروه بسببه. فالعَرَب تشبّه ذا الكِبَر من الرجال إذا صَعَرَ خده، ورَمَ بأنفه - بذلك البعير في تلك الحال. فيقال عند ذلك: «فلان في أنفه نُعْرَة»، وفي أنفه خُنْزوانة⁽²⁾. وقال عمر⁽²⁾: «والله لا أقْلَعُ عنه أو أُطِير⁽³⁾ نُعْرَتَهُ». ومنها القَمْع، وهو ضربٌ من ذَبَان الكَلَأ. وقال أوس⁽⁴⁾:

ألم تر أن الله أنزل مُرْزَنه⁽⁵⁾ وعُفْرُ الطَّبَاءِ في الكِنَاسِ تَقْمَعُ⁽⁶⁾
وذلك مما يكون في الصيف وفي الحرّ.

(أذى الذَّبَان للدَّوَاب)

والذَّبَان جُنْدٌ من جند الله شديد الأذى. وربما كان أضرّ من الذَّبَر⁽⁷⁾ في بعض الزمان، وربما أتت على القافلة بما فيها؛ وذلك أنها تغشى⁽⁸⁾ الدَّوَابَّ حتّى تضرب بأنفسها الأرض - وهي في المفاوز - وتسقط، فيهلك أهل القافلة؛ لأنهم لا يخرجون من تلك المفاوز على دوابهم. وكذلك تضرب الرِّعاء⁽⁹⁾ بابلهم، والجمالون بجمالهم عن تلك الناحية، ولا يسلكها⁽¹⁰⁾ صاحب دابة، ويقول بعضهم لبعض: بادروا قبل حركة الذَّبَان، وقبل أن تتحرك ذَبَان⁽¹¹⁾ الرِّياض والكَلَأ! والزنابير لا تكاد تدمي⁽¹²⁾ إذا لسعت بأذنانها، والذَّبَان تغمس خراطيمها في جوف لحوم الدَّوَاب، وتخرق الجلود الغلاظ حتى تنزف الدَّم نزفاً. ولها مع شدة الوقع سمومٌ. وكذلك البعوضة ذات سم، ولو زيد في بدن البعوضة وزيد في حُرقة لسعها إلى أن يصير بدنها كبदन الجرّارة⁽¹³⁾ - فإنها أصغر العقارب⁽¹⁴⁾ - لما قام له شيء، ولكن أعظم بليّة من الجرّارة النّصيبيّة⁽¹⁵⁾ أضعافاً كثيرة.

(1) زم البعير بأنفه: رفع رأسه لألم به. ط، ش: «فتورم أنفه» وليس هنالك.

(2) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(3) لا أقْلَعُ عنه: لا أتركه. ش: «اطر» وصوابه في ط، ل ونهاية ابن الأثير.

(4) هو أوس بن حجر. ديوانه 11.

(5) المزن بالضم: السحاب، أو أبيضه، أو ذو الماء منه. والقطعة منه مزنة. وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في الديوان.

(6) العفر: جمع أعفر، وهو الطّبي يعلو بياضه حمرة. والكناس مأواه. والتقمع: أن تحرك رءوسها لتطرد القمعة.

(7) الدبر، بالفتح: جماعة النحل والزنابير. ويقال بالكسر أيضاً.

(8) ش: «تعش» محرفة.

(9) ش: «يستلكنها».

(10) ش: «ترمي» وصوابه في ل.

(11) جاء في ط، ش: «الذباب» و«ذباب».

(12) ط، ش: «الجرادة» وصوابها في ل، ش.

(13) كذا الصواب في ل. وفي ط، ش: «أصغر من العقارب».

(14) ط: «الجرادة النّصيبيّة»، وتصحيحها من ل، ش. والنّصيبيّة: نسبة إلى نصيبين، وهي مدينة من بلاد الجزيرة، كما ذكر ياقوت. قالوا: وسبب كثرة العقارب بها أن كسرى أنوشروان كان حاصرها فاستعصت عليه، فأمر أن تجمع له العقارب من قرية تسمى طيرانشاه، فرماهم بها في العرادات والقوارير، فتملاً القوارير وتدفّع بالعرادة، فإذا وقعت انكسرت فتخرج العقارب، حتى ضج أهلها وأسلموا له الأمر.

وربما رأيت الحمار وكأنه مُمَغَّر^(١) أو معصفر. وإنَّهُمْ^(٢) مع ذلك ليجلّلون حمُرهم ويبرّقعونها، وما يدعون موضعاً إلاّ ستروه بجهدهم، فربما رأيت الحمير وعليها الرّجال [فيما بين عبّدي^(٣) والمذار^(٤)] بأيديهم المناخس والمذاب^(٥)، وقد ضربت بأنفسها الأرض^(٦) واستسلمت للموت. وربما رأيت صاحب الحمير^(٧) إذا كان أجيراً يضربها بالعصا بكلّ جهده، فلا تنبث. وليس لجلد البقرة والحمار والبعير عنده خطر. ولقد رأيت ذباباً سقط على سالفه^(٨) حمار كان تحتي، فضرب بأذنيه، وحرك رأسه بكلّ جهده^(٩)، [و^(١٠)] أنا أتأمله وما يقلع عنه، فعمدْتُ بالسوط لأنحيه به^(١١) فنزا عنه، ورأيت مع نزوه عنه الدّم^(١٢) وقد انفجر؛ كأنه كان يشرب الدّم وقد سدّ المخرج بفيه، فلمّا نحاه طلع.

(ونيم الذّباب)

وتزعّم العامّة أنّ الذّبان يخراً [على] ما شاء^(١٣) قالوا: لأنّا نراه يخراً على الشيء الأسود أبيض، وعلى الأبيض أسود. ويقال قد ونمّ الذّباب - في معنى خرى الإنسان - وعرّ الطائر^(١٤)، وصام النّعام، وذرق الحمام. قال الشاعر^(١٥):
 وَقَدْ وَنَمَ الذُّبَابُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّ وَنِيمَهُ نَقْطُ الْمِدَادِ^(١٦)
 وليس طول كَوْم البعير إذا ركب النّاقة، والخنزير إذا ركب الخنزيرة، بأطول ساعة من بُنْث ذكورة^(١٧) الذّبان على ظهور الإناث عند السّفاد.

(تخلق الذّباب - 2 -)

والذّباب من الخلق الذي يكون مرّة من السّفاد والولاد^(١٨)، ومرّة من تعفن الأجسام والفساد الحادث في الأجرام.

- (١) ممغر: مصبوغ بالمغرة، وهي بالفتح وبالتحريك، صبغ أحمر طيني، وأجوده ما كان من مصر. ط، ش: «منعر»، ل: «منغر» وصوابه ما أثبت.
- (٢) ط، ش: «فإنهم».
- (٣) عبدي، كما في معجم البلدان: اسم مصنعة كانت برستاق كسكر، خربها العرب وبقي اسمها على ما كان حولها من العمارة.
- (٤) المذار، بالذال: مدينة بين واسط والبصرة.
- (٥) (٥) ما بعد المعقفين ساقط من ل.
- (٦) هذه الكلمة ساقطة من ل.
- (٧) ل: «المكاري». والمكاري: الذي يكرّك دابته. والكراء: الأجرة.
- (٨) السالفه: ما تقدم من العنق.
- (٩) كذا في ل. وفي ط، ش: «وحك رأسه بكل جهة».
- (١٠) الزيادة من ل، ش.
- (١١) ل: «وما يقلع عنه الذّباب فلما طراد ذلك يطرده عنه قصدت بالسوط لأنخسه».
- (١٢) كذا في ط، ش، وبدله في ل: «فمع نزوه عنه نزا الدم». نزا: وثب.
- (١٣) ل: «على ما شاء»، فتكون «ما» مصدرية.
- (١٤) (١٤) كذا على الصواب في ل، ش. وفي ط: «عرا».
- (١٥) هو الفرزدق، ذكر ذلك أبو العباس المبرد. الاقتضاب 349.
- (١٦) يروى: «لقد ونم» كما في المخصص (8: 186)، وأدب الكاتب 134 والاقتضاب.
- (١٧) الذكورة: الذكور. ط: «ذكور».
- (١٨) الولاد - بالكسر - أحد مصادر ولد يلد. ط، ش: «والولادة».

والباقلاء^(١) إذا عَتَقَ شيئاً في الأنبار^(٢) استحال كله ذباباً^(٣)، فربّما أغفلوه في تلك الأنبار فيعودون إلى الأنبار وقد تطاير من الكوى والخروق فلا يجدون في الأنبار إلا القشور. والذباب الذي يخلق من الباقلاء يكون دوداً، ثم يعود ذباباً. وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقّبا في داخله شيء كأنه مسحوق، إذا كان الله قد خلق منه الذبّان وصيّره^(٤)، وما أكثر ما تجده فيه تامّ الخلق. ولو^(٥) تمّ جناحاه لقد كان طار.

(حديث شيخ عن تخلق الذباب)

وحدثني بعض أصحابنا عن شيخ من أهل الخريّة^(٦) قال: كنت أحبّ الباقلاء، وأردت، إمّا البصرة وإمّا بغداد - ذهب عني حفظه - فصرت في سفينة حملها باقلاء، فقلت في نفسي: هذا والله من الحظّ وسعادة الجّد، ومن التّوفيق والتّسديد، ولقد أربع من وقّع له مثل هذا^(٧) الذي [قد] وقع لي: أجلس في هذه السفينة على هذا الباقلاء، فأكل منه نيّاً^(٨) ومطبوخاً، ومقلّواً، وأرض بعضه وأطحنه^(٩)، وأجعل مرقاً^(١٠) وإداماً، وهو يغذو^(١١) غذاء صالحاً، ويُسَمِّنُ، ويزيد في الباه^(١٢)، فابتدأت فيما أمّلت، ودفعنا السفينة، فأنكرت كثرة الذبّان. فلما كان الغد جاء منه ما لم أقدر معه على الأكل والشرب. وذهبت القائلة وذهب الحديث، وشغلت بالذّب. على أنهم لم يكن يبرحن بالذّب، وكن^(١٣) أكثر من أن أكون أقوى عليهن؛ لأنني كنت لا أطرّد مائة حتى يخلفها مائة مكانها. وهنّ في أول ما يخرجن من الباقلاء كأنّ بهنّ زمانة^(١٤) فلما كان طيرانهنّ أسوأ [كان أسوأ]^(١٥) لحالي، فقلت للملاح: ويلك! أي شيء معك حتى صار الذبان يتبعك! قد والله أكلت وشربت! قال: [أ]وليس تعرف القصة؟ قلت: لا والله! قال: [هي والله] من هذه الباقلاء، ولولا هذه البليّة لجاءنا^(١٦) من الرّكاب كما

(١) الباقلي، بكسر القاف وتشديد اللام وتخفيف، والباقلاء مخففة ممدودة هي الفول. هذه هي الباقلاء النبطية، وأما الباقلاء المصرية فهي الترمس. والأولى هي المرادة؛ لارتباط العراقيين بالأنباط.

(٢) الأنبار: بيوت الطعام التي يختزن فيها، واحدها نبر بالفتح؛ سميت بذلك لأن الطعام إذا وضع فيها انتبر: أي ارتفع. ومنه المنبر لارتفاعه. ط، ش: «الأقباء» في كل موضع ترد فيه هذه الكلمة.

(٣) ل: «ذبانا». (٤) كذا في ل. وفي ط، ش: «خلق فيه الذباب وطيره منه».

(٥) ل: «ولم» تحريف.

(٦) الخريّة بالتصغير: موضع بالبصرة. ط، ش: «الجزيرة» وليس بشيء.

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل. وأربع: أخصب. ط، ش: «ريح».

(٨) مسهل «نيّاً». والنيء، بالكسر: الذي لم ينضج.

(٩) الرض: الدق. ش: «أصحنه» موضع «أطحنه»، ولم أجده بمعنى الطحن، وإن كان معروفاً في عاميتنا المصرية بمعنى الطحن.

(١٠) ش: «مذقا». (١١) كذا في ش. وفي ل، ط: «يعذي».

(١٢) يقال الباه والباءة: وفي الحديث: من استطاع منكم الباءة فليتزوج. جاء في ش: «الباءة»، وفي ل: «يزيدني الماء».

(١٣) ط: «ولن» وتصحيحه من ل، ش.

(١٤) الزمانة، بالفتح: العاهة والآفة.

(١٥) التكملة من ل، ش. (١٦) ط: «لجاناً» وصوابه في ل، ش.

يجيئون إلى جميع أصحاب الحملات^(١). وما ظننته^(٢) إلا ممن قد اغتفر [هذا] للين الكراء، وحبّ التفرد بالسفينة. فسألته أن يقربني إلى بعض الفرض^(٣)، حتى أكتري من هناك إلى حيث أريد، فقال لي: أتحب أن أزودك منه؟ قلت: ما أحب أن ألتقي أنا والبقلاء في طريق أبدا!

(من كره البقلاء)

ولذلك كان أبو شمر^(٤) لا يأكل البقلاء، وكان أخذ ذلك عن معلّمه معمر أبي الأشعث^(٥). وكذلك كان عبد الله بن مسلمة بن محارب والوكيعي، ومُعمر، وأبو الحسن المدائني، برهة من دهرهم.

وكان يقول: لولا أن البقلاء عفن فاسد الطبع، رديء يخثر الدّم ويغلّظه ويورث السوداء وكلّ بلاء - لما ولد الذّبان. والذّبان أقدر ما طار ومشى! وكان يقول: كل شيء ينبت منكوساً فهو رديء للذهن، كالبقلاء والبادنجان. وكان يزعم أن رجلاً هرب من غرمائه فدخل في غابة باقلاء، فتستّر عنهم بها، فأراد بعضهم إخراجهم والدخول فيها لطلبه، فقال: أحكمهم وأعلمهم: كفاكم له بموضعه شراً!

وكان يقول: سمعت ناساً من أهل التجربة يحلفون بالله: إنه^(٦) ما أقام أحد أربعين يوماً في منبت باقلاء وخرج منه إلا وقد أسقمه سُقماً لا يزال جسمه.

وزعم أن الذي منع أصحاب الأذهان^(٧) والتربية بالسّمسم من أن يربوا السّماسيم^(٨) بتور البقلاء، الذي^(٩) يعرفون من فساد طبعه^(١٠)، وأنه^(١١) غير مأمون على الدّماغ وعلى الخيشوم والسّماخ^(١٢)، ويزعمون أن عمله [الذي عمله هو^(١٣)] القصد إلى الأذهان بالفساد^(١٤). وكان

(١) كذا في ل. وفي ط، ش: «إلى أصحابنا».

(٢) ط، ل: «وما أظنك».

(٣) الفرض: جمع فريضة بالضم، وهي محط السفينة. ل: «القرى».

(٤) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرحّنة. وآراؤه في الفرق بين الفرق 190-194، قال فيه الجاحظ: «وكان شيئاً قوياً وزميماً ركيئاً، وكان ذا تصرف في العلم، ومذكوراً بالفهم والحلم. البيان (1: 91). وضبطه السمعاني 338 بكسر الشين وسكون الميم، ومرة أخرى بكسر الشين وتشديد الميم المفتوحة.

(٥) معمر هذا أحد أئمة الاعتزال، وكان من تلاميذه أبو الحسن المدائني، وحفص الفرد ومعمر، وأبو شمر، وأبو بكر الأصم، وأبو عامر عبد الكريم بن روح. فهرست ابن النديم 147 مصر 100 ليسك. وذكر فيه باسم معمر بن الأشعث. لكن اتفاق نسخ الحيوان على أنه أبو الأشعث، ووروده ثلاث مرات في الجزء الأول من البيان برسم أبي الأشعث، يرجح كتابته كما أثبت.

(٦) هذه ساقطة من ل.

(٧) ط، ش: «الأذهان». والذهن بكسر الذال المعجمة: الشحم.

(٨) السّماسيم ضبط في نسخ القاموس بضم السين، وفسره بأنه طائر. قال شارحه: «كذا هو بالضم في النسخ وصوابه بالفتح». قلت: «يظهر أنها هي السّمائم» واحده سمامة، وهو طائر من الخطاطيف، ومن أسمائه عصفور الجنة. انظر معجم المعلوف 241.

(٩) ش: «الذين»، تحريف.

(١٠) ل: «طباعه» والطباع والطبع بمعنى، يقال: هو ذو طبع حسن.

(١١) ش: «فإنه».

(١٢) السّماخ بالكسر: خرق الأذن جاء في ط: «الصماخ»، وهما لغتان.

(١٣) الزيادة من ش.

(١٤) ل: «الفصد» بدل «القصد»، وهو تصحيف. وفيهما أيضاً: «إلى الذهن بالإفساد له».

يزعم أنَّ كلَّ شيءٍ ⁽¹⁾ يكون رديئاً ⁽²⁾ للعصب فإنَّه يكون رديئاً للذهن، وأنَّ البصل [إنما كان] يفسد الذهن؛ إذ كان رديئاً للعصب، [وأنَّ البلادَ] ⁽³⁾ إنما صار يُصلح العقل ويورث الحفظ؛ لأنَّه صالح للعصب].

وكان يقول: سواءً عليَّ أكلت الذِّبان أو أكلت شيئاً لا يولَّد إلاَّ الذِّبان، وهو لا يولَّد [إلاَّ هو]. والشيء لا يلد الشيء إلاَّ وهو أولى الأشياء به، وأقربها إلى طبعه ⁽⁴⁾، وكذلك جميع الأرحام، وفيما ينتج أرحام الأرض ⁽⁵⁾ وأرحام الحيوان، وأرحام الأشجار، وأرحام الثَّمار، فيما يتولَّد منها وفيها ⁽⁶⁾.

(حديث أبي سيف الممرور)

وبينما أنا جالسٌ يوماً في المسجد مع فتیان من المسجدين ⁽⁷⁾ مما يلي أبواب بني سليم، وأنا يومئذٍ حدث السن ⁽⁸⁾ إذ أقبلَ أبو سيف ⁽⁹⁾ الممرور - وكان لا يؤذي أحداً، وكان كثير الظُّرف من قوم سَراة - حتى وقف علينا، ونحن نرى في وجهه أثر الجِدِّ، ثم قال مجتهداً: واللَّه الذي لا إله إلاَّ هو إنَّ الخُرءَ لحلو. ثمَّ واللَّه الذي لا إله إلاَّ هو [إنَّ الخُرءَ لحلو]. ثمَّ واللَّه الذي لا إله إلاَّ هو إنَّ الخُرءَ لحلو ⁽¹⁰⁾ يسألني اللّهُ عنها يوم القيامة! فقلت له: أشهد أنَّك لا تأكله ولا تذوقه، فمن أين علمت ذلك؟ فإن كنت علمت أمراً فعلمنا ممَّا علمك اللّهُ. قال: رأيت الذِّبان يسقط على النِّبذ ⁽¹¹⁾ الحلو، ولا يسقط على الحازر ⁽¹²⁾، ويقع على العسل ولا يقع ⁽¹³⁾ على الخلِّ، وأراه على الخُرء أكثر منه على الثَّمر. أفتريدون حُجَّةً أبين من هذه ⁽¹⁴⁾؟ فقلت: يا أبا سيف ⁽¹⁵⁾ بهذا وشبهه يُعرف فضلُ الشَّيخ على الشاب.

(1) كذا في ل. وفي ط، ش: «أن كل شيء رديء». (2) ط، ش: «ردياً» بالتسهيل.

(3) البلاد، ويقال البلاد، لفظه هندي. وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب وفي داخلها مادة إسفنجية بها شيء شبيه بالدم. ومن أسمائه: تمر الفؤاد، وحب الفهم، وثمر الفهم. وذكروا أنه يقوي الحفظ، ولكن الإكثار منه يؤدي إلى الجنون. وانظر قصة تتعلق به في الألفاظ الفارسية لأدى شبر ص 25.

(4) ل: «من طبعه». (5) ل: «فيما تنتج من أرحام الأرض».

(6) «وأرحام الثَّمار...» إلخ ساقطة من ل.

(7) المسجديون: طائفة كانت تلزم المسجد الجامع بالبصرة والكوفة. انظر حواشي البيان 1: 234.

(8) ل: «وأنا يومئذٍ حدث».

(9) ل، ش: «أبو يوسف»، وما أثبت من ط أشبهه بأنبا الممرورين.

(10) بآة: قاطعة. ط، ش: «ثانية»، وهو تحريف.

(11) ط: «النِّبذ»، وتصحيحه من ل، ش. وفي ش: «تسقط» في هذه الجملة ولاحتقتها.

(12) الحازر: الحامض الشديد الطعم. ط، ش: «الحاز» محرف.

(13) ش: «تقع»، في الموضعين.

(14) ل: «هذا».

(15) كذا في ش، ط. وانظر التنبيه التاسع وفي ل: «أبا يوسف».

(تخلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القول إلى ⁽¹⁾ ذكر خلق الذبان من الباقلاء . وقد أنكر ناس من العوامِّ وأشباهِ العوامِّ أن يكونَ شيءٌ من الخلق كَانٌ من غير ⁽²⁾ ذكرٍ وأنثى . وهذا جهلٌ بشأنِ العالمِ ، وبأقسامِ الحيوانِ . وهم يظنُّونَ أنَّ على الدِّينِ من الإقرار بهذا القولِ مضرَّةٌ . وليس الأمرُ ⁽³⁾ كما قالوا . وكلُّ قولٍ يكذِّبه العيانُ فهو أفحشُ ⁽⁴⁾ خطأً ، وأسَخَفُ مذهباً ، وأدُلُّ على معاندةٍ شديدةٍ أو غفلةٍ مفرطةٍ . وإنْ ذهب الدَّاهِبُ إلى أن يقيسَ ذلك ⁽⁵⁾ على مجازِ ظاهرِ الرَّأيِ ، دونَ القطعِ على غيبِ حقائقِ العللِ ، فأجراه في كلِّ شيءٍ - قال قولاً ⁽⁶⁾ يدفعه العيانُ أيضاً ، مع إنكارِ الدِّينِ له . وقد علمنا أنَّ الإنسانَ يأكلُ الطَّعامَ ويشربُ الشرابَ ، وليس فيهما حيَّةٌ ولا دودةٌ ، فيُخلق منها ⁽⁷⁾ في جوفه ألوانٌ من الحَيَّاتِ ، وأشكالٌ من الدِّيدانِ من غيرِ ذكرٍ ولا أنثى . ولكنْ لا بدَّ لذلك الولادِ واللِّقاحِ من أن يكونَ عن تناكحِ طِبَاعٍ ⁽⁸⁾ ، وملاقةِ أشياءٍ تشبه بطباعها الأرحامَ ، وأشياءَ تشبه في طبائعها ملقحات ⁽⁹⁾ الأرحامِ .

(استطراد لغويّ بشواهد من الشعر)

وقد قال الشاعر :

فاسْتَنَكَّحَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ فَأَلْقَحَتْ ⁽¹⁰⁾ عن هَيْجِهِ وَاسْتُنْتَجَتْ أَحْلَاماً ⁽¹¹⁾

وقال الآخر :

وَإِذَا الْأُمُورُ تَنَاقَحَتْ فَالْجُودُ أَكْرَمُهَا نِتَاجاً

وقال ذو الرُّمَّة :

وَإِنِّي لِمِدْلَاجٍ إِذَا مَا تَنَاقَحَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَحْلَامُ الْهَدَانِ الْمَثْقَلِ ⁽¹²⁾

وقال عليُّ بن مُعَاذٍ ⁽¹³⁾ :

(1) ط، ش : « في » . (2) ل : « نحن » ، وهو تحريف .

(3) ط ، ش : « القول » .

(4) كلمة : « فهو » ساقطة من ل ، و « أفحش » هي في ط ، ش : « فحش » تحريف .

(5) ش : « على أن يقيس ذلك » . ط : « إلى أن لا يقيس ذلك » ، والأخيرة محرفة .

(6) « قال قولاً » هو جواب الشرط . وفي ط ، ش : « وقال قولاً » ، والوجه حذف الواو .

(7) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، ش : « منها » .

(8) ل : « طبائع » .

(9) ط : « ملاقات » محرفة . ل : « في طباعها » .

(10) الليل البهيم : الشديد الظلمة . ل ، ش : « وألقحت » .

(11) ل : « واستفتحت » ، والوجه ما أثبت من ط ، ش . والمراد بالأحلام الرؤى .

(12) الهدان ، بالكسر : الأحمق الثقيل .

(13) علي بن معاذ : أحد شعراء الدولة العباسية ، وروى عنه الجاحظ في البيان والتبيين .

- لَلْبَدْرِ طِفْلٌ فِي حِضَانِ⁽¹⁾ الْهَوَا مُسْتَزَلَقٌ مِنْ رَحِمِ الشَّمْسِ⁽²⁾
وقال دُكَيْنُ الرَّاجِزِ⁽³⁾، [أو أبو محمد الفقعسي]:
وقد تعللتُ ذميل العنَسِ⁽⁴⁾ بالسَّوْطِ فِي دِيْمُومَةٍ كَالْتُرْسِ⁽⁵⁾
إِذْ عَرَجَ اللَّيْلَ بِرُوحِ الشَّمْسِ⁽⁶⁾
وقال أمية بن أبي الصلت:
وَالْأَرْضُ نَوَّخَهَا إِلَهُ طَرُوقَةً لِلْمَاءِ حَتَّى كُلَّ زَنْدٍ مُسْفَدٍ⁽⁷⁾
وَالْأَرْضُ مَعْقِلَنَا وَكَانَتْ أَمْنًا فِيهَا مَقَابِرُنَا وَفِيهَا نَوْلِدُ⁽⁸⁾
وذكر أمية الأرض فقال:
وَالطُّوْطُ نَزْرَعُهُ فِيهَا فَنَلْبِسُهُ وَالصُّوفُ نَجْتَرُهُ مَا أَرْدَفَ الْوَبَرَ⁽⁹⁾
هِيَ الْقِرَارُ فَمَا نَبْغِي بِهَا بَدَلًا مَا أَرْحَمَ الْأَرْضُ إِلَّا أَنْنَا كُفْرُ⁽¹⁰⁾
وَطَعْنَةُ اللَّهِ فِي الْأَعْدَاءِ نَافِذَةٌ تُعْيِي الْأَطِبَاءَ لَا تَنْوِي لَهَا السُّبْرُ⁽¹¹⁾
ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ:
مِنْهَا خُلِقْنَا وَكَانَتْ أَمْنًا خُلِقَتْ وَنَحْنُ أَبْنَاؤُهَا لَوْ أَنَّ شُكْرُ⁽¹²⁾

- (1) الحضان: مصدر حضن الطائر بيضه. ط، ل: «حصان» بالمهملة، صوابه في س. والهو أصله الهواء وقصر للشعر. وكتب في الأصل بالياء، «الهُوى» وصواب كتابته بالألف.
(2) مستزلق: من أزلقت الفرس: إذا ألقت ولدها تامًا. ط: «متزلق» س: «مستق».
(3) تقدمت ترجمته في 41 من هذا الجزء.
(4) ش: «تغللت!» وانظر تحقيق هذا البيت في ص 41.
(5) الديمومة: الفلاة الواسعة. ط: «كالندس» وصوابه في ل، ش والترس هو ذاك الذي يتوقى به المحارب. وجعل الفلاة كالترس في صلاتها.
(6) انظر ما سبق في ص 41.
(7) نوخها: أي أبركها. والطروقة، بالفتح: أنثى الفحل. والزند: هو قرين الزندة، ومنهم تقتدح النار. فالأول لا فجوة فيها، وفي الزندة فجوة يدار فيها الزند فيظهر الشرر. والمسند بفتح الفاء: الذي طلب السفاد فناله. وضبطت في اللسان بكسر الفاء، وصوابه ما ذكرت. يقول: إن نظام التلاقح ليس خاصًا بالأحياء، بل نراه أيضًا بين الأرض والماء حيث يتغلغل فيها، ونجده أيضًا بين الزند والزندة اليابسين. وهو معنى شعري بارع. ط، ش: «زبد» تصحيف. ش: «مفسد»، تحريف، وهذا البيت في ل هو الثاني في الترتيب.
(8) كذا في ل والجزء الخامس ص 294 والمخصص (13: 180)، وفي ط، ش: «نوء».
(9) الطوط، بالضم: القطن، أو قطن البردي خاصة. وأردف الوبر: توالى وتتابع ط، ش: «أدفا». ورواية البيت في اللسان هكذا:

وَالطُّوْطُ نَزْرَعُهُ أَغْنَى جَرَاؤُهُ فِيهِ اللَّبَاسُ لِكُلِّ حَوْلٍ يَعْضُدُ

- (10) الكفر، بضم كين: جمع كفور بمعنى كافر، وهو يقال للمذكر والمؤنث. ط: «لها بدلًا».
(11) السبر: مح سبار بالكسر، وهو ما يقدر به غور الجراحات، وهو أيضًا للفتيلة تجعل في الجرح. والمعنى يتجه بكل منهما. وتنوى: تقيم وتستقر. ط، ش: «يلوي» يقال لوى يلوي: انتظر وتحبس. وكل منهما متجه؛ فإن المعنى أن تلك الطعنة لشدة ما يتدفق منها من دم تدفع بما يوضع فيها دفعًا. ومثله قول الآخر:
تَرْدُ عَلَى السَّابِرِ السَّابِرَا
نَرْدُ السَّابِرِ عَلَى السَّابِرِ
وقوله:
(12) الشكر، بضم شين: جمع شكور بالفتح.

(ما تستنكره العامة من القول)

وتقول العرب: الشمسُ أرحمُ⁽¹⁾ بنا! فإذا سمع السامعُ منهم أنَّ جالينوسَ قال: عليكم بالبقلة الرحيمة - السلق⁽²⁾ - استشنعه السامع، وإذا سمع قول العرب: الشمسُ أرحمُ بنا، وقول أمية:

ما أرحمَ الأرضَ إلا أننا كُفِرُ

لم يستشنعه، وهما سواء. فإذا سمع أهل الكتاب يقولون: إنَّ عيسى بن مريم عليه السلام أخذ في يده اليمنى عُزْفَةً⁽³⁾، وفي اليسرى كِسْرَةَ خبز⁽⁴⁾، ثم قال: هذا أبي، للماء، وهذه أمي، لكسرة الخبز⁽⁵⁾، استشنعه، فإذا سمع قول أمية⁽⁶⁾:

والأرضُ نَوَّخَهَا الإله طَرُوقَةً للماءِ حتَّى كل زَنْدٌ مُسْفَدٌ

لم يستشنعه. والأصل في ذلك أنَّ الزنادقة أصحاب ألفاظ في كتبهم، وأصحاب تهويل؛ لأنهم حينَ عدِمُوا المعاني ولم يكن عندهم فيها طائل، مالُوا إلى تكلف ما هو أخَصَرُ وأيسرُ وأوجزُ كثيراً.

(حُظوة طوائف من الألفاظ لدى طوائف من الناس)

ولكل قوم ألفاظٌ حظيت عندهم. وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منشور، وكل شاعر [في الأرض]⁽⁷⁾ وصاحب كلام موزون؛ فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظاً بأعيانها؛ ليديرها في كلامه وإن كان واسع العلم غزير المعاني، كثير اللفظ. فصار حظُّ الزنادقة من الألفاظ التي سبقت إلى قلوبهم، واتصلت بطبائعهم، وجرت على ألسنتهم التناكح، والنتائج⁽⁸⁾، والمزاج، والثور والظلمة، والدفاع والمناع⁽⁹⁾، والساتر والغامر، والمنحل⁽¹⁰⁾، والبطلان، والوجدان، والأثير والصدِّيق⁽¹¹⁾ وعمود السبح⁽¹²⁾، وأشكالا من

(1) انظر الحيوان 5: 70.

(2) ط، ش: «السلقة».

(3) الغرفة، بالضم: مقدار ما يغترف المرء بيده. ل: «أخذ في يده كسرة خبز».

(4) هذه الجملة ساقطة من ل. (5) ط، ش: «هذا أبي وهذه أمي لكسرة الخبز والماء».

(6) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت، في ص 195.

(7) الزيادة من ل، ش. وانظر لنحو هذا البحث سر الفصاحة 98-99.

(8) ل: «والنتائج».

(9) ط، ش: «والبقاع».

(10) هذه ساقطة من ل.

(11) الصديق يعنون به المؤمن الخالص بالإيمان، وفي اعتقاد المانوية أن الصديق حين يحتضر تحضره أربعة آلهة، ومعهم ركوة ولباس وعصاية وتاج وإكليل النور، فيلبسونه التاج والإكليل ويعطونه الركوة بيده، ويعرجون به في عمود السبح إلى فلك القمر. وانظر بقية الكلام في الفهرست 469 مصر 335 ليبسك، ط: «الصادق» ش: «الصادا» وصوابهما ما أثبت. وهذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من ل. وسبق في الجزء الأول، ص 68 برسم: «الصنديد» وهذه أيضاً من كلمات الزنادقة. انظر لها الفهرست 463 مصر، 331 ليبسك.

(12) السبح: يراد به العروج والصعود إلى السماء. وفي ذلك العمود الوهمي ترتفع التسابيح والتقايس والكلام الطيب وأعمال البر. ذلك ما قاله ماني. انظر الفهرست 461 مصر 330 ليبسك. في الأصل: «الصبح» وسبقت في الجزء الأول ص 68 برسم «السنخ»، وصوابه ما أثبت.

هذا الكلام، فَصَّارٌ⁽¹⁾ وإن كان غريباً مرفوضاً⁽²⁾ مهجوراً عند أهل ملتنا ودعوتنا، وكذلك هو عند عوامنا وجمهورنا، ولا يستعمله إلا الخواص⁽³⁾ وإلا المتكلمون.

(اختيار الألفاظ وصوغ الكلام)

وأنا أقول في هذا قولاً، وأرجو أن يكون مرضياً، ولم أقل «أرجو» لأنني أعلم فيه خلافاً⁽⁴⁾، ولكنني أخذت بآداب وجوه أهل دعوتي وملتي، ولغتي، وجزيرتي وجيرتي؛ وهم العرب. وذلك أنه قيل لصحار⁽⁵⁾ العبدية: الرجل يقول لصاحبه، عند تذكيره أياديه وإحسانه⁽⁶⁾: أما نحن فإننا نرجو أن نكون قد بلغنا من أداء ما يجب علينا مبلغاً مرضياً. وهو يعلم أنه قد وفاه حقه الواجب، وتفضل عليه بما لا يجب. قال صحار: كانوا يستحبون أن يدعوا للقول متنفساً، وأن يتركوا فيه فضلاً، وأن يتجافوا عن حق⁽⁷⁾ أرادوه لم يمنعوا منه. فلذلك قلت «أرجو». فافهم فهمك الله تعالى. فإن رأيي في هذا الضرب من هذا اللفظ، أن أكون ما دمت في المعاني التي هي عبارتها، والعادة⁽⁸⁾ فيها، أن ألفظ بالشيء العتيد⁽⁹⁾ الموجود، وأدع التكلف⁽¹⁰⁾ لما عسى ألا يسلس ولا يسهل إلا بعد الرياضة الطويلة. وأرى أن ألفظ بألفاظ المتكلمين ما دمت خائضاً في صناعة الكلام مع خواص⁽¹¹⁾ أهل الكلام؛ فإن ذلك أفهم⁽¹²⁾ لهم⁽¹³⁾ عني، وأخف لمؤنتهم⁽¹³⁾ علي.

ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها، فلم تَلزَقْ بصناعتهم⁽¹⁴⁾ إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة⁽¹⁵⁾. وقبيح بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة، أو رسالة، أو في مخاطبة العوام والتجار⁽¹⁶⁾، أو في مخاطبة أهله وعبيده وأمرته، أو في حديثه إذا تحدث⁽¹⁷⁾، أو خبره إذا أخبر.

وكذلك [فإنه]⁽¹⁸⁾ من الخطأ أن يجلب⁽¹⁹⁾ ألفاظ الأعراب، وألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل. ولكل مقام مقال، ولكل صناعة شكل.

(1) ط، ش: «نصاً» وتصحيحه من ل.

(2) ط، ش: «والخاص» والكلام من كلمة «عند» الأولى، إلى «هو» ساقط من ل.

(3) ل: «لأنني لا أعلم».

(4) (5) صحار العبدية تقدمت ترجمته في (1: 87).

(6) كذا على الصواب في ل. وفي ط، ش: «ما يقول الرجل لصاحبه عند تذكيره أياديه وإحسانه قال».

(7) ل: «متى».

(8) كذا على الصواب في ل. وفي ط، ش: «والعبادة».

(9) العتيد: الحاضر المهيأ.

(10) كذا على الصواب في ل. وفي ط، ش: «التكليف».

(11) ط، ش: «خاص».

(12) كذا على الصواب في ل. وفي ط، ش: «عندي».

(13) ط، ل: «لمؤنتهم».

(14) ط: «وبين تلك المعاني الصناعة»، والوجه حذف «المعاني» كما في ل، ش.

(15) ط: «الجار» تحريف.

(16) ط، ش: «يجلب».

(17) ط: «حدث».

(18) ط، ش: «الزيادة من ل، ش».

(19) ط، ش: «يجلب».

(خلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثم رجع بنا القول إلى ما يحدث الله - عز وجل - من خلقه من غير ذكر ولا أنثى . فقلنا : إنه لابد في ذلك من تلاقي أمرين يقومان مقام الذكر والأنثى ، ومقام الأرض والمطر . وقد تقرب الطبائع من الطباع ، وإن لم تتحول في جميع معانيها ، كالنطفة ⁽¹⁾ والدم ، وكاللبن والدم . وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عام : لابد لجميع الحيوان من دم ، أو من شيء ⁽²⁾ يشاكل الدم .

ونحن قد نجد الجيف يخلق ⁽³⁾ منها الديدان ، وكذلك العذرة . ولذلك المجوسي كلما تبرز ذر على برازه شيئاً من التراب ؛ لئلا يخلق منها ديدان ⁽⁴⁾ . والمجوسي ⁽⁵⁾ لا يتغوط في الآبار والبلاليع لأنه بزعمه يكرم بطن الأرض عن ذلك ، ويزعم أن الأرض أحد الأركان التي بُنيت العوالم الخمسة عليها ⁽⁶⁾ بزعمهم : أبرسارس ⁽⁷⁾ وأبرمارس ⁽⁸⁾ وأبردس ⁽⁹⁾ وكارس ⁽¹⁰⁾ وحريرة أمنة ⁽¹¹⁾ . وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد أسرس ⁽¹²⁾ ، ولذلك لا يدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ، ويضعونهم في التواويس وضعا : قالوا : ولو استطعنا أن نخرج تلك الجيف من ظهور الأرضين وأجواف الأحراز ، كما أخرجناها من بطون الأرضين ⁽¹³⁾ لفعلنا . وهم يسمون يوم القيامة روز رستهار ⁽¹⁴⁾ ، كأنه يوم تقوم الجيف .

فمن بغضهم لأبدان الموتى سموها بأسمج أسمائهم ⁽¹⁵⁾ . قالوا : وعلى هذا المثال أعظمنا النار والماء ⁽¹⁶⁾ ، وليسا بحق بالتعظيم من الأرض .

وبعد : فنحن ننزع الصمامة من رءوس الآنية التي يكون فيها بعض الشراب ، فنجد هنالك من الفراش ما لم يكن عن ⁽¹⁷⁾ ذكر ولا أنثى ، وإنما ذلك لاستحالة بعض أجزاء الهواء وذلك الشراب إذا انضم عليه ذلك الوعاء ⁽¹⁸⁾ . وهذا قول ذي الرمة وتأويل شعره ، حيث يقول :

(1) النطفة : ماء الرجل . ط ، ش : « كالنطفة » ، وصوابه في ل .

(2) ط ، ش : « شكل » . (3) ل : « تخلق » .

(4) « ولذلك المجوسي » . إلخ ، ساقط من ش . وفي ط : « وكذلك » .

(5) ل : « ولذلك المجوسي » .

(6) كذا في ش . وفي ط : « تنبت » محرفة . ل : « عليها يثبت العوالم الخمسة » .

(7) ط : « البرسارس » وفي رسائل الجاحظ 108 ساسي : « إبرشارش » .

(8) ط : « البرمارس » وفي رسائل الجاحظ : « إبربارش » . (9) ابردس هي في الرسائل : « ريددش » .

(10) ش : « كاومرة » . (11) كذا .

(12) الكلام من مبدأ « أبرسارس » ساقط من ل . وانظر الاستدراكات .

(13) الأرضين : جمع أرض . ط ، ش : « الأرض » في الموضوعين . والأحراز : جمع حرز ، وهو المكان الحصين . ط : « الأحرار » س : « الأحرار » ل : « الأجواء » ، ولعل الوجه في ما أثبت .

(14) ش : « روز سهرار » ، ط : « روز سهرار » . (15) ل : « أسمائها » .

(16) ل : « عظمنا الماء فالنار » . (17) ط ، ش : « عند » والوجه ما أثبت من ل .

(18) ل : « وإنما ذلك استحالة » . ط : « إذا انضم » ، وصواب الأخيرة في ل ، ش .

وَأَبْصَرْنَ أَنْ الْقِنْعَ صَارَتْ نِطَافُهُ فَرَأَسًا وَأَنَّ الْبَقْلَ ذَاوٍ وَيَابِسٌ⁽¹⁾
وكذلك كلُّ ما تَخْلُق من جُمَارِ النَّخْلَةِ وفيها⁽²⁾، من ضروب الخلق والطَّير، وأشباه
[الطَّير]، وأشباه⁽³⁾ بناتِ وَرْدَانٍ، والذي يسمَّى بالفارسية فاذو⁽⁴⁾، وكالسُّوس، والقوادح⁽⁵⁾،
والأَرْضُضَة، وَبَنَاتِ وَرْدَانِ اللَّاتِي يَخْلُقْنَ مِنَ الْأَجْدَاعِ والخشب والحشوش⁽⁶⁾، وقد نجد
الأزج⁽⁷⁾ الذي يكبس فيه اليخ⁽⁸⁾ بخراسان، كيف يستحيل كله ضفادع. وما الضَّفَدَعُ بِأَدَلَّ عَلَى
اللَّهِ مِنَ الْفَرَّاشِ.

وإنما يستحيل ذلك الثَّلْجُ إذا انفتح فيه كقَدْرٍ مِنْخَرِ الثَّوْرِ، حَتَّى تَدْخُلَهُ الرِّيحُ الَّتِي هِيَ
اللاقحة، كما قال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ﴾ [الحجر: 22]، فجعلها لاقحة ولم
يجعلها ملقحة. ونجد وَسْطَ الدَّهْنَاءِ - وهي أوسع من الدَّوِّ ومن الصَّمَانِ⁽⁹⁾ - وعلى ظهر
مسجد الجامع⁽¹⁰⁾ فِي غَبِّ الْمَطَرِ مِنَ الضَّفَادِعِ مَا لَا يُحْصَى عَدَدُهُ. وليس أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَنْ
ذِكْرٍ وَأَنْثَى، وَلَكِنَّ اللَّهَ خَلَقَهَا تِلْكَ السَّاعَةَ مِنْ طِبَاعِ تِلْكَ التُّرْبَةِ وَذَلِكَ الْمَطَرِ وَذَلِكَ الْهَوَاءِ
الْمَحِيطُ بِهِمَا، وَتِلْكَ الرِّيحُ الْمُتَحَرِّكَةُ. وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّ تِلْكَ الضَّفَادِعَ كَانَتْ فِي السَّحَابِ،
فَالَّذِي أَقْرَأُوا بِهِ أَعْجَبُ مِنَ الَّذِي أَنْكَرُوهُ. وَإِنَّمَا تَقِيمُ الضَّفَادِعُ وَتَتَرَبَّى وَتَتَوَالَّدُ فِي مَنَاقِعِ الْمِيَاهِ،
وَفِي أَرْضٍ تَلَاقَى مَاءٌ. وَالسَّحَابُ لَا يُوَصَفُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ. قَدْ نَجِدُ الْمَاءَ يَزِيدُ فِي دَجَلَةٍ
وَالْفُرَاتِ فَتَنْزُ الْبَطُونُ وَالْحَفَائِرُ الَّتِي تَلِيهَا مِنَ الْأَرْضِ، فَيُخْلَقُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ السَّمَكُ الْكَثِيرُ،
وَلَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ الْحَفَائِرِ الْحَدَثُ⁽¹¹⁾، وَلَا فِي بَحْرِ تِلْكَ الْأَرْضِينَ شَيْءٌ مِنْ بِيضِ السَّمَكِ.
وَلَمْ نَجِدْ أَهْلَ الْقَاطُولِ⁽¹²⁾ يَشْكُونُ فِي أَنَّ الْفَأَرَ تَخْلُقُ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَأَنَّهُمْ رَبَّمَا أَبْصَرُوا
الْفَأَرَةَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ خَلْقُهَا، فَنَسَبُوا بِأَجْمَعِهِمْ خَلْقَ الْفَأَرِ إِلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَإِلَى بَعْضِ الْمِيَاهِ
وَالتُّرْبِ وَالْأَجْوَاءِ وَالزَّمَانِ، كَمَا قَالُوا فِي السَّمَكِ، وَالضَّفَادِعِ، وَالْعَقَارِبِ.

(1) سبق شرح البيت في ص 187 من هذا الجزء. وصدر البيت محرف في ط هكذا:

وَأَبْصَرَتْ أَنْ النِّقْعَ صَارَتْ لِنِطَافَةٍ

(2) ل: «وكذلك ما يخلق». . إلخ.

(3) ط، ش: «وأشباه ذلك».

(4) ط، ش: «وَأَنَّ الَّذِي»، والوجه حذف: «أَنَّ» كما في ل. و «فاذو» هي في ط، ش: «تارداد».

(5) القوادح: جمع قاذحة، وهي الدود. ل: «القوارح» محرفة.

(6) الحشوش: جمع حش بالضم، وهو بيت الخلاء.

(7) الأزج، بالتحريك: بيت يُبْنَى طَوْلًا.

(8) اليخ: الثلج بالفارسية.

(9) الدهناء: اسم لواء في بادية البصرة. والدو: أرض ملساء بين البصرة ومكة. والصمان: بفتح الصاد، أرض غليظة فيها ارتفاع قريبة من الدهناء.

(10) يقال المسجد الجامع ومسجد الجامع، كما في القاموس. والمراد به مسجد البصرة.

(11) الحدث: واحد الأحداث، وهي الأمطار الحادثة في أول السنة.

(12) قال ياقوت: نهر كان في موضع سامرا قبل أن تعمر.

(ضعف إطراد القياس والرأي في الأمور الطبيعية)

فإن قاس ذلك قائس فقال⁽¹⁾: ليس بين [الدُّبَان و] بنات وردان و[بين] الزَّنَابِير فرق، ولا بين الزَّنَابِير والدَّبَر والخنافس⁽²⁾ فرق، [ولا بين الزَّرَازِير والخفافيش] ولا بين العصافير والزَّرَازِير فرق. فإذا فرغوا من خشاش الأرض صاروا إلى بغائها ثم إلى أحرارها، ثم إلى الطواويس والتدارج⁽³⁾ والزمامج⁽⁴⁾ حتى يصعدوا إلى الناس. قيل لهم: ليس ذلك كذلك، [و] ينبغي لكم بدياً أن تعرفوا الطَّبيعة والعادة، والطبيعة الغريبة⁽⁵⁾ من الطبيعة العامية⁽⁶⁾، والممكن من المُمْتَنِع، وَأَنَّ المُمْكِنَ على ضربين: فمنه الذي لا يزال يكون، ومنه الذي لا يكاد يكون، وما علة الكثرة والقلة، وتعرفوا⁽⁷⁾ أَنَّ الممتنع أيضاً على ضربين: فمنه ما يكون لعله موضوعة يجوز دفعها، وما كان منه لعله لا يجوز دفعها⁽⁸⁾، [وفصل ما بين العلة التي لا يجوز دفعها] وهي على كل حال علة، وبين الامتناع الذي لا علة له إلا عين الشيء وجنسه⁽⁹⁾. ويُنْبَغِي أَنْ تعرفوا فَرْقَ ما بين المحال [و] الممتنع، وما يستحيل كونه من الله عز وجل؛ وما يستحيل كونه من الخلق.

وإذا عرفتم الجواهر وحظوظها من القوى، فعند ذلك فتعاطوا الإنكار والإقرار، وإلا فكونوا في سبيل المتعلم، أو في سبيل [من⁽¹⁰⁾] أثر الراحة ساعة على ما يورث كد التعلم من راحة الأبد. قد يكون أن يجيء على جهة التوليد شيء⁽¹¹⁾ يبعد في الوهم [مجيئه]، ويمتنع شيء هو أقرب في الوهم⁽¹²⁾ [من غيره]؛ لأنَّ حقائق الأمور ومغيبات الأشياء، لا تُردُّ إلى ظاهر الرأي، وإنما يردُّ إلى الرأي ما دخل في باب الحزم والإضاعة⁽¹³⁾ وما هو أصوب وأقرب إلى نيل الحاجة. وليس عند الرأي علمٌ بالتَّجَحُّج والإكداء⁽¹⁴⁾؛ كنحو مجيء⁽¹⁵⁾ الرَّجَاج من الرَّمْل، وامتناع الشَّبه والزُّبُق من أن يتحوَّل في طبع الذهب والفضة⁽¹⁶⁾. والزُّبُق أشبه بالفضة

(1) إلى هنا تنتهي الزيادة التي ابتدأت من ص 199 س 4.

(2) ل: «وعين الزَّنَابِير والخفافيش»، والكلمة الأخيرة محرفة.

(3) التدارج: جمع تدرج، وهو طائر مليح مغرد. ط، ش: «التدريج».

(4) الزمامج: جمع زمج، وهو من أنواع البزاة، وفارسيته «دوبرادران» كما في القاموس.

(5) بدل هاتين الكلمتين في ط، ش: «الغريبة» تحريف.

(6) المراد بالعامية العامة، التي لا غرابة فيها ولا شذوذ.

(7) ط، ش: «يعرفون» ل: «يعرفوا» ووجه ما أثبت. (8) هذه ساقطة من ل وفي ط: «للعلة التي».

(9) ط، ش: «الذي لا علة له غير الشيء وجنسه». (10) الزيادة من ل، ش.

(11) ط، ش: «قد يكون أو يجيء على جهة التوليد وشيء»، تحريف.

(12) الزيادة من ل، ش. (13) كذا في ل، ش. وفي ط: «الحزم والإضافة» محرف.

(14) النجح بالضم: النجاح ط، ش: «بالنصح» محرفة. والإكداء: الخيبة.

(15) ط: س: «مخارج»، وصوابه في ل.

(16) الشبه نوعان: «أحدهما طبيعي يكون بجمال أصبهان. والآخر صناعي يؤخذ جزء من النحاس وعشرة من التوتيا يطعمها بالسبك بعد التنقية. عن تذكرة داود.

المايعة من الرَّمْل بالزجاج الفرعوني⁽¹⁾. والشَّبه الدمشقي بالذهب الإبريز أشبه من الرَّمْل بفلق⁽²⁾ الزجاج النقي الخالص الصافي. ومن العجب أنَّ الزجاج - وهو مولد - قد يجري مع الذهب في كثيرٍ مفاخر الذهب؛ إذ كان لا يغيّر طبعه ماءً ولا أرضاً؛ والفضة التي ليست بمولدة⁽³⁾ إذا دفنت زماناً غير طويل استحالت أرضاً. فأما الحديد فإنه في ذلك سريع غير بطيء. وقد زعم ناس أنَّ الفرق الذي بينهما إنما هو أنَّ كلَّ شيء له في العالم أصلٌ وخميرة، لم يكن كالشيء الذي يكتسب⁽⁴⁾ ويكتلب ويلق ويترك، وأنَّ الذهب لا يخلو من أن يكون ركناً من الأركان قائماً⁽⁵⁾ منذ كان الهواء والماء والنار والأرض. فإن كان كذلك فهو أبعد شيء من أن يولد الناس مثله⁽⁶⁾. وإن كان الذهب إنما حدث في عمق الأرض⁽⁷⁾، بأن يصادف من الأرض جَوْهراً⁽⁸⁾، ومن الهواء الذي في خلالها جَوْهراً، ومن الماء الملايس لها جَوْهراً، ومن النار المحصورة فيها جَوْهراً، مع مقدار من طول مرور الزمان، ومقدار من مُقابلات البروج، فإن كان الذهب إنما هو نتيجة هذه الجواهر على هذه الأسباب⁽⁹⁾، فواجب ألا يكون الذهب أبداً إلا كذلك.

فيقال لهؤلاء: رأيتم الفأرة التي خلقت من صُلْب جُرَذٍ ورحم فأرة، وزعمتم أنها فأرة على⁽¹⁰⁾ مقابلة من الأمور السَّماويّة والهوائيّة والأرضيّة، وكانت نتيجة هذه الخصال، مع استيقاء هذه الصفات⁽¹¹⁾؟ أَلَسْنَا قَدْ⁽¹²⁾ وجدنا فأرة أخرى تهيأ لها من أرحام الأرضيين، ومن حضانة الهواء، ومن تلقيح الماء، ومن مُقابلات⁽¹³⁾ السماويّات والهوائيّات، فالزَّمان أصار⁽¹⁴⁾ جميع ذلك سبباً لفأرة [أخرى] مثلها. وكذلك كلُّ ما عدناه⁽¹⁵⁾ فمن أين يستحيل أن يخلط الإنسان⁽¹⁶⁾ بين مائيّة طبيعيّة ومائيّة جَوْهَر⁽¹⁷⁾؟ إمّا من طريق التباعد والتقريب، ومن طريق الظنون والتجريب، [أ]و من طريق أن يقع ذلك اتفاقاً، كما صنع النّاطف الساقط من يد الأجير في مُذاب الصُّنفر⁽¹⁸⁾ حتى أعطاه ذلك اللون، وجلب ذلك النّفع⁽¹⁹⁾، ثم إنَّ الرّجال دبّرتهم وزادَتْ ونَقَصَتْ، حتى صارَ شَبْهًا ذهبيًا. هذا مع التّوشاذر المولّد من الحجارة السّود⁽²⁰⁾.

- (1) الزجاج الفرعوني: ضرب من الزجاج الصناعي، تجد صفته في تذكرة داود، وانظر الاستدراكات.
- (2) فلُق: جمع فُلقة، وهي القطعة. (3) ط، ش: «ليست بمولدة»، ل: «والفضة مولدة» وجعلتها كما ترى.
- (4) ط: «يكتب»، وصوابه في ل، ش.
- (5) كذا في ل، ش. وفي ط: «قديمًا».
- (6) ل: «فهو أبعد الناس من أن يؤلفوا مثله».
- (7) ش: «في عين الأرض».
- (8) ط: «جواهر أو» في المواضع الأربعة. وصوابه في ل، ش.
- (9) ل: «الأصناف»!
- (10) ش: «عن».
- (11) ط: «مع استيقاء مدة صفات»، وتصحيحه من ل، ش.
- (12) ط: «التسافد»، وتصحيحه من ل، ش.
- (13) كذا على الصواب في ل. وفي ط، ش: «المقابلات».
- (14) أصار: جعل. ل: «من الزمان ما صار».
- (15) كذا على الصواب في ل. وفي ط، ش: «كلما عدناه».
- (16) ط، ش: «يحلها إنسان»، وصوابه في ل.
- (17) ط، ش: «مائيّة»، وصوابه في ل.
- (18) الناطف: ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفسق، ويسمى أيضًا القبيطي والقابطي والقبيط - بضم القاف وتشديد الباء فيهن - والقبيطاء كحميراء. انظر القاموس واللسان مع الألفاظ الفارسية 123 وحاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية (4: 88) وحواشي تهذيب الصحاح (نطف). والصفر، بالضم: النحاس.
- (19) ل: «البقع».
- (20) التوشاذر، كذا في جاء بالذال المعجمة. وانظر ما سيأتي في 5: 236 ط، ش: «والحجارة السود».

فلو قلتم: إنَّ ذلك قائم الجواز في العقل^(١) مطرد في الرأى، غير مستحيل في النَّظر^(٢). ولكنَّا وجدنا العالم بما فيه من النَّاس منذ كانا فإنَّ النَّاس يلتصون [هذا] وينتصبون له^(٣)، ويكلفون به. فلو كان هذا الأمر يجيء من وجه الجمع والتوليد^(٤) والتركيب والتجريب،^(٥) و من وجه الاتفاق، لقد كان ينبغي أن يكون ذلك قد ظهر من ألوف سنين وألوف؛ إذ كان هذا المقدار أقل ما تؤرَّخ به الأمم، وكان^(٦) هذا مقبولا غير مردود. وعلى أنه لم يتبين لنا منه أنه يستحيل أن يكون الذهب إلا من حيث وجد^(٧). وليس قُرب كون الشيء في الوهم بموجب لكونه، ولا بعده في الوهم بموجب لامتناعه.

ولو أن قائلًا قال: إنَّ هذا الأمر^(٨) [إذ] قد يحتاج إلى أن تنهي له طباع الأرض، وطباع الماء، [وطباع الهواء]، وطباع النار، ومقادير حركات الفلك، ومقدار من طول الزمان. فمتى لم تجتمع هذه الخصال وتكمل هذه الأمور لم يتم خلق الذهب. وكذلك قد يستقيم أن يكون قد تنهى لواحد أن يجمع بين [مائي] شكل [من] الجواهر، فمزجها على مقادير، وطبخها على مقادير، وأغبها مقداراً^(٩) من الزمان، وقابلت مقداراً من حركات الأجرام السماوية، وصادفت العالم بما فيه على هيئة^(١٠)، وكان بعض ما جرى على يده اتفاقاً وبعضه قصداً، فلما اجتمعت جاء منها ذهب فوق ذلك في خمسة آلاف سنة مرة، ثم أراد صاحبه المعاودة فلم يقدر على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهر، ولم يضبط مقادير ما كان قصد إليه في تلك المرة^(١١)، وأخطأ ما كان وقع له اتفاقاً^(١٢)، ولم يقابل من الفلك مثل تلك الحركات، ولا من العالم مثل تلك الهيئة، فلم يعد له ذلك.

فإن قال لنا هذا القول [قائل] وقال: بيَّنوا^(١٣) لي موضع إحالته، ولا تحتجوا بتباعد [اجتماع] الأمور فيه، فإننا نقر لكم بتباعدها. هل كان عندنا في ذلك قول مقنع، والدليل الذي تُلجج به الصدور؟! وهل عندنا في استطاعة النَّاس أن يولدوا مثل ذلك^(١٤)، إلا بأن يُعرض هذا القول على العقول السليمة، والأفهام التامة ونردّه إلى الرُّسل^(١٥) والكتب؟! فإذا وجدنا هذه الأمور كلها نافيةً له^(١٦) كان ذلك عندنا هو المقنع. وليس الشأن فيما يظهر اللسان من الشك فيه والتجوز له، ولكن ليردّه إلى العقل^(١٧)؛ فإنه سيجد منكرًا ونافياً [له]، إذا^(١٨) كان العقل سليماً من آفة المرض، ومن آفة التخييل.

(١) ل: «القائم الجواز». ط، ش: «قائم الجوهر في العقل»، وجمعت بينهما.

(٢) ل: «العقل».

(٣) ل: «وينصبون له».

(٤) ط، ش: «والفرق»، والأشبه ما أثبت من ل.

(٥) الزيادة من ل، ش.

(٦) ط، ش: «وكان».

(٧) ل: «الأصل».

(٨) ل: «القائم الجواز». ط، ش: «وأعانها مقدار».

(٩) ل: «الهيئة».

(١٠) ل: «وأخطأ ما وقع له اتفاقاً».

(١١) ل: «أن يولدوا ناساً»، وهو تحريف.

(١٢) ل: «وأثبتوا».

(١٣) ل: «كذا في ل وفي ط، ش: «رسول الله ﷺ».

(١٤) ل: «كذا في ل وفي ط، ش: «باقية».

(١٥) ل: «كذا في ل وفي ط، ش: «باقية».

(١٦) ل: «كذا في ل وفي ط، ش: «باقية».

(١٧) ل: «كذا في ل وفي ط، ش: «باقية».

(١٨) ل: «كذا في ل وفي ط، ش: «باقية».

(ضروب التخيل)

والتخيل ضروب⁽¹⁾ : تخيل من المَرار⁽²⁾ ، وتخيل من الشَّيطان ، وتخيل آخر كالرجل يعبد إلى قلب رطب لم يتوقَّح ، وذهن لم يستمر⁽³⁾ ، فيَحْمِلُه على الدقيق وهو بعد لا يفني بالجليل ، ويتخطى المقدمات متسكعاً⁽⁴⁾ بلا أمانة ، فرجع حسيراً⁽⁵⁾ بلا يقين ، وغبر زماناً لا يعرف إلا [الشكوك و] الخواطر الفاسدة ، التي متى لاقى القلب على هذه الهيئة ، كانت ثمرتها⁽⁶⁾ الحيرة . والقلب الذي يفسد في يوم لا⁽⁷⁾ يداوى في سنة ، والبناء الذي يُنْقَضُ في ساعة لا يبني مثله في شهر .

(قولهم : نبذ يمنعه جانبه)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الذبان

قيل لعلَّويه كلب المطبخ : أي شيء معنى قولهم : « هذا نبذ يمنعه جانبه » ؟ قال : يريدون أن⁽⁸⁾ الذَّبان لا يدنو منه . وكان الرقاشي حاضراً ، فأشَدَّ قول ابن عبدل⁽⁹⁾ :

عَشَّشَ الْعَنْكَبُوتُ فِي قَعْرِ دَنِي	إِنَّ ذَا مِنْ رَزِيَّتِي لِعَظِيمٍ
لَيْتَنِي قَدْ غَمَرْتُ دَنِي حَتَّى	أُبْصِرَ الْعَنْكَبُوتَ فِيهِ يَعُومُ ⁽¹⁰⁾
غَرَقاً لَا يُغِيثُهُ الدَّهْرُ إِلَّا	زَبَدٌ فَوْقَ رَأْسِهِ مَرْكُومُ ⁽¹¹⁾
مَخْرَجاً كَفَّهُ يَنَادِي ذُبَاباً	أَنْ أَغْنِنِي فَإِنِّي مَغْمُومُ ⁽¹²⁾
قَالَ : دَعْنِي فَلَنْ أَطِيقَ دُنُوءاً	مِنْ شَرَابٍ يَشْمُهُ الْمَرْكُومُ ⁽¹³⁾

[قال] : والذَّبان يضرب به المثل في القَدَر وفي استطابة الثَّن ، فإذا عَجَزَ الذَّبَابُ عن شَمِّ شيء فهو الذي لا يكون أتنُّ منه .

(1) ل : «ضربان» ، وإنما هي «ضروب» .

(2) المَرار : جمع مرة بالكسر ، وهي مزاج من أمزجة البدن إذا قوي اختل معه التفكير .

(3) يتوقَّح : يصلب . يستمر : يقوى .

(4) متسكعاً : متحيراً . ط ، ش : «متكشفاً» محرفة عن «متكسفاً» يقال تسكع وتكسع .

(5) الحسير : المتعب المعيي . ط : «حيران» . (6) ش : «نمرته» ، تحريف .

(7) ط : «ولا» والوجه حذف الواو كما في ل ، ش .

(8) ط ، ش : «يريدان» .

(9) هو الحكم بن عبدل الأسدي تقدمت ترجمته في 2 : 89 . وانظر أبياتاً من هذه القصيدة في 5 : 200 ، وهي مقيدة الروى ، أي ساكنته .

(10) غمرته : ملأته حتى نهايته . وفي الأصل : «عمرت» . والذن ، بالفتح : الراقود العظيم . ط : «ذني» وصوابه في ل ، ش . وفي ل : «تعوم» . والعنكبوت مؤنثة وتذكر قليلاً ، وابن عبدل قد جعلها هنا مذكرة بقرائن كثيرة .

(11) الزبد : ما يعلو الخمر ونحوها . ش : «وبز» محرفة . والمركوم : المتجمع .

(12) ط ، ش : «مخرج» . ل : «مظلوم» .

(13) لا يشم المزكوم إلا ما كان غاية في ظهور الرائحة . ل : «يقطر المزكوم» .

ولذلك حينَ رَمَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَّانَ بْنِ سَعْدٍ⁽¹⁾ بالبخر، قال :
وما يدنو إلى فيه ذبابٌ ولو طليت مشافره بقند⁽²⁾
يرين حلاوة ويخفن موتاً وشيكاً إن هممن له بورد⁽³⁾
(أبو ذبان)

ويقال لكل أبخر: أبو ذبان، وكانت فيما زعموا كنية عبد الملك بن مروان⁽⁴⁾
وأنشدوا⁽⁵⁾ قول أبي خرابة⁽⁶⁾ :

أمسى أبو ذبان مخلوع الرسن⁽⁷⁾ خلع عنان قارح من الحصن⁽⁸⁾
وقد صفت بيعتنا لابن حسن⁽⁹⁾
(شعر فيه هجاء بالذباب)

وقال رجلٌ يهجو هلالَ بن عبد الملك الهنائي⁽¹⁰⁾ :
ألا من يشتري مني هلالاً مودته وخلته بفلس⁽¹¹⁾
وأبرأ للذي ببتاغ مني هلالاً من خصال فيه خمس⁽¹²⁾
فمنهن النغائغ والمكاوي وآثار الجروح وأكل ضرس⁽¹³⁾
ومن أخذ الذباب بإصبعيه وإن كان الذباب برأس جعس⁽¹⁴⁾

(1) ط، ش: «سعيد» والصواب ما أثبت من ل والأغاني (3: 145) والبيان (3: 74) ونهاية الأرب (10: 300) وعيون الأخبار (4: 62) حيث يوجد الشعر.

(2) ل: «فما». ومشافره أراد به شفثيه، ولكنه تهكم. والقند بالفتح: غسل قصب السكر إذا جمد، معرب: «كند».

(3) ط: «يرون» وصوابه في ل، ش. ل: «ذعافاً» بدل: «وشيكاً» وقد تقدمت أبيات من هذه القصيدة في (1: 180-183).

(4) قالوا: كنى بذلك لشدة بخره، وموت الذبان إذا دنت من فيه. ويحكى أنه عض يوماً تفاحة ورمى بها إلى بعض نسائه، فدعت بسكين فقطعت موضع عضته، فقال لها: ما تصنعين؟ قالت: أميط عنها الأذى! فطلقها من وقته. انظر ثمار القلوب 197.

(5) ط، ش: «وأنشد».

(6) ط، ش: «ابن خرابة»، وتصحيحه من ل. وقد تقدمت ترجمته في (1: 183).

(7) ل: «أضحى». والرسن، بالتحريك: الزمام للدابة يوضع على الأنف.

(8) ش: «خلع عناق»، وهو تحريف صوابه في ل، ط، والقارح: الذي انتهت أسنانه، وإنما تنتهي في خمس سنين. والحصن: جمع حصان. ط، ش: «الرش» تحريف.

(9) ط، ش: «لابن الحسن»، وهما وجهان جائزان في العربية. جاء في المخصص (71: 46) في الكلام على إدخال (أل) ونزعها من الأعلام التي كانت في أصلها صفات: «والعرب قد تفعل هذا؛ لأنهم ربما قالوا: العباس وعباس، والحسن وحسن».

(10) الهنائي: نسبة إلى هناة، كشمامة، وهي قبيلة يمنية، انظر المعارف 49، ط، ش: «الهنائي»، ل: «الهنائي»، ووجهه ما كتبت.

(11) ل: «وخلطته». (12) ل: «ويشترط الذي»، تحريف.

(13) النغائغ: جمع نغغ، كبرقع، وهو لحمه في الحلق. أراد أنه يمرض بها أبداً. والمكاوي: جمع مكواة، التي يعالج بها الجروح ونحوها، ل: «والمكاوي» ولا تصح. و: «آثار» بدلها في ل: «آلات». وأكل الضرس: أراد به فساده.

(14) الجعس، بالفتح: الرجيع. ل: «ولو كان».

(قول في آية)

قالوا: وضرب الله عز وجل لضعف الناس وعجزهم مثلاً، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مِّثْلُ مَا سَتَمِعُوا لَهُ إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمِطْلُوبِ﴾ [الحج: 73] فقال بعض الناس: قد سوى بين الذباب والناس في العجز. وقالوا: فقد يولد الناس من التعنين الفراش [وغير الفراش⁽¹⁾] وهذا خلق، على قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [المائدة: 110]، وعلى قوله: ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصفاء: 125]، وعلى قول الشاعر⁽²⁾:

وَأَرَاكَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي⁽³⁾
 قيل لهم: إنما أراد الاختراع، ولم يرد التقدير⁽⁴⁾.

(قول في شعر)

وأما قول ابن ميادة:

أَلَا لَا نُبَالِي أَنْ تُخْنَدِفَ خَنْدِفٌ وَلَسْنَا نُبَالِي أَنْ يَطِنَ ذُبَابُهَا⁽⁵⁾
 فإنما جعل الذباب هاهنا مثلاً، وقد وضعه⁽⁶⁾ في [غير] موضع تحقير [له] و[موضع] تصغير. وهو مثل قوله:

بَنِي أَسَدٍ كَوْنُوا لِمَنْ قَدْ عَلِمْتُمْ مَوَالِي ذَلَّتْ لِلْهَوَانِ رِقَابُهَا⁽⁷⁾
 فلو حاربتنا الجن لم نرفع العصا عن الجن حتى لا تهر كلابها⁽⁸⁾
 وليس يريد [تحقير⁽⁹⁾] الكلاب.

(استطراد لغوي)

ويقال: هو ذباب العين، وذباب السيف. ويقال تلك أرض مدبة، أي كثيرة الذباب. وقال أبو السَّمُفْمَقِ في هجائه لبعض من ابتلي به:

(1) الزيادة من ل، ش.

(2) هو زهير، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان. في ديوانه ص 60-64.

(3) تفري: تقطع. خلقت: قدرت وهيأت. يقول: إذا تهيأت لأمر أمضيته وأنفذته.

(4) أي إن المراد من الخلق في الآية الأولى هو الاختراع لا التقدير. وأما في الآيتين بعدها والشعر فالمراد التقدير، لا الاختراع والابتداع.

(5) تخندف: تمشي مشية كالهرولة، ومن ذلك ما سميت القبيلة خندفاً. ل: «تخندق» ش: «تجيد»، والوجه ما في ط. وفي ش: «تطن ذبابها»، والذباب يذكر ويؤنث؛ إذ كل جمع يكون بينه وبين واحد الهاء فإنه يذكر ويؤنث.

(6) ط، ش: «وصفه»، وصوابه في ل. (7) ل: «كمن»، ويتجه بها المعنى أيضاً.

(8) ط، ش: «ولو» ط: «القنا» وهو جمع قناة.

(9) ليست بالأصل. والكلام في حاجة إلى مثلها.

أَسْمَجِ النَّاسِ جَمِيعاً كُلَّهُمْ كَذُّبَابٍ سَاقِطٍ فِي مَرْقِهِ
[ويقال إن اللين إذا ضرب بالكندس⁽¹⁾ ونضح به بيت لم يدخله ذَبَان].

(أبو حكيم وثمامة بن أشرس)

وسمعت أبا حكيم الكيميائي⁽²⁾ وهو يقول لثمامة بن أشرس: قلنا لكم إننا ندلكم على الإكسير⁽³⁾، فاستثقلتم الغرم، وأردتم الغنم بلا غرم. وقلنا لكم: دَعُونَا نَصْنَعُ هَذِهِ الْجَسُورَ [صَنَعَةً لَا تَنْتَقِضُ أَبَداً، فَأَيُّتُمْ. وَقُلْنَا لَكُمْ: مَا تَرْجُونَ مِنْ هَذِهِ الْمَسْنِيَّاتِ⁽⁴⁾] الَّتِي تَهْدِمُهَا الْمُدُودُ⁽⁵⁾، وَتَخْرِبُهَا الْمَرَادِيَّ⁽⁶⁾؟! نَحْنُ نَعْمَلُ لَكُمْ مَسْنِيَّاتٍ⁽⁷⁾ بِنِصْفِ هَذِهِ الْمُثُونَةِ، فَتَبْقَى لَكُمْ أَبَداً. ثُمَّ قَوْلُوا لِلْمُدُودِ أَنْ تَجْتَهِدَ جَهْدَهَا، وَلِلْمَرَادِيَّ⁽⁸⁾ أَنْ تَبْلُغَ غَايَتَهَا [فَأَيُّتُمْ]. وَقَوْلُوا لِي⁽⁹⁾: الذُّبَابُ مَا تَرْجُونَ مِنْهَا⁽¹⁰⁾؟ وَ[مَا] تَشْتَهُونَ مِنَ الْبَعُوضِ؟ وَمَا رَغَبْتُكُمْ فِي الْجَرَجِسِ⁽¹¹⁾؟ لَمْ لَا تَدْعُونِي أَخْرُجُهَا مِنْ بَيْتِكُمْ بِالْمُثُونَةِ الْيَسِيرَةِ؟ وَهُوَ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ وَأَصْحَابُنَا يَضْحَكُونَ، وَابْنُ سَافَرِي جَالِسٌ يَسْمَعُ⁽¹²⁾، فَلَمَّا نَزَلْنَا أَخَذَ بِيَدِهِ وَمَضَى بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَعَدَّاهُ وَكَسَاهُ وَسَقَاهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَحْبَبْتُ⁽¹³⁾ أَنْ تَخْرُجَ الْبَعُوضُ مِنْ دَارِي. فَأَمَّا⁽¹⁴⁾ الذُّبَابُ فَإِنِّي أَحْتَمِلُهُ. قَالَ: وَلَمْ تَحْتَمِلِ الْأَذَى وَقَدْ أَتَاكَ اللَّهُ بِالْفَرَجِ⁽¹⁵⁾؟ قَالَ: فَافْعَلْ. قَالَ: لَا بَدَّ لِي مِنْ أَنْ أَخْلَطَ أَدْوِيَةً [وَأَشْتَرِيَ أَدْوِيَةً]. قَالَ: فَكَمْ تَرِيدُ؟ قَالَ: [أُرِيدُ] شَيْئاً يَسِيرًا. قَالَ: وَكَمْ ذَاكَ⁽¹⁶⁾؟ قَالَ: خَمْسُونَ دِينَارًا⁽¹⁷⁾. قَالَ: وَيْحَكَ! خَمْسُونَ يَقَالُ لَهَا يَسِيرٌ⁽¹⁸⁾؟! قَالَ: أَنْتَ لَيْسَ⁽¹⁹⁾ تَشْتَهِي الرَّاحَةَ مِنْ قَدَرِ الذُّبَابِ وَلَسَعَ الْبَعُوضِ! ثُمَّ لَبَسَ نَعْلَيْهِ⁽²⁰⁾ وَقَامَ عَلَى رَجْلَيْهِ. فَقَالَ لَهُ: اقْعُدْ. قَالَ: إِنْ قَعَدْتُ قَبْلَ أَنْ أَخْذَهَا ثُمَّ اشْتَرَيْتُ دَوَاءً بِمِائَةِ دِينَارٍ لَمْ تَنْتَفِعْ بِهِ⁽²¹⁾؛ فَإِنِّي لَسْتُ أَدْخُنُ هَذِهِ الدُّخْنَ⁽²²⁾، إِلَّا

(1) الكندس، كقنفذ: عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود.

(2) ط: «الكيمائي». ش: «الكيميائي».

(3) في مفاتيح العلوم 150: «ملح الإكسير: هو الدواء الذي إذا طبخ به الجسد المذاب جعله ذهباً أو فضة، أو غيره إلى البياض أو الصفرة».

(4) المسنّيات: الأحباس تبني في الأودية. (5) المدود: جمع مدّ، بالفتح، وهو السيل أو كثرة الماء.

(6) المرادي: جمع مردي، كشرطي، وهو خشبة تدفع بها السفينة. ويسمى عوام مصر «المدري» بكسر الميم والقصر. ط، ل: «المداري» وصوابه في ش.

(7) المسنّيات قد فسرت. ط: «مسيبات» ش: «مسنات» وصوابه في ل.

(8) المرادي سبق تفسيرها في هامش رقم 6 ط، ل: «للمدري» وصوابه في ش.

(9) كذا على الصواب في ل. وفي ط، ش: «إلى». (10) ط، ش: «منه».

(11) الجرجس: لغة في القرقس، وهو البعوض الصغار، ط، ش: «رغبكم».

(12) ابن سافري، هو كذلك في ل والبلاء 176، وفي ط، ش: «ابن مسافر». وفيهما أيضاً: «يستمع».

(13) ل: «أحب». (14) ط فقط: «وأما».

(15) كذا في ل. وفي ط، ش: «قد جاءك الله بالفرج». (16) كذا في ل. وفي ط، ش: «فكم مبلغه».

(17) ط، ش: «أريد خمسين ديناراً».

(18) ل: «وخمسون يسير».

(19) كذا في ل، ش، وفي ط: «لست».

(20) ط، ل: «تنفع».

(21) ط: «أدخل» ل: «الدخن».

للذين إذا أمرتهم بإخراجهنَّ أخرجهنَّ . ولا أكتمك ما أريدُ ؛ إِنِّي لست أقصد إلا إلى العُمَّار⁽¹⁾ .
فما هو إلا أن سمع بذكر العُمَّار⁽²⁾ حتى ذهب⁽³⁾ عقله ، ودعا له بالكيس [وذهب]⁽⁴⁾ ليزن
الدنانير ، فقال له : لا تشقَّ على نفسك ! هاتها بلا وزنٍ عدداً⁽⁵⁾ ، وإِنَّمَا خاف أن تحدث حادثَةً ،
أو يقع شغل ، فتفوت . فعدها وهو زَمْعٌ⁽⁶⁾ فغلط بعشرة دنانير ، فلما انصرف وزنها وعدّها فوجدَ
دنانيرَه⁽⁷⁾ تنقص ، فبكرَ عليه يقتضيه الفضل⁽⁸⁾ ، فضحك أبو حكيم حتَّى كاد يموت ، ثُمَّ قال :
تسألني عن الفرع وقد استهلك الأصل ؟ ! [ولم يزل] يختلفُ إليه ويدافعُه حتَّى قال له ثَمَامَة :
ويلك أمجنونٌ⁽⁹⁾ أنت ؟ ! قد ذهب المالُ والسُّخْرِيَّةُ مستورة . فإن نافرته فضَحَّتْ نفسك ، وربَّحتْ
عداوةَ شيطانٍ هُوَ واللَّهِ أَضَرُّ عَلَيْكَ من عُمَّارِ بَيْتِكَ ، الذين ليسَ يخرجون عنكَ⁽¹⁰⁾ الذبابَ
والبعوضَ بلا كُلفةٍ ، مع حقِّ الجوار . قال : هم سَكَّاني وجِيراني ، قالوا : لو كان سمع منك أبو
حكيم هذه الكلمة لكانت الخمسون ديناراً مائة ديناراً !

(شعر في أصوات الذباب وغنائها)

ومما قيل في أصوات الذباب⁽¹¹⁾ وغنائها ، قال المثلثُ العبدِيُّ⁽¹²⁾ :
وتسمَعُ للذبابِ إذا تغنَّى كتغريد الحمام على الغصونِ
وقال آخر :
حُوَّ مَسَارِبُهُ تَغَنَّى في غياطله ذبابُه⁽¹³⁾
وقال أبو النجم :
أُنْفُ تَرى ذبابها تَعْلَلُه⁽¹⁴⁾ من زَهَرِ الرُّوضِ الذي يَكَلِّلُه⁽¹⁵⁾
وقال أيضاً :

- (1) العمار : سكان البيوت من الجن فيما يزعمون . ط ، ش : « القمار » ، وتصحيحه من ل .
- (2) ط ، ش : « فما هو إلا صك سمعه بذكر القمار » ، وفيه تحريف .
- (3) ط ، ش : « فذهب » .
- (4) هذه من ش .
- (5) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، ش : « وعدد » . (6) زمع : دهش . ل : « فيعدها وهو زيع » ، تحريف .
- (7) ط : « فوجدنا دنانير » ، محرف .
- (8) بكر عليه ، جاء إليه بكرة في أول النهار . ط ، ش : « فكتب إليه » ، محرف والفضل : الفرق .
- (9) ط ، ش : « ويلك يا مجنون » .
- (10) ط : « ليسوا يخرجون عنه » .
- (11) ش : « الذبان » .
- (12) المثلثُ العبدِيُّ : شاعر جاهلي من شعراء البحرين ، مسكن قبيلة عبد القيس . واسمه محصن ، بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الصاد المهملة ، وأبوه ثعلبة بن وائلة بن عدي . والمثلث : اسم فاعل من ثقب ، سمي بذلك لقول :
رددن تحية وكَنَّنْ أخرى وثقبن الوصاوص للعيون
خزانة البغدي (4 : 431 بولاق) ومعجم المرزباني 303 والشعراء 88 .
- (13) حو : جمع أحوى ، وهو الضارب إلى السواد لشدة خضرته . والمسارب : المراعي والغيطان : الشجر الملتف .
- (14) أنف : أي روضة أنف بضمّتين ، وهي التي لم يرعها أحد . وأسكن النون للشعر . ط : « أتعتري » وصوابه في ل ، ش ، واللسان (أنف) . وتعلله : من علله بالطعام : شغله به . وضمير « ذبابها » عائد إلى الروضة الأنف . ط ، ش : « ذبابة » محرفة . وفي اللسان : « ذبانها » .
- (15) يكلله : يحفه من كل جانب . ل : « من زهر النور » ، تحريف .

[والشيخ تهديه إلى طحمائه⁽¹⁾]
 مختلف الألوان في أسمائه⁽³⁾
 مكللاً بالورد من صفرائه
 صوت ذباب العُشب في درمائه⁽⁶⁾
 فالرّوض قد نور في عزائه⁽²⁾
 نوراً تخال الشّمس في حمرائه⁽⁴⁾
 يجاوب المكاء من مكائه⁽⁵⁾
 يدعّو كأنّ العقّب من دعائه⁽⁷⁾
 صوت مُغنٍّ مدّ في غناؤه

وقال الشّماخ:

يكلّفها ألا تخفّض صوّتها
 بعيد مدّى التطريب أول صوته
 أهازيجُ ذبّان على عود عوسج⁽⁸⁾
 سحيلٌ وأعلاه نشيج المحشرج⁽⁹⁾
 (المغنيات من الحيوان)

والأجناس التي توصف بالغناء أجناس الحمام والبعوض، وأصناف الذبّان من الدّبر، والتحلّ، والشّعراء، والقَمْع⁽¹⁰⁾ والثّعَر⁽¹¹⁾. وليس لذبّان الكلب غناء، ولا لما يخرج من الباقلاء. قال الشاعر:

تذب عنها بأثيت ذائل
 ذبّان شعراء وصيف ماذل⁽¹²⁾
 (ألوان الذبّان)

وذبّان الشّعراء حُمر. قال: والذبّان التي تُهلك الإبل زُرُق. قال الشاعر⁽¹³⁾:

- (1) في هذه الزيادة تحريف.
- (2) الغزاء: الأرض التي لبدّها المطر فشدها. انظر اللسان. ط: «عزائه» وتصحيحه من ش. ل: «حوائه».
- (3) ل: «من أسمائه».
- (4) أي تخال أنت الشمس في أزهار الحمراء، فلونها واحد. ل: «تحرار الشمس».
- (5) المكاء بضم الميم والتشديد: ضرب من القنابر له صفير حسن.
- (6) الدرماء: نبت ليس بشجر ولا عشب، ينبت على هيئة الكبد.
- (7) العقّب، بالفتح: بمعنى التوالي والملاحقة. ط، ش: «كذي العقّب بكائه»، صوابه من ل.
- (8) أهازيج: جمع أهزوجة، وهو هنا صوت طيران الذباب. ط: «أهاريج» بالراء وصوابه في ش. والبيتان ساقطان من ل. ولم أجد هذا البيت في ديوان الشماخ، وبدله في صفة امرأة:
- (9) منعمة لم تلق بؤس معيشة ولم تغتزل يوماً على عود عوسج
 مدى التطريب: غاية ترجيع الصوت. والسحيل: أشد نهاق الحمار. ط: «سحيل» ش: «سجل» وصوابه في الديوان 14، والنشيج: الصوت يتردد في الصدر. والمحشرج: الذي يغرغر عند الموت. والبيت في صفة حمار.

- (10) القمع بالتحريك: ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر.
- (11) النعر: ذباب أزرق يلسع الدواب. س: «الثعر» ل: «النعر» وهما تصحيف ما في ط.
- (12) الأثيث: الكثير الشعر. والذائل: الطويل. وقد عني به: الذيل. وانظر ص 170.
- (13) الأولى أن يقول: الراجز. والكلام من «قال الشاعر» إلى نهاية الرجز ساقطة من ل.

تربعت والدهر ذو تصفُّق⁽¹⁾ حاليةً بذى سببِ مونق⁽²⁾
 إلا من أصوات الذباب الأزرق⁽³⁾ أو من نقانق الفلا المنقنق⁽⁴⁾
 والذبان الذي يسقط على الدواب صفر⁽⁵⁾ . وقال أروطا بن سهية ، لزميل بن أم دينار⁽⁶⁾ :
 أزميل إنني إن أكن لك جازياً أعكر عليك وإن ترخ لا تسبق⁽⁷⁾
 إنني امرؤ تجد الرجال عداوتي وجد الركاب من الذباب الأزرق
 وإذا مرَّ بك الشعر الذي يصلح للمثل وللحفظ⁽⁸⁾ ، فلا تنسَ حظك من حفظه . وقال
 المتملس :

فهذا أو أن العرض حيّ ذبابه زنابيره والأزرق المتملس⁽⁹⁾
 وبه سمّي المتملس .
 وقال ابن ميادة :

بعنتريس كأن الذبر يلسعها إذا تغردَّ حادٍ خلفها طرده⁽¹⁰⁾

- (1) تربعت : يعني الإبل أكلت الربيع . والتصفق : التقلب والتحول .
 (2) حالية : مزينة ، أراد روضة . والسبب واحده سببية ، وهي العضاء تكثر في المكان . أو أراد بالسبب : ذواتب الأشجار . والمونق : المعجب .
 (3) ط : « الأزق » ، تطيع صوابه في ش .
 (4) « نقانق » بدلها في ش : « تفانق » . وأحسبهما محرفتين .
 (5) ط : « أصفر » .
 (6) زميل بن أم دينار : أحد بني مازن بن فزارة ، أحد بني عبد مناف . وأبوه أبير بالتصغير ، أو وبير ، أو دبير ، وهو قاتل ابن دارة في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . المؤلف والمختلف 129 ، والإصابة 3973 ، والخزانة 2: 128 سلفية . ط ، ش : « بن أم زبير » ، وصوابه في ل ، والخزانة . وأروطا ابن سهية : هو ابن زفر بن عبد الله الغطفاني المزني ، شاعر مشهور . وسهية أمه . أدرك الجاهلية ، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان . وكان يكنى أبا الوليد ، وهي أيضاً كنية عبد الملك . فقال من شعر :
 وما تبغي المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد
 وأعلم أنها ستكر حتى توفي نذرهما بأبي الوليد
 فارتاع عبد الملك وطن أنه أراد . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما عنيت نفسي فسكت . ونسب في الحماسة 1: 149 إلى سالم بن دارة .
 (7) ل : « يا زميل » و : « جازيا » بدلها في ل : « حادياً » ، وهذه الأخيرة لا تصح وأعكر عليك : أغلبك أو أكر عليك . و « ترخ » هي في ط : « تنزع » .
 (8) ل : « يصلح لمكانه ، ولأن تحفظه » .
 (9) بهذا البيت سمى المتملس . وهو شاعر جاهلي اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي كما في الشعراء . والعرض - بالكسر - : كل واد فيه شجر . وحي ذبابه : من الحياة والمراد هنا الانتعاش ، ويروي : « جن ذبابه » وجنونه : كثرة طنينه . ط : « ذبابه » صوابه في ل ، ش : « حتى » وهي تحريف .
 (10) العنتريس : الناقة الصلبة القوية الجريئة . وانظر الأغاني 2: 102 .

(ما يسمّى بالذَّبَّان)

والدليل على أن أجناس النحل والدَّبَر كلها ذَبَّان، ما حدث [به] عبّاد بن صُهيب، وإسماعيل المكي⁽¹⁾ عن الأعمش، عن عطية بن سعيد العوفي⁽²⁾ قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ ذُبَابٍ فِي النَّارِ إِلَّا النَّحْلَةُ».

وقال سليمان: سمعت مجاهداً يكره قتل النحل وإحراق العظام. يعني في الغزو. وحدثنا عتبة قال: حدثنا حنظلة السدوسي قال: أنبأنا⁽³⁾ أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «عمر الذباب أربعون يوماً. والذباب في النار».

(بحث كلامي في عذاب الحيوان والأطفال⁽⁴⁾)

وقد اختلف الناس في تأويل قوله: «والذباب في النار» وقال قوم: الذباب خلق خلق للنار، كما خلق الله تعالى ناساً كثيراً للنار، وخلق أطفالاً للنار. فهؤلاء قوم خلعوا عذرهم⁽⁵⁾ فصار أحدهم إذا قال: ذلك عدل من الله عز وجل؛ فقد بلغ أقصى العذر، ورأى أنه إذا أضاف إليه عذاب الأطفال فقد مجده. ولو وجد سبيلاً إلى أن يقول إن ذلك ظلم لقاله⁽⁶⁾ ولو وجد سبيلاً إلى أن يزعم أن الله تعالى يخبر عن شيء⁽⁷⁾ أنه يكون وهو لا⁽⁸⁾ يكون، ثم يقول إلا أن ذلك صدق لقاله. إلا أنه⁽⁹⁾ يخاف السيف عند هذه، ولا يخاف السيف عند تلك. وإن كانت تلك أعظم في الفرية من هذه. وبعضهم يزعم أن الله - عز وجل - إنما عذب أطفال المشركين ليغم بهم آباءهم⁽¹⁰⁾. ثم قال المتعاقلون منهم: بل عذبهم لأنه هكذا شاء، ولأن هذا له. فليت شعري [أ] يحتسب بهذا القول في باب التمجيد لله تعالى؛ لأن كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود، وكل من لم يخف سوط أمير فأتى⁽¹¹⁾ قبيحاً فالذي يحسن⁽¹²⁾ ذلك القبيح أن صاحبه كان في [موضع]⁽¹³⁾ آمن، أو لأنه آمن يمتنع⁽¹⁴⁾ من مطالبة السلطان. فكيف وكون الكذب والظلم والعبث واللّهو والبخل⁽¹⁵⁾ كله محال ممن لا يحتاج إليه، ولا تدعوه⁽¹⁶⁾ إليه الدواعي!!

(1) ل: «عن إسماعيل المكي».

(2) ل: «العوني» وصوابه في ط، ش، كما في تقريب التهذيب. قال ابن حجر: عطية بن سعد بن جنادة - بضم الجيم بعدها نون خفيفة - العوفي الجدلي - بفتح الجيم والمهملة -، الكوفي، أبو الحسن. صدوق يخطئ كثيراً. مات سنة إحدى عشرة يعني بعد المائة. ونرى أنه جعل أباه سعداً لا سعيداً.

(3) ل: «حدثنا».

(4) انظر مثل هذا البحث في الفرق بين الفرق 131.

(5) جمع عذار، وهو من اللجام ما سال على خد الفرس. وخلع العذار كناية عن التشاطر كما في الأساس.

(6) ط: «الشيء».

(7) هذه الجملة ساقطة من ل.

(8) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(9) بدلها في ل: «ولكن».

(10) كلمة: «بهم» ساقطة من ل. و«آباءهم» رسمت في ط، ش: «آبائهم» خطأ.

(11) ط: «أتى» تحريف.

(12) ط: «يحسن»، وتصحيحه من ل، ش.

(13) من ل، ش.

(14) ل: «أم لزنه يمتنع» و«أم» تحريف.

(15) ط، ش: «والضحك».

(16) ط، ش: «تدعو».

وزعم أبو إسحاق أَنَّ الطَّاعَاتِ إِذَا اسْتَوَتْ اسْتَوَى أَهْلُهَا فِي الثَّوَابِ، وَأَنَّ الْمَعَاصِيَ إِذَا اسْتَوَتْ اسْتَوَى أَهْلُهَا فِي الْعِقَابِ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ طَاعَةٌ وَلَا مَعْصِيَةٌ اسْتَوَوْا فِي التَّفْضِيلِ⁽¹⁾. وزعم أَنَّ أَجْنَاسَ الْحَيَوَانِ [وَكُلَّ شَيْءٍ] يَحْسُ وَيَأْلَمُ، فِي التَّفْضِيلِ سَوَاءٌ. وزعم أَنَّ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُسْلِمِينَ كُلَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ. وزعم أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْأَطْفَالِ وَلَا بَيْنَ الْبَهَائِمِ وَالْمَجَانِينِ فَرْقٌ، وَلَا بَيْنَ السَّبَاعِ فِي ذَلِكَ وَبَيْنَ الْبَهَائِمِ فَرْقٌ.

وكان يقول: إِنَّ هَذِهِ الْأَبْدَانِ السَّبْعِيَّةَ وَالْبَهِيمِيَّةَ لَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَنْقُلُ تِلْكَ الْأَرْوَاحَ خَالِصَةً مِنْ تِلْكَ الْآفَاتِ؛ فَيَرْكِبُهَا فِي أَيِّ الصُّورِ أَحَبَّ⁽²⁾ وكان أبو كلدة⁽³⁾، وَمَعْمَرٌ، وَأَبُو الْهَذِيلِ، وَصَحْصَحُ⁽⁴⁾، يَكْرَهُونَ هَذَا الْجَوَابَ، وَيَقُولُونَ: سَوَاءٌ عِنْدَ خَوَاصِّنَا⁽⁵⁾ وَعَوَامَّنَا، أَقْلُنَا: إِنَّ أَرْوَاحَ كِلَابِنَا تَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ، أَمْ قَلْنَا: إِنَّ كِلَابِنَا تَدْخُلُ الْجَنَّةَ⁽⁶⁾. ومتى مَا اتَّصَلَ كِلَابُنَا بِذِكْرِ الْكَلْبِ عَلَى أَيِّ وَجْهِ كَانَ؛ فَكَأَنَّا عِنْدَهُمْ قَدْ زَعَمْنَا أَنَّ الْجَنَّةَ فِيهَا كِلَابٌ. وَلَكِنَّا نَزْعِمُ أَنَّ جَمِيعَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّبَاعِ وَالْبَهَائِمِ وَالْحَشَرَاتِ وَالْهَمَجِ [فَهُوَ] قَبِيحُ الْمَنْظَرَةِ مُؤْلَمٌ، أَوْ حَسَنُ الْمَنْظَرَةِ⁽⁷⁾ مُلْدٌ؛ فَمَا كَانَ كَالْخَيْلِ وَالظَّبَاءِ، وَالطَّوَاوِيسِ، وَالتَّنَادِرِجِ⁽⁸⁾ فَإِنَّ تِلْكَ [فِي] الْجَنَّةِ، وَيَلْدُ⁽⁹⁾ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - بِمَنَازِلِهَا. وَمَا كَانَ مِنْهَا قَبِيحًا فِي الدُّنْيَا مُؤْلَمٌ النَّظَرُ جَعَلَهُ اللَّهُ عَذَابًا إِلَى عَذَابٍ أَعْدَدَهُ فِي النَّارِ. فَإِذَا⁽¹⁰⁾ جَاءَ فِي الْأَثَرِ: أَنَّ الدَّيَّانَ فِي النَّارِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِنَّمَا يَرَادُ بِهِ هَذَا الْمَعْنَى. وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا تَكُونُ فِي النَّارِ، وَتَلْدُ ذَلِكَ⁽¹¹⁾، كَمَا أَنَّ حَزَنَةَ جَهَنَّمَ وَالَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ التَّعْذِيبِ، يَلْدُونَ مَوْضِعَهُمْ مِنَ النَّارِ. وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَطْبَعُهُمْ عَلَى اسْتِلْدَازِ النَّارِ وَالْعَيْشِ فِيهَا، كَمَا طَبَعَ دِيدَانَ⁽¹²⁾ الثَّلْجِ وَالْخَلَّ عَلَى الْعَيْشِ فِي أَمَاكِنِهَا.

- (1) أي تفضل الخالق بالثواب. ط، ش: «بالتفضيل» محرف.
 - (2) ط، ش: «الصور الحسان أحب». وكلمة «الحسان» مقحمة.
 - (3) أبو كلدة: سبق له حديث في الجزء الأول ص 170.
 - (4) كان صحصح ذا مذهب غريب في «تفضيل النسيان على كثير من الذكر، وأن الغباء في الجملة أنفع من الفطنة، وأن عيش البهائم أحسن موقعًا في النفوس من عيش العقلاء». وتجد حجته لذلك في البخلاء ص 5.
 - (5) ل: «خصوصنا».
 - (6) ط، ش: «تدخل» بدل: «تصير إلى». والكلام من «أم» ساقط من ش: وبدلها في ط: «أو»، والوجه «أم» كما في ل.
 - (7) المنظرة: المنظر، وبهذه الأخيرة جاءت في ط، ش.
 - (8) التندارج: جمع تدرج، وهو ضرب من الطير. ط، ش: «التدارج».
 - (9) ط، ش: «وتلك» وصوابه في ل.
 - (10) ل، ط: «إذ»، ووجهه من ش.
 - (11) ط، ش: «تلد بذلك» وأثبت ما في ل. وهما صحيحتان. قال الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة (البيان 1: 180):
- أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
ألذه كما ألد رقيق
- (12) ط: «حيوان»، وصوابه: في ل، ش. ودیدان الخل سبق الكلام عليها في 2: 64.

وذهب آخرون إلى أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يحدث لأبدانهم عِلَّةً لا تصل النار إليها، وتنعم قلوبهم وأبدانهم من وجه آخر كيف شاء⁽¹⁾. وقالوا: [و] قد وجدنا النَّاسَ يحتالون لأنفسهم في الدنيا حِيلاً، حتى يدخل أحدهم بَعْضُ الْأَتَاتَيْنِ⁽²⁾ بذلك الطلاء، ولا تضره النار، وهو في معظمتها، وموضع الجاحم⁽³⁾ منها. فَفَضَّلُ ما بَيْنَ قُدْرَةِ اللَّهِ وقُدْرَةِ عِبَادِهِ أكثر من فضل ما بَيْنَ حَرِّ نار الدنيا والآخرة⁽⁴⁾. وَذهب بعضهم إلى أَنَّ سَبِيلَهَا⁽⁵⁾ فيها كسبيل نار إبراهيم؛ فَإِنَّهُ لما قُذِفَ فيها بَعَثَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مَلَكًا يَقَالُ لَهُ [ملك] الظِّلُّ، فكان يحدثه ويؤنسه؛ فلم تصل النار إلى أذاه، مع قُرْبِهِ من طباع ذلك المَلَك. وكيفما دار الأمر⁽⁶⁾ في هذه الجَوَابَات؛ فإن أَحْسَنَهَا وَأَشْنَعَهَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَذِّبُ بنار جهنم من لم يسخطه ولا يَعْقِلُ كيف يكون السخط. ومن العَجَبُ أَنَّ بَعْضَهُمْ يزعم أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إنما عَذَّبَهُ لِيُغَمَّ أَبَاهُ⁽⁷⁾. وإنما يفعل ذلك من لا يقدر على أن يُوصِلَ إليهم ضعف الاغتمام. وضعف الألم⁽⁸⁾ الذي ينالهم بسبب أبنائهم. فَأَمَّا مَنْ يَقْدِرُ على إيصال ذلك المقدار إلى من يستحق، فكيف يوصله ويصرفه إلى من لا يستحقه؟! وكيف يصرفه عَمَّنْ أسخطه إلى من لم يُسخطه⁽⁹⁾؟! [هذا] وَقَدْ سمعوا قولَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُودُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِ بِبَنِيهِ * وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّبُ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَأَفْظَى * نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى﴾ [المعارج: 11-16]. وكيف يقول هذا القَوْلُ مَنْ يتلو القرآن؟! ثُمَّ رجع بنا القول إلى الذَّبَّانِ وَأَصْنَافِ الذَّبَّانِ.

(جهل الذَّبَّانِ وما قيل فيها من الشعر)

والذَّبَّانِ أَجْهَلُ الخَلْقِ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّارَ من ذات أنفسها حتَّى تحترق. وقال الشاعر:

خَتَمْتُ الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا كَذَاكَ الصَّحِيفَةُ بِالْخَاتَمِ⁽¹⁰⁾
هُوتُ بِي إِلَى حُبِّهَا نَظْرَةً هُوِيَ الْفَرَاشَةُ لِلْجَا حِمِ
وقال آخر:

كَأَنَّ مَشَافِرَ النَّجْدَاتِ مِنْهَا إِذَا مَا مَسَّهَا قَمَعَ الذَّبَابُ⁽¹¹⁾

(1) ط، ش: «كما شاء». وجاءت الضمائر في ط، ش، للعاقل، أي «لأبدانهم» و«قلوبهم وأبدانهم» وصوابه في ل.

(2) الأتاتين: جمع أتون، كتنور، وهو: أخذود الخباز والجصاص ونحوه. ط، ش: «الناس» وصوابه في ل.

(3) الجاحم: التوقد والالتهاب. ط، ش: «الجماجم» وتصحيحه من ل.

(4) كذا في ل. والفضل: الزيادة. ط، ش: «كفضل ما بين قوة حر نار الدنيا والآخرة».

(5) ط، ش: «سبيلهم»، وصوابه في ل.

(6) ط، ش: «وكيف دار الأمر». (7) ط: «آباءه»، وصوابه في ل، ش.

(8) ل: «ضعف اغتمامهم والألم».

(9) ط: «إلى من لا يسخطه دون من أسخطه» س: «إلى من استحقه»، وهما تحريف ما أثبت من ل.

(10) كذا في ط، ش وثمار القلوب 399، وفي ل: «على حبا كختم». وكانوا يختمون الرسائل بالخاتم على طين خاص، يسمى طين الختم.

(11) النجدات: جمع نجدة، وهي الناقة تكون نجدة على صاحبها. والقمع: ذباب الإبل.

بأيدي مأتَم متساعدات نعال السبت أو عَذَبَ الثَّيَاب⁽¹⁾

(نقد بيت من الشعر)

وقال بعض الشعراء⁽²⁾، يهجو حارثةَ بنَ بدر الغُدانيّ:

زَعَمْتُ غُدَانَةً أَنْ فِيهَا سَيِّدًا ضُخْمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدُبِ⁽³⁾

وزعم ناسٌ أنّه قال:

يُرويه ما يُروى الذُّبَابَ فينْتَشِي سُكْرًا، وَتُشْبِعُهُ كُرَاعُ الْأَرْنَبِ⁽⁴⁾

قالوا: لا يجوز أن يقول: «يُرويه ما يروى الذباب» و[يواريه جناح الجندب]⁽⁵⁾ ثم يقول: «ويشبعه كراع الأرنب»: وإنما⁽⁶⁾ ذكر كُرَاعَ الأرنب؛ لأنّ يد الأرنب قصيرة، ولذلك تسرع [في] الصُّعُود، ولا يلحقها من الكلاب إلّا كُلُّ قصير اليد⁽⁷⁾. وذلك محمودٌ من الكلب. والفرس تُوصَف⁽⁸⁾ بقصر الذراع.

(قصة في الهرب من الذُّبَاب)

وحدّثني الحسنُ بن إبراهيم العلويّ قال: مررتُ بخالي، وإذا هو وحده يضحك، فأنكرتُ ضحكته؛ لأنّي رأيته وحده، وأنكرته⁽⁹⁾؛ لأنّه كان رجلاً زَمِيئاً رَكِيناً⁽¹⁰⁾، قليل الضحك. فسألته عن ذلك فقال: أتاني فلانٌ يعني شيخاً مدينيّاً⁽¹¹⁾ - وهو مذعورٌ فقلت له: ما وراءك؟ فقال: أنا واللّه هاربٌ من بيتي! قلت ولم؟ قال: في بيتي ذبابٌ أزرق، كلما دخلتُ تَارَ⁽¹²⁾ في وجهي، وطار حولي وطنٌّ عند⁽¹³⁾ أذني، فإذا وجد منّي غفلةً لم يُخطئ موقَ عيني. هذا واللّه دأبه ودأبي دهرًا معه⁽¹⁴⁾. قلت له: إنّ شبه الذباب بالذباب كشبه الغراب

(1) المأتَم: جماعة النسوة في الحزن. ط: «بأيد متائم» صوابه في ل، ش. والعذاب: جمع عذبة، وهي خرقة النائحة. ط، ش: «عرب» محرف. أما «نعال السبت» فلم أجد لها علاقة بالكلام. وماذا عسى تفعل النوائح بنعال السبت؟ ل: «فعال السبت»!

(2) هو الأبيرد الرياحي، كما في الأغاني (10: 12)، وانظر (6: 224).

(3) غدانة بالضم: قبيلة. يواريه: يستره. ط، ش: «يوازنه»، أي يماثله ويساويه، وأثبت ما في ل وثمار القلوب 352.

(4) ط، ش: «ويشبعه كراع الجندب». والكراع بالضم: قائمة الدابة. وتجمع على أكرع ثم على أكارع. وهي مؤنثة يصح في فعلها التذكير والتأنيث. لكن كلمة «الجندب» تحريف صوابه من ل وثمار ومن سياق الكلام.

(5) الجندب: ضرب من الجراد. ط، ش: «يوازنه جناح الجندب».

(6) قبل هذا في ط، ش: زيادة لا حاجة إليها، وهو: «وأما سماعي فهو الرواية الأولى:

يُرويه ما يروى الذباب فينْتَشِي سُكْرًا وتُشْبِعُهُ كُرَاعُ الْأَرْنَبِ

(7) ل: «اليدين». (8) ط، ش: «يوصف».

(9) ط، ش: «فأنكرته».

(10) الزميت: العظيم الوقار. والركين: الرزين. ل: «سكينًا».

(11) ل: «مدينيًا» وانظر ما أسلفت من التحقيق في (2: 164).

(12) ط: «دار» وهو تحريف. (13) ط: «على».

(14) ل: «منذ دهر».

بالغراب؛ فلعل الذي آذاك اليوم أن يكون غير الذي آذاك أمس، ولعل الذي آذاك أمس غير الذي آذاك أول [من^(١)] أمس، فقال: أعتق ما أملك إن لم أكن أعرفه [بعينه] منذ خمس عشرة سنة^(٢). فهذا هو الذي أضحكني!

(قصة في سفاد الذباب)

وقال الخليل بن يحيى: قد رأيت الخنزير يركب الخنزيرة عامّة نهاره. ورأيت الجمل يركب الناقة ساعة من نهاره^(٣). وكنت قبل ذلك أغبط العصفور والعصم^(٤) - فإن الذكر وإن كان سريع النّزول عن ظهر الأنثى فإنه لسرعة العودة، وكثرة العدد، كأنه في معنى الخنزير والجمل - حتّى رأيت الذّباب وفطنت له، فإذا هو يركب الذّبابة عامّة نهاره. فقال له محمد بن عمر البكراوي^(٥): ليس ذلك هو السّفاد^(٦). قال: أمّا الذي رأت العينان فهذا حكمه. فإن كنت تريد أن تطيب نفسك بإنكار ما تعرف ممّا قسم الله - عزّ وجلّ - بين خلقه، من فضول اللّذة^(٧)، فدونك.

(سفاد الورل)

ويزعمون أن للورل^(٨) في ذلك ما ليس عند غيره.

(قصّة آكل الذّبان)

وأشدّ ابن داحية في مجلس أبي عبيدة، قول السيّد الحميري:

أترى ضهاكا وابنها وابن ابنها^(٩) وأباقحافة آكل الذّبان
كانوا يرون، وفي الأمور عجائب يأتي بهنّ تصرف الأزمان
أنّ الخلاف في ذؤابة هاشم فيهم تصوير وهيبة السلطان^(١٠)

(١) من ل، ش.

(٢) ل: «حجة»، وهي بالكسر: السنة.

(٣) ل: «من نهار».

(٤) كذا في ط، ش. ولم أجد «العصم» مفردًا أو جمعًا، فيما لدي من مراجع الحيوان، ووجدت «المصع» كصرد وقفل جمعًا. ل: «مصعة» كهزمة وغرفة. وهو طائر أخضر، كما في القاموس. وانظر المخصص (٨: ١٤٣) وفي ل: «الصعو والخنزير»، وكلمة: «الخنزير» خطأ. وأما الصعو فهو ضرب من صغار العصافير.

(٥) البكراوي: نسبة إلى بكر باذ. وانظر ما سبق في ١٧، قال الإصطخري: «جرجان قطعتان: إحداهما المدينة، والأخرى بكرًا باذ، وبينهما نهر يجري يحتمل أن تجري فيه السفن». كذا في معجم البلدان. قال ياقوت: «ينسب إليه البكراوي والبكرا باذي». ل: «محمد بن عمرو النكراوي». وفي النسبة تصحيف كما رأيت.

(٦) ل: «لعل ذلك ليس هو للسّفاد».

(٧) ط: «فضل الله» ش «فضول الله» وأثبت ما في ل.

(٨) الورل: دابة على خلقة الضب، لكنه أعظم منه، وهو من أكثر الحيوان سفادًا ط، ش: «للولي» وصوابه في ل.

(٩) ل: «أترى صهاكا وابنها وأب ابنها».

(١٠) ش: «من ذؤابة». ل: «من وراثته»، وفيها أيضًا: «فيهم تكون».

وكان ابن داحية رافضياً، وكان أبو عبدة خارجياً صُفْرياً، فقال له: ما معناه في قوله: «أكل الذَّبان»؟ فقال: لأنه كان يذبُّ عن عطر ابن جُدعان⁽¹⁾. قال: ومتى احتاج العطارون إلى المذاب؟ قال: غلطتُ إنما كان يذبُّ عن حَيْسَةِ ابن جُدعان. قال: فابن⁽²⁾ جُدعان وهشامُ بن المغيرة، كان يُحَاسُّ لأحدهما الحَيْسَةُ على عدَّة أنطاع⁽³⁾، فكان يأكلُ منها الرَّاكِبُ والقائمُ والقاعدُ⁽⁴⁾ فأين كانت تقعُ مَذْبَةُ أبي قُحافة من هذا الجبل؟ قال: كان يذبُّ عنها ويدورُ حوالَيْها. فضحكوا منه، فهجر مجلسهم سنة⁽⁵⁾.

(تحقير شأن الذُّبابة)

قال: وفي باب تحقير [شأن] الذبابة وتصغير قدرها، يقول الرسول ﷺ⁽⁶⁾: «لو كانت الدنيا تُساوي عند الله تعالى جناح ذبابة⁽⁷⁾ ما أعطى الكافر منها شيئاً».

(أعجوبة في الذَّبان بالبصرة)

وعندنا بالبصرة في الذَّبان⁽⁸⁾ أعجوبة، لو كانت بالشَّامات⁽⁹⁾ أو بمصر لأدخلوها في باب الطَّلسم؛ وذلك أنَّ التَّمَرَ يكونُ مصبوباً في بيار التمر في شقِّ البساتين، فلا ترى على شيءٍ منها ذُبَابَةً لا في اللَّيْلِ، ولا في النَّهار، ولا في البَرْدَيْن⁽¹⁰⁾، ولا في أنصاف النهار. نعم وتكون هناك المعاصر⁽¹¹⁾، ولأصحاب المعاصر ظلال، ومن شأن الذُّباب الفِرَّاء من الشَّمس إلى الظِّلِّ. وإنما تلك المعاصر بين ثمرة [و] رُطْبَةٍ، ودُبُس [وثجير]⁽¹²⁾، ثم لا تكاد تَرى في

(1) ابن جدعان، هو عبد الله بن جدعان، وكان من أشرف قريش في الجاهلية وممن وفد على كسرى، وهو صاحب الجرادتين: المغنبتين المشهورتين في الجاهلية. ومدحه أمية بن أبي الصلت بقصيدته التي أولها:

أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

فأعطاهما إياه. وكان مشهوراً بالكرم. قالوا: كان سمي بحاسي الذهب؛ لأنه كان يشرب في إناء من الذهب، فقالوا في المثل: «أقرى من حاسي الذهب». الأغاني (2: 8-4) وبلوغ الأرب (1: 87) ش: «جدعان» وفي المواضع الثلاثة، تصحيف.

(2) ل: «فإن ابن».

(3) الحيسة: المرة من الحيس، وهو أن يخلط التمر بالسمن والأقط فيعجن ثم يندر نواه، وربما جعل فيه سويق. والأنطاع: جمع نطع، بالكسر، وبالفتح، وبالتحريك وكعنب؛ وهو بساط من الجلد المدبوغ.

(4) قالوا أيضاً: «كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب، بل كانت جفنة يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي فغرق ومات». بلوغ الأرب (1: 89). وقد يبدو هذا الخبر غريباً، لكننا نجد تعريضاً له من الحديث، جاء في غريب

الحديث لابن قتيبة أن الرسول ﷺ قال: كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي. يعني في الهاجرة.

(5) ط، ش: «مجلسه». ش: «ثم هجر».

(6) هذا الحديث الآتي، حديث صحيح رواه الترمذي، ونقله عنه السيوطي في الجامع الصغير 7480 ولفظه: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء». في الأصل: «يقول الرجل». وهو تحريف كما رأيت.

(7) ط، ش: «ذباب»، ووجهه ما أثبت من ل. (8) ط: «الذباب».

(9) الشَّامات: هي بلاد الشام. وانظر ما سبق في حواشي 1: 78.

(10) البردان: الغداة والعشي. ط، ش: «البرد» وتصحيحه من ل.

(11) المراد بالمعاصر هنا معاصر التمر، وكانوا يعصرونه لاستخراج الدبس، وهو غسل التمر.

(12) الثجير: ثقل كل شيء يعصر، وهو فارسي معرب، كما في المعرب للجواليقي 41.

تلك الظلال والمعاصر، في انتصاف⁽¹⁾ النهار، [ولا] في وقت طلب الذبَّان الكنَّ، إلَّا دونَ ما تراه في المنزل الموصوف بقلة الذبَّان. وهذا شيء يكون موجوداً في جميع الشَّق الذي فيه البساتين، فإن تحوّل⁽²⁾ شيء من [تمر] تلك الناحية⁽³⁾ إلى جميع ما يقابلها في نواحي البصرة، غشيّه من الذبَّان ما عسى ألا يكون بأرض الهند أكثر منه وليس بين جزيرة نهر دُبَيْس⁽⁴⁾، وبين موضع الذبَّان إلَّا فيض البصرة، ولا بين ما يكون من ذلك بنهر أذرب⁽⁵⁾ وبين موضع الذبَّان ممَّا يقابله، إلَّا سيحان⁽⁶⁾، وهو ذلك التمر وتلك المعصرة، ولا تكون تلك المسافة إلَّا مائة ذراع أو أزيد شيئاً أو أنقص شيئاً.

(نوم عجيب لضروب من الحيوان)

وأعجوبة أخرى، وهي عندي أعجب من كل شيء صدّرنا به جملة القول في الذباب. فمن العجب أن يكون بعض الحيوان لا ينام كالصافر⁽⁷⁾ والتَّنُوط⁽⁸⁾؛ فإنَّهما إذا كان الليل فإن أحدهما يتدلى من غصن الشجرة، ويضمُّ عليه رجليه، وينكس رأسه، ثم لا يزال يصيح حتَّى يبرق الثور، والآخر لا يزال يتنقل في زوايا بيته، ولا يأخذه القرار، خوفاً على نفسه، فلا يزال كذلك. وقد نتف قبل ذلك ممَّا على ظهور الأشجار ممَّا يشبه الليف⁽⁹⁾ فنفسه، ثم قتل منه حبلاً، ثم عمل منه كهية القفَّة، ثم جعله مدلى بذلك الحبل، وعقده بطرف غصن من تلك الأغصان؛ إلَّا أن ذلك بترصيع ونسج، ومداخلة عجيبة، ثم يتخذ عشه فيه، ويأوي إليه مخافة على نفسه. والأعراب يزعمون أن الذبَّ شديد الاحتراس، وأنه يُراوح بين عينيّه، فتكون واحدة مطبقة⁽¹⁰⁾ نائمة، [وتكون] الأخرى مفتوحة حارسة ولا يشكون أن الأرنب تنام مفتوحة العينين. وأمَّا الدجاج والكلاب فإنَّما تعزب⁽¹¹⁾ عقولهما في النوم، ثم ترجع إليهما بمقدار رجوع الأنفاس. وأمَّا الدجاج فإنَّها تفعل ذلك من الجبن⁽¹²⁾ وأمَّا الكلب فإنَّه يفعل ذلك من [شدة] الاحتراس.

(1) ل: «أنصاف»، كما سقطت كلمة «تكاد».

(2) ل: «حول».

(3) ط، ش: «البادية»، والوجه ما أثبت من ل.

(4) نهر دبيس، بالتصغير، نهر بالبصرة. ودبيس: مولى لزياد ابن أبيه. كما في معجم البلدان.

(5) كذا في ط. ش: «أذرب»، ل: «أردر».

(6) قال البلاذري: سيحان نهر بالبصرة، كان للبرامكة وهم سموه سيحان. وقد سمت العرب كل ماء جار غير منقطع: سيحان. معجم البلدان. ط، ش: «فرسخان» وصوابه في ل.

(7) الصافر: طائر من أنواع العصافير، وسيكمل الجاحظ نعتة. ط: «كالعصافير» ووجهه ما أثبت من ل، ش.

(8) التَّنُوط: طائر شبيه بالصافر المتقدم ذكره. وانظر ما سيأتي.

(9) ط، ش: «يشته بالليف».

(10) ل: «منطقة».

(11) تعزب: أي تبعد وتغيب. ل، ط: «تعرف» س: «يعرف» وصوابه ما أثبت مطابقاً لما سيأتي ص 217 س 15.

(12) ط، ش: «فإنه يفعل»، والوجهان جائزان.

وجاءوا كلهم يخبرون أن الغرائيق والكراكي لا تنام أبداً إلا في أبعد المواضع من الناس، وأحرزها من صغار سباع الأرض، كالثعلب وابن آوى. وأنها لا تنام حتى تقلد أمرها رئيساً وقائداً، وحافظاً وحارساً، وأن الرئيس إذا أعيا رفع إحدى رجله؛ ليكون أيقظ له.

(سلطان النوم)

وسلطان النوم معروف. وإن الرجل ممن يغزو⁽¹⁾ في البحر، ليعتصم بالشراع وبالعود، وبغير ذلك، وهو يعلم أن النوم متى خالط عينيه استرخت يده، ومتى استرخت يده باينته الشيء الذي كان يركبه ويستعصم به⁽²⁾، وأنه متى باينه⁽³⁾ لم يقدر عليه، ومتى عجز عن اللحاق [به] فقد عطب⁽⁴⁾. ثم هو في ذلك لا يخلو، إذا سهر ليلة أو ليلتين، من أن يغلبه النوم ويقهره، وإما أن يحتاج إليه الحاجة التي يريه الرأي الخوان، وفساد العقل المغمور بالعلّة الحادثة، أنه قد يمكن⁽⁵⁾ أن يغفّي وينتبه في أسرع الأوقات، وقبل أن تسترخي يده كل الاسترخاء، وقبل أن تباينه الخسبة إن كانت خشبة.

(العجبية في نوم الذباب)

وليس في جميع ما رأينا ورؤينا، في ضروب نوم الحيوان، أعجب من نوم الذبان؛ وذلك أنها ربما جعلت مأواها [بالليل] دُرُوند الباب⁽⁶⁾ وقد غشّوه ببطانة ساج أملس كأنه صفاة، فإذا كان الليل لزقت⁽⁷⁾ به، وجعلت قوائمها مما يليه، وعَلّقت أبدانها إلى الهواء. فإن كانت لا تنام ألبتة ولا يخالطها عُرُوب⁽⁸⁾ المعرفة فهذا أعجب⁽⁹⁾: أن تكون أمة من أمم الحيوان لا تعرف النوم، ولا تحتاج إليه. وإن كانت تنام ويعزّب عنها ما يعزّب⁽¹⁰⁾ عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا، فما تخلو من أن تكون قابضة على مواضع قوائمها⁽¹¹⁾، ممسكة⁽¹²⁾ بها، أو تكون مرسلّة لها [مخلية عنها]. فإن كانت مرسلّة لها فكيف لم تسقط وهي أثقل من الهواء؟! وإن كانت ممسكة لها فكيف يجامع التشدد والتثبيت⁽¹³⁾ النوم؟!

(1) ط، ش: «يغرق» وصوابه في ل. وفي س أيضاً: «فأي رجل» تحريف.

(2) كذا في ش. وفي ط: «يركبه واستعصم به» ل: «مركبه واستعصم به».

(3) باينه: فارقه، وبعد عنه. ط: «يأتيه» وصوابه في ل، ش.

(4) عطب: هلك. ط، ش: «ومن عجز» وصوابه في ل.

(5) «يريه» هي في ط، ل: «يريد» محرفة. و«الخوان» هي في ل: «الفاسد». و«يمكن» هي في ط، ش: «تمكن» محرفة.

(6) الدروند كلمة فارسية. وفي اللسان (نجف): «ابن الأعرابي: النجاف هو الدروند والنجران. وقال ابن شميل: النجاف الذي يقال له الدوارة، وهو الذي يستقبل الباب من أعلى الأسكفة». وانظر نهاية الأرب 1: 476 ومعجم البلدان (سد يأجوج ومأجوج) ط: «دورة» تحريف.

(7) ط: «لزمت». (8) العزوب: البعد. وفي ل: «غروب».

(9) ل: «عجب».

(10) ل: «يغرب» في الموضعين.

(11) ل: «متمكسة».

(12) في الأصل: «قائمها».

(13) ش: «والتثبيت».

(بعض ما يعترى النائم)

ونحن نرى كلَّ مَنْ كان في يده كيس أو^(١) درهم أو حبلٌ ، أو عصا فإنه متى خالط عَيْنَيْهِ^(٢) النُّومُ استرخَتْ يده وانفتحت أصابعه^(٣) ، ولذلك يتشاءب المحتال للعبد الذي في يده عِنان دابةٍ مولاه ، ويتناول له وهو جالس ؛ لأنَّ مِنْ عادة الإنسان إذا لم يكن بحضرته مَنْ يشغله ، ورأى إنساناً^(٤) [قبَّالته] يتشاءبُ أو يُنعس ، [أن يتشاءب وينعس مثله^(٥)] . فمتى استرخَتْ يده أو قبضته عن طَرَفِ العِنان ، وقد خامره سُكْرُ النُّوم ، ومتى صار إلى هذه الحال - ركب المحتال الدابةَ ومربها .

(باب القول في الغربان)

اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا التَّكَلُّفَ ، وَأَعِزَّنَا مِنَ الْخَطَا ، وَاخْمِنَا الْعُجْبَ بِمَا يَكُونُ مِنْهُ ، وَالثَّقَّةَ بِمَا عِنْدَنَا ، واجعلنا من المحسنين . نذكر على اسم الله جَمَلَ القول في الغربان ، والإخبار عنها ، وعن غريب ما أودعت من الدلالة ، واستخزنت من عجب الهداية^(٦) . وقد كُنَّا قَدَمْنَا ما تقول العرب في شأن منادمة الغرب الديك وصداقته له ، وكيف رهنه عند الخمار ، وكيف خاس به وسخر منه وخدعه^(٧) وكيف خرج سالماً غير غارم ، وغانماً غير خائب^(٨) ، وكيف ضربت به العرب الأمثال ، وقالت فيه الأشعار ، وأدخلته في الاشتقاق لجزرها عند عيافتها وقيافتها ، وكيف كان السبب في ذلك^(٩) .

(ذكر الغراب في القرآن)

فهذا إلى ما حكى الله عزَّ وجلَّ من^(١٠) خبر ابني آدم ، حين قَرَّبَا قرباناً فحسدَ الذي لم يُتَقَبَّلَ منه المتقبَّل منه ، فقال عندما همَّ به مِنْ قَتْلِهِ ، وعند إمساكه عنه ، والتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيمَانِي وَإِنَّكَ فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: 29] . ثُمَّ قَالَ : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَ أَخِيهِ ﴾ [المائدة: 30 ، 31] ، حتَّى قال القاتل ، وهو أحد ابني آدم ما قال . فلولاً أنَّ للغراب^(١١) فضيلةً وأموراً محمودةً ، وآلةً وسبباً ليس^(١٢) لغيره من جميع الطَّير لما وضعه الله تعالى في موضع تأديب الناس ، ولَمَّا جعله الواعظَ والمذكرَ بذلك وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوْءَ أَخِيهِ ﴾ [المائدة: 31] ، فأخبر أنه مبعوثٌ ، وأنه هو اختاره لذلك مِنْ بَيْنِ جميع الطَّير .

(1) ط ، ش : «كيس دراهم» .

(2) ط ، ش : «عينه» .

(3) ط فقط : «وتفتحت أنامله» .

(4) ش : «من» . وفي ل : «ينود» بدل : «يتشاءب» . ينود : يتمايل من النعاس .

(5) هذه التكملة من ش . (6) الكلام من مبدأ : «اللهم» ساقط من ل .

(7) خاس به : غدر به وخانه . (8) «وغانماً غير خائب» ساقطة من ل .

(9) انظر لمثل هذا الكلام (2 : 182 - 183) ، والكلام من : «وقالت» ساقط من ل .

(10) ل : «عن» . (11) ل : «في الغراب» .

(12) ط ، ش : «وأشياء ليست» .

قال صاحب الديك: جعلت الدليل على سوء حاله وسقوطه⁽¹⁾ الدليل على حسن حاله وارتفاع مكانه. وكلما كان ذلك المقرع به أسفل كانت الموعظة في ذلك أبلغ. ألا تراه يقول: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: 31].

ولو كان في موضع الغراب رجل صالح، أو إنسان عاقل، لما حسن به أن يقول: يا ويأتي أعجزت أن أكون مثل هذا العاقل الفاضل الكريم الشريف. وإذا⁽²⁾ كان دوناً وحقيراً فقال: أعجزت وأنا إنسان أن أحسن ما يحسنه هذا الطائر، ثم طائر من شرار الطير. وإذا أراه⁽³⁾ ذلك في طائر أسود محترق⁽⁴⁾، قبيح الشمايل، رديء المشية⁽⁵⁾، ليس من بهائم الطير المحموده، ولا من سباعها الشريفة، وهو بعد طائر يتنكّد به ويتطير منه، أكل جيف⁽⁶⁾، رديء الصيد. وكلما كان أجهل وأنذل⁽⁷⁾ كان أبلغ في التوبيخ والتقريع.

وأما قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: 31] فلم يكن به على جهة الإخبار أنه كان قتله ليلاً، وإنما هو كقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَالِ إِنْ فَتَنَّا فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: 16]. ولو كان المعنى وقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل في الكلام من عادات الناس، كان من فر من الرّحف ليلاً لم يلزمه وعيد⁽⁸⁾. وإنما وقع الكلام على ما عليه الأغلب من ساعات أعمال الناس، وذلك هو النهار دون الليل.

وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن⁽⁹⁾، حين دفعوا إليه جواباً⁽¹⁰⁾ الخارجي ليقتله، وقالوا: إن قتله برئت الخوارج منه، وإن ترك قتله فقد أبدى لنا صفحته. فتأول صالح عند ذلك تأويلاً مستنكراً⁽¹¹⁾: وذلك أنه قال: قد نجد التقيّة تُسيغ الكفر⁽¹²⁾، والكفر باللسان أعظم من القتل والقذف بالجراحة. فإذا جازت التقيّة⁽¹³⁾ في الأعظم كانت في الأصغر أجوز. فلما رأى هذا التأويل يطرد له، ووجد على حال بصيرته ناقصة، وأحسن⁽¹⁴⁾ بأنه إنما التمس عذراً ولزق الحجة تلزيقاً [فلما عزم على قتل جواب، وهو عنده واحد الصّفرية في الشّك والفضل] قال: إني⁽¹⁵⁾ يوم أقتل جواباً على هذا الضرب من التأويل لحريص⁽¹⁶⁾ على الحياة!

(1) ط: «وسقوط» وتصحيحه من ل، ش.

(2) ط: «إذ» وصوابه في ل، ش.

(4) ل: «محرق».

(3) ط: «أراد».

(5) للغراب مشية رديئة. وفي القصص التمثيلي أنه أعجبه مشية العصفور أو القطاة فرام تقليدها ففعل. ثم أراد الرجوع إلى مشيته الأولى فنسى. فلا هو حافظ على مشيته الأولى، ولا هو أدرك مشية العصفور. انظر شعراً في ذلك بطراز المجالس 199. ط: «الشبه» وصوابه في ل، ش.

(7) ل: «أخمل وأنزل».

(6) ط، ش: «الجيف».

(9) صالح بن عبد الرحمن هو كاتب الوليد بن عبد الملك.

(8) ل: «وعيده».

(11) ل: «مستكرها».

(10) ط، ش: «خواتا».

(12) التقيّة: الخوف والخشية من الهلاك. تسيع الكفر: تبيحه. أي إن من هدد بالقتل إن لم يكفر، ساغ له الكفر ظاهراً. ل: «أجد البقية تسع في الكفر» ط، ش: «بجد التقيّة تسيع بالكفر». والوجه في العبارة ما ذكرت.

(14) ط، ش: «وأخبر» وصوابه في ل.

(13) ل: «البقية»، وانظر التنبيه السابق.

(16) ط: «الحريص» وله وجه.

(15) ط: «أي» وتصحيحه من ل، ش.

ولو كان حين قال إني يوم أقتل جواباً إنما عني النهار دون الليل، كان عند نفسه إذا قتله تلك القِتلة ليلاً لم يَأثم به. وهذا أيضاً كقوله تعالى: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿[الكهف: 23 - 24].

ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل بين الناس، لكان إذا قال من أول الليل: إني فاعِلٌ ذلك غداً في السحر، أو مع الفجر أو قال الغداة⁽¹⁾: إني فاعِلٌ يومي كله، وليلتي كلها، لم يكن عليه حِثٌّ، ولم يكن مخالفاً إذا لم يستثن⁽²⁾، وكان إذن لا يكون مخالفاً إلا فيما وقع عليه اسمُ غد. فأما كلُّ⁽³⁾ ما خالف ذلك في اللفظ فلا. وليس التأويل كذلك لأنه جلّ وعلا إنما ألزم عبده أن يقول: إن شاء الله ليَتَّقِيَ عَادَةَ التَّالِي⁽⁴⁾ ولئلا يكون كلامه ولفظه يشبه لفظ المستبدّ والمستغني، وعلى أن يكون عند⁽⁵⁾ ذلك ذاكر اللّه؛ لأنه عبد مدبّر، ومقلّب ميسّر⁽⁶⁾، ومصرّف مسخّر. وإذا كان المعنى فيه، والغاية التي جرى إليها اللفظ، إنما هو على ما وصفنا، فليس بين أن يقول أفعل ذلك بعد طرفة، وبين أن يقول أفعل ذلك بعد سنة فرق.

وأما قوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [المائدة: 31] فليس أنه كان هنالك ناسٌ قتلوا إخوانهم وندموا فصارَ هذا القاتل واحداً منهم؛ وإنما ذلك على قوله لآدم وحواء عليهما السلام: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 19]، على معنى أن كل من صنّع صنيعكما فهو ظالم.

(الاستثناء في الحلف)

وعجبت من ناس ينكرون قولنا في الاستثناء، وقد سمعوا الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ * وَلَا يَسْتَنْوُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿[الفلم: 17 - 20]، مع قوله عز وجل: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿[الكهف: 23 - 24].

(تسمية الغراب ابن دأية)

والعربُ تسمي الغراب ابن دأية؛ لأنه إذا وجدَ دَبْرَةً⁽⁷⁾ في ظهر البعير، أو في عنقه قرحة

(1) ل: «بالغداة».

(2) المراد بالاستثناء هنا، قول: إن شاء الله. ط: «يستثنى» محرفة.

(3) ط، ل: «كلما»، وصوابه في ش.

(4) التقي: الحذر. ط، ل: «لبقي» ش: «لتقي»، ووجهته بما ترى. والتالي: الحلف. ل: «التالي» ط، ش: «المتالي»، والوجه ما ذكرت. والعنى: ليحذر تعود الإنسان الحلف واستسهاله.

(5) ط، ش: «عنده» وصوابه في ل.

(6) انظر الاستدراكات.

(7) الدبرة، بالتحريك: القرحة.

سقط عليها، ونقره وأكله^(١) حتى يبلغ الدأيات^(٢). قال الشاعر^(٣):

نَجِيبَةٌ قَرْمٌ شَادَهَا الْقَتُّ وَالنَّوَى بِيَشْرَبُ حَتَّى نَيْهَا مَتَظَاهِرُ^(٤)
فَقُلْتُ لَهَا: سِيرِي فَمَا بِكَ عِلَّةُ سَنَامُكَ مَلْمُومٌ وَنَابُكَ فَاطِرُ^(٥)
فَمِثْلُكَ أَوْ خَيْرًا تَرَكْتُ رَذِيَّةً تَقْلُبُ عَيْنِيهَا إِذَا مَرَّ طَائِرُ^(٦)
ومثله قول الرَّاعي:

فلو كنت معذوراً بنصرك طيَّرت صقوري غزبان البعير المقيد
هذا البيت لعنترة، في قصيدة له^(٧). ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيّد ذي الدبر، إذا وقعت عليه الغزبان.

(غرز الريش والخرق في سنام البعير)

وإذا كان بظهر البعير دبرة غرزوا في سنامه إمّا قوادم ريش^(٨) أسود وإمّا خرقاً سوداً^(٩)؛ لتفزع الغزبان منه، ولا تسقط عليه. قال الشاعر، وهو ذو الخرق الطهوي^(١٠):

لَمَّا رَأَتْ إِبِلِي حَطَّتْ حَمُولَتَهَا هَزَلَتْ عِجَافًا عَلَيْهَا الرِّيشُ وَالْخَرَقُ^(١١)
قَالَتْ أَلَا تَبْتَغِي عَيْشًا نَعِيشُ بِهِ عَمَّا نَلَاقِي، فَشَرُّ الْعَيْشَةِ الرَّنَقُ
[الرَّنَقُ، بالرَّاء المهملة، وبالنون، هو الكدر غير الصافي]. وقال آخر^(١٢):

- (١) ط، ش: «وعقره» وهي صحيحة أيضاً، يقال عقر الكلا: أكله، ويقال أيضاً: عقره: جرحه.
- (٢) جاءت هذه الكلمة ومفردها في السطر السابق خالية من الهمز، وأصلها الهمز. والدأيات: فقر الكاهل والظهر.
- (٣) هو أبو الرئيس الثعلبي، أو الجون المحرزي. خزائن الأدب (٢: 532) حيث قصة الشعر.
- (٤) نجيبه قرم: يقول: هذه الناقة قد أنجبها قرم من الإبل، وهو بالفتح والراء: الفحل الكريم. ط، ش: وكذا أصل البيان (٣: 306): «قوم»، وصوابه ما أثبت من ل. شادها القت والنوى: أي نماها تناول هذا العلف. والني المتظاهر: الشحم الذي ركب بعضه بعضاً.
- (٥) ملموم: مجتمع. وفطر ناب الناقة: انشق وظهر.
- (٦) الرذية، بالذال: الناقة المهزولة من السير. وإنما تقلب عينيها خوف أن تنقرها الطير. وانظر شرح القصائد السبع الطوال ص 39.
- (٧) هذه الجملة ساقطة من ل.
- (٨) قوادم الريش: أربع أو عشر في مقدم الجناح. ط، ش: «قوادم» وانظر ما سيأتي.
- (٩) كذا في ل. وفي ط: «خرقة سوداء». وفي ش: «خرقاء سوداء» وهذه الأخيرة محرفة.
- (١٠) هذه الجملة ساقطة من ل. وذو الخرق قائل هذا الشعر: اسمه خليفة بن حمل بن عامر بن حميري؛ فإن من لقب بهذا اللقب من بني طهية ثلاثة شعراء أحدهم هذا، والثاني قرط بن قرط، والثالث شمير بن عبد الله بن هلال. انظر الخزائن (١: 50-51 سلفية) والمؤتلف والمختلف 109 ثم 119، وجاء في الخزائن أن الأمدى لم يذكر الشعر الذي منه البيت الآتي. وقدسها البغدادي؛ فإن الشعر مذكور في ص 109 من المؤتلف والمختلف، في غير مطنه.
- (١١) العجاف: جمع أعجف وأعجفاء على الشدوذ؛ لأن أفعال وفعلاء لا يجمعان على فعال. والأعجف: الذي ذهب سمته. وقبل البيت:

ما بال أم حبيش لا تكلمنا لما افترقنا وقد نثرى فننتفق

(١٢) ل: «وفي ذلك يقول الآخر».

كَأَنَّهَا رِيْشَةٌ فِي غَارِبٍ جَرَزٍ فِي حَيْثُمَا صَرَفَتْهُ الرِّيحُ يَنْصَرِفُ⁽¹⁾
[جَرَزٌ: عَظِيمٌ. قَالَ رَوْبَةُ:

عَنْ جَرَزٍ مِنْهُ وَجُوزٍ عَارٍ⁽²⁾
(غَرَزَ الرِّيشَ فِي أَسْنَمَةِ إِبِلِ الْمَلُوكِ وَخَرَّائِطِهِمْ)

وقد توضع⁽³⁾ الرِّيشُ في أسنمتها وتغرَزُ فيها لغير ذلك؛ وذلك أنَّ الملوك كانت تجعل الرِّيشَ علامةً لحباء الملك⁽⁴⁾؛ تحميمها بذلك وتشرف صاحبها⁽⁵⁾. قال الشاعر:

يَهَبُ الْجِلَادُ بَرِيْشَهَا وَرِعَائِهَا كَاللَّيْلِ قَبْلَ صَبَاحِهِ الْمَتَبَلَجِ⁽⁶⁾
ولذلك⁽⁷⁾ قالوا في الحديث: فرجع النَّابِغَةُ من عند النُّعْمَانِ وقد وهبَ له مائةً من عَصَافِيرِهِ⁽⁸⁾ بَرِيْشَهَا.

وللرِّيشِ مكان آخر: وهو أنَّ الملوك إذا جاءتها الخرائطُ بِالظَّفَرِ⁽⁹⁾ غَرَزَتْ فيها قِوَادِمَ رِيْشٍ سُودٍ.

(غَرَبَانِ الْإِبِلِ)

وقال الشاعر:

سَأْرَفَعُ قَوْلًا لِلْحُصَيْنِ وَمَالِكٍ تَطِيرُ بِهِ الْغَرَبَانِ شَطْرَ الْمَوَاسِمِ⁽¹⁰⁾

(1) الغارب: أعلى مقدم السنام. ل: «غارز» وليس له وجه. والجرز بالتحريك سيفسر. ط، ش: «جرد» تحريف ما في ل. ط، ش: «ضربته الريح»، وأثبت ما في ل.

(2) الجوز: الوسط. والبيت في صفة جمل سمين فضخه الحمل الثقيل، وقد نسب في اللسان (جرز، وري) إلى العجاج لا روبة. وقد روى البكري الأرجوزة في أراجيز العرب 157 منسوبة إلى العجاج كما في اللسان. وقيل البيت:

وَأَنْتَهُمْ هَامُومُ السِّدِيفِ الْوَارِي

(3) ط: «يوضع»، والأولى التوحيد في التأنيث كما أثبت من ل، ش.

(4) كذا في ل. والحباء، بالكسر: العطاء. ط، ش: «لجمالها».

(5) ط: «تحميمها بذلك بشرف أصحابها»، ل: «تحميمها بذلك ويشدن صاحبها».

(6) الجِلَاد من الإبل: الغزيرات اللبن. والرواية في البيان (96:3): «الهبان»، والرعاة بالضم والرعاة بالضم ويكسر: جمع راع. وقد روى البيت بالوجه الأول في ط، ش. وبالثاني في ل، والبيان. وجعلها كالليل لما فوق أسنمتها من الريش السود، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام. وهو خيال ركب تركيباً بارعاً. أو جعلها كالليل لأنها سود، كما في الشعراء 110، وفيها أيضاً: «ولم يكن بأرض العرب بعير أسود إلا له»: أي للنعمان.

(7) ش: «وكذلك».

(8) هي إبل نجبية كانت له، وقال ابن سيده: أظنه أراد من فتايا نوقه. قالوا: كان النعمان غاضباً على النابغة لقصيدته المشهورة التي وصف فيها المتجردة، ثم ذهب غضبه عليه عندما غنت النعمان قينة بشعر للنابغة، ووهب له العصافير. انظر الأغاني (165:9) والتنبيه السابق وما سيأتي في (5:158).

(9) الخرائط: جمع خريطة، وهي وعاء من آدم وغيره يشرح على ما فيه، أي يشد.

(10) رواية اللسان عن ابن الأعرابي: «للحصين ومنذر». والمواسم: أسواق العرب في الجاهلية حيث كانوا يجتمعون.

وتروى به الهيمُ الظَّماءُ، وَيَطْبَى بأَمْثَالِهِ الْغَازِينَ سَجْعُ الْحَمَائِمِ⁽¹⁾
يعني غِرْبَانُ الْإِبِلِ⁽²⁾. وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وتروى به الهيمُ الظَّماءُ» فمثل قول الماتح⁽³⁾:
عَلِقت يا حارثَ عِنْدَ الْوَرْدِ بِجَاذِلَ لَارْفِلِ التَّرْدِي⁽⁴⁾
وَلَا عِيَّيَّ بَابِتْنَاءِ الْمَجْدِ⁽⁵⁾
(شعر في تعرض الغربان للإبل)

وقالوا في البعير إذا كان عليه حملٌ من تمرٍ أو حبٍّ، فتقدَّم الإبلَ بفضل قُوَّته ونشاطه⁽⁶⁾، فعرض ما عليه للغربان⁽⁷⁾. قَالَ الرَّاجِزُ:

قَدْ قَلْتُ قَوْلًا لِلْغُرَابِ إِذْ حَجَلُ عَلَيْكَ بِالْقُودِ الْمَسَانِيفِ الْأَوَّلِ⁽⁸⁾
تَعَدَّ مَا شِئْتَ عَلَى غَيْرِ عَجَلٍ⁽⁹⁾

(1) يطبيهم سجع الحمام: يستميلهم غناء الحمام الذي يسجع بهذا الشعر. و«الغازين» هنا بمعنى القاصدين. ط، ش: «بأمثالها»، وإنما الضمير راجع إلى القول. ل: «الغاوين».

(2) في الأصل: «الليل»، وإنما هي غربان الإبل، وغراب البعير هو حد الورك الذي يلي الظهر. أي إن هذا الشعر يذهب به على الإبل إلى المواسم. ومعنى تطير: تسرع. وإنما خص الأوراك لأنهم كانوا يجعلون الرسائل في حقيبة تحتقب، وتشد على عجز البعير. كما قال الآخر:

وإن عتاق العيس سوف يزوركُم ثناء على أعجازه من معلق
(3) الماتح، بالتاء: الذي ينزع الدلو وهو بجوار البئر. والماتح، بالهمز: الذي يدخل البئر فيملاً الدلو. ط: «المسانح» ل: «المايح» والأولى تحريف، والثانية ليست مرادة، والرجز في البيان (4:1) مسبوقةً بعبارة: «وقال الراجز وهو يمتح بدلو». ووجه المثلية أن كلا منهما خاطب نفسه، قال الأول «وتروى» يخاطب نفسه، وكذا الثاني: «علقت».

(4) الجاذل: الواقف مكانه لا يبرح، شبه بالجدل الذي ينصب في المعاطن لتحثك به الإبل الجربى. ومثله «الجاذي»، وبهذه الأخيرة جاء في س مع الهمز أي «جاذئ» وفي البيان: «بجاي». والجاي، الذي يطلع فجأة. وقد عنى رجلاً. والرفل: الذي يجز ذيل ثوبه. والتردي: لبس الرداء. وفي الأصل: «لا وجل التود» وصوابه من البيان. وجاء بعد هذا البيت في ل:

فجاءني لا رفل الترددي

وأقول: إنه مقحم وإن به تصحح نهاية هذا البيت.

(5) العيي: العاجز. ط: «يمنى» ش: «يميني»، وصوابه ما أثبت من البيان. وفي ل: «عيا».

(6) ط: «فيقدم». ل: «لفضل»: مكان «بفضل».

(7) ش: «الغربان».

(8) القود: الطوال الأعناق. ط، ش: «بالعود» وصوابه في ل والمخصص (10: 167) وتنبية البكري 48 والمحاسن للبيهقي (2: 84). وفي مجالس ثعلب 136: «عليك بالإبل». والمسانيف: المتقدمة، جمع مسانف. ش، ط: «المسانف».

(9) ط، ش: «من بعد ما مشت على غير عجل»، وتصحيحه من المراجع المتقدمة قال الكسائي - وقد سأله الرشيد عن هذا الشعر: «إن العير إذا فصلت من خيبر وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق. يقول هذا، تقدم إلى أوائل العير فكل على غير عجل» المحاسن للبيهقي، وللرجز بقية في تنبيه البكري، فراجع.

ومثله (1):

يقدمها كل أمون مظعان (2) حمراء من معرضات الغربان (3)

(أمثال في الغراب)

ويقال: «أصح بدنًا من غراب»، و«أبصر من غراب»، و«أصفى عينًا من غراب». وقال

ابن ميادة:

ألا طرقتنا أم أوس ودونها جراح من الظلماء يعشى غرابها (4)

فبتنا كائنًا بيننا لطمية من المسك، أو دارية وعبابها (5)

يقول: إذا كان الغراب لا يبصر في جراح الظلماء (6). وواحد الجراح حرجة، وهي هاهنا مثل، [حيث (7)] جعل كل شيء التف وكثف من الظلام جراحًا، وإنما الجراح من الصدر وأشبه الصدر.

يقول: فإذا لم يبصر فيها الغراب مع حدة بصره، وصفاء مقلته فما ظنك بغيره؟! وقال

أبو الطمّحان القيني (8):

إذا شاء راعيها استقى من وقية كعين الغراب صفوها لم يكدر

(استطراد لغوي)

والوقية: المكان الصلب الذي يمسك الماء، والجمع الوقائع. قال: وأنشدنا أبو

عمرو (9) ابن العلاء، في الوقائع:

(1) الرجز الآتي يروى للأجلح بن قاسط، كما في اللسان (عرض). وقال ابن بري: «وهذان البيتان في آخر ديوان الشماخ». قلت أنا: «هما في أخرياته ص 116 منسوبان إلى الجليح بن شميم رقيق الشماخ. ونسبا في مشارف الأقاوي 208-209 إلى الجعيل. وجاء قوله في آخر الرجز يخاطب نفسه:

يا ابن جليح كن دليل الركبان

ويظهر أنه اجتلب كلمة: «ابن» تحسینًا للكلام، وضبطًا للوزن.

(2) ل: «تقدمها»، والأمون: الوثيقة الخلق. ش: «أموق» تصحيف. ل: «علاء»، وهي رواية القالي والبكري. والعلاء: الشديدة الصلبة، مشبهة بالعلاء وهي السندان. والمظعان، السهلة السير. ل: «مدعان»، صوابه «مدعان» بالذال، وهي المنقادة لقائدها.

(3) قال البكري: «الحمر أجلد الإبل». والمعرضات: التي تقدم الإبل فتقع الغربان عليها فتأكل مما حملته، كأنها عرضت ما تحملته للغربان.

(4) ش: «جراح من الظلماء يغشى»، وصوابه في ط، ل.

(5) اللطمية: العنبرة لطمت بالمسك فتفتتت به. ل وكذا في كتاب الصيدنة ص 6: «بيتتنا لطيمة». واللطيمة: العير تحمل الطيب. والتبيت أصله من بيت العدو: أوقع بهم ليلاً. والدارية: منسوبة إلى دارين، فريضة بالبحرين كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند. وعنئ بها العطور، أو العير، والعياب: جمع عيبة، وهي وعاء من آدم يوضع فيه الثياب ونحوها. ط، ش، وكذا كتاب الصيدنة: «كعابها» ولم أر لها وجهًا.

(6) ط: «الظماء»، وصوابه في ل، ش، وثمار القلوب 364.

(7) الزيادة من ثمار القلوب. (8) من أبيات في الأغاني (11: 128).

(9) أبو عمرو بن العلاء تقدمت ترجمته في (2: 127)، ط، ش: «وأنشد أبو محمد» وصوابه في ل، وانظر الاشتقاق 177 من تحقيقي.

إذا ما استبالوا الخيل كانت أكفهم وقائع للأبوال والماء أبرد
يقول: كانوا⁽¹⁾ في فلاة فاستبالوا الخيل في أكفهم، فشرّبوا أبوالها من العطش. ويقال
شهد الوقعة والوقعة بمعنى واحد، قال الشاعر⁽²⁾:

لعمري لقد أبقت وقعة راهط على زفر داء من الشرّ باقياً⁽³⁾
وقال [زفر بن⁽⁴⁾] الحارث:

لعمري لقد أبقت وقعة راهط لمزوان صدعاً بيننا متنائياً⁽⁵⁾
وقال الأخطل:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعول⁽⁶⁾
(أمثال من الشعر والنثر في الغراب)

وفي صحّة بدن الغراب يقول الآخر⁽⁷⁾:

إن معاذ بن مسلم رجل قد ضجّ من طول عمره الأبد⁽⁸⁾
[قد⁽⁹⁾] شاب رأس الزمان واكتهل الدهر
يا نسر لقمان كم تعيش وكم تسحب ذيل الحياة يا لبد⁽¹⁰⁾

(1) ط، ش: «إذا كانوا»، والوجه حذف «إذا» كما في ل.

(2) هو جواس بن القعطل الكلبي. المؤتلف والمختلف 74 والتنبيه والإشراف 268.

(3) وقعة راهط هي المعروفة بوقعة مرج راهط. انظر لها الأغاني (17: 111-114) والعقد (3: 145) ومروج الذهب (2: 107 بهية)، ط، ش: «على دفر»، وصوابه في ل، والعقد (147: 74) والمؤتلف 74.

(4) هذه الزيادة الضرورية اعتمدت فيها على المراجع المتقدمة وحماسة البحري 17.

(5) مروان هذا هو ابن الحكم الأموي والد عبد الملك. ط: «بيننا»، وصوابه في ل، ش، والمراجع المتقدمة. ط، ش: «متبائناً» وصوابه في ل والمراجع المتقدمة؛ فإن البيت من قصيدة يائية، منها البيت المشهور:

وقد ينبت المرعى على دمن الشرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

(6) الجحاف هذا هو ابن حكيم السلمي، قاد قومه وأغار على بني تغلب بموضع يسمى البشر بين الفرات والشام، فقتل منهم مقتلة عظيمة. انظر معجم البلدان والعمدة 167 وأمثال الميداني (2: 367، 355). ط، ش: «الجحاف بالشّر» صوابه في ل والمعجم. وانظر نقد البيت في الموشح 165-166.

(7) هو الخزرجي كما في الحيوان (6: 209)، وقد ذكر ابن خلكان (في ترجمة معاذ بن مسلم) أن صاحب الشعر هو أبو السرى سهل بن أبي غالب الخزرجي. قال ابن خلكان في ترجمته (وذكرها في نهاية ترجمة معاذ): إنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد بالعهد، فقرّبه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة، وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالي. وقال له الرشيد: إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجباً، وإن كنت ما رأيته فقد وضعت أدباً. وتجد الأبيات في العقد (3: 52) وبغية الوعاة 393 منسوبة إلى محمد بن مناذر. وهي بدون نسبة في المعاني الكبير 58 وأمالى الزجاجي 17 من تحقيقي.

(8) معاذ بن مسلم هذا هو المعروف بالهراء، كان نحويًا كوفيًا، وكان يتشيع. قرأ عليه الكسائي وروى عنه. عمر معاذ بن مسلم طويلاً. وتوفي سنة سبع وثمانين ومائة، وهي سنة نكبة البرامكة.

(9) من ل، ش، والجزء السادس، وعبون الأخبار (4: 59) وثمار القلوب 377 وأمثال الميداني (1: 454).

(10) لبد، كزفر: آخر نسور لقمان، قالوا في أساطيرهم: عمر لقمان عمر سبعة أنسر كلما مات واحد خلفه آخر، وكان كل منها يعيش ثمانين سنة. انظر الديميري.

قد أصبحَتْ دارُ آدمَ خربتْ وأنتَ فيها كأنَّكَ الوتدُ⁽¹⁾
تسألُ غربائِها إذا حَجَلَتْ كيفَ يكونُ الصُّداعُ والرَّمَدُ
ويقال: «أرضٌ لا يطيرُ غرابها»⁽²⁾. قال النَّابِغة:

ولرَهْطٍ حَرَّابٍ وقد سَوَّرةٌ في المجدِّ ليسَ غرابُها بمُطارٍ⁽³⁾
جعله مثلاً. يعني أنَّ هذه الأرضَ تَبْلُغُ من خِصبها أنَّه إذا دخلها الغرابُ لم يخرج منها؛
لأنَّ كلَّ شيءٍ يريدُه فيها⁽⁴⁾. وفي زهو الغراب يقول حسان، في بعض قريش⁽⁵⁾:

إنَّ الفَرافِصَةَ بنَ الأَحوصِ عنده شَجَنٌ لَأَمِّكَ مِن بَناتِ عُقابٍ⁽⁶⁾
أجمَعْتَ أَنَّكَ أَلَمُ مَنْ مشى في فحشٍ مُومِسةٍ وزهوٍ غرابٍ⁽⁷⁾
ويقال: «وجد فلانٌ ثَمرةً»⁽⁸⁾ الغراب، كأنه يتبع عندهم أطيب التمر⁽⁹⁾.

ويقال: «إنَّه لأَحْذَرُ من غراب» و: «أشدُّ سواداً من غراب». وقد مدحوا بسواد⁽¹⁰⁾
الغراب. قال عنترة:

فيها اثنتانِ وأزْبَعُونَ حَلوبَةً سُوداً كَخَافِيَةِ الغرابِ الأَسْحَمِ
وقال أبو دَواد⁽¹¹⁾:

- (1) الوتد يبقى بعد دروس المنزل.
- (2) ط: «ويقال في أرض لا يطير غرابها»، والوجه حذف (في) كما في ل، ش.
- (3) حراب: رجل من بني أسد، وكذلك قد، بالفتح، وهو أحد شعرائهم ترجمه الميرزباني في المعجم 339، والسورة، بالفتح: الارتفاع. والرواية في الديوان بشرح البطليوسي: «ليس غرابهم».
- (4) قال البطليوسي: «وفي الغراب ها هنا سوادهم». ونقل الميداني عن أبي عبيد أن المراد بالمثل الشدة. انظر الأمثال (2: 316).
- (5) ط، ش: «في بعض بني قريش»، وكلمة «بني» مقحمة. والشخص المراد هو الحارث بن هشام بن المغيرة، كما في الديوان 59.
- (6) عقاب: عبد كان لبني تغلب، وكان له بنات وقع بعضهن عند الفرافصة بن الأحوص الكلبي فكن إماء له، وكانت واحدة منهن ولدت لرجل من بني تغلب ابنة تزوجها مخربة بن جندل. ومخربة هذا والد أسماء والدة الحارث بن هشام. فحسان يهجو الحارث بأن له نسباً في الإماء. و«عنده شجن» أراد أنه يجلب لها الشجن عندما تتذكر نسبها. ط، ش: «بن أحوص» وأثبت ما في ل والديوان.
- (7) يقال: «أزهى من غراب؛ لأنه إذا مشى اختال ونظر في عطفه». ثمار القلوب 365، ورواية المخصص (3: 103): «في فحش زانية»، وفيه وفي الديوان 60: «وزوك غراب»، والزوك: المشي المتقارب الخطو مع تحرك الجسد.
- (8) كذا في ل واللسان (ت م ر) ومثله في أمثال الميداني (1: 369، 2: 287). يضرب لمن يظفر بالشيء النفيس، ولمن يجد أفضل ما يريد. ط، ش وكذا محاضرات الراغب (2: 299): «ثمرة» بالمثلثة.
- (9) ط، ش: «التمر» بالمثلثة. وانظر التنبيه السابق.
- (10) ما عدل: «سواد».
- (11) كذا على الصواب في ط. وفي ل، ش: «أبو داود» تحريف. وأبو داود: شاعر جاهلي اسمه جارية بن الحجاج أو حنظلة بن الشرقي. وهو أحد نعاة الخيل المجيدين. وكانت العرب لا تروى شعره ولا شعر عدي بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية. خزنة الأدب (4: 190 بولاق) والشعراء لابن قتيبة.

تنفى الحصى صُعْدًا شَرْقِيَّ مَنَسِمَهَا نَفَى الْغُرَابِ بِأَعْلَى أَنْفِهِ الْغَرْدَا⁽¹⁾
 والمغاريد: كم⁽²⁾ صغار، وأنشد⁽³⁾:
 يَحُجُّ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا لَجَفٌ فَاَسْتُ الطَّبِيبِ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ⁽⁴⁾
 وقد ذكرنا شدة منقاره، وحدة بصره في غير هذا المكان.

(شعر في مديح السواد)

وقالوا في مديح السَّوَادِ، قال امرؤ القيس:
 العَيْنُ قَادِحَةٌ وَالْيَدُ سَابِحَةٌ وَالْأُذُنُ مُضْغِيَّةٌ وَاللُّونُ غَرِيبُ⁽⁵⁾
 وفي السَّوَادِ يَقُولُ رُبَيْعَةُ أَبُو ذُؤَابِ⁽⁶⁾ الْأَسَدِيّ، قَاتِلَ عَتِيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ:
 إِنْ الْمَوْدَةَ وَالْهَوَادَةَ بَيْنَنَا خَلَقَ كَسَحَقِ الْيُمْنَةِ الْمَنْجَابِ⁽⁷⁾
 إِلَّا بِجَيْشٍ لَا يَكْتُ عَدِيدُهُ سُودِ الْجُلُودِ مِنَ الْحَدِيدِ غَضَابِ⁽⁸⁾

(شعر ومثل في شيب الغراب)

وفي المثل: «لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب». وقال العُزْجِيُّ:

- (1) ل: «ينفي» ويصح إذا قرئ بالبناء للمجهول. ومنسم الناقه كمجلس: خفها. والغرد: ضرب من الكمأة صغار، وأراد بالأنف هنا المنقار. ط: «نقي الغراب» وصوابه في ل، ش. ل: «الغردة».
- (2) ط: «كم»، صوابه في ل، ش. والمغاريد: جمع مغرود، بالضم: لغة في الغرد.
- (3) البيت الآتي قائله عذار بن درة الطائي. اللسان (ح ج ج).
- (4) وصف هذا الشاعر طبيباً يداوي شجرة بلغت أم الرأس في قعرها. تلجف أي تفلع، كما تتلجف البئر فينقلع طيها من أسفلها. وذلك الطبيب يجزع من هولها فالقذى يتساقط من استه كالمغاريد. انظر اللسان (ح ج ج) والكمال 64 ليسك، ومعجم الأدباء (15: 73-74) حيث الكلام طويل في البيت. ط، ش: «فجج»، وصواب الرواية من ل والمراجع المتقدمة. ل: «لحف» مصحف. ط: «قاسي الطبيب» محرف. ويروى: «كالمغاريد» مقلوب عن «المغاريد» المخصص (13: 182).

- (5) ط، ش: «والعين». واليد، بالتشديد: لغة في اليد. ش: «والرجل».
- (6) كان ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث اليربوعي في يوم خو، وأسرت بنو يربوع في ذلك اليوم ذؤابا، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه، فأتى ربعة أبو ذؤاب إلى الربيع، فافتدى ولده بشيء معلوم، ووعدته أن يأتي بذلك سوق عكاظ. وساق ربعة الغداء إلى السوق في الموعد فلم يجد الربيع وابنه الأسير، وكان الربيع تخلف لغرض له، ففدّر ربعة في نفسه أن الربيع علم بقتل أبيه فقتله فرثاه بأبيات منها البيتان الآتيان، وسارت عنه. فبلغت بني يربوع، فعرفوا أنه قاتل عتيبة فأقادوه به. ولولا ذلك لنجا. انظر الخبر في شرح التبريزي للحماسة (2: 166). والشعر والخبر فيه وفي أمالي القالي (2: 72-73). وربعة أبو ذؤاب هو بضم الراء، قال أبو محمد الأعرابي: «ليس في العرب ربعة غيره». وهو ابن عبيد بن سعد (أو هو ابن أسعد) بن جذيمة بن مالك ابن نصر بن قعين. شرح الحماسة والمؤتلف 125 ط، ش: «ربعة بن أيوب»، تحريف صوابه في ل.
- (7) الهوادة: اللين. كسحق اليمنة، أي كالثوب السحق البالي منها. اليمنة بالضم: نوع من برود اليمن.
- (8) إلا بجيش: يقول لا نهدأ إلا إذا حكمنا الحرب. لا يكت: لا يعد ولا يحصى.

لا يحولُ الفؤادُ عنه بُؤدٌ أبداً أو يحولُ لونُ الغُرابِ
وقال ساعدة بن جُؤيَّة:

شبابُ الغرابِ ولا فؤادك تاركٌ عهدُ الغُصوبِ ولا عتابُك يُعتَبُ⁽¹⁾
(معاوية وأبو هوزة الباهلي)

ومما يُذكر للغراب ما حدّث به أبو الحسن⁽²⁾، عن أبي سليم⁽³⁾، أن معاوية قال لأبي هوزة⁽⁴⁾ بن شماس الباهلي⁽⁵⁾: لقد هممت أن أحملَ جمعاً من باهلة في سفينة ثم أغرقهم! فقال أبو هوزة: إذن لا ترضى باهلة بعدّتهم من بني أمية! قال: اسكت أيها الغرابُ الأبقع! وكان به برص - فقال أبو هوزة: إن الغراب [الأبقع] ربّما درج إلى الرّخمة حتى ينقر دماغها، ويقلع⁽⁶⁾ عينيها! فقال يزيد بن معاوية: ألا تقتله يا أمير المؤمنين؟ فقال: مه! ونهض معاوية. ثم وجهه بعد في سرية فقتل. فقال معاوية ليزيد: هذا أخفى وأصوب!

(شعر في نقر الغراب العيون)

وقال آخر⁽⁷⁾ في نقر الغراب العيون:
أتوعد أسرتي وتركت حُجراً يُريغُ سوادَ عَينيه الغُرابُ⁽⁸⁾
ولو لا قيتِ عِلباءَ بنَ جَحشٍ رَضِيتَ من الغَنيمةِ بالإيابِ⁽⁹⁾
وقال أبو حنّة - في أن الغراب يسمّونه الأعور تطيراً منه - :
وإذا تُحلُّ فتودها بتَنوفةٍ مرّت تليح من الغُرابِ الأعورِ⁽¹⁰⁾
لأنّها تخاف من الغربان؛ لما تعلم من وقوعها على الدّبر.

(1) أراد: طال عليك الأمر حتى كان ما لا يكون أبداً، وهو شيب الغراب. عن اللسان ط، ش: «تاركاً» ولا تصح وصوابها في ل واللسان (شيب وعتب). و«عهد» هي في ل: «ذكرى» وفي اللسان «ذكر». ويعتب، بالضم والبناء للفاعل، بمعنى يجلب إليك العتبي، وهي الرضا، يقول: إن عتابك في غير طائل. وقد ضبطت في اللسان بالبناء للمفعول في الموضعين. وفسرها بقوله: «أي لا يستقبل بعتي».

(2) أبو الحسن، يريد به علي بن محمد المدائني الأخباري المعروف.

(3) ل: «أبي سليمان».

(4) هذه الكلمة جاءت في الأصل بالبدال المهملة في مواضعها الثلاثة. والوجه ما أثبت.

(5) «ابن شماس» ساقطة من ل.

(6) ش: «ويقتلع».

(7) هو عبيد بن الأبرص يرد على امرئ القيس. انظر الخزاعة (2: 403 بولاق). والعمدة (1: 65).

(8) يريغ: يطلب. س: «يريع» مصحفة.

(9) ش: «علياء» تصحيف. وفي البيت إقواء كما ترى. ومن عجيب ما روى في شأن الإقواء: قول صاحب القاموس: «وقلت قصيدة لهم بلا إقواء»، يعني العرب.

(10) قنود الناقة: أدوات رحلها. والتنوفة: الفلاة. وتليح: تشفق وتحاذر. ط، ش: «يحل قنودها». ط: «غرت» مكان «مرت» والأولى تحريف.

(شعر فيه مدح بلون الغراب)

ومما يمدح به الشعراء بلون الغراب⁽¹⁾ قال أبو حية :

غرابٌ كانَ أَسْوَدَ حَالِكِيًّا أَلَا سَقِيًّا لِذَلِكَ مِنْ غُرَابِ
وقال أبو حية⁽²⁾ :

زَمَانَ عَلَيَّ غُرَابٌ غُدَافٌ فطِيرُهُ الدَّهْرُ عَنِّي فَطَارَا
فَلَا يُبْعِدُ اللَّهَ ذَاكَ الْغُدَافَ وإن كان لا هو إلا أذكارا⁽³⁾
فأصبح موضعه بائضاً مُحِيطاً خَطَاماً مُحِيطاً عَذَارَا⁽⁴⁾

وقال أبو حية في غير ذلك، وهو مما يُعد للغراب :

كَأَنَّ عَصِيمَ الدَّرْسِ مِنْهُمْ جَاسِدٌ بما سال من غربانهنَّ من الخِطَرِ⁽⁵⁾

(استطراد لغوي)

والغراب ضروب، ويقع هذا الاسم في أماكن، فالغراب⁽⁶⁾ حدُّ السكين والفأس، [يقال] فأسٌ حديدة الغراب. وقال الشماخ :

فَأَنحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ غَرَابِهَا عَدُوًّا لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مِشَارُ⁽⁷⁾

المشارزة: المعادة والمخاشنة. والغراب: حدُّ الورك ورأسه الذي يلي الظهر⁽⁸⁾، ويبدأ⁽⁹⁾ من مؤخر الرِّدْف. والجمعُ غِرَابان. قال ذو الرُّمَّة :

(1) ط، ش: «الشعر» وليست مرادة، بل المراد الشعراء كما في ل. ط: «لون» وصوابه في ل، ش.
(2) كذا في ل. وفي ط، ش: «وقال آخر». وقد روى المرتضى في أماليه (2: 100) تسعة أبيات من قصيدة أبي حية منسوبة إليه. وقبل البيت الأول:

زَمَانَ الصَّبَا، لَيْتَ أَيَّامَنَا رَجَعْنَا لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقَصَارَا

(3) كذا في الأصل. وفي أمالي المرتضى: «وإن هو لم يبق إلا اذكارا».
(4) بائضاً، من باض النبت: إذا صوح. ل، ش: «محيطاً غدارا».
(5) العصيم: الدرن والوسخ والبول إذا ييس على فخذ الناقة. الدرس: الجرب أول ما يظهر. وفي الأصل: «الورس» ووجهه ما أثبت. انظر اللسان (درس 383) والمخصص (7: 163). وجاسد: لاصق، وفي الأصل: «حاسد». والخطر: بالفتح ويكسر: ما يتلبد على أوراك الإبل من أبوالها وأبعارها.

(6) ط: «فالغرب»، وصوابه في ل، ش.
(7) أنحى: أمال. وذات حد: الفأس. والعضاه: شجر عظيم. والبيت في صفة قواس تناول فرعاً وجعل يشذبه بالفأس ليصنع قوساً. ل: «عدولاً لأوساط»، صوابه في ط، ش والديوان 47.

(8) كذا في ل. وفي ط، ش: «ورأسه الفقارة التي تلي الظهر».

(9) ط، ش: «تبدأ»، ل: «ويبدو»، وجعلته كما ترى.

وَقَرَّبَنَ بِالزُّرْقِ الْحَمَائِلَ بَعْدَ مَا تَقَوَّبَ مِنْ غَرَبَانٍ أَوْرَاكِهَا الْخَطَرُ⁽¹⁾
تَقَوَّبَ⁽²⁾: تقشّر ما على أوراكيها من سلجها وبولها؛ من ضربها بأذنانها.

(غراب البين)

وكلُّ غراب فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم، أمّا غراب البين نفسه؛ فإنّه غرابٌ صغير. وإنّما قيل لكلّ غراب غراب البين، لسقوطها في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها. قال أبو حَوَلة الرِّياحي⁽³⁾:

فليس يربوع إلى العَقْلِ فاقَةً ولا دَنَسٌ يَسُودُ مِنْهُ ثِيَابُهَا⁽⁴⁾
فكيف بنو كى مالك إن كَفَرْتُمْ لهم هذه، أم كيف بعدُ خطابها⁽⁵⁾
مَشَائِمَ لِيَسُوا مُصْلِحِينَ عَشِيرَةً ولا ناعِبٌ إِلَّا بَبِينٍ غَرَابُهَا⁽⁶⁾

(الوليد بن عقبة وعبد الله بن الزبير)

ومن الدَّلِيل على أنّ الغراب من شرار الطَّير، ما رواه أبو الحسن قال: كان ابنُ الزبير يقعدُ مع معاوية على سريرهِ، فلا يقدر معاوية أن يمتنع منه، فقال ذات يوم: أمّا أحدٌ يكفيني ابنُ الزبير؟ فقال الوليدُ بن عقبة: أنا أكفيكه⁽⁷⁾ يا أمير المؤمنين. فسبق فقعد في مقعده على السرير، وجاء ابنُ الزبير فقعد دون السرير، ثم أنشد ابنُ الزبير:

تَسْمَى أَبَاناً بَعْدَ مَا كَانَ نَافِعاً وَقَدْ كَانَ دَكْوَانٌ تَكْنَى أَبَا عَمْرٍو⁽⁸⁾
فانحدرَ الوليدُ حتى صار معه، ثم قال:

(1) الزرق: أكتبة رميلة بالدهناء. والحمائِل، بالحاء المهملة: جمع حمولة بالفتح، وهي الإبل التي تحمل. ومثل هذه الرواية في اللسان (خطر، زرق)، ورواه ابن سيده في المخصص (7، 23، 14، 117): «الجمائل» بالجيّم، وقال هو جمع جمال بالكسر والخطر فسر في الصفحة السابقة.

(2) ش: «يقول».

(3) أبو حولة: كنية الأخوص، بالخاء المعجمة، الرياحي اليربوعي، كما في الخزانة (4: 119 سلفية). ل: «أبو خولة» محرف. وفي البيان (2: 260): «أبو الأخوص الرياحي»، صوابه: «الأخوص الرياحي» كما في الخزانة (4: 118 سلفية). وروى السيوطي في شرح شواهد المغني 295 نسبته إلى أبي ذؤيب الهذلي. وقد ذكر صاحب الخزانة سبب الشعر وقصته. والأخوص الرياحي شاعر إسلامي.

(4) المراد بالعقل هنا: الدية. والرواية في الخزانة والبيان: «سوى دنس». و«منه» هي في الأصل «منها» وتصحيحه من البيان وشرح شواهد المغني.

(5) أراد بمالك: بني دارم بن مالك، وكانوا قتلوا رجلاً من بني غدانة بن يربوع.

(6) أراد بالمشائِم بني مالك لا بني يربوع. وفي الخزانة: «مشائِم». وأنت تراه قد جر «ناعب» توهمًا منه أن الباء قد دخلت على المعطوف عليه وهو «مصلحين» فإن الباء تزداد في خبر ليس. وقد رواه سيبويه في كتابه (1: 154، 418) بالجر كما هنا. ورواه في (1: 83)، «ولا ناعبًا» على الأصل.

(7) ط، ش: «أكفيك».

(8) ط، ش: «يسمى» و«يكنى».

ولولا حُرَّةٌ مَهْدَتْ عَلَيْكُمْ صَفِيَّةٌ مَا عُدِدْتُمْ فِي النَّفِيرِ⁽¹⁾
ولا عُرِفَ الزَّبِيرُ ولا أبوه ولا جَلَسَ الزَّبِيرُ على السَّرِيرِ
وددْنَا أَنْ أَمَّكُمْ غَرَاب فكنتم شرَّ طيرٍ في الطَّيُورِ

(القواطع والأوبد)

قال أبو زيد: إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغربان، أي جاءت بلادنا⁽²⁾، فهي قواطع إلينا، فإذا كان الصيف فهي رواجع. والطير التي تقيم بأرض⁽³⁾ شتاءها وصيفها أبدأ فهي الأوبد. والأوبد أيضاً هي الدواهي، يقال جاءنا بأبدة. ومنها أوبد الوحش. ومنها أوبد الأشعار. والأوبد أيضاً: الإبل إذا توخَّش منها شيء فلم يُقدر عليه إلا بعقر. وأنشد أبو زيد في الأوبد⁽⁴⁾:

ومَنهل وَرَدته التِّقَاطَا⁽⁵⁾ طام فلم ألقَ به فَرَّاطَا⁽⁶⁾
إلا القِطَا أوبداً غَطَّاطَا⁽⁷⁾

(صوت الغراب)

ويقال نغق الغراب ينغق نغيقاً، بغين معجمة؛ ونعب ينعب نعباً بعين غير معجمة. فإذا مرَّت عليه السُّنُونُ الكثيرةُ وغُلِظَ صوته قيل شَحَجَ يشَحَجُ شَحِيجاً⁽⁸⁾ وقال ذو الرُّمَّة:

وَمُسْتَشْحَجَاتٍ بِالفِرَاقِ كَأَنَّهَا مَثَاكِيلُ مِنْ صَيَّابَةِ الثُّوبِ نُوحُ⁽⁹⁾
والثُّوبَةُ توصف بالجَزَعِ.

(1) صفة هذه هي بنت عبد المطلب، عمة الرسول ﷺ، وهي أم الزبير بن العوام. يقول لولا ما أدركتم من شرف الأم ما عددتم في النفير. والعبارة تنظر إلى المثل السائر: «فلان لا في العير ولا في النفير»، يضرب لمن لا يستصلح لأمر من الناس، ولمن هو صغير القدر. انظر اللسان (نفر) وأمثال الميداني (155-154:2).

(2) ل: «من بلادنا»، تحريف.

(3) ل: «بأرضنا».

(4) صاحب الرجز نقادة الأسدي، كما في اللسان (فرط، لقط).

(5) التقاطاً: فجأة بدون احتساب أو رجاء.

(6) الفراط: المتقدّمات إلى الماء، ط، ش: «لم نلف». اللسان: «لم أر إذ وردته» و«لم ألق إذ وردته». ل: «قراطاً» بالقاف، تصحيف.

(7) ل: «أبدأ». والغطاط، بالفتح: الطوال الأرجل، البيض البطون، الغبر الظهور، الواسعة العيون. ورواية اللسان في الموضعين: «إلا الحمام الورق والغطاط».

(8) ش: «سحج يسحج سحيجاً»، تصحيف.

(9) يعني الغربان. ش: «مستشججات» تصحيف. والصيابة، بضم الصاد وتشديد الياء: الصميم والخيار. ش: «صباية الثوب» وصوابه في ل، ط، واللسان والمخصص (3: 153، 4: 30، 8: 134) ومحاضرات الراغب (269:2).

(أثر البادية في رجال الروم والسند)

وأصحابُ الإبل يَرْعُبُون في اتخاذ النوبة والبربر والرُّوم للإبل؛ يرون أنهم يصلحون على معاشها، وتصلح على قيامهم عليها. ومن العجب أن رجالاً^(١) الرُّوم تصلح في البدو مع الإبل، ودخول الإبل بلاد الروم هو هلاكها. فأما السُّند فإنَّ السُّنْدِيَّ صاحبَ الحُرْبَةِ^(٢) إذا صار إلى البدو، وهو طفل، خرج أفصح من أبي مَهْدِيَّة^(٣)، ومن أبي مطرّف^(٤) الغنوي. ولهم طبيعة في الصَّرْف؛ لا ترى بالبصرة صيرَفِيًّا إلاَّ وصاحب كَيْسِه^(٥) سِنْدِيٌّ.

(نبوغ السُّند)

واشترى محمد بن السَّكَن، أبا رَوْح^(٦) [فَرَجاً] السُّنْدِي، فكسب له المالَ العظيم. فَقَلَّ صيدلاني^(٧) عندنا إلاَّ وله غلامٌ سِنْدِيٌّ. فبلغوا أيضاً في البرِّبَهَار^(٨) والمعرفة بالعقاقير، وفي صَحَّة المعاملة، واجتلاب الحُرَفاء مبلغاً حسناً. وللسُّنْدِي الطَّبَخ طبيعة، ما أكثر ما ينجُبُون فيه. وقد كان يحيى [بن خالد] أراد أن يحوِّل إجراء الخيل عن صبيان الحُبْشان والثُّوبَة، إلى صبيان السند، فلم يفلحوا فيه، [وأراد تحويل رجال السُّند إلى موضع الفَرَّاشين من الرُّوم^(٩)، فلم يفلحوا فيه]. وفي السُّند حلوق^(١٠) جياد، وكذلك بنات السُّند.

(١) ط، ش: «حال».

(٢) خربة السندي: ثقب شحمة أذنه. ط، ش: «الحربة» مصحفة. قال ذو الرمة من بائته المشهورة:

كأنه حبشي يبتغي أثراً أو من معاشر في أذانهما الحرب

وقد سبقت هذه الكلمة في (2: 195، 196)، وفي أول رسالة فخر السودان: «خرثة» وهي والخربة بمعنى.

(٣) أبو مهدي سبقت ترجمته في (2: 121). ش: «أبي مهريّة»، تصحيف.

(٤) ل: «ومن مصرف».

(٥) ش: «كسبه»، تحريف ما في ط، ل، وجاء في رسائل الجاحظ 81 ساسي: «ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيستهم وبيوت صرفوهم إلا السند وأولاد السند». ولا يكاد أحد أن يجد صاحب كيس صيرفي ومفاتيجه، ابن رومي ولا ابن خراساني.

(٦) ط، ش: «أبا رواح»، وصوابه من ل ورسائل الجاحظ 81 ساسي.

(٧) الصيدلاني: بائع الأدوية، وتبدل اللام نوناً فيقال: «صيدلاني» أيضاً. وجاء في ل: «صيدلاني».

(٨) كذا ضبطها العلامة المحقق الأب أنستاس ماري الكرمل، وقال: المراد بها توابل بر الهند. قلت: وجاءت هذه الكلمة في رسائل الجاحظ 81 ساسي: «صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات»، وانظر أنساب السمعاني 71 وفي ط، ش: «البربها»، بإسقاط الراء محرفة.

(٩) يراد بالفراش من يتعهد فراش البيت وأثاثه. انظر حول ديوان البحري ص 39.

(١٠) أراد أصحاب حلوق: جمع حلق، أي أن لهم أصواتاً حسنة. ل: «أخلاق» تحريف. وجاءت مثل هذه العبارة في رسائل الجاحظ 63، قال: «وليس في الأرض أحسن حلوفاً منهم» وفي ص 118: «ومن مفاخر الزنج حسن الحلق وجودة الصوت».

(استطراد لغوي)

والغراب يسمّى أيضاً حاتماً. وقول عوف بن الخرع⁽¹⁾ :
ولكنّما أهجو صفّي بن ثابت مَثَبَجَةٌ لاقت من الطير حاتماً⁽²⁾
وقال المرقش، من بني سدّوس⁽³⁾ :
ولقد غَدَوْتُ وكننت لا أغدو على واق وحاتم
[فإذا الأشائم كالأيا من الأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا شرّ على أحد بدائم]
وأنشد لُخثيم بن عديّ⁽⁴⁾ :

وليس بهيَّاب إذا شدّ رحله يقول عداني اليوم واق وحاتم⁽⁵⁾
ولكنّه يمضي على ذاك مُقَدِّماً إذا صدّ عن تلك الهنات الخثارم⁽⁶⁾

والخثارم: هو المتطيّر⁽⁷⁾ من الرجال. وأما قوله: «واق وحاتم» فحاتم هو الغراب، والواقي هو الصرد؛ كأنه يرى أنّ الزجر بالغراب إذا اشتقّ من اسمه الغربة⁽⁸⁾، والاغتراب، والغريب، فإنّ ذلك حتم. ويشقّ من الصرد التصريد⁽⁹⁾، والصرد [و] هو البرد. [ويدلك⁽¹⁰⁾] على ذلك قوله:

(1) هو عوف بن عطية بن الخرع (وزان كتف) التيمي، نسبة إلى تيم بن عبد مناة، شاعر جاهلي. الخزانة (3: 82 بولاق). في الأصل: «الجزع» تصحيف، صوابه في القاموس (خرع) والخزانة والمفضليات، وقد اختار له المفضل الضبي في 327، 328، 412 ثلاث قصائد حسان.

(2) المشبجة: البوم، كما في القاموس، ط، ش: «منيحة»، وفي ل: «متيحة لاقت من الطير»، صوابه من الأصمعيات 169. بدله في ط، ش: «وقال آخر». وتجد الشعر منسوباً إلى المرقش في عيون الأخبار (1: 145) وتأويل مختلف الحديث 129، ولم يعين المراد أهو المرقش الأصغر أم الأكبر، لكن إطلاقه يرجح أنه الأصغر فإنه «أشعرهما وأطولهما عمراً». معجم المرزباني 201، وتجد الشعر في حماسة البحري 255 معزواً إلى المرقم الذهلي، وهو خز بن لوزان كما في المؤلف 102 حيث توجد هذه النسبة أيضاً. والشعر بدون نسبة في أمالي القالي (3: 106) وزهر الآداب (2: 169).

(4) كذا على الصواب في ل والاقتضاب 354، واللسان (وقي، وحتم، وخثرم). ويعرف أيضاً بالرقاص الكلبي، كما نقل مصحح اللسان عن التكملة. وفي ط، ش: «لحاتم بن عدي»، وهو تحريف. يمدح بالشعر مسعود بن بحر الزهري. وقبلة:

وجدت أباك الخير بحرًا بنجوة بناها له مجداً أشم قماقم
(5) عداني: منعني عن المضي إلى ما أقصد. والواقي، كالقاضي: الصرد، وهو طائر أبقع ضخم الرأس ضخم المنقار شديده، فوق العصفور ويصيد العصافير، غذاؤه من اللحم.

(6) عن تلك الهنات: أي بسبب تلك الأمور. ط، ش: «الهناء» صوابها في ل واللسان والاقتضاب والمخصص (13: 25) وتأويل مختلف الحديث 128، والخثارم، بضم الخاء ويروى بفتحها. فالأول مفرد والثاني جمع، مثله جوالق وجوالق، وقرار وقرار، وعدافر وعدافر.

(7) ط، ش: «المتكبر»، وصوابه في ل واللسان والقاموس وتأويل مختلف الحديث 128.

(8) ط، ش: «عن اسمه الغرابة» محرفة. (9) التصريد: التقليل، وفي السقي: دون الري.

(10) الزيادة من ل، ش.

دعا صرَدَ يوماً على غصنٍ شوَحَطٍ وصاح بذاتِ البَيْنِ منها غرابُها⁽¹⁾

فقلتُ: أتصريدٌ وشَحَطٌ وغربةٌ فهذا لعمري نأيتها واغترابُها⁽²⁾

[فاشتقَّ التَّصْرِيدَ مِنَ الصَّرْدِ، وَالْغُرْبَةَ مِنَ الْغُرَابِ، وَالشَّحَطَ مِنَ الشَّوْحَطِ]. ويقال
أُغْرِبَ الرَّجُلُ: إذا اشتدَّ مرضه، فهو مُغْرَبٌ⁽³⁾.

قال: والعنقاء المغرِب، العقاب؛ لأنها تجيء من مكان بعيد.

(أصل التطير في اللغة)

قال: وأصل التطير إنما كان من الطير [و] من جهة الطير، إذا مرَّ بارحاً [أ] وسانحاً⁽⁴⁾، أو رآه يتفلى وينتف، حتَّى صاروا إذا عاينوا الأعور من النَّاس أو البهائم، أو الأعصب أو الأبتَر، زجروا عند ذلك وتطيروا عندها، كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال. فكان زجر الطير هو الأصل، ومنه اشتقوا التطير؛ ثم استعملوا ذلك في كل شيء.

(أسماء الغراب)

والغراب لسواده إن⁽⁵⁾ كان أسود، ولاختلاف لونه إن كان أبقع، ولأنَّه غريب يقطع إليهم⁽⁶⁾، ولأنَّه لا يوجد في موضع خيامهم يتقمَّم، إلَّا عند مباينتهم لمساكلهم، ومزايلتهم لدورهم؛ ولأنَّه ليس شيء من الطير أشدَّ على ذوات الدَّبر من إبلهم من الغربان، ولأنَّه حديد البصر فقالوا عند خوفهم من عينه «الأعور». كما قالوا: «غراب» لاغترابه وغربته «وغراب البين»؛ لأنَّه عند بينونتهم يوجد في دورهم. ويسمونه «ابن داية»؛ لأنَّه ينقب عن الدَّبر حتَّى يبلغ إلى دايات العنق وما اتَّصل بها من خُرَزات⁽⁷⁾ الصُّلب، وفَقَّار الظهر.

(1) الشوَحَط: شجر تتخذ منه القسي. وفي زهر الآداب (2: 168): «على غصن بابه»، ولا يستقيم هذا مع البيت الآتي. ط، ش: «فيها»، وصوابه من ل وزهر الآداب. وضمير «منها» للحبيبة.

(2) التصريد فسر قريباً. والشحط: البعد.

(3) ل: «أغرب على الرجل» وليس مراداً، ففي القاموس: أغرب عليه: صنع به صنع قبيح. ط، ش: «اشتد ضحكه»، وهو تحريف صوابه في ل؛ ففي القاموس: «أغرب بالضم: اشتد وجهه».

(4) البارح: ما مر من ميامنك إلى مياسرك، والسانح عكسه. وكان يتشام بالاول ويتيمن بالثاني عند أهل نجد، وكان أهل الحجاز يتفاءلون بالاول ويتشاءمون من الثاني.

(5) ل: «إذا».

(6) ط: «لا يقطع» تحريف، وانظر ما سبق في ص 231.

(7) الخرزات: جمع خرزة، بالضم وتجمع أيضاً على خرز، كغرف، وهي ما بين الفقرات، ط: «خرزان، وصوابه في ل، ش. وانظر ما سبق من الكلام على ابن داية في ص 220.

(مراعاة التفاؤل في التسمية)

وللطيرة^(١) سمّت العرب المنهوش بالسليم، والبرية بالمفازة، وكنوا الأعمى أبا بصير، والأسود أبا البيضاء، وسموا الغراب بحاتم؛ إذ كان يحتم الزجر به على الأمور. فصار تطيّرهم من القعيد والنطيح^(٢) ومن جرد الجراد^(٣)، ومن أن الجراد^(٤) ذات ألوان، وجميع ذلك - دون التطيّر بالغراب.

(ضروب من الطيرة)

ولإيمان العرب بباب الطيرة [والفأل] عقدوا الرثائم^(٥)، وعشروا إذا دخلوا القرى تعشير الحمار^(٦)، واستعملوا في القداح الأمر، والناهي، والمتربص^(٧). وهنّ غير قداح الأيسار.

(قاعدة في الطيرة)

ويُدلّ على أنهم يشتقون من اسم الشيء الذي يعاينون ويسمعون، قول سوار بن المضرب^(٨):

تغنّى الطائران ببين ليلى على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بانث سلمي وفي الغرب اغتراب غير دان

فاشتقّ كما ترى الاغتراب من الغرب، والبيئونة من البان. وقال جرّان العود:

(١) الطيرة: ما يشاء به من الفأل الرديء.

(٢) القعيد: ما جاء من ورائك من ظبي، أو طائر. والنطيح: ما جاء من أمام من الطير والوحش.

(٣) ل: «وجرد الجراد».

(٤) ط، ش: «الجراد».

(٥) الرثائم: جمع رثيمة: وهي أن يعقد الرجل إذا أراد سفراً شجرتين أو غصنين ويقول: إن رجع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائهما، وإلا فلا. أو هي خيط يشد على الإصبع تستذكر به الحاجة. والمعنى الأول هو المراد في الطيرة والفأل.

(٦) عشر الحمار: تابع النهيق عشر نهقات ووالي بين عشر ترجيعات في نهيقه. وكانوا يزعمون أن من قرب أرضاً وبثه فوضع يده خلف أذنه وعشر ثم دخلها أمن الوباء. قال عروة في ديوانه من مجموع خمسة الدواوين ص 99:

لعمرى لئن عشت من خشية الرديء نهاق الحمير إنني لجزوع

ويظهر أن أصله عادة لليهود من العرب، كما قال عروة:

وقالوا احب وانهق لا تضيرك خبير وذلك من دين اليهود ولوع

(٧) تحدث ابن قتيبة في كتاب الميسر 39-40 عن الأمر والناهي ولم يذكر «المتربص».

(٨) قال التبريزي: «مضرب بفتح الراء، أي ضرب مرة بعد مرة» وقد ذكره صاحب المؤتلف فقال: «سوار بن المضرب السعدي أحد بني ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تميم، الشاعر المشهور، القائل:

وإنني لا أزال أخا حروب إذا لم أجن كنت مجن جاني»

ط، ش: «بشار بن المضرب» صوابه في ل. والشعر في عيون الأخبار (1: 149) منسوب إلى المعلوط، وفي الكامل 84 ليبسك ونثار الأزهار 75 إلى جحدر العكلي. وانظر أمالي القالي (1: 281-282).

جَرَى يَوْمَ رُحْنَا بِالْجَمَالِ نُزِفْهَا عُقَابٌ وَشَحَاجٌ مِنَ الْبَيْنِ يَبْرَحُ⁽¹⁾
 فَأَمَّا الْعُقَابُ فَهِيَ مِنْهَا عَقُوبَةٌ وَأَمَّا الْغُرَابُ فَالْغَرِيبُ الْمَطْوُحُ⁽²⁾
 فلم يجد في العُقَابِ إِلَّا الْعَقُوبَةَ. وجعل الشَّحَاجُ⁽³⁾ هو الغراب البارح وصاحب البين،
 واشتقَّ منه الغريب المطوَّح. ورأى السَّمْهَرِيُّ⁽⁴⁾ غراباً عَلَى بَانَةٍ يَنْتَفِ رِيشُهُ، فلم يجد في البانِ
 إِلَّا الْبَيْنُونَ، ووجد في الْغُرَابِ جميعَ معاني المكروه، فقال:
 رَأَيْتُ غُرَاباً وَقِيعاً فَوْقَ بَانَةٍ يُنْتَفِ أَعْلَى رِيشِهِ وَيُطَايِرُهُ⁽⁵⁾
 فَقُلْتُ، وَلَوْ أَنِّي أَشَاءَ زَجَرْتُهُ بِنَفْسِي، لِلنَّهْدِيِّ: هَلْ أَنْتَ زَاكِرُهُ⁽⁶⁾
 فقال: غُرَابٌ بَاغْتَرَابٍ مِنَ النَّوَى وبالبانِ بَيْنٌ مِنْ حَبِيبٍ تَعَاشَرُهُ⁽⁷⁾
 فذكر الغرابُ بِأَكْثَرِ مِمَّا ذَكَرَ [به] غَيْرُهُ، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ شَأْنِ الرِّيشِ وَتَطَايِرِهِ. وقال الْأَعْشَى:
 مَا تَعِيفَ الْيَوْمَ فِي الطَّيْرِ الرَّوْحُ مِنْ غُرَابِ الْبَيْنِ أَوْ تَيْسِ بَرَحٍ⁽⁸⁾
 فجعل التَّيْسَ مِنَ الطَّيْرِ؛ إِذْ تَقَدَّمَ ذَكَرَ الطَّيْرِ، وجعله مِنَ الطَّيْرِ فِي مَعْنَى التَّطْيِيرِ. وقال
 النَّابِغَةُ:

زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رَحْلَتَنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَبَرْنَا الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ
 وقال عنترة:

ظَلَمَ الَّذِينَ فَرَّقَهُمْ أَتَوْعُ وَجَرَى بَيْنَهُمُ الْغُرَابُ الْأَبْقَعُ
 حَرَقَ الْجَنَاحَ كَأَنَّ لَحْيِي رَأْسَهُ جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ⁽⁹⁾
 فزَجَرْتُهُ أَلَّا يُفْرَحَ بِيَضُّهُ⁽¹⁰⁾ أَبَدًا وَيُصْبِحَ خَائِفًا يَتَفَجَّعُ

- (1) ل والشعراء 697: «يوم جئنا». نزفها: نحثها على السير السريع، يقال أذفه: حله على الزفيف. ط، ش: «يزفها»، وأثبت ما في ل والديوان 3 والشعراء.
- (2) المطوَّح: البعيد.
- (3) ط: «الشحاج»، وصوابه في ل، ش. شحج: نعق.
- (4) كذا في ل وهو المطابق لما في شرح التبريزي للحماسة 1: 211، وهو السَّمْهَرِيُّ بن بشر العكلي. وفي ط، ش: «السهمي»، تحريف. والمعروف نسبة هذه الأبيات إلى كثير عزة في قصة طويلة تجدها في زهر الآداب (2: 169) ومحاسن البيهقي (2: 22-23) والمستطرف (2: 169) وعيون الأخبار (1: 147) والشريشي (2: 215).
- (5) الرواية في المخصص (8: 131) وشرح التبريزي للحماسة: «ينشش أعلى ريشه» نشش ريشه: نتفه فألقاه.
- (6) النهدي: رجل من بني نهد، وهم من أجزر العرب، كان لقي كثيرًا في الطريق وزجر له، أي تكهن. ط: «للنهدي» تحريف.
- (7) كذا في ل والمراجع المتقدمة، خلا زهر الآداب، ففيه: «تجاره». وفي ط، ش: «نحاذره»، أي نحاذر البين.
- (8) ط: «نعيف» ش: «يعيف»، والرواية ما أثبت من ل واللسان (روح عيف)، والمخصص (9: 57)، ومحاسن البيهقي (1: 99) وتعيف: من العيافة وهي الزجر والتطير، والروح بالتحريك: اسم جمع لرائح أو أراد الروحة مثل الكفرة فطرح الهاء، كما في المخصص. والبيت صدر قصيدة للأعشى في ديوانه 159 يمدح بها إلياس بن قبيصة الطائي. وانظر قصة الشعر في محاسن البيهقي.
- (9) ط، ش: «خرق»، تصحيف. وقد أسلفت القول على هذا البيت في (1: 55).
- (10) ط: «طيره»، وفي الديوان 157: «عشه». والبيت ساقط من ل.

إِنَّ الَّذِينَ نَعَبْتُ^(١) لِي بِفِرَاقِهِمْ هُمْ أَسْهَرُوا لَيْلِي التَّمَامَ فَأَوْجَعُوا^(٢)
 فقال: «وجرى بينهم الغراب» لأنه غريب، ولأنه غراب البين، ولأنه أبقع. ثم قال:
 «حرق^(٣) الجناح» تطيراً أيضاً من ذلك. ثم جعل لَحْيَيْ رَأْسِهِ جِلْمَيْنِ، والجَلَمُ يقطع. وجعله
 بالأخبار هَشّاً مُولِعاً، وجعل نعيه [و] شحيجه كالخبر المفهوم.

(التشاؤم بالغراب)

قال: فالغراب أكثر من جميع ما يُتَطَيَّرُ بِهِ في باب الشؤم. ألا تراهم كلما ذكروا ممّا
 يتطيرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه؟! وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره، ثم إذا ذكروا
 كل واحد من هذا الباب لا يمكنهم أن يتطيروا منه إلا من وجه واحد، والغراب كثير المعاني
 في هذا الباب، فهو المقدم في الشؤم.

(دفاع صاحب الغراب)

قال صاحب الغراب: الغراب وغير الغراب في ذلك سواء. والأعرابي إن شاء اشتق من
 الكلمة، وتوهم فيها الخير، وإن شاء اشتق منها الشر. وكل كلمة تحتل وجوهاً. ولذلك قال
 الشاعر:

نظرت وأصحابي ببطن طويلع	ضحياً وقد أفضى إلى اللَّبِّبِ الحَبْلُ ^(٤)
إلى ظبية تعطو سَيالاً تصوّره	يجاذبها الأفتان ذو جدد طفل ^(٥)
فقلت وعفت: الحبل حبل وصالها	تجدد من سلماك وانصرم الحبل ^(٦)
وقلت: سيال قد تسلت مودتي	تصور غصوناً! صار جثمانها يعلو ^(٧)
وعفت الغريّر الطفل طِفلاً أنت به	فقلت لأصحابي: مضئكم جهل ^(٨)

(١) ش: «نعت»، تصحيف.

(٢) ليلي التمام: الشديد الطول. وهذه رواية ط، ش والديوان. وفي ل: «ليل التمام» وكلاهما صحيح. وفي حديث عائشة رضي الله عنها: «كان يقوم الليلة التمام».

(٣) ط، ش: «حرق»، وصوابه في ل. وانظر التنبيه التاسع من الصفحة السابقة.

(٤) ل: «وقد جاوزت بطن طويلع». الحبل: الرمل المستطيل. واللبيب: ما كان قريباً من حبل الرمل. يقول: وقد جزنا الحبل إلى اللبيب. ويصح أن يراد لبب الناقة وحبلها، وأن الحبل قطع حتى صار إلى اللبيب. ط، ش: «إلى اللبيب الحمل»، ووجهه ما في ل.

(٥) السِيَال، كسحاب: ضرب من الشجر تحبه الظباء. تصوره: تميله. الجدد: الخطوط والعلامات. س: «ذو حرحر». ل: «ذو جدل»، تحريف ما في ط.

(٦) عفت، من العيافة والزجر. تجدّد: تقطع. ط، ش: «تجدد»، يقال جده قطعه. سلماك: نسب سلمى الحبيبة إليه. ش: «ساماك» ل: «سامال» صوابه ما أثبت من ط. ل: «وانصرم الوصل».

(٧) ط: «سيالاً»، خطأ.

(٨) ط: «الطفل طفل»، صوابه في ل، ش. توقع أنها زوجت وولدت فانقطع أمه من ودها.

رُجوعِي حَزْمٌ وَامْتِرَائِي ضِلَّةٌ كذلك كَانَ الرَّجْرُ يَصْدُقُنِي قَبْلُ⁽¹⁾
وقال ابن قيس الرُّقَيَّات:

بَشَّرَ الطَّبَّيِّ وَالْغُرَابُ بِسُغْدَى مَرَحَباً بِالَّذِي يَقُولُ الْغُرَابُ
وقال آخر⁽²⁾:

بَدَا إِذْ قَصَدْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا سَنِحٌ فَقَالَ الْقَوْمُ: مَرَّ سَنِحُ⁽³⁾
وَهَابَ رَجَالٌ أَنْ يَقُولُوا وَجَمَّجَمُوا فَقُلْتُ لَهُمْ: جَارِ إِلَيَّ رَبِيعُ⁽⁴⁾
عُقَابٌ بِإِعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَ مَا مَضَتْ نَيْتَةٌ لَا تَسْتَطَاعُ طَرُوحُ⁽⁵⁾
وَقَالُوا: دَمٌ! دَامَتْ مَوْدَةٌ بَيْنَنَا وَعَادَ لَنَا غَضُ الشَّبَابِ قَرِيعُ⁽⁶⁾
وَقَالَ: صَحَابِي: هُدْهُدٌ فَوْقَ بَانَةٍ! هُدَى وَبَيَانٌ فِي الطَّرِيقِ يَلُوحُ
وَقَالُوا: حَمَامَاتُ! فَحَمَّ لِقَاؤُهَا وَطَلَحَ! فَنِيلْتُ وَالْمَطْيُ طَلِيحُ⁽⁷⁾

قالوا: فهو إذا شاء جعل الحمام من الحمام والحميم والحمى. وإن شاء قال: «وقالوا حماماتٌ فحَّ لِقَاؤُهَا». وإذا شاء اشتق⁽⁸⁾ البين من البان. وإذا شاء اشتق منه البيان⁽⁹⁾. وقال آخر⁽¹⁰⁾:

وَقَالُوا: عِقَابٌ! قُلْتُ عُقْبَى مِنَ الْهَوَى دَنْتُ بَعْدَ هَجْرٍ مِنْهُمْ، وَنَزَوْحُ⁽¹¹⁾
وَقَالُوا: حَمَامَاتُ! فَحَمَّ لِقَاؤُهَا وَعَادَ لَنَا حُلُوُّ الشَّبَابِ رَبِيعُ⁽¹²⁾
وَقَالُوا: تَغْنَى هَدْهُدٌ فَوْقَ بَانَةٍ! فَقُلْتُ: هُدَى نَغْدُو بِهِ وَنَرُوحُ

ولو شاء الأعرابي [أن يقول⁽¹³⁾] إذا رأى سوادَ الغراب: سواد سودد، وسواد الإنسان: شخصه، وسواد العراق: سَعَف نخله، والأسودان الماء والتمر، وأشبه ذلك - لقاله.

قال: وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرفون الرُّجْرُ كيف شاءوا، وإذا لم يجدوا من وقوع شيء بعد الرُّجْرُ بدًا - هم الذين إذا بدا لهم في ذلك بداء⁽¹⁴⁾ أنكروا الطَّيْرَةَ والرُّجْرُ أَلْبَتَةً.

(1) الامتراء: الشك. والضلة بالكسر: الضلال، وبالفتح: الحيرة. ش: «خلة».

(2) هو أبو حية النميري. زهر الآداب (2: 167-168) والشرشي (2: 215).

(3) ط، ش: «أهلها»، وأثبت ما في ل وزهر الآداب. السنيح: ما جاء من المياسر إلى الميامن.

(4) الجمجمة: ألا يبين المرء كلامه. ل: «ورجعوا» وجار، من الجري.

(5) الإعقاب: التبديل. يقول: سيبدلون الدار. ط، ش: «النار»، وصوابه في ل وزهر الآداب. ونية طروح: بعيدة.

(6) ش: «قريح» ل: «غض الشباب قديح»، ولم أهدد إلى الوجه في ذلك. وفي زهر الآداب: «ودام لنا حلول الصفاء صريح».

(7) حم: قدر وقضى. المطى: الإبل. طليح: أعياء السفر. ط، ش: «فزيرت» وأثبت ما في ل ومحاسن البيهقي (2: 24).

(8) ط: «أشق»، وصوابه في ل. (9) يشير إلى البيت الخامس من الأبيات السابقة.

(10) كذا جاء. والحق أنه من القصيدة الأولى، وأنه رواية أخرى في بعض أبياتها.

(11) النزوح: البعد. (12) ل: «وقالوا حمام قلت حم لِقَاؤُهَا».

(13) الزيادة من ش.

(14) بدا له في الأمر بدوا، وبداء، وبدًا، وبداءة. نشأ له فيه رأى. ط: «بد» محرفة. ش: «بدًا»، وأثبت ما في ل.

(تطير النابغة وما قيل فيه من شعر)

وقد زعم الأصمعيُّ أنَّ النَّابِغَةَ خرج مع زَبَّان بن سيَّار⁽¹⁾ يريدان العَزْو، فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النَّابِغَةُ وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات ألوان، فتطير وقال: غيري الذي خَرَج في هذا الوجه! فلما رجع زَبَّان من تلك العَزْو سالماً غانماً، قال:

تخبر طيرة فيها زياداً لتخبره وما فيها خير⁽²⁾
أقام كأنَّ لقمان بن عاد أشار له بحكمته مُشيرٌ
تعلَّم أنَّه لا طير إلا على متطير وهو الثُّبور
بلى شيء يوافق بعض شيء أحيينا وباطله كثير⁽³⁾

فزعم كما ترى زَبَّان - وهو من دهاة العرب وساداتهم - أنَّ الذي يجدونه إنما هو شيء من طريق الاتفاق، وقال:

تعلَّم أنَّه لا طير إلا على متطير وهو الثُّبور

وهذا لا ينقض الأول من قوله: أمَّا⁽⁴⁾ واحدة فإنه إن جعل ذلك من طريق العقاب للمتطير⁽⁵⁾ لم ينقض قوله في الاتفاق. وإن ذهب إلى أنَّ مثل ذلك قد يكون ولا يشعر به اللاهي عن ذلك والذي⁽⁶⁾ لا يؤمن بالطيرة، فإنَّ⁽⁷⁾ المتوقَّع فهو في بلاء ما دام متوقَّعاً. وإن وافق بعض المكروه جعله من ذلك.

(تطير ابن الزبير)

ويقال إنَّ ابن الزبير لما خرج مع أهله من المدينة إلى مكة، سمع بعض إخوته ينشد:

وكل بني أمِّ سيِّمسون ليلةً ولم يبق من أغيانهم غير واحدٍ
فقال لأخيه: ما دعاك إلى هذا؟ قال: أما إني ما أردته! قال: ذلك أشدُّ له. وهذا منه إيمانٌ شديد بالطيرة كما ترى.

- (1) هو زبَّان بن سيار بن عمرو الفزاري، ذكره ابن قتيبة في المعارف 51، وهو صهر للنابغة، قال في شعر له:
ألا من مبلغ عني خزيماً وزبان الذي لم يرع صهري
وكانت أخت هرم بن سنان تحت زبَّان. ط، ل: «يسار»، وصوابه في ش والحيوان (375: 5) والبيان (304: 3).
- (2) تخبر طيره: سألتها أن تخبره. ط: «تخبر طيره»، ش: «تخير طيره»، والطيرة بالكسر الاسم من تطير. وزياد هو النابغة، ابن معاوية الذبباني.
- (3) كذا في ل والبيان (305: 3) والحيوان (375: 5) والعمدة (202: 2) والمستطرف (84: 1) وعيون الأخبار (146: 1). وفي ط: «وأحياناً». وفي ش: «وأحياناً ردك»، وما في ش محرف.
- (4) كذا على الصواب في ل. وفي ط، ش: «إلا».
- (5) ش: «التطير».
- (6) ل: «وأنه» محرف.
- (7) في الأصل: «فأما».

(بعض من أنكر الطيرة)

وممن كان لا يرى الطيرة شيئاً⁽¹⁾ المرقش، من بني سدوس، حيث قال:

[إنني غدت وكنت لا
فإذا الأشائم كالأيا
فكذلك لا خير ولا
شر على أحد بدائم⁽²⁾

قال سلامة بن جندل⁽³⁾:

ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لابد مشؤوم

وممن كان ينكر الطيرة ويوصي بذلك، الحارث بن حنزة، وهو قوله - قال أبو عبيدة: أنشدنيها [أبو] عمرو، وليست إلا هذه الأبيات، وسائر القصيدة مصنوع مولد - وهو قوله:

يأئها المزمع ثم انثنى
ولا قعيد أعضب قرنُه
بيننا الفتى يسعى ويسعى له
يترك ما رقع من عيشه
[لا تكسع الشول بأغبارها
لا يثنيك الحازي ولا الشاحج⁽⁴⁾
هاج له من مريع هائج⁽⁵⁾
تاح له من أمره خالج⁽⁶⁾
يعيث فيه همج هامج⁽⁷⁾
إنك لا تدري من الناتج⁽⁸⁾

وقال الأصمعي: قال سلم بن قتيبة⁽⁹⁾: أضللت ناقة لي عشاء، وأنا بالبدو⁽¹⁰⁾،

(1) كذا على الصواب في ل. وفي ط، ش: «ومن كان لا يرى الطير».

(2) سقت الأبيات والقول فيها ص 233.

(3) كذا والصواب أن البيت لعقمة الفحل كما في أمالي المرتضى (37:3) والديوان 131 من قصيدته التي مطلعها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

(4) الحازي: زاجر الطير، أو الكاهن. ط، ش: «الحادي» محرف. والشاحج: الغراب يشحج بصوت.

(5) القعيد: ما جاء من ورائك من ظبي أو طائر. والأعضب: المكسور القرن. ل: والبيان (303:3): «من مرتع». ش: «مريع» محرفة.

(6) تاح: قدر، أو تهياً. والخالج: الموت يختلج المرء وينتزع.

(7) رقع: أصلح. ط، ش: «يعيش فيه»، وأثبت ما في ل واللسان والبخلاء 138، وفي البيان: «يعيث فيه».

(8) الكسع: ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة، أو يسمن أولادها في بطنها. والشول، بالفتح: جمع شائلة، وهي التي أتى عليها من حملها، أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها. والغبر بالضم: بقية اللبن في الضرع. انظر الكامل 213 ليسك وأمثال الميداني (1:336).

(9) سلم بن قتيبة بن مسلم، كان والياً على خراسان أيام هشام بن عبد الملك. وأبو قتيبة بن مسلم كان والياً عليها زمن الحجاج. تهذيب التهذيب وجمهرة أنساب العرب لابن حزم 246، ط: «سلام بن قتيبة» وفي سائر النسخ: «مسلم بن قتيبة»، تحريف. والقصة الآتية في تأويل مختلف الحديث 129، وسندها: «أبو حاتم قال نا الأصمعي عن سعيد بن مسلم عن أبيه»، صوابه: «بن مسلم».

(10) في تأويل مختلف الحديث: «وأنا بالطف». والطف: ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق.

فخرجت في طلبها، فتلقاني رجلٌ بوجهه شينٌ من حَرَقِ النار، ثُمَّ تَلَقَّاني رَجُلٌ آخِذٌ بِخِطَامِ⁽¹⁾ بَعِيرِهِ، [وَإِذَا]⁽²⁾ هو يَنشُدُ :

فَلَيْسَ بَغَيْتَ لَهُ الْبَغَاةُ فَمَا الْبَغَاةُ يَؤَاجِدِينَا⁽³⁾

ثم من بعد هذا كلُّه، سألت عنها بعضَ من لِقِيَّتْهُ، فقال لي: التمسها عند تلك النار. فأتيتهم فإذا هم قد نتجوها حُوراً⁽⁴⁾، وقد أوقدوا لها ناراً فأخذتُ بِخِطَامِهَا وانصرفتُ.

(النَّظَامُ وَعَدَمُ إِيمَانِهِ بِالطَّيْرَةِ)

وأخبرني أبو إسحاق إبراهيم بنُ سَيَّارِ النَّظَّامِ قال: جُعْتُ حَتَّى أَكَلْتُ الطِّينَ، وما صِرْتُ إلى ذلك حَتَّى قَلَبْتُ قَلْبِي⁽⁵⁾ أَتَذَكَّرُ: هلْ بها رجلٌ أَصِيبُ عنده عَدَاءٌ أَوْ عِشَاءٌ⁽⁶⁾، فما قدرت عليه. وكان عليَّ جُبَّةٌ وَقَمِيصَانِ، فتزَعْتُ الْقَمِيصَ الْأَسْفَلَ فَبِعْتَهُ بِدَرِيهَمَاتٍ، وقصَدْتُ إلى فُرْصَةِ الْأَهْوَازِ، أريدُ قَصَبَةَ الْأَهْوَازِ، وما أعرف بها أحداً. وما كان ذلك إِلَّا شَيْئاً⁽⁷⁾ أَخْرَجَهُ الضُّجْرَ وَبَعْضُ التَّعَرُّضِ. فوافيتُ الْفُرْصَةَ فلم أَصِبْ فيها سَفِينَةً، فتطَيَّرْتُ مِنْ ذلك. ثم إني رأيتُ سَفِينَةً في صدرها حَرَقٌ وهشم فتطيرتُ مِنْ ذلك أيضاً، وإذا فيها حَمُولَةٌ، فقلتُ لِلْمَلاحِ: تحمِلْنِي؟ قال: نعم. قلتُ: ما اسمُكَ؟ قال: «داوداذ»⁽⁸⁾، وهو بِالْفارِسِيَةِ الشَّيْطَانُ، فتطيرتُ مِنْ ذلك. ثم رَكِبْتُ مَعَهُ، تَصُبُّ الشَّمَالُ وَجْهِي، وتُثِيرُ بِاللَّيْلِ⁽⁹⁾ الصَّقِيعَ على رَأْسِي. فلَمَّا قُرْبُنَا مِنَ الْفُرْصَةِ صَحْتُ: يا حَمَّال! ومعي لحافٌ لي سَمَلٌ، ومضربةُ خَلْقٍ، وبعضُ ما لا بُدَّ لِمِثْلِي مِنْهُ. فكان أَوَّلُ حَمَّالٍ أَجَانِيٍّ أَعُورٌ فَقَلْتُ لِبَقَّارِ كَانَ واقفاً: بكم تَكْرِي⁽¹⁰⁾ ثَوْرَكَ هذا إلى الْخَانِ؟ فلما أدناه مِنْ مَتَاعِي إذا الثَّوْرُ أَعْصَبُ الْقَرْنِ، فازدَدْتُ طَيْرَةً إلى طَيْرَةٍ، فقلتُ في نَفْسِي: الرُّجُوعُ أَسْلَمُ لي. ثم ذَكَرْتُ حاجَتِي إلى أَكْلِ الطِّينِ فَقُلْتُ: ومن لي بِالموتِ؟! فلما صرْتُ في الْخَانِ وأنا جالسٌ فيه، وَمَتَاعِي بَيْنَ يَدَيَّ وأنا أَقولُ: إنَّنا خَلَفْتَهُ في الْخَانِ وَلَيْسَ عنده مِنْ يَحْفَظُهُ فُشٌّ⁽¹¹⁾ الْبَابِ وَسُرْقٌ؛ وإن جَلَسْتُ أَحْفَظُهُ لَمْ يَكُنْ لِمَجْبِي⁽¹²⁾ إلى الْأَهْوَازِ وَجْهٌ، فبينما أنا جالسٌ إِذْ سَمِعْتُ قَرَعَ الْبَابِ، قلتُ: مَنْ هَذَا عَافَاكَ اللَّهُ تَعَالَى؟ قال: رَجُلٌ يَريدُكَ، قلتُ⁽¹³⁾: ومن أنا؟ قال: أَنْتَ إِبراهيمُ. فَقُلْتُ: وَمَنْ إِبراهيمُ؟ قال: [إِبْرَاهِيمُ] النَّظَّامُ. قلتُ: هَذَا خَتَّاقٌ، أَوْ عَدُوٌّ، أَوْ رَسُولٌ

(1) ط، ش: «آخر» صوابه في ل. والرجل هو هاني بن عبيد من بني وائل كما في تأويل مختلف الحديث.

(2) من ش.

(3) البغاة: جمع باغ، وهو هنا الذي يطلب الشيء ويبحث عنه. ل: «بعثت له». وقد نسب البيت في عيون الأخبار 145: 1 إلى لبيد.

(4) الحوار، بالضم ويكسر: ولد الناقة حين تضعه، أو إلى أن يفطم.

(5) قلبت قلبي، أي فكرت كثيراً. والقلب: العقل. (6) بها، أي بالبصرة، أو بهذه الدنيا. ط: «وعشاء».

(7) ط، ش: «شيء». (8) ط، ش: «داود».

(9) ط، ش: «وينثر الليل».

(10) ش: «تكريني». والكراء: الأجرة. وانظر الاستدراكات.

(11) فُش الغليل؛ فتحه بدون مفتاح. شفاء الغليل.

(12) ط، ش: «لمجيء». (13) ط: «قتلت» تحريف.

سلطان! ثم إنني تحاملتُ وفتحتُ البابَ، فقال: أرسلني إليك إبراهيمُ بن عبد العزيز ويقول: نحنُ وإن كُنَّا اختلفنا في بعضِ المقالة، فإننا قد نرجعُ بعد ذلك إلى حقوقِ الأخلاق [و] الحرّية^(١)، وقد رأيتك حينَ مررت [بي]^(٢) على حالِ كرهنها منك، وما عرفتُك حتّى خبّرني عنك بعضُ مَنْ كان معي وقال: ينبغي أن يكونَ قد نزعتُ^(٣) [بك] حاجة. فإن شئتَ فأفهم بمكانك شهراً أو شهرين، فعسى أن نبعثَ إليك ببعض ما يكفيك زمناً^(٤) من دهرِك. وإن اشتَيتَ الرجوعَ فهذه ثلاثون مثقالاً، فخذها وانصرف، وأنتَ أحقُّ من عذر.

[قال]: فهجم والله عليَّ أمرٌ كاد ينقضني^(٥). أما واحدة: فأني لم أكن ملكتُ قبل ذلك ثلاثين ديناراً في جميعِ دهري. والثانية: أنه لم يطلُ مقامي وغيبتي عن وطني، وعن أصحابي الذين هم على حالِ أشكل بي وأفهم عني. والثالثة: ما بين لي من أن الطيرة باطل؛ وذلك أنه قد تتابع عليَّ منها ضروبٌ، والواحدة منها كانت عندهم مُعطبة. قال: وعلى مثل ذلك الاشتقاقِ يعملُ الذين يعبرون الرؤيا.

(عجيبة للغربان بالبصرة)

وبالبصرة من شأنِ الغربانِ ضروبٌ من العجب، لو كان ذلك بمصر أو ببعض الشامات^(٦): لكان عندهم من أجودِ الطلسم. وذلك أن الغربانَ تقطع إلينا في الخريف، فترى النخلَ وبعضها مصرومة^(٧)، وعلى كلِّ نخلة عددٌ كثيرٌ من الغربان، وليس منها شيءٌ يقرب نخلةً واحدةً من النخل الذي لم يُصرَم، ولو لم يبقَ عليها إلا عذقٌ واحد. وإنما أوكار جميع الطير المصوّت في أقلاب^(٨) تلك النخل، والغراب أطيّر وأقوى منها ثم لا يجترئ أن يسقط على نخلةٍ منها، بعد أن يكون قد بقي عليها عذقٌ واحد.

(منقار الغراب)

ومنقار الغراب معول، وهو شديد النقر. وإنه ليصلُ إلى الكمأة المندفنة في الأرض بنقرة واحدة حتى يشخصها. ولهو أبصرُ بمواضع الكمأة من أغرابي يطلبها في منبت^(٩) الإجرد والقصيص^(١٠)، في يومٍ له شمس حارة. وإن الأعرابي ليحتاج إلى أن يرى ما فوقها من

(١) الحرية: كون الإنسان حراً، وهو من أقدم المصادر الصناعية. والحر: العتيق الكريم.

(٢) من ل، ش. (٣) ط، ش: «نزعت» صوابه في ل.

(٤) ل: «زمتنا» تصغير زمن.

(٥) ينقضني: أي يذهب قوتي وعزمي. س: «ينقض» ط: «ينغصني» تحريف ما أثبت من ل.

(٦) الشامات هي بلاد الشام. وانظر ما سبق في ص 215.

(٧) مصرومة: قطع ثمرها. ل: «فترى الأرض ونصفها مصرم».

(٨) الأقلاب: جمع قلب، وهو السعف الذي يطلع من قلب النخلة.

(٩) ط، ش: «منبعث».

(١٠) الإجرد: نبت يدل على الكمأة. والقصيص: شجر ينبت في أصله الكمأة، قالوا: سمى بذلك لدلالته على الكمأة كما يقتض الأثر.

الأرض فيه بعض الانتفاخ والانصداع، وما يحتاج الغراب إلى دليل⁽¹⁾. وقال أبو ذؤاد الإيادي:

تَنفِي الحَصَى صُعْدًا شَرْقِيٍّ مَنَسْمَهَا نَفْيِ الغَرَابِ بِأَعْلَى أَنْفِهِ الْغَرَدَا⁽²⁾

ولو أنّ الله عز وجل أذن للغراب أن يسقط على النخلة وعليها الثمرة لذهبت، وفي ذلك الوقت لو أنّ إنساناً نقر العذق نقرة واحدة لانتثر عامّة ما فيه، ولهلكت علّات الناس، ولكنت ترى منها على كلّ نخلة مصرومة الغربان الكثيرة، ولا ترى على التي تليها غراباً واحداً، حتى إذا صرموا ما عليها تسابقن إلى ما سقط من التمر في جوف اللّيف⁽³⁾ وأصول الكرب⁽⁴⁾ لتستخرجّه كما يستخرج الممتاخ الشوك⁽⁵⁾.

(حوار في نفور الغربان من النخل)

فإن قال قائل: إنما أشباح تلك الأعذاق المدلاة كالخرق السود التي تُفزع الطير أن يقع على البزور⁽⁶⁾، وكالقوادم السود تغرّز في أسنمة ذوات الدبر من الإبل؛ لكيلا تسقط عليها الغربان. فكأنها⁽⁷⁾ إذا رأت سواد الأعذاق فزعّت كما يفزع الطير من الخرق السود.

قال الآخر: قد نجد جميع الطير الذي يفزع بالخرق السود فلا يسقط على البزور، يقع كله على النخل وعليه الحمل، وهل لعامّة الطير وكور⁽⁸⁾ إلا في أقلاب⁽⁹⁾ النخل ذوات الحمل.

قال الآخر: يشبه أن تكون الغربان قطعت إلينا من مواضع ليس فيها نخل ولا أعذاق، وهذا الطير الذي يفزع بالخرق السود إنما خلقت ونشأت في المواضع التي لم تزل ترى فيها النخل والأعذاق. ولا نعرف لذلك علة سوى هذا.

قال الآخر: وكيف يكون الشأن كذلك [و] من الغربان غرباناً أوابد بالعراق فلا تبرح تعشش في رءوس النخل، وتبيض وتفرخ، إلا أنها لا تقرب النخلة التي يكون عليها الحمل. والدليل على أنها تعشش في نخل البصرة، [و] في رءوس أشجار البادية قول الأصمعي:

ومن زردك مثل مكن الضباب يُناوح عيدانه السيمكان⁽¹⁰⁾

- (1) ل: «إلى ذلك الدليل».
- (2) سبق الكلام في هذا البيت ص 227، ل: «الغردة».
- (3) ل: «اللب».
- (4) الكرب، بالتحريك: أصول السعف الغلاظ العراض.
- (5) الممتاخ، كمنفاخ: المنقاش الذي ينزع به الشوك. ط، ش: «كما يستخرج الشاك الشوك»، وفيها تحريف.
- (6) كذا على الصواب في ل. وفي ط: «التي تغرّز والطيران يقع على البزور» وهي عبارة مختلفة. والكلام من مبدأ: «تفزع» إلى: «السود» ساقط من ش. وانظر لمثل هذا الكلام ص 221.
- (7) ط: «وكانها».
- (8) ل: «أوكر». وجميع الوكر أيضاً على أوكر، ووكر، كغرف.
- (9) الأقلاب: جمع قلب بالضم، وهو السعف الذي يطلع من قلبها. ط: «أقال» وصوابه في ل، ش.
- (10) الزردك: كلمة فارسية. ومعناها الجذر، وهو نبات معروف تؤكل أصوله وتربي. والجزر ليس عربي اللفظ، معرب. كما في القاموس. ط، ش: «زرك» محرف. والضباب: بالكسر: جمع ضب. ومكنه، بالفتح: يبيضه. و«السيمكان» هي في ل: «التشمكان».

ومن شكر فيه عُشُّ الغرابِ ومن جيسرانٍ وبنداذجان⁽¹⁾
وقال أبو محمد الفقعسيُّ، وهو يصف فحلَ هَجْمة⁽²⁾ :
يتبعُها عَدَبَسٌ جُرَائِضُ⁽³⁾ أكلفُ مربدٌ هُصُورٌ هائِضُ⁽⁴⁾
بحيثُ يعتشُّ الغُرابُ البائِضُ⁽⁵⁾
(ما يتفاءل به من الطير والنبات)

والعامَّة تتطَيَّرُ من الغراب إذا صاح صيحةً واحدةً، فإذا ثَنَّى تَفاءَلَتْ به . والبُوم عند أهل
[الرِّيِّ وأهل] مَرَوْ يُتَفاءَل به، [وأهل البصرة يتطيرُونَ منه . والعَرَبِيُّ يتطَيَّر من الخلاف،
والفارسيُّ يتفَاءَل إليه]؛ لأنَّ اسمه بالفارسية «بازامك» أي يَبْقَى⁽⁶⁾، وبالعربية خِلاف،
والخلاف غيرُ الوفاق . والريحان يُتَفاءَل به؛ لأنَّه مشتقٌّ من الرُّوح، ويتطَيَّر منه لأنَّ طعمه مُرٌّ،
وإنَّ كان في العَيْنِ والأنفِ مقبولا . وقال شاعرٌ من المحدثين⁽⁷⁾ :

أهدى له أحبابه أُنْرُجَّةً فبَكَى وأشفَقَ مِنْ عِيفَةِ رَاجِرِ⁽⁸⁾
متطيراً ممَّا أتاه، فطعَمه لونانٍ باطنه خلاف الظَّاهِرِ⁽⁹⁾
والفُرس تحبُّ الآسَ⁽¹⁰⁾ وتكره الورد؛ لأنَّ الورد لا يدوم، والآس دائم .

- (1) شكر، هو من شكر النخلة شكرًا - من باب تعب : كثر فراخها . وفي الأصل : «سكر» ويصح بتأول؛ فإن من
النخل يصنع بعض السكر، بالتحريك : وهو ما يسكر من النبيذ . واو «ومن» الثانية ساقطة من ل . و «جيسران» هي
في ط، ش : «خيشتوان» وفي ل : «جيسوان»، صوابه ما أثبت . والجيسران : جنس من أفخر النخل، فارسيته
«كيسران» الألفاظ الفارسية 49 وعبون الأخبار (3: 297)، و«بنداد جان» هي في ط، ش : «بيذان جان» .
(2) الهجمة : جماعة من الإبل أقلها أربعون .
(3) العدبس : الشديد الموثق الخلق . والجرائض، بالضم : الأكل الذي يحطم كل شيء بأنياه . ورواية اللسان
(جرض) :

يتبعها ذو كدنة جرائض

- (4) المريد : الذي لونه بين السواد والغبرة . ط، ش : «أكلف نهاض هصور ناهض» .
(5) تكلم في هذا البيت صاحب المخصص (9: 125) . وفي ط، ش : «بحيث يفتش» ل : «بحيث يعيش» وصوابهما
في اللسان والمخصص . و«البائض» هي في ط، ش : «النابض»، وصوابه من ل : واللسان والمخصص .
(6) هذه العبارة جاءت في ط، ش : «بارمال يريد تبقي» وفي ل : «بيدای يبقی» . وقد حورتها إلى ما ترى معتمدًا على
معجم النبات ص 160، والخلاف : جنس من الصفصاف . وفي تذكرة داود : «بازامك من الصفصاف» .
(7) هو العباس بن الأحف، كما في زهر الآداب (4: 87) .
(8) في العقد (1: 298) : «أهدى إليه حبيبه» . وانظر الاستدراكات .
(9) في العقد :

«خاف التبدل والتلون إنها لونان باطنها . . .»

وفي زهر الآداب :

«متطيرًا منها السقام وجسمها لونان باطنها . . .»

- (10) الآس : ضرب من الريحان يسمى بمصر «مرسين» .

قال: وإذا صاح الغراب مرتين فهو شرٌّ، وإذا صاح ثلاث مرَّات فهو خير، على قدر [عدد⁽¹⁾] الحروف⁽²⁾.

(عداوة الحمام للغراب)

ويقال: إنَّ بين الغراب والحمار عداوةً. كذا قال صاحب المنطق. وأنشدني بعض النحويين⁽³⁾:

عاديَتنا لا زلَّت في تَبابٍ عداوة الحمار للغراب⁽⁴⁾

(أمثال في الغراب)

[ويقال: «أصحُّ من غراب». وأنشد ابن أبي كريمة لبعضهم، وهو يهجو صريع الغواني مسلم بن الوليد:

فما ريحُ السَّذاب أشدُّ بُغْضاً إلى الحيَّاتِ منك إلى الغواني⁽⁵⁾
وأنشد:

وأصلب هامةً من ذي حُيود ودُون صداعه حُمى الغراب⁽⁶⁾
وزعم لي داهيةً من دُهاة العرب الحوائين، أنَّ الأفاعيَ وأجناسَ الأحناش، تأتي أصولَ الشَّيخِ والحَزَمَل، تستظل [به]، وتستريحُ إليه.
ويقال: «أغربُ من غراب». وأنشد قول مضرِّس بن لقيط⁽⁷⁾:

كأنِّي وأصحابي وكرى عليهم على كلِّ حال من نشاط ومن سأم⁽⁸⁾
غرابٌ من الغُرَبانِ أيامَ قِرَّةٍ رأين لحاماً بالعِراضِ على وضم⁽⁹⁾

(1) الزيادة من ل وحياة الحيوان.

(2) كذا في ل وحياة الحيوان. وفي ط: «الجزاء» وفي ش: «الجزء» والمراد عدد حروف الكلمتين: «شر» و«خير»، فالأولى مركبة من حرفين، والثانية مؤلفة من ثلاثة. وقد تبدو هذه العبارة مناقضة لما سبق في 244 س6، لكن يظهر أنهما زعمان متخالفان يحكيهما.

(3) كذا في ل. وفي ط: «وأنشد لبعض» وفي ش: «وأنشدت لبعض».

(4) ط، ش: «عداوة الغراب للحمار»: ووجهه في ل و (2: 31).

(5) ل: «وأنشد فيه».

(6) ط: «هامة من ذي جنود» محرف. والحيود: ما شخص من نواحي الرأس. والبيت ساقط من ش.

(7) نسبه إلى جده، وإنما هو مضرِّس بن ربيعي بن لقيط الأسدي، له خبر مع الفرزدق كما في معجم المرزباني 390، فيكون إسلامياً أو مخضرمًا. لكن قال صاحب الخزانة (2: 293 بولاق): إنه جاهلي.

(8) ل: «وكرى إليهم».

(9) القرّة، بالكسر: البرد. ط، ش: «فره» صوابه في ل. واللحام: جمع لحم. والعراض: جمع عرصة بالفتح، وهي البقعة الواسعة بين الدور. ط: «بالعراض» وتصحيحه من ل، ش، والوضم، ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير.

(حديث الطيرة)

وقد اعترض قومٌ علينا في الحديث الذي جاء في تفرقة ما بين الطيرة والفأل، وزعموا أنه ليس لقوله: «كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة» معنًى. وقالوا: إن كان ليس لقول القائل: يا هالك، وأنت باغ، وجهٌ ولا تحقيق، فكذلك^(١) إذا قال: يا واجد، ليس له تحقيق، وليس قوله يا مضلُّ ويا مهلك، أحقُّ بأن يكون لا يوجب ضلالاً ولا هلاكاً من قوله يا واجد، ويا ظافر، من ألا يكون يوجب ظفراً ولا وجوداً. فإمّا أن يكوناً جميعاً يوجبان، وإما أن يكونا [جميعاً] لا يوجبان. قيل لهم: ليس التأويل ما إليه ذهبتم. لو أن الناس أمّلوا فائدة الله عزَّ وجلَّ ورجّوا عائدته، عند كلِّ سبب ضعيف وقويٍّ، لكانوا على خير. ولو غلّطوا في جهة الرجاء لكان لهم^(٢) بنفس ذلك الرجاء خير. ولو أنّهم بدل ذلك قَطَعُوا أملهم ورجاءهم من الله تعالى^(٣)، لكان ذلك من الشرِّ والفأل، أن يسمع كلمةً في نفسها مستحسنة. ثمَّ [إن] أحبَّ بعد ذلك، أو عند ذلك أن يحدث طمعاً فيما عند الله تعالى، كان نفس الطمع خلاف اليأس. وإنما خبر أنه كان يعجبه. وهذا إخبارٌ عن الفطرة كيف هي، وعن الطبيعة إلى أيِّ شيء تتقلب.

وقد قيل لبعض الفقهاء^(٤): ما الفأل؟ قال: أن تسمع وأنت مُضِلُّ: يا واجد، وأنت خائف: يا سالم. ولم يقل إنَّ الفأل يوجب لنفسه السلامة. ولكنَّهم يحبُّون له إخراج اليأس وسوء الظنِّ وتوقُّع البلاء من قلبه على كلِّ حال – وحال الطيرة حال من تلك الحالات – ويحبُّون أن يكون لله راجياً، وأن يكون حسنَ الظنِّ. فإن ظنَّ أن ذلك المرجوُّ يُوافق بتلك الكلمة ففرح بذلك فلا بأس^(٥).

(تطير بعض البصريين)

وقال الأصمعيُّ: هرب بعضُ البصريين من بعض الطّواعين، فركب ومضى بأهله نحو سَفْوان^(٦)، فسمع غلاماً له أسود يحذو خلفه، وهو يقول:

(١) ش: «وكذلك».

(٢) هذه ساقطة من ش.

(٣) كذا على الصواب في ل، ش. وفي ط: «ولو أنهم بدلوا ذلك فعطوا». . إلخ.

(٤) هو ابن عون، كما في تأويل مختلف الحديث 131 مع اختلاف في اللفظ.

(٥) ل: «يوافق تلك الكلمة ففرح لذلك فلا بأس».

(٦) سفوان، بفتح أوله وثانيه: ماء على قدر مرحلة من باب المرید بالبصرة.

لَنْ يُسْبِقَ اللَّهُ عَلَى حِمَارٍ وَلَا عَلَى ذِي مَيْعَةٍ مَطَّارٍ⁽¹⁾
 أَوْ يَأْتِي الْحَيْنُ عَلَى مِقْدَارٍ قَدْ يَصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي⁽²⁾
 فلما سمع ذلك رجع بهم .

(معرفة في الغربان)

قال : والغربان تسقط في الصحاري تلتمس الطعم ، ولا تزال كذلك ، فإذا وجبت الشمس⁽³⁾ نهضت إلى أوكارها معاً . و [ما أ] قل ما تختلط البقع بالسود المصمتة⁽⁴⁾ .

(الأنواع الغريبة من الغربان)

قال : ومنها أجناس كثيرة عظام كأمثال الجداء⁽⁵⁾ السود ، ومنها صغار وفي مناقيرها اختلاف في الألوان والصور . ومنها غربان تحكي كل شيء سمعته ، حتى إنها في ذلك أعجب من الببغاء . وما أكثر ما يتخلف⁽⁶⁾ منها عندنا بالبصرة في الصيف ، فإذا جاء القيظ قلت . وأكثر المتخلفات⁽⁷⁾ منها البقع . فإذا جاء الخريف رجعت إلى البساتين ؛ لتناول مما يسقط من التمر في كرب النخل وفي الأرض ، ولا تقرب النخلة إذا كان عليها عذق واحد⁽⁸⁾ ، وأكثر هذه الغربان سود ، ولا تكاد ترى فيهن أبقع .

(قبح فرخ الغراب)

وقال الأصمعي : قال خلف : لم أر قط أبقع من فرخ الغراب ! رأيت مرة فإذا هو صغير الجسم⁽⁹⁾ ، عظيم الرأس ، عظيم المنقار ، أجرد أسود الجلد ، ساقط النفس ، متفاوت⁽¹⁰⁾ الأعضاء .

(1) الميعة : أنشط الجري . والمطار ، بفتح الميم وتشديد الطاء : السريع العدو . ويصح أن تكون «مطار» بضم الميم وفتح الطاء . يقال : فرس مطار وطيار : حديد الفؤاد ماض . وانظر البيان (3 : 278) . وجاءت الرواية في زهر الآداب (4 : 131) ومحاضرات الراغب (2 : 225) : «ولا على ذي منعة طيار» .

(2) الحين : الهلاك . وروى : «الحتف» كما في زهر الآداب وأمالى المرتضى (4 : 112) وتأويل مختلف الحديث 125 ، وتجد القصة في هذه المراجع على وجوه شتى . وأنشد الثعالبي هذا الشطر في التمثيل والمحاضرة ص 9

(3) وجبت الشمس : سقطت للمغيب .

(4) السود المصمتة : الخالصة السواد .

(5) الجداء ، بكسر الحاء المهملة : جمع حداة كعنبه . ط : «الحد» ، ل : «الجداء» بالجمع . والوجه ما أثبت .

(6) ط ، ش : «يختلف» .

(7) ط ، ش : «المختلفات» .

(8) ليس يفهم من هذا أنها تقرب من النخل ما كان عليه أكثر من عذق . بل المراد أنها لا تقرب النخلة ما دام بعض التمر في أعذاقه . وانظر ما سبق في ص 242 س 15 .

(9) ل : «إذا صغير الجسم» .

(10) متفاوت الأعضاء : مختلفها . ط : «متقارب» ، وصوابه في ل ، ش . وانظر ما سبق من مثل هذا الكلام في (182 : 2) .

(غربان البصرة)

قال: وبعضُها يقيم عندنا في القيظ . فأما في الصَّيف فكثير . وأما في الخريف فالدهم . وأكثر ما تراه في [أعالي] ⁽¹⁾ سطوحنا في القيظ والصَّيف – البُقْع ، وأكثر ما تراه في الخريف [في النخل] و[في] الشتاء في البيوت [السود] .

وفي جبل تكريت ⁽²⁾ في تلك الأيام ، غربانٌ سودٌ كأمثال الحداء [السود] عظماً ⁽³⁾ .

(تسافد الغربان)

وناس يزعمون أنَّ تسافدها على ⁽⁴⁾ غير تسافد الطير ، وأنها تزأق ⁽⁵⁾ بالمناكير ، وتلقح من هناك .

(نواذر)

(وأشعار مستحسنة)

نذكر شيئاً من نواذر وأشعار ⁽⁶⁾ [وشيئاً] من أحاديث ، من حارّها وباردها . قال ابنُ نُجَيْم ⁽⁷⁾ : كان ابن ميادة ⁽⁸⁾ يستحسن هذا البيت لأرطاة بن سُهَيْة ⁽⁹⁾ :
فقلت لها يا أمَّ بيضاء إنه هريقٌ شبابي واستشَنَّ أديمي ⁽¹⁰⁾
[صار شتاً] .

وكان الأصمعيُّ يستحسن قولَ الطَّرَمَّاح بن حكيم ، في صفة الظِّلِّيم ⁽¹¹⁾ :

(1) من ل ، ش .

(2) تكريت : بلدة بين بغداد والموصل ، أقرب إلى بغداد .

(3) الحداء سبق شرحها في الصفحة السابقة . ط : «الحداء» تحريف . و«عظماً» هي في ط : «عظماء» وهو تحريف فكه ، صوابه في ل ، ش .

(4) هذه ساقطة من ل .

(5) أصله : تتزاق . ط : «تزاف» ، صوابه في ل ، ش .

(6) ش : «نذكر نواذر أشعار» .

(7) ط : «قال سحيم» س : «قال ابن سحيم» وصوابه ما أثبت من ل . وابن نجيم ، هو يحيى بن نجيم الذي سبقت ترجمته في (2 : 203) .

(8) «ابن ميادة» ساقط من ل .

(9) ش : «أرطاة بن سمية» ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة أرطاة في 209 .

(10) ط ، ش : «استشَق» ، تحريف ما أثبت من ل .

(11) الظِّلِّيم : الذكر من النعام . «بن حكيم» ساقط من ل .

- مَجْتَابِ شَمْلَةٍ بُرْجِدٍ لِسَرَاتِهِ قَدْرًا وَأَسْلَمَ مَا سِوَاهُ الْبُرْجِدِ⁽¹⁾
ويستحسن قوله في صفة الثور:
- يَبْدُو وَتُضْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيَغْمَدُ⁽²⁾
وكان أبو نواس يستحسن قول الطرمّاح:
- إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرْمَاحِ أَخْلَقَتْ عُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَرَحَى عَنَانِ الْقَصَائِدِ⁽³⁾
وقال كثير:
- إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاؤُهُ صَنِيعَةَ بَرٍّ أَوْ خَلِيلٍ تُوَامِقُهُ⁽⁴⁾
مَنَعْتَ وَبَعْضُ الْمَنَعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فَلَمْ يَفْتَلِتْكَ الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقُهُ⁽⁵⁾
وقال سهل بن هارون؛ يمدح يحيى بن خالد:
- عَدُوُّ تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْوِبُهُ مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعُهُ كَانَ أَحْزَمًا⁽⁶⁾
قال: وكان ربعي بن الجارود يستحسن قوله:
- فَخَيْرُ مَنْكَ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ وَخَيْرُ مَنْ زِيَارَتِكَ الشُّعُودُ⁽⁷⁾
وقال الأعشى:
- قَدْ نَطَعُنَ الْعَيْرَ فِي مَكْنُونِ فَائِلِهِ وَقَدْ يَشِيْطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ⁽⁸⁾

- (1) يقول: قد لبس ذلك الظليم كساء أسود مخملاً من الريش فوق ظهره، وجعل الشملة على قدر ظهره. وأسلم ما سواه البرجد: أي ترك البرجد ما سوى الظهر: من الرجلين والعنق، فلم يستره. وساقا الظليم وعنقه عارية من الريش. ط: «فدر وسلم»، وصوابه في ل، ش والعمدة (1: 203، 2: 79).
- (2) البلاد هنا: المواضع. والشرف: المكان العالي. وانظر الموازنة بين هذا البيت وأشباهه في العمدة (1: 198) والصناعتين 83 وشرح ديوان النابغة 19.
- (3) أخلقت: بليت. «عنان» هي في ط: «عنا» وتكملها من ل، ش.
- (4) ل: «صنيعة نعمي، أو خليل توافقه». وفي العقد (6: 175 تأليف): «صنيعة قربي أو صديق توافقه».
- (5) الحقائق: الحقوق. ورواية العقد: «ولم يستلبك المال». وقد روى صاحب زهر الآداب البيتين برواية عجيبة في (247: 3).
- (6) التلاد، بالكسر: المال القديم الموروث. ط، ش: «إذا مانعته». تحريف ما في ل. والبيت مع قرين له في البيان (352: 3)، ومع بيتين في الحيوان (5: 414).
- (7) ل: «من زيادتك».
- (8) العير، هنا: السيد. والفائل، بالفاء: عرق في الفخذ، وهو مقتل. أراد أنهم حذاق في الطعن. انظر المخصص (2: 42) واللسان (فيل) والرواية فيه:

قَدْ نَخْضِبُ الْعَيْرَ مِنْ مَكْنُونِ فَائِلِهِ

ل: «نطعن الخيل» س: «مكنون قابله»، كلاهما محرف. ويشيط: يهلك.

لا تنتهون ولن ينهَي ذوي شَطِطٍ كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزَّيْتُ والفُتْلُ⁽¹⁾
وقال العلاء بن الجارود⁽²⁾ :

أظهروا للنَّاسِ نسكا وعلى المنقوش داروا⁽³⁾
ولَهُ صامُوموا وصَلَّوا وَلَهُ حَجُّوا وزاروا
وله قاموا وقالوا وله حلَّوا وساروا
لو غدا فوق الثريا ولهم ريش لطاروا
وقال الآخر⁽⁴⁾ في مثل ذلك :

شمر ثيابك واستعدَّ لقابل واحكك جبينك للقضاء بثوم⁽⁵⁾
وامشِ الدَّبيبَ إذا مشيتَ لحاجةٍ حتَّى تصيبَ وديعةً لَيْتِمْ
وقال أبو الحسن : كان يقال : «من رقَّ وجهه رقَّ علمه» .

وقال عمر : «تفقهوا قبل أن تسودوا» .

وقال الأصمعي : «وصلت بالعلم ، وكسبت بالملح»⁽⁶⁾ .

ومن الأشعار الطيبة قول الشاعر في السمك والخادم :

مقبل مدبر خفيف ذفيف دسم الثوب قد شوى سمكات⁽⁷⁾
من شبابيط لجة ذات غمر حُذِب من شحومها زهمات⁽⁸⁾

(1) كذا في ط ، ش والخزانة (4: 132 بولاق) ، وفي ل : «لا ينتهون» والرواية في الكامل 44 ليسك وأمالى ابن الشجري (2: 229 ، 286) والخزانة (4: 263 بولاق) والغيث المنسجم (1: 52) : «أنتهون» وقد استشهد الجميع بالبيت على اسمية الكاف في «كالطعن» وأن «الطعن» مجرور بالإضافة . والفتل : جمع فتيلة ، وهي فتيلة الجراحة . يقول : لا يزرهم غير طعن جائف .

(2) ل : «العلاء بن الحداد» . والأبيات منسوبة في العقد (2: 141) إلى محمود الوراق .

(3) روى «سمتا» بدل «نسكا» في ل والعقد (4: 337) و : «دينا» في العقد (2: 141) . والمنقوش : الدينار . وبالأخيرة ، أي «الدينار» جاءت الرواية في العقد (2: 141) .

(4) هو مساور الوراق كما في العقد (3: 216) والبيان (3: 175) . ونسبنا في الشريشي (1: 206) إلى محمود الوراق .

(5) القابل : المستقبل . والجبين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغرار أن صاحبها عريق في التقوى كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالصلاح يفعلون ذلك في عصرنا هذا ؛ ليجعلوا أنفسهم ممن قيل فيهم : «سيماهم في وجوهم من أثر السجود» .

(6) ط ، ش : «وصلت بالملح وكسبت بالعلم» . وأثبت ما في ل . وفي البيان (1: 199) : «وصلت بالعلم ونلت بالملح» .

(7) يقال خفيف ذفيف ، وخفاف ذفاف ، إتباع . والمراد بهما السريع . ط : «جفيف» ش : «ذفيف» وصوابه في ل واللسان (9: 199) ل : «أدسم الثوب» .

(8) الشبايط : جمع شبوط : ضرب من السمك سبق الكلام عليه في (1: 122 ، 123 ، 169) ط ، ش : «شبابيك» محرفة . حذب : جمع حذباء وهي الخارجة الظهر الداخلة البطن والصدر . والزهمات : السمينة الكثيرة الشحم . وفي الأصل : «زمنات» وليس لها هنا وجه .

ففكر فيهما فإنهما سيمتعانك ساعة⁽¹⁾.

وقال الشاعر⁽²⁾:

إن أجز علقمة بن سيف⁽³⁾ سعيه
لأحبني حب الصبي ورمني
ولقد شفيت غليلتي ونقعتها
وقال رجل من جرم:

نبئت أخوالي أرادوا عمومتي
سأركبها فيكم وأدعى مفرقا
بشنعاء فيها ثامل السم منقعا⁽⁵⁾
وإن شئتم من بعد كنت مجمعا⁽⁶⁾

وقال يونس بن حبيب: ما أكلت في شتاء شيئا قط إلا وقد برد، ولا أكلت في صيف شيئا إلا وقد سخن.

وقال أبو عمرو المديني⁽⁷⁾: لو كانت البلايا بالحصص، ما نالني كما نالني: اختلفت الجارية بالشاة إلى التماس اختلافا كثيرا، فرجعت الجارية حاملا والشاة حائلا.

وقال جعفر بن سعيد⁽⁸⁾ الخلاف موكل بكل شيء [يكون] حتى القذا⁽⁹⁾ في الماء في رأس الكوز، فإن أردت أن تشرب الماء جاءك إلى فيك، وإن أردت أن تصب من رأس الكوز لتخرج رجعت.

(1) ط: «ففكر بينهما فإنهما سيمتعانك ساعة»، تحريف وتطبيع.

(2) هو رجل من بهراء اسمه فذكي بن أعبد، وهو المرناق الطائي. معجم المرزباني 475 والصحاح (لمم). كان مجاورا لعلقمة بن سيف العتابي، وكان له إبل فسرقت، فلما علم علقمة بذلك سعى في استردادها من مختلسها فلم يوفق، فأخرج من ماله مائة بغير ودفعها إلى فذكي عوضا. فقال هذا الشعر يمدحه. الحماسة (2: 267) وشرحها (4: 70-71) والصحاح واللسان (لمم).

(3) في الأصل: «زيد» وصوابه في البيان (3: 233) والحماسة وشرحها.

(4) رمني، بالراء: أصلح حالي. والهدى: العروس تزف وتهدي إلى زوجها. ط، ش: «ذمني ذم البذي»، ل: «رمني ذم الهدى» وصواب الرواية من الحماسة والبيان. ل: «إلى الفتى». والفتى: «الشاب».

(5) في ط، ش: «نبئت إخواني» وأثبت ما في ل، وهو أشبه بقول العرب. ط، ش: «أرادوا نقيصتي بشنعة»، و«بشنعة» تحريف. والثامل: هو المنقع، أي المعتقد. ط، ش: «تابل».

(6) ل: «فإن شئتم».

(7) ط، ش: «أبو عمر المديني». وهذا الخبر والخبر الذي قبله في الحيوان (5: 404).

(8) كذا في ل. وفي ثمار القلوب 494 حيث نقل القول: جعفر بن سعد وفي ط، ش: «جعفر بن محمد». وجعفر بن سعيد هذا أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ في كتابه 88، 109، ونعته في البيان (1: 106) بأنه: «رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه».

(9) القذا: ما يقع في الشراب. ط، ش: «القذا» وصوابه في.

(حديث أبي عمران وإسماعيل بن غزوان)

وقال إسماعيل بن غزوان: بكَرْتُ اليوم إلى أبي عمران، [فَلَزِمْتُ الجَادَّةَ]، فاستقبلني واحدٌ فَلَزِمَ الجَادَّةَ التي أنا عليها، فلما غَشِينِي ⁽¹⁾ انحرفت عنه يَمَنَةً فأنحرفَ معي، فَعُدْتُ إلى سَمْتِي فَعَادَ، فَعُدْتُ فَعَادَ ثُمَّ عُدْتُ فَعَادَ. فلولا أَنَّ صاحبَ بِرْذُونٍ فَرَّقَ بَيْنَنَا لَكَانَ إلى السَّاعَةِ يَكْدُنِي ⁽²⁾. فَدَخَلْتُ على ⁽³⁾ أبي عمران فَدَعَا بَعْدَاءَهُ، فَأَهْوَيْتُ بِلَقْمَتِي إلى الصَّبَاغِ ⁽⁴⁾ فَأَهْوَى إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ، فَنَحَّيْتُ يَدِي فَتَنَحَّى يَدَهُ، ثُمَّ عُدْتُ فَعَادَ، ثُمَّ نَحَيْتُ فَنَحَّى، فَقُلْتُ لِأَبِي عمران: أَلَا ⁽⁵⁾ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ قَالَ سَأَحْدُثُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا، أَنَا مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ ⁽⁶⁾ أَشْفَقُ أَنْ يَرَانِي [ابن أبي] عون الخياط، فلم يَتَّفَقْ لِي أَنْ يَرَانِي مَرَّةً وَاحِدَةً، فلما [أَنَّ] كَانَ أَمْسٍ ذَكَرْتُ لِأَبِي الحَارِثِ الصُّنْعِ ⁽⁷⁾ فِي السَّلَامَةِ مِنْ رُؤْيَيْهِ، فاستقبلني أَمْسٍ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ!

(نواذر وبلاغات)

وذكر محمد بن سلام، عن محمد بن القاسم قال: قال جرير ⁽⁸⁾: أَنَا لَا أَبْتَدِي وَلَكِنِّي أَعْتَدِي ⁽⁹⁾.

قال أبو عبيدة: قال الحجاج: أَنَا حَدِيدٌ حَقُودٌ حَسُودٌ! ⁽¹⁰⁾
قال: وقال قديس بن منيع، لِجَدِيعِ ⁽¹¹⁾ بن علي: لَكَ ⁽¹²⁾ حُكْمُ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ!
وقال أبو إسحاق ⁽¹³⁾ - وذكر إنساناً - : هُوَ وَاللَّهِ أَنْزَقُ مِنْ رَبِيبِ مَلِكٍ ⁽¹⁴⁾، وَأَخْرَقَ مِنْ امْرَأَةٍ، وَأَظْلَمَ مِنْ صَبِي.

-
- (1) ل: «أغشيني» تحريف. (2) يكدني: يلح في طلبه. ط، ش: «يدكني» تحريف.
(3) ط، ش: «إلى».
(4) الصباغ، بالكسر: ما يصطبغ به من الإدام، وصيغ اللقمة صبغاً: دهنها وغمسها. ل: «الصماغ» وليس لها وجه.
(5) ل: «أما».
(6) ط، ش: «أنا أكثر منذ سنة». ل: «أنا منذ سنة» وقد جعلتها كما ترى.
(7) أي ما صنع لي من السلامة من رؤيته. ط: «الصنيع».
(8) هو جرير الشاعر.
(9) ط، ش: «ولكن أعتدي»، وأثبت ما في ل وما سبق في ص 56. يقول: هو لا يبتدئ بالهجاء، ولكنه إذا ردَّ على الهاجي اعتدى عليه، وظلمه إرهاباً له.
(10) الحيوان (405: 5). وبلغ آخر في البيان (255: 3).
(11) جديع هذا هو ابن خال يزيد بن المهلب. البيان (240: 2)، (246). ل: «الحديد» وفي ثمار القلوب 538 - حيث نقل النص: «لجديع» والصواب ما أثبت.
(12) ط، ش: «لكم»، وأثبت ما في ل والثمار. وفي الثمار: «لك علي».
(13) هو النظام. وانظر البيان (247: 1).
(14) أنزق: من النزق وهو الطيش والتسرع. والريب: المريب، وابن امرأة الرجل من غيره. وهذا المثل محرف في ط، ش: ففي الأولى: «أترف من زينب بنت مالك» وفي الثانية: «أنزق من زينب بنت ملكة»، وتصحيحه من ل. وجاء في أمثال الميداني (136: 1): «أترف من ربيب نعمة».

وقال لي أبو عبيدة: ما ينبغي أن يكون [كان] في الدنيا مثل هذا النظام⁽¹⁾. قلت: وكيف؟ قال: مرّ بي يوماً فقلت: واللّه لأمتحنه، ولأسمعن كلامه؛ فقلت له: ما عيب الزّجاج - قال: يسرع إليه الكسر، ولا يقبل الجبر - من غير أن يكون فكراً أو ارتدع! قال: وقال جبار بن سلمى بن مالك⁽²⁾ - وذكر عامر بن الطفيل⁽³⁾ فقال: كان لا يضلّ حتّى يضلّ النّجم، ولا يعطش حتّى يعطش البعير⁽⁴⁾، ولا يهاب حتّى يهاب السيل؛ كان واللّه خيراً ما يكون⁽⁵⁾ حين لا تظنّ نفس بنفس خيراً.

وقال ابن الأعرابي: قال أعرابي: اللّهم لا تُنزلني ماءً سوءاً فأكونُ امرأً سوءاً! يقول: يدعوني قلته إلى منعه.

وقال محمّد بن سلام، عن حماد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس: إنّ الأحنف كان يكره الصّلاة في المقصورة، فقال له بعضُ القوم: يا أبا بحر، لم لا تصلي في المقصورة؟ قال: وأنت لم لا تصلي فيها؟ قال: لا أترك⁽⁶⁾! وهذا الكلام يدل على ضروب من الخير كثيرة⁽⁷⁾.

ودخل عبد الله بن الحسن على هشام في ثياب سفره، فقال: اذكر حوائجك. فقال عبد الله: ركابي مُناخَةٌ، وعَلَيَّ ثيابُ سفري! فقال: إنك لا تجدني خيراً [منّي] لك الساعة⁽⁸⁾.

قال أبو عبيدة: بلغ عمر بن عبد العزيز قدوم عبد الله بن الحسن، فأرسل إليه: إني أخاف عليك طواعين الشام، وإنك لا تُغنمَ أهلَكَ خيراً لهم منك⁽⁹⁾ فالحقّ بهم، فإنّ حوائجهم ستسبقك⁽¹⁰⁾. وكان ظاهر ما يكلمونه به ويُرُونه إيّاه جميلاً مذكوراً⁽¹¹⁾، وكان معاناهم الكراهة لمقامه بالشام، وكانوا يرون جماله، ويعرفون بيانه وكماله، فكان ذلك العمل من أجود التدبير فيه عند نفسه.

(1) ط، ش: «قال لي أبو عبد الله». س: «مثل ذلك» ل: «مثل ذلك».

(2) هو جبار بن سلمى (بضم السين، وقيل بفتحها) بن مالك بن جعفر بن كلاب، أحد الصحابة. أسلم بعد وقعة بئر معونة لسبب طريف، بعدما كان شديد العداوة للمسلمين. انظر الإصابة 1051 والسير 650، 939 جوتنجن والبيان (1: 54). في ط، ش: «حماد بن مالك بن سلميان مالك» ل: «جبار بن مالك بن سلمى». وانظر شروح سقط الزند ص 500.

(3) في البيان: «حين وقف على قبر عامر بن الطفيل».

(4) ط، ش: «الجمال»، وأثبت ما في ل والبيان. (5) ل: «كان».

(6) ط: «لا ترك». (7) ط: «على طرق» ش: «على كنز من الخير كثير».

(8) ط، ش: «إنه لا تجدني خيراً لك من الساعة». وموقع هذه القصة في ل بعد القصة الآتية.

(9) ل: «لن تغنمَ أهلَكَ خيراً منك».

(10) ل: «ستسبقك». وانظر الحيوان (4: 77).

(11) كذا في ش. وفي ط: «ما يكلمون به ويرونه جميلاً مذكوراً». وفي ل: «ما يتكلمون به ويرونه جميلاً مذكوراً».

(شعر في الزهد والحكمة)

وأنشد :

تُليح من الموت الذي هو واقعٌ وللموتِ بابٌ أنتَ لا بدَّ داخله⁽¹⁾

وقال آخر :

[أكلكم أقام على عجوزٍ عشنزة مقلدة سخاباً⁽²⁾

وقال آخر:] :

الموتُ بابٌ وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدارُ⁽³⁾

لو كنتُ أعلم من يدري فيخبرني أجنة الخلد ما أوانا أم النارُ⁽⁴⁾

وقال آخر :

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بأن المرء غير مُخلدٍ

فإذا ذكرت مصيبة تشجى بها فاذكر مصابك بالنبى محمدٍ

وقال آخر :

والشمس تنعى ساكن الـ دنيا ويسعدُها القمر

أين الذين عليهم ركم الجنادل والمدر⁽⁵⁾

أفناهم غلس العشا ء يهز أجنحة السحر⁽⁶⁾

مال لقلوب رقيقة وكأن قلبك من حجر

ولقلما تبقى وعو دك كل يوم يهتصر⁽⁷⁾

وقال زهير :

ومن يوف لا يذمم ومن يفض قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم⁽⁸⁾

(1) ألاح يليح : خاف وحاذر . ل : « لا شك داخله » . وانظر مجالس ثعلب 349 .

(2) عنى بالعجوز الدنيا . والعشنزة : السيئة الخلق ، بضم الخاء واللام . والسخاب : بالكسر ، القلادة من سك وقرنفل ومحب ، بلا جوهر .

(3) كذا في ل والأغاني (19 : 14) . وفي ط : « الموت باب لنا لا بد ندخله » وفي ش : « لنا لا بد لنا أن ندخله » وما في ش تحريف .

(4) ل : « مثوانا » . قالوا : لم يتمثل الحسن البصري بشعر إلا هذا البيت . انظر الأغاني .

(5) الركم ، بالتحريك : المتراكم .

(6) الغلس : الظلام آخر الليل . والعشاء من زوال الشمس إلى طلوع الفجر . ل : « العشي » . وهي بمعنى العشاء المتقدم ؛ ففي المصباح : « العشي من الزوال إلى الصباح » .

(7) اهتصار الغصن : عطفه . ل : « يعتصر » . وفي ط : « ولعل ما تبقى » صوابه في ل ، ش .

(8) لا يتجمجم : لا يتردد .

ومن يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ
ومهما تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ
ومن لَا يَزُلْ يَسْتَرْحِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ
[وقال زهير أيضاً:

يطعنهم ما ارتَمَوْا حتَّى إِذَا طَعِنُوا
وقال (3):

وجارُ البيتِ والرَّجُلُ المَنَادِي (4)
جوارٌ شاهِدٌ عَذْلٌ عَلَيْكُمْ
فإنَّ الحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثُ:
يَمِينٌ، أَوْ نِفَارٌ، أَوْ جِلَاءُ (6)

فتفهَّمْ هذه الأقسامَ الثَّلَاثَةَ، كيف فصلَّها هذا الأعْرَابِيُّ!
وقال أيضاً:

فلو كان حَمْدُ يُخْلِدُ النَّاسَ لَمْ تُمُتْ
ولكنَّ مِنْهُ باقياتٌ وِرائَةٌ
تزوَّدُ إِلَى يَوْمِ المِمَاتِ فَإِنَّهُ
وقال الأَسَدِيُّ:

فإنِّي أَحَبُّ الخُلْدِ لو أُسْتَطِيعَ
وقال الحَادِرَةُ:

فأثْنُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لَأَبِيكُمْ
بإِحْسَانِنَا إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الخُلْدُ (8)

(1) يسترحل الناس نفسه: يجعل نفسه كالراحلة للناس يركبونه ويذمونهم. وروى: «يستحمل الناس»، أي يحمل الناس على عيبه.

(2) انظر الكلام على هذا البيت في الاستدراكات.

(3) أي زهير بن أبي سلمى.

(4) المنادي: المجالس؛ من النادي والندى وهو المجلس. ط: «المنادي» وهو تحريف. يقول: حق الجليس كحق الجار.

(5) التلاء، بالفتح: الضمان، وانظر اللسان (تلا).

(6) انظر الكلام على هذا البيت في الصناعتين 331 والعمدة (1: 30) والعقد (3: 386) والبيان (1: 240) وعيون الأخبار (1: 67).

(7) وكذا في البيان (3: 320). ل: «لو أموت».

(8) البيان (3: 320).

وقال الغنوي :

فإذا بلغتم أهلکم فتحذثوا ومن الحديث مهالك وخلود⁽¹⁾

وقال آخر⁽²⁾ :

فقتلاً بتقتيل وعقراً بعقرکم جزاء العطاس لا يموت من أثار⁽³⁾

وقال زهير :

والإنثم من شر ما تصول به والبر كالغيث نبثه أمر⁽⁴⁾

أي كثير . ولو شاء أن يقول :

والبر كالماء نبثه أمر

استقام الشعر ، ولكن كان لا يكون له معنى . وإنما أراد أن النبات يكون على الغيث أجود⁽⁵⁾ . ثم قال :

قد أشهد الشارب المعدل لا معروفه منكّر ولا حصر⁽⁶⁾

في فتية ليّني المآزر لا ينسون أحلامهم إذا سكرؤا⁽⁷⁾

يشؤون للضيف والعفاة ويؤفون قضاء إذا هم نذروا⁽⁸⁾

يمدح - كما ترى - أهل الجاهلية بالوفاء بالثذور⁽⁹⁾ .

أنشدني حبان بن عثبان⁽¹⁰⁾ ، عن أبي عبيدة ، من الشوارد التي لا أرباب لها ، قوله :

إن يغدروا أو يفجروا أو يبخلوا لم يحفلوا

يغدوا عليك مرجلي ن كائنهم لم يفعلوا

(1) ما عدا ل : «بلغتم أرضكم» ، و«متألف وخلود» .

(2) هو مهلهل كما في البيان (320 : 3) .

(3) ش : «وعقدا بعقدكم» . محرف . ما عدا ل : «جزاء العطاش» تحريف . وانظر حواشي البيان ، واللسان (عقب 110 جزى 159) . واثار : أدرك ثأره . والمعروف في المعجمات : «اثار» بالثاء المثناة . لكن ما أثبت من ل جائز في العربية . انظر الاستدراكات والتذييل . وفي ط ، ش : «ارتا» محرف .

(4) ط : «امرء» وصوابه في ل ، ش . والرواية عند القالي (103 : 1) والبحري 347 : «من شر يصال به» .

(5) الغيث : المطر الغزير . ط ، ش : «أراد أن يكون عن الغيث أجود» .

(6) المعدل : الذي يعذل كثيراً ويلازم لإسرافه . ش : «المعدل» وليس بشيء والحصر : البخيل .

(7) المآزر : جمع مئزر ، والمراد بها هنا النفوس ، كما قال نفيلة - وأراد بالإزار النفس :

ألا أبلف أبا حفص رسولا فدى لك من أخي ثقة إزاري

(8) العفاة : جمع عاف : وهو كل طالب فضل أو رزق .

(9) ط ، ش : «بالنذر» ولا تصح .

(10) ل : «حيان بن عيين» .

كأبي بَراقشَ كلَّ يو م لونه يتخيَّل⁽¹⁾

وقال الصَّلَتان السَّعديُّ، وهو غير الصَّلَتان العَبديُّ:

أشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ رَكَرُ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ

إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ فِتْيِ⁽²⁾

نُروح ونَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مَن عَاشَ لَا تَنْقُضِي⁽³⁾

تَمُوت مَعَ الْمَرءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ⁽⁴⁾

إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لَدَى مَعْشَرٍ أُرُونِي السَّرِيَّ أَرُوكَ الْغَنَى

أَلَمْ تَرَ لِقَمَانٍ أَوْصَى بَنِيهِ وَأَوْصِيَتْ عَمْرًا فَنَعِمَ الْوَصَى⁽⁵⁾

وَسِرُّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرَ الْخَفِيِّ

أنشدني مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ الْأَعْرَابِيُّ:

وَلَا تُلْبِثُ الْأَطْمَاعُ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْ الدِّينِ شَيْءٌ أَنْ تَمِيلَ بِهِ التَّفْسُ

وَلَا يُلْبِثُ الدَّخْسُ الْإِهَابَ تَحْوِزَهُ بِجُمُعِكَ أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ غَيْرِكَ التَّرْسُ⁽⁶⁾

وأنشدني أَبُو زَيْدٍ النَّحْوِيُّ لِبَعْضِ الْقَدَمَاءِ⁽⁷⁾:

(1) أبو براقش: طائر كالصَفُور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار يتلون في كل ساعة، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر. ولعل السبب في ذلك ما قال الأزهري: أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا انتفش تغير لونه ألواناً شتى. والرواية في اللسان: «كل لون لونه» ط، ش: «يتبدل». وانظر الأبيات ورواياتها وما قيل فيها، في ديوان المعاني (1: 182) والبيان (3: 333) وأمالِي القالي (3: 83) وعبون الأخبار (2: 29) وخزانة الأدب (3: 660 بولاق) والصناعتين 103 ومحاضرات الراغب (1: 150).

(2) هذا البيت ساقط من ل.

(3) ط: «لحاجتنا» تحريف.

(4) ط، ش: «يموت».

(5) ل: «ونعم الوصي». وانظر الأبيات ورواياتها في عبون الأخبار (3: 132) ومعاهد التنصيص (1: 27) والعقد (2: 123) والحماسة (2: 56) والكامل 540 ليسك.

(6) الدخس: الفساد. والشرط الأخير محرف. ل: «أن تنهأ كعبرة الرأس».

(7) هو حسان السعدي كما في نوادر أبي زيد 111-112، ونسب الشعر في أمالي المرتضى (2: 76) إلى بعض شعراء طيء، وعينه ياقوت في (دير حنظلة) بأنه حنظلة بن أبي عفراء. وساق نسبه إلى طيء. وقال في شأن حنظلة هذا: «كان قد نسك في الجاهلية وتنصر وبني هذا الدير».

وَمَهْمَا يَكُنْ رَيْبَ الْمُنُونِ فَإِنِّي أرى قَمَرَ اللَّيْلِ الْمَعْدَرِ كَالْفَتَى (1)
يَعُودُ ضَيْلًا ثُمَّ يَرْجِعُ دَائِبًا وَيَعْظُمُ حَتَّى قِيلَ قَدْ ثَابَ وَاسْتَوَى
كَذَلِكَ زَيْدُ الْمَرْءِ ثُمَّ انْتَقَاصُهُ وَتَكَرَّرُهُ فِي إِثَرِهِ بَعْدَ مَا مَضَى (2)
وَقَالَ أَبُو النَّجْمِ:

مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزَعًا عَنْ قُنْزَعِ (3) مَرُّ اللَّيَالِي أَبْطُئِي وَأَسْرِعِي (4)
أَفْنَاهُ قِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ اطْلُعِي ثُمَّ إِذَا وَارِكُ أَفُقٍ فَارْجِعِي
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ (5):

وإن الذي ينهاكم عن طلابها يُنَاغِي نِسَاءَ الْحَيِّ فِي طَرَّةِ الْبُرْدِ (6)
يَعْلَلُ وَالْأَيَّامُ تَنْقُصُ عُمُرَهُ كَمَا تَنْقُصُ النَّيْرَانُ مِنْ طَرَفِ الرَّزْدِ (7)
وَقَالَ ابْنُ مِيَّادَةَ:

هَلْ يَنْطِقُ الرَّبْعُ بِالْعَلِيَاءِ غَيْرَهُ هَلْ يَنْطِقُ الرَّبْعُ بِالْعَلِيَاءِ غَيْرَهُ (8)
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

أَسْرَعَ فِي نَقْصِ امْرِئٍ تَمَامُهُ

(1) المعذر: ذو العذار، وهو هنا الهالة التي تطيف به. وفي الجزء السادس من الحيوان ص 325: «المقدر»، وما هنا صوابه. والرواية في النوادر والأمثالي والمعجم: ول: «المعذب» وكأن عذابه فيما يتكرر من طلوعه واختفائه ودءوبه على ذلك. وفي مثل ذلك قال أمية في عذاب الشمس:

تَأْبَى فَلَا تَبْدُو لَنَا فِي رَسَلِهَا إِلَّا مَعْدَبَةً وَإِلَّا تَجْلِدُ
لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْصُرَ سَاعَةً وَبِذَاكَ تَدَأْبُ يَوْمَهَا وَتَشْرُدُ

(2) الزيد: الزيادة. ط: «بعد ماضي»، وصوابه في ل، ش.
(3) القنزع: الشعر حوالي الرأس. ل: «قزعا عن قزع». والقزع: كل شيء يكون قطعاً متفرقة. ورواية اللسان: «طبر عنها».

(4) كذا في ل واللسان. في ط، ش: «جذب الليالي أبطئي أو أسرعي».

(5) كذا في ط، ش: وص 25 من هذا الجزء. وفي ل: «عبد هند».

(6) يناغي: يغازل. ش: «عن طلائها».

(7) ش: «يعلل بالأيام».

(8) المستن: أراد به السحاب السريع الإمطار. والطنب: جبل السراشق. وقد جعل السحاب كالسراشق فكأنه قد ضرب على الأرض لإحاطته. يقول: قد أفسد ذاك الربع الرياح والأمطار. ط، ش: «ومستف»، تحريف ما أثبت من ل ومعجم الأدباء (11: 114) والأغاني (2: 102).

وقال :

وَلَمَرَّ الْقَنَاءُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَرَكَاتٌ كَأَنَّهُنَّ سَكُونٌ^(١)

وقال ابن ميادة^(٢) :

أَشَاقُكَ بِالْقِنْعِ الْغَدَاةِ رُسُومٌ دَوَارِسُ أَدْنَى عَهْدِهِنَّ قَدِيمٌ^(٣)

يَلْحَنَ وَقَدْ جَرَّمَنَ عَشْرِينَ حِجَّةً كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْبَنَانِ وَشُومٌ^(٤)

وقال آخر :

فِي مَرْفَقِيهَا إِذَا مَا عُونَقْتُ حَجَمَ عَلَى الصَّجِيعِ وَفِي أَنْيَابِهَا شَنْبٌ^(٥)

وقال ابن ميادة في جعفر [ومحمد] ابني سليمان^(٦) ، وهو يعني أمير المؤمنين المنصور :

وَفِي لَكَمَا يَا ابْنِي سَلِيمَانَ قَاسِمٌ بَجَدَّ النَّهْيُ إِذْ يَقْسِمُ الْخَيْرَ قَاسِمُهُ^(٧)

فَبَيْتُكُمْ بَيْتٌ رَفِيعٌ بِنَاؤُهُ مَتَى يَلْقَى شَيْئًا مُحَدَّثًا فَهُوَ هَادِمُهُ^(٨)

لَكُمْ كِبْشٌ صِدْقٌ شَذَبَ الشَّوْلَ عَنْكُمْ وَكَسَّرَ قَرْنِي كُلَّ كِبْشٍ يَصَادِمُهُ^(٩)

(١) ش: «ولمر القنأ» ط: «ولمر القنأ»، ووجهه ما أثبت من ل.

(٢) روى في معجم البلدان برسم (قنع) نسبته إلى مزاحم العقيلي.

(٣) القنع، بالكسر: جبل وماء باليمامة. والرسوم: آثار الديار.

(٤) جرمن عشرين حجة: قطعن عشرين سنة. ط، ش: «جرمن» ط: «عتبي حجة» وصوابهما في ش.

(٥) في المعجم: «إذا ما عولجت». والحجم بالحاء ثم الجيم المفتوحين: لم أجد نصاً فيه. ولعله

من حجم ثدي الجارية: نهد وارتفع. أراد أنها مكسوة المرفقين باللحم. ل وكذا الأغاني:

«جسم» وهو كثرة اللحم، أو عدم ظهور العظم. س: «حمم» محرف. والشنب: بالتحريك:

الرقعة والحدة.

(٦) ط، ش: «في جعفر بن سليمان» وتصحيحه وإكماله من ل.

(٧) يقول: ذلك القاسم حين قسم الخير وفي ل كما يحظ العقل. وفي بالشيء: أعطاه كاملاً. وهذا البيت

شديد التحريف في الأصل. ففي ط، ش: «وما لكم» وفي ل: «وفاء لكما» وفي ط، ش: «بجد

النبى»، وفي ل: «تجد النهى»، وقد عالجته بما ترى.

(٨) في الأصل: «فبينكما» محرف: ل: «متى يلقى بيتاً مجدكم».

(٩) الكبش: عنى به المنصور. شذب: طرد. والشول من الإبل: التي نقصت ألبانها. يريد: طرد عنكم

الخصاس من الناس. ط فقط: «شذب الشوك» وهو معنى لا يصح في المدح.

باب في من يهجى ويذكر بالشؤم

قال دُعبل بن علي، في صالح الأفقم⁽¹⁾ - وكان لا يصحب رجلاً إلا مات أو قُتل، أو سَقَطَتْ منزلته :

قل للأمين أمين آل محمد	قول امرئ شفق عليه محام ⁽²⁾
إياك أن تُغتر عنك صنيعه	في صالح بن عطية الحجام ⁽³⁾
ليس الصنائع عنده بصنائع	لكنهن طوائل الإسلام ⁽⁴⁾
اضرب به نحر العدو فإنه	جيش من الطاعون والبرسام ⁽⁵⁾

وقال محمد بن عبد الله في محمد بن عائشة⁽⁶⁾ :

للهلال قتل	أبدأ في كل عام
قتل الفضل بن سهل	وعلي بن هشام
وعجيفاً آخر القو	م بأكناف الشام
وغدا يطلب من يقو	تل بالسيف الحسام ⁽⁷⁾
فأعاذ الله منه	أحمداً خير الأنعام

(1) الأفقم: الذي تقدمت ثنياه العليا فلم تقع على السفلى. وفي الأغاني: «الأضجم»، وهو المعوج

الفم. ل: «صالح بن علي الأفقم» صوابه «ابن عطية» كما في الأغاني، والشعر.

(2) يريد بالأمين الخليفة المعتصم، كما في الأغاني (18: 64) وروايته:

قل للإمام إمام آل محمد قول امرئ حذب عليك محام

والتعبير عن الخليفة بلفظ «أمين» سبق مثله في ص 34 س 13.

(3) تغتر: تؤخذ وتنال على غرة. ل: «يفتر». وفي الأغاني (18: 46): «أنكرت أن تفتري»!

(4) طوائل: جمع طائلة، يقال بينهم طائلة أي عداوة وترة.

(5) البرسام، بالكسر: علة يهذى فيها. قلت: هي بالفارسية برسام بالفتح، بمعنى التهاب الصدر، مركب من بر وهو الصدر، وسام بمعنى الالتهاب، وهو بالمعنى الدقيق: التهاب غشاء الرئة:

. The pleurisy

(6) ل: «بن محمد بن عائشة».

(7) ل: «وبدا يطلب».

[يعني أحمد بن أبي دواد].

وقال عيسى بن زينب في الصخري⁽¹⁾ ، وكان مشئوماً:

يا قوم مَنْ كان له والدٌ يأكل ما جَمَعَ مِنْ وَفَرٍ⁽²⁾
فإنَّ عندي لابنه حيلةٌ يموتُ إنْ أَصْحَبَهُ الصخري⁽³⁾
كأنما في كَفِّهِ مِبرِدٌ يبرُد ما طال من العُمَر

(شعر في مديح وهجاء)

وقال الأعشى:

فما إنْ على قلبه غمرةٌ وما إنْ بعظمٍ له من وهنٍ⁽⁴⁾

وقال الكميت:

ولم يقلْ عند زَلَّةٍ لهمُ كُروا المعاذيرَ إنَّما حَسِبُوا⁽⁵⁾

وقال آخر:

فلا تعذراني في الإساءة إنَّه شرارُ الرِّجالِ مَنْ يسيءُ فيُعذرُ

وقال [كلثوم بن عمرو] العتّابي⁽⁶⁾:

رحل الرِّجاءُ إليك مغترباً حُشِدَتْ عليه نوائِبُ الدَّهْرِ⁽⁷⁾

ردَّتْ عليك ندامتي أملي وثْنى إليك عَنانَه شُكْرِي⁽⁸⁾

(1) ط، ش: «الصخري».

(2) الوفر: المال الكثير. ط، ش: «ما يجمع في الدهر».

(3) أصحبه: جعل صاحباً له. ط: «صحبة». ط، ش: «الصخري».

(4) ش: «يعظم»، تحريف.

(5) الواو في أول البيت ساقطة من ط، ش. ل: «بعد زلة». ط: «حسوا» ش: «حسنوا» وصوابه في ل.

(6) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(7) ط: «مرتعباً»: «مرتقباً». حشدت: جمعت. ط، ش: «حسدت»، وليس بشيء.

(8) ل: «وردت إليه» و«ثنى إليه».

وجعلت عَثْبَكَ عَثْبَ مَوْعِظَةٍ ورجاء عفوك مُنْتَهَى عُذْرِي
وقال أعشى بكر⁽¹⁾:

قَلَّدْتُكَ الشَّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا الـ بِإِفْضَالِ وَالشَّيْءِ حَيْثُ مَا جُعِلَا⁽²⁾
وَالشَّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اسْدَ سَنَزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلَا⁽³⁾
لَوْ كُنْتُ مَاءً عِدًّا جَمَمْتُ إِذَا مَا وَرَدَ الْقَوْمَ لَمْ تَكُنْ وَشَلَا⁽⁴⁾
أَنْجَبَ آبَاؤُهُ الْكَرَامُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا
اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْبَقَاءِ وَبِالْحَمْدِ بِدَوَّلَى الْمَلَامَةِ الرَّجُلَا⁽⁵⁾
وقال الكذاب⁽⁶⁾ الحِرْمَازِيُّ [لقومه، أو لغيرهم⁽⁷⁾]:

لَوْ كُنْتُمْ شَاءَ لَكُنْتُمْ نَقْدًا⁽⁸⁾ أَوْ كُنْتُمْ مَاءً لَكُنْتُمْ ثَمْدًا⁽⁹⁾
أَوْ كُنْتُمْ قَوْلًا لَكُنْتُمْ فَنْدًا⁽¹⁰⁾

(1) ل: «وقال الأعشى». وهما سيان، فإن الأعشى المشهور يقال له: أعشى بكر، ويقال له أيضًا أعشى قيس. فهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل. ينسب حينًا إلى قيس بن ثعلبة، وآخر إلى بكر بن وائل. وقد أخطأ دي ساسي في جعلهما شخصين في فهرس الأغاني.

(2) كلمة «الشعر» ساقطة من ط. وفي الخزانة (358:4): «ذو التفضال»، وفي العمدة (10:1): «ذا فائش». وسلامة ذو فائش: أحد ملوك حمير.

(3) السبل، بالتحريك: المطر.

(4) الماء العذ، بكسر العين: القليل، بلغة بكر بن وائل. جم: كثر. ش: «جمعت» تحريف. والوشل: الماء القليل.

(5) يروي: «بالوفاء وبالعد». وبهذا البيت يستشهد على أن الأعشى كان مذهبه مذهب أهل العدل. انظر أمالي المرتضى (1: 16).

(6) وكذا في الحيوان (311:5) ونسب في الأزمينة والأمكنة (277:2) إلى اللعين المنقري. والكذاب هو عبيد الله ابن الأعور، أحد بني الحرماز بن مالك بن تميم. ط: «الكرار» ش: «الكرار» وهو على الصواب في ل. قالوا: سمى بذلك لكذبه.

(7) هم بنو فقيم، كما جاء في أول الرجز في كل من أمثال الميداني (260:1) والأضداد 356:

فَقِيمٌ يَاشِرُ تَمِيمٍ مُحْتَدًا

(8) النقد: جنس من الغنم قصار الأرجل، قباح الوجوه، يكون بالبحرين.

(9) الثمد: الماء القليل. وهذه الرواية انفردت بها ل. وفي ط، ش وأمثال الميداني والأضداد وثمار القلوب: «زبدًا».

(10) الفند: الكذب. وفي الرجز زيادة في ثمار القلوب وأمثال الميداني (260:1، 413).

وقال الأعشى في الثياب⁽¹⁾ :

فعلى مثلها أزورُ بني قبي
المهينين ما لهم في زمان الـ
وإذا ذو الفضول ضنَّ على المو
ومشى القوم بالعمادِ إلى الرز
أخذوا فضلهم هناك وقد تجـ
وإذا الغيث صوبه وضع القد
لم يزدْهم سفاهة شرب الخم
واضعاً في سراة نجران رجلي
في مطايا أربابهنَّ عجال
دزمك غدوة لنا ونشيل
وندامى بيض الوجوه كأنَّ الشـ

س إذا شطَّ بالحبیبِ الفراق⁽²⁾
سوء حتَّى إذا أفاق أفاقوا
لى وصارت لخيّمها الأخلاق⁽³⁾
حى وأعياء المسيم أين المساق⁽⁴⁾
ري على عرقها الكرام العتاق⁽⁵⁾
ح وجنّ التلّاع والأفاق⁽⁶⁾
ر ولا اللهو فيهم والسباق⁽⁷⁾
ناعماً غير أنني مشتاق
عن ثواء وهمهنَّ العراق
صبوح مبكر واغتباق⁽⁸⁾
رب منهم مصاعب أفناق⁽⁹⁾

(1) «في الثياب» ساقط من ل. والحديث عن الثياب في آخر بيت من هذه المقطوعة.

(2) شط به: بعد. ش: «شك» تحريف.

(3) الخيم، بالكسر: السجية والطبيعة. وفي الديوان: «لحقها» أي لحقيقتها. ل: «بحقها».

(4) العماد: الأخبية. والرزحى: النوق الشديديات الهزال. والمسيم: الذي يرفع الإبل. والأين: الإعياء. والمساق: السوق.

(5) قد، هنا تحقيقية.

(6) القدح، بالكسر: هو قدح الميسر. كانوا ينحرون ويضربون بالقدح، فإذا أخصبوا تركوا ذلك؛ وذلك أن الميسر إنما يكون في الجذب. شرح ديوان الأعشى 144 فينا. جنت التلّاع: كثر فيها النبات وحسن.

(7) ليس يريد أنهم كانوا ذوي سفاهة فزادهم الشرب، ولكن أراد أن الشرب لا يجلب إليهم السفاهة، بل يحتفظون معه بحميد خصالهم:

وإذا شربت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

(8) الدرمل: لباب الدقيق، أراد الطعام المصنوع منه. و«غدوة» هي في الأصل: «غدره»، وتصحيحها من الديوان. والنشيل: ما نشل من لحم القدر بمائه.

(9) الشرب، بالفتح: جماعة الشاربين. ل: «الشرب فيهم». والمصاعب: الفحول المكرومة. والأفناق: جمع فنيق، وهو بمعنى المصعب.

فِيهِمُ الْخَصْبُ وَالسَّامِحَةُ وَالنَّجْرُ
وَأَبْيُوثُونَ لَا يُسَامُونُ ضَيْمًا
وَتَرَى مَجْلِسًا يَغْصُ بِهِ الْمَحْ
وَقَالَ أَيْضًا فِي الثِّيَابِ (3):

أَزُورُ يَزِيدَ وَعَبْدَ الْمَسِيحِ
وَكَعْبَةَ نَجْرَانَ حَتَمَ عَلَيْهِ
إِذَا الْحَبَرَاتُ تَلَوْتُ بِهِمْ
وَفِي الثِّيَابِ يَقُولُ الْآخَرُ:

أُسَيْلِمُ ذَا كَمْ لَا خَفَا بِمَكَانِهِ
مِنَ النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ إِذَا انْتَمَوْا
جَلَا الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمَسْكِ فَرْقَهُ
إِذَا النَّفَرُ السُّودُ الْيَمَانُونَ حَاوَلُوا
لَعَيْنِ تُرَجَّى أَوْ لِأَذْنِ تَسْمَعُ (5)
وَهَابَ الرِّجَالُ حَلَقَةَ الْبَابِ فَعَقَعُوا (6)
وَطِيبَ الدَّهَانِ رَأْسَهُ فَهُوَ أَنْزَعُ (7)
لَهُ حَوْكٌ بَرْدِيهِ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا (8)

- (1) ل واللسان: «فيهم الحزم». والخاطب المسلاق: الخطيب البليغ. ويروى: «السلاق» بمعناه، كما في اللسان. ورواية س: «المصلاق» بالصاد، وهي لغة. يقال: مصلاق وصلاق أيضًا.
- (2) المكيث: الرزين. والحلوم وثاق: أي عقولهم محكمة.
- (3) الأبيات منسوبة إلى أعشى بني تغلب في معجم الأدباء (11: 132).
- (4) يخاطب ناقته. تناخي: تبركي. ط، ش: «تحل» ولها وجه.
- (5) خفا: مقصور خفاء. ط، ش: «حقًا»، وصوابه في ل والبيان (1: 196، و3: 305) والكامل 103 والعقد (5: 343) ورسائل الجاحظ 79 ساسي والبخلاء 213 «ترجى» من الرجاء وهو الأمل. ل: «تدحي»، البيان «تدجي» الرسائل: «و» «تداحي» ولعلها «تراعي».
- (6) الرواية في المراجع المتقدمة: «من النفر الشم» وجعلهم نفرًا لقلتهم. والكرام قليل.
- (7) الأذفر: الشديد سطو الرائحة. ط: «فوقه» تحريف. والأنزع: الذي انحسر الشعر عن جانبي جبهته. ل: «فهو أفرق أنزع».
- (8) اليمانية يوصفون بالسواد. ل والعقد: «أرقوا وأوسعوا»، وفي خزانة الأدب (2: 523 بولاق) نقلًا عن البيان: «أدقوا»، وفي البيان: «أطالوا». وانظر ما كتب البغدادي عن الشعر في الخزانة.

[وقال كثير :

يَجْرُرُ سِرْبَالاً عَلَيْهِ كَأَنَّهُ سَبِيُّ هَلَالٍ لَمْ تَفْتَقِ شِرَانِقَهُ⁽¹⁾]

وقال الجعدي :

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ بِلَادُهُمْ بِأَرْضِ الْخَيْزُرَانِ

يريد أرض الخصب والأغصان اللَّيْتَةِ⁽²⁾ . وقال الشاعر⁽³⁾ :

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهَا عَبِقٌ بَكْفٍ أَرْوَعٌ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ⁽⁴⁾

لأن المَلِكَ لَا يَخْتَصِرُ⁽⁵⁾ إِلَّا بِعُودٍ لَدُنِ نَاعِمٍ . وقال آخر :

تَجَاوَبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْزُرَانَةٍ يَكَادُ يَدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لِينُهَا⁽⁶⁾

وقال آخر⁽⁷⁾ :

نَبْتُمْ نَبَاتِ الْخَيْزُرَانِيِّ فِي الشَّرَى حَدِيثًا، مَتَى مَا يَأْتِكَ الْخَيْرُ يَنْفَعُ⁽⁸⁾

وقال المسيَّب بن علس⁽⁹⁾ :

(1) السبي : جلد الحية تسلخه . والهلال : الحية . والشرانق : ما تسلخه . وانظر ما سيأتي في (4 : 99) .
(2) في اللسان : «ذلك أنه كان بالبادية وقومه الذين نصره بالآرياف والحواضر . وقيل : أراد أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم» .

(3) ط ، ش : «وقال أصحح الشاعر» وانظر ما أسلفت من التحقيق في ص 76 .

(4) كذا في ط ، ش . وفي ل : «ريحه عبق» . وانظر الاستدراكات .

(5) الاختصار : أخذ المخرصة ، بالكسر ، وهي ما يتوكأ عليه الخطيب ويشير به من عصا ونحوها . ل : «يتخصر» وهي صحيحة أيضاً . جاء في الحديث : «إذا أسلموا فاسألهم قضبهم الثلاثة التي إذا تخلصوا بها سجد لهم» .

(6) انظر حواشي البيان (3 : 62) .

(7) هو النجاشي الشاعر ، كما في خزنة الأدب (4 : 564 بولاق) والعقد (4 : 12) .

(8) ط ، والعقد : «بتم ثبات» ط ، ل : «بتم ثبات» تحريف ما أثبت من ش والخزنة وكتاب سيبويه (2 : 152) والخيزراني : لغة في الخيزران ، وهو الطري الناعم من النبات . حديثاً : أي نباتاً حديثاً . يقول : لستم ذوي حسب قديم ، يهجوهم بذلك . والنجاشي صاحب الشعر قحطاني من بني الحارث بن كعب المذحجي يهجو بهذا الشعر بني صعصة بن معاوية العدنانيين . وقيل البيت :

يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبِلْغَنَ بَنِي عَامِرٍ مَنِي وَأَبْنَاءَ صَمْعَعٍ

«ينفع» هي في ط : «ينفعا» . وهي رواية سيبويه استشهد بها على إلحاق نون التوكيد الخفيفة بينفع مع أنها جواب شرط ، وليس ذلك من مواضع دخولها .

(9) ش : «وقال آخر» ، ل : «وقال الآخر» .

قِصَارُ الْهَمِّ إِلَّا فِي صَدِيقٍ كَأَنَّ وَطَابَهُمْ مُوشَى الضُّبَابِ⁽¹⁾

(عَيْنُ الرِّضَا وَعَيْنُ السُّخْطِ)

وقال المسيب بن علس :

تَامَتْ فُؤَادُكَ إِذْ عَرَضْتَ لَهَا حَسَنٌ بِرَأْيِ الْعَيْنِ مَا تَمِيقُ⁽²⁾

وقال ابن أبي ربيعة :

حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدَّ⁽³⁾

وقال عبد الله بن معاوية⁽⁴⁾ :

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

وقال رَوْحُ أَبُو هَمَّامٍ⁽⁵⁾ :

وَعَيْنُ السُّخْطِ تَبْصِرُ كُلَّ عَيْبٍ وَعَيْنُ أَخِي الرِّضَا عَنْ ذَاكَ تَعْمَى⁽⁶⁾

(1) ط، ش: «فصار» ل «قصاد» يقول: ليس لهم هم إلا في رعاية صديقهم وإكرامه. والوطاب: سقاء اللبن. والضباب، بالكسر: جمع ضب. الموشى: الذي استخرج من جحره برفق. ط، ل: «موتى»، والأشبه ما أثبت من ش.

(2) تامت الفؤاد: استعبدته. ط، ش: «قادت». ومق يمق: أحب.

(3) صدر هذا البيت كما في الديوان 76:

فتضاحكن وقد قلن لها

(4) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولد في خلافة معاوية، ومعاوية هو الذي سماه. وقد خرج عبد الله في أيام يزيد بن الوليد، وقصد إلى خراسان وكان قد ظهر بها أبو مسلم فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده ثم قتله. وكان شاعرًا مجيدًا، أكثر البحتري من الاختيار له في حماسه. والبيت الآتي من أبيات قالها في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس، وكان الحسين وعبد الله يتهمان بالزندقة، فقال الناس: إنما تصافيا على ذلك، ثم دخل بينهما ما تهاجرا من أجله. انظر الأغاني (72: 11) وثمار القلوب 261 وشرح العيون (2: 113).

(5) اسمه روح بن عبد الأعلى، وكنيته أبو همام، ذكره ابن النديم في الفهرست 164 ليبسك 234 مصر. وديوانه خمسون ورقة. ط، ش: «بن همام» وهو على الصواب في ل. وانظر تزيين الأسواق ص 14.

(6) ل: «تظهر كل عيب».

(شعر وخبر)

وقال الفرزدق:

أَلَا خَبَرُونِي أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا سَأَلْتُ وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْعِلْمِ يَعْلَمُ⁽¹⁾
سؤالَ امرئٍ لم يُغْفَلِ العلمَ صدرُهُ وما السائلُ الواعي الأحاديثَ كالعمي⁽²⁾
وقيل لِدَغْفَلٍ⁽³⁾: أأتى لك هذا العلم؟ قال: لسانٌ سئولٌ، وقلبٌ عقول⁽⁴⁾.
وقال النابغة:

فأَبَ مُضِلُّوهُ بَعِينَ جَلِيَّةً وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ⁽⁵⁾
مُضِلُّوهُ: دافنوه، على حدِّ قوله تعالى⁽⁶⁾: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السجدة: 10].
وقال المخبل:

أَضَلَّتْ بَنُو قَيْسٍ بِنِ سَعْدٍ عَمِيدَهَا وَفَارَسَهَا فِي الدَّهْرِ قَيْسَ بَنِ عَاصِمٍ
وقال زهيرٌ - أو غيره - في سنانِ بنِ أبي حارثة:
إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا مَا تَبْتَغِي غُطْفَانَ يَوْمَ أَضَلَّتْ
ولذلك زعم [بعضُ النَّاسِ] أَنَّ سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ خَرَفَ فَذَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ،
فلم يُوجَد.

(1) ط، ش: «ومن يسأل من الناس يعلم»، وأثبت رواية ل والديوان 759، وصدده في الديوان: ألا يا خبروني.
(2) ط، ش: «لم يعقل»، تحريف ما أثبت من ل والديوان. وفي الديوان: «وما العالم الواعي». والسؤال
الذي عناه الفرزدق في بيت بعد هذا. وهو:

أَلَا هَلْ عَلِمْتُمْ مَيِّتًا قَبْلَ غَالِبٍ قَرَى مَائَةَ ضَيْفًا وَلَمْ يَتَكَلَّمْ
غالب: أبو الفرزدق. مائة ضيفًا: أي مائة ضيف.

(3) هو دغفل بن حنظلة النسابة الذي سبق ذكره في ص 117، أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئًا، ووفد
على معاوية فسأله عن مسائل فأجابها، وكان منها هذا السؤال. انظر أمثال الميداني (2: 273) ط،
ش: «لرجل». على أن الجاحظ في البيان (1: 84) قد نسب القول إلى عبد الله بن عباس، وعقب
على ذلك بقوله: «وقد رويوا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة. وعبد الله أولى به». قلت:
ونسبته إلى دغفل مذكورة في عيون الأخبار (2: 118).

(4) سئول: كثير السؤال. عقول، شديد الفهم أو الحفظ.
(5) بعين جلية: أي بخبر صادق وأنه مات. والجولان: موضع بالشام دفن فيه النعمان بن الحارث بن أبي
شمر الغساني. غودر الحزم والنائل: أي دفن بدفن النعمان الحزم والعتاء.
(6) ل: «على قوله».

(من هام على وجهه فلم يوجد)

ويزعمون أنَّ ثلاثة نفرٍ هائموا على وجوههم فلم يُوجدوا: طالب بن أبي طالب، وسان بن أبي حارثة^(١)، ومرداس بن أبي عامر. وقال جرير:

وإنني لأستحيي أخي أن أرى له علي من الفضل الذي لا يرى ليا
وقال امرؤ القيس:

وهل يعمن إلا خلي منعم قليل الهموم ما يبيت بأوجال^(٢)
وقال الأصمعي. هو كقولهم: «استراح من لا عقل له!». وقال ابن أبي ربيعة^(٣):

وأعجبها من عيشها ظل غرفة وريان ملئت الحقائق أخضر
ووال كفاه كل شيء يهملها فليست لشيء آخر الليل تسهر^(٤)

باب في مديح الصالحين والفقهاء

قال ابن الخياط^(٥)، يمدح مالك بن أنس:
يأبى الجواب فما يرجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
هدى التقى وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان^(٦)

(١) انظر الحيوان (٦: 209) والأغاني (٩: 144).

(٢) ل: «وهل ينعمن». والأوجال: المخاوف.

(٣) انظر البيان (٣: 318).

(٤) ط، ش: «الدهر»، صوابه من ل والديوان والخزانة (٢: 421 بولاق).

(٥) اسمه عبد الله بن سالم المكي، كما في زهر الآداب (١: 69). ط، ش: «أنس بن الخياط»، وفي الكامل 409 ليبسك: «ابن الخياط المدني». فلعله مكي مدني. والبيتان يرويان أيضاً لعبد الله بن المبارك، في العقد (١: 268) وزهر الآداب في رواية. وانظر عيون الأخبار (١: 294).

(٦) قال المبرد: «أراد: له هدى التقى». وفي محاسن البيهقي (٣: 121): «هذا التقى». وانظر للبيت السابق الاستدراكات.

وقال ابن الخياط في بعضهم :

فَتَى لَمْ يَجَالِسْ مَالِكًا مِنْذُ أَنْ نَشَأَ وَلَمْ يَقْتَبِسْ مِنْ عِلْمِهِ فَهُوَ جَاهِلٌ
وقال آخر :

فَأَنْتَ بِاللَّيْلِ ذَنْبٌ لَا حَرِيمَ لَهُ وَبِالنَّهَارِ عَلَى سَمْتِ ابْنِ سِيرِينَ⁽¹⁾

وقال الخليل بن أحمد وذكروا⁽²⁾ عنده الحظّ والجِدّ، فقال: أمّا الجِدّ فلا أقول فيه شيئاً، وأمّا الحظّ فأخزى الله الحظّ؛ فإنّه يبلّد الطالب إذا اتكل عليه ويبعد⁽³⁾ المطلوب إليه من مذمّة الطالب. وقال ابن شبرمة⁽⁴⁾:

لَوْ شِئْتُ كُنْتُ كَكَرَزٍ فِي تَعْبُدِهِ أَوْ كَابِنِ طَارِقٍ حَوْلَ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ
قَدْ حَالَ دُونَ لَذِيذِ الْعَيْشِ خَوْفُهُمَا وَسَارِعَا فِي طَلَابِ الْعِزِّ وَالْكَرَمِ⁽⁵⁾
وقال آخر⁽⁶⁾ يرثي الأصمعي:

لَا دَرَّ دَرٌّ خُطُوبِ الدَّهْرِ إِذْ فَجَعَتْ⁽⁷⁾ بِالْأَصْمَعِيِّ لَقَدْ أَبَقْتُ لَنَا أَسْفَا
عِشَ مَا بَدَا لَكَ فِي الدُّنْيَا فَلَسْتَ تَرَى فِي الدَّهْرِ مِنْهُ وَلَا مِنْ عِلْمِهِ خَلْفَا
وقال الحسن بن هانئ، في مريثة خلف الأحمر:

لَوْ كَانَ حَيًّا وَائِلًا مِنَ التَّلَفِ لَوَأَلْتُ شَعْوَاءَ فِي أَعْلَى الشَّعْفِ⁽⁸⁾

(1) السمت: الطريق وهيئة أهل الخير. وأراد أن يقول: «على ورع ابن سيرين». فلم يستقم له. هذا ما رأى الثعالبي في ثمار القلوب 70، وانظر البيان (3: 173).

(2) ش: «وذكر». ط: «وكان»، وهذه تحريف عجيب.

(3) ط، ش: «ويبعد».

(4) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان القاضي، كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة وكان شاعراً، حسن الخلق، جواداً، ولد سنة 72 وتوفي سنة 144، تهذيب التهذيب.

(5) ل: «في طلاب الفوز».

(6) هو أبو العالية الحسن بن مالك الشامي، كما في وفيات الأعيان (1: 290). وتاريخ بغداد 5576.

(7) ط: «إذا فجعت»، تحريف.

(8) ط: «لو كان حبي» صوابه في ل، ش. وألت: نجت. ط، ش: «لواءلت»، وهي صحيحة بمعنى الأولى. والشعواء: العقاب، سميت بذلك لتعقف منقارها. ط، ش: «شعواء»، صوابها في ل. والشعف: جمع شعفة بالتحريك، وهي رأس الجبل. ط: «في ذرى الشعف».

أُمُ فُرَيْخٍ أَحْرَزْتُهُ فِي لَجْفٍ ⁽¹⁾
 هَاتِيكَ أُمُ عَصْمَاءَ فِي أَعْلَى الشَّرَفِ ⁽³⁾
 أَوْدِي جِمَاعُ الْعِلْمِ مِذْ أَوْدَى خَلْفَ
 وَقَالَ يَرِثِيهِ فِي كَلِمَةٍ [لَهُ] ⁽⁶⁾ :

بَتُّ أَعْرَئِي الْفَوَادَ عَنْ خَلْفِ
 أَنْسَى الرِّزَايَا مَيِّتٌ فَجَعْتُ بِهِ
 كَانَ يَسْنِي بِرَفْقِهِ غَلَقُ الْـ
 يَجُوبُ عَنْكَ الَّتِي عَشَيْتَ لَهَا
 لَا يَهْمُ الْحَاءُ فِي الْقِرَاءَةِ بِالْخَا
 وَلَا مِضْلًا سُبُلَ الْكَلَامِ وَلَا

- (1) يقول: لها فرخ حفظته في صخرة مشرفة على غار. كلمة «في» ساقطة من ل.
- (2) الألفاد: جمع لغد، وهو هنا ظاهر لحم الحلق. ط: «الأكفاو» ل، ش: «الألفاد»، وصوابه ما أثبت موافقاً لما في ديوان أبي نواس 132.
- (3) العصماء من الوعول: ما في ذراعيها أو إحداها بياض وسائرهما أسود أو أحمر. والشرف: المكان المرتفع.
- (4) الطبايق، كرماني: شجر ينبت في جبال مكة. والنز: نبت. ش: «والمنزع» ل: «والندع» محرفتان. والألف: الملفت. ل: «الأقف» تحريف.
- (5) القليذم: البئر الغزيرة الكثيرة الماء. ط: «قلندم» س: «فلتدم» صوابه في ل والديوان. والعيالم: جمع عيلم، وهي البئر الواسعة الكثيرة الماء عنى أنه غزير العلم. وفي الديوان ومحاضرات الراغب (1: 49، 2: 236): «العيالم». والخسف: جمع خسيقة، وهي البئر حفرت في حجارة، فنبتت بماء غزير لا ينقطع.
- (6) رثاه بها قبل موته، وكان خلف أستاذه، فعرضها عليه فاستجودها، وأنشدها أبا عبيدة فقال: ما أحسنها! وطوبى لمن يرثي بمثلها! فقال: مت راشداً وعليّ أن أرثيك بخير منها.
- (7) وكف الدمع: قطر. ط، ش: «أن لا يغض»، صوابه في ل والديوان.
- (8) الجدف: الجدث، وهو القبر. ل: «رهن التراب».
- (9) يسنى: يفتح. والغلق: ما يغلق به الباب. ط: «كما ينسى برفقه خلق» كما البيت محرف بالديوان.
- (10) يجوب: من جاب الرجل المفازة: قطعها. عشي: لم يبصر. ل والديوان: «من قبل» موضع «حيران».
- (11) كذا، في ط، ش، والديوان، وأخبار أبي نواس 27: «يهم» من الوهم، وفي ل: «يهمر».
- (12) كانوا يقولون: «لا تأخذوا العلم من صحفي». ط، ش: «على الصحف». ورواية الديوان وأخبار أبي نواس:

ولا يعمى معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف.

وكان مَمَّنْ مَضَى لَنَا خَلْفًا فليسَ إِذْ مَاتَ عَنْهُ مِنْ خَلْفِ⁽¹⁾
وقال آخر في ابن شبرمة⁽²⁾ :

إِذَا سَأَلْتَ النَّاسَ أَيْنَ الْمَكْرَمِ والعزُّ والجُرْثُومَةُ الْمُقَدَّمَةُ⁽³⁾
وَأَيْنَ فَارُوقُ الْأُمُورِ الْمُحْكَمِ⁽⁴⁾ تتابع النَّاسُ عَلَى ابْنِ شُبْرَمَةَ

(شعر مختار)

وقال ابن عرفة :

لِيَهْنِكَ بُغْضُ لِلصَّدِيقِ وَظَنَّةُ وتحديثك الشَّيْءِ الَّذِي أَنْتَ كَاذِبُهُ⁽⁵⁾
[وَأَنْتَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ بَلَاكَ، وَمِثْلُ الشَّرِّ يَكْرَهُ جَانِبُهُ]
وَأِنَّكَ مَهْدَاءُ الْخَنَا نَظْفُ النَّشَا شديد السَّبَابِ رَافِعُ الصَّوْتِ غَالِبُهُ⁽⁶⁾

وقال التَّابِغَةُ الْجَعْدِيّ :

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَنْىَ امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتَ لَمْ أَزْتَبِ
وليس يريد أَنَّهُ فِي حَالِ تَبَيُّنِهِ⁽⁷⁾ غَيْرُ مُرْتَابٍ، وَإِنَّمَا يَعْنِي أَنَّ بِصِيرَتَهُ لَا
تَتَغَيَّرُ .

وقال ابنُ الْجَهْمِ، ذات يوم: أَنَا لَا أَشْكُ⁽⁸⁾ ! قال له المكيُّ: وَأَنَا لَا أَكَادُ
أَوْقِن !

وقال طَرْفَةُ :

(1) ط، ش: «وكان فيما مضى لنا خلف»، وصوابه في ل والديوان والأخبار .

(2) سبقت ترجمته في التنبيه الرابع من 267 .

(3) الجرثومة: الأصل .

(4) الفاروق: الذي يفرق ويفصل .

(5) ل: «ليهنك بعض في الصديق» . وانظر القول الشعر وشرحه ص 58-59 .

(6) ط، ش: «وأنت مهدي الخنا نطف الحشا»، تحريف صوابه في ل . وانظر 59 .

(7) ط، ش: «بيانه» تحريف ما في ل .

(8) ل: «أنا أكاد أشك» .

- وكَرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَنَّبًا كَسِيدَ الْغَضَى فِي الطَّخِيَةِ الْمَتَوَرِّدِ⁽¹⁾
وتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجَنِ وَالدَّجْنِ مَعْجَبٍ بَبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الْخِبَاءِ الْمَمْدَدِ⁽²⁾
أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ عَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ الْمُفْسِدِ
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لِكَالطَّوْلِ الْمُرْخَى وَثْنِيَاهُ بِالْيَدِ⁽³⁾
أَرَى الْمَوْتَ أَعْدَادَ النَّفُوسِ وَلَا أَرَى بَعِيدًا غَدًا، مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ غَدٍ
وظَلَمَ ذَوِي الْقَرْبَى أَشَدَّ مِضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحَسَامِ الْمَهْنَدِ⁽⁴⁾
وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي عَنِ الظُّلَمِ زَاجِرٌ إِذَا خَطَرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ بِمَشْهَدِ⁽⁵⁾

باب

القول في الجعلان والخنافس⁽⁶⁾

وسنقول في هذه⁽⁷⁾ المحقرات من حشرات الأرض، وفي المذكور من بغاث الطَّيْرِ وخشاشه، مِمَّا يِقْتَاتُ الْعَذْرَةَ وَيُوصَفُ بِاللُّؤْمِ⁽⁸⁾. وَيُتَقَرَّرُ مِنْ لَمْسِهِ⁽⁹⁾، وَأَكْلِ لَحْمِهِ؛ كَالْخَنْفَسَاءِ وَالْجُعَلِ، وَالْهَدَاهِدِ⁽¹⁰⁾ وَالرَّخْمِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَجْنَاسَ أَطْلُبُ لِلْعَذْرَةِ مِنَ الْخَنَازِيرِ. فَأَوَّلُ مَا نَذْكُرُ مِنْ أَعَاجِيبِهَا صِدَاقَةُ مَا بَيْنَ الْخَنْفَاسِ وَالْعَقَارِبِ، وَصِدَاقَةُ مَا بَيْنَ الْحَيَّاتِ وَالْوَزَغِ. وَتَزْعُمُ⁽¹¹⁾ الْأَعْرَابُ أَنَّ بَيْنَ ذِكُورَةِ الْخَنْفَاسِ وَإِنَاثِ

(1) المضاف: الذي أضافته الهموم. والمحنب: فرس محدودب الذراع قليلاً. ش: «مجنبا» تحريف. والسيد: الذئب. والغضي: شجر. والطخية: الظلمة. والمتورد: الذي يطلب أن يرد الماء. ل: «كسيد الغضا نهته».

(2) البهكنة: المرأة التامة الخلق. ط، ش: «بكهنة»، محرف. ل: «الخباء المعمد» أي ذي العمدة.

(3) الطول: الحبل. وثنياء: طرفاه. ش: «لكالطول المرجي» تحريف.

(4) قيل إن هذا البيت لعدي بن زيد وليس لطرفة. التبريزي.

(5) لم يروه التبريزي ولا الزوزني. ووجدته في محاضرات الراغب (1: 133). وحماسة البحتري 154 منسوباً إلى عدي بن زيد العبادي. ط، ش: «على الظلم». خطرت: تحركت واهتزت. ط، ش: «حضرت» وليس بشيء. والمشهد: محضر الناس.

(6) ل: «القول في المحقرات من حشرات الأرض».

(7) ط، ش: «باب».

(8) ط: «يقتات» و«يوصف».

(9) ط، ش: «يتقدر بلمسه».

(10) الهداهد بالفتح: جمع هدهد. وبالضم: لغة في الهدهد. ل: «الهدهد».

(11) ط، ش: «وزعم».

الجعلان تسافداً^(١) وأنهما ينتجان خلقاً ينزع إليهما جميعاً. وأنشد خُشْنَامُ^(٢) الأعور [النحوي] عن سيبويه النحوي، عن بعض الأعراب في هجائه عدواً له كان شديد السواد:

عاديَتنا يا خُنُفساً كَما جَعَلَ^(٣) عداوة الأوعالِ حيَّاتِ الجَبَلِ
من كلِّ عَوْدٍ مُرْهِفِ النَّابِ عُتِلَ^(٤) يَحْرِقُ إنَّ مَسَّ وإنَّ شَمَّ قَتَلَ^(٥)

ويُثبت أكلَ الأوعالِ للحيَّاتِ الشَّعْرُ المشهور، الذي في أيدي أصحابنا، وهو:

عَلَّ زَيْداً أن يُلاقِي مَرَّةً في التماسِ بعضَ حيَّاتِ الجَبَلِ^(٦)
غايِرَ العَيْنينِ مَقْطُوحِ القفا ليس من حيَّاتِ حُجَرٍ والقِللِ^(٧)
يَتَوَارَى في صُدُوعِ مَرَّةً رَبْذُ الحَظْفَةِ كالقِدَحِ المُوَلِّ^(٨)
وتَرى السَّمَّ على أَشْداقِهِ كَشعاعِ الشَّمْسِ لاحت في طَفَلٍ^(٩)
طرد الأروى فما تَقَرَّبُهُ ونفى الحيَّاتِ عن بيضِ الحَجَلِ

وإنَّما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبال من أصناف الوحش، لأنَّ الأروى من بينها تأكلُ الحيَّاتِ؛ للعداوة التي بينها وبين الحيَّاتِ.

(١) ط، ش: «وذكورة الجعلان تسافداً»، وصوابه في ل.

(٢) ط، ش: «حسام».

(٣) كامها: سفدها. ط، ش: «أم الجعل» محرف.

(٤) العود، بالفتح، أصله المسن من الجمال. والعتل: الشديد. وعنَى به الحية.

(٥) مثله قول يحيى بن أبي حفصة في الحية - والحية تذكر وتؤنث فتقول: هي الحية، وهو الحية -:

أَصم ما شَمَّ من خضرَاء أَيْبَسها أو مس من حجر أو هاه فانصدعا
وانظر الحيوان (٢: 79-80). ل: «يحرق» بالحاء.

(٦) ط، ش: «في التماسي»، صوابه في ل.

(٧) مقطوح: عريض. ط، ش: «مقطوع» تحريف. ل: «والغلل».

(٨) الربذ: السريع. ل: «وترى» ط، ش: «وبذي»، والوجه فيهما ما أثبت. والقدح أراد به السهم. والمؤل: أصله المؤلل، وهو المحدد.

(٩) ط: «وترى السهم»، صوابه في ل، ش، والطفل، بالتحريك: الغروب.

(استطراد لغوي)

والأُرْوَى: إناث الأوعال، وأحدثها أُرْوِيَّة. والناسُ يُسمُّون بناتهم باسم الجماعة، ولا يسمُّون البنت الواحدة باسم الواحدة منها: لا يسمُّون بأُرْوِيَّة، ويسمُّون بأُرْوَى، وقال شَمَّاح بن ضِرَّار:

فما أُرْوَى وإن كَرُمْتُ علينا بأدنى من مُوقِفَةٍ حَرُون⁽¹⁾

وأنشد⁽²⁾ أبو زَيْدٍ في جماعة الأُرْوِيَّة:

فما لك من أُرْوَى، تعاديت بالعمى ولاقيت كلاباً مُطِلاً ورَامِياً⁽³⁾

يقال: تعادى القومُ وتفاقدوا: إذا مات بعضهم على إثر بعض.

وقالت في ذلك ضُبَاعَةُ بنت قُرْط⁽⁴⁾، في مَرثِيَةِ زوجها هشام بن المغيرة:

إنَّ أبا عَثْمَانَ لم أنسَه وإنَّ صمتاً عن بُكَاةٍ لِحُوبِ⁽⁵⁾

تفاقدوا من معشرٍ ما لهم أيَّ ذُنُوبٍ صَوَّبُوا في القلبِ⁽⁶⁾

(1) الموقفة: الأروية التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل. والوقف: الخلخال. والحرون: التي لا تبرح أعلى الجبل. يقول: ليست هذه المرأة بأقرب منالاً من هذه الأروية الصعبة المنال.

(2) ط، ش: «وقال»، وصوابه في ل.

(3) ل: «تداعيت» تحريف يخالف السياق. والبيت في اللسان (عدا). والكلاب: الصائد بالكلاب. والمطل: من قولهم أطل فلان على فلان بالأذى، إذا دام على إيذائه. ش: «مظلاً».

(4) هي ضُبَاعَةُ بنت عامر بن قرط، كان تزوجها عبد الله بن جدعان في الجاهلية، ثم طلقها وتزوجها هشام بن المغيرة، فلما مات أسلمت وهاجرت، وخطبها الرسول ﷺ ثم بدا له فتركها. انظر الإصابة 670 قسم النساء.

(5) ط: «صمتي»، وأثبت ما في ل، ش والعمدة (1: 188). والحبوب، بالضم: الإثم. وفي الكتاب: ﴿إِنَّكَ كَانَتْ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2]، ل: «لحبوب» تحريف.

(6) الذنوب، بالفتح: الدلو العظيمة، والقلب: البئر. إن أطلق الروي بالتحريك كان في الشعر إقواء، وإن قيد بالإسكان امتنع الإقواء.

(طلب الحيات البيض)

وأما قوله :

وَنَفَى الْحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَبَلِ

فإنَّ الحيات تطلبُ بَيْضَ كُلِّ طَائِرٍ وَفِرَاحِهِ . وَبَيْضُ كُلِّ طَائِرٍ مِمَّا يَبْيِضُ عَلَى الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيْهَا . فَمَا ⁽¹⁾ أَعْرِفُ لَذَلِكَ عِلَّةً إِلَّا سَهُولَةَ الْمَطْلَبِ . وَالْأَيَّامُ تَأْكُلُ الْحَيَّاتُ ، وَالْخَنَازِيرُ تَأْكُلُ الْحَيَّاتِ وَتَعَادِيهَا .

(عداوة الحمام للغراب)

وزعم صاحب المنطق أنَّ بَيْنَ الْحَمَامِ وَالْغُرَابِ عداوة . وَأَنشَدَنِي بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ ⁽²⁾ :

عَادَيْتَنَا لَا زِلْتَ فِي تَبَابٍ عَدَاوَةُ الْحَمَامِ لِلْغُرَابِ

وَأَنشَدَ ابْنُ أَبِي كَرِيمَةَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي صَرِيحِ الْغَوَانِي :

فَمَا رِيحُ السَّدَابِ أَشَدُّ بُغْضًا إِلَى الْحَيَّاتِ مِنْكَ إِلَى الْغَوَانِي ⁽³⁾

(أمثال)

ويقال : « أَلَجُ مِنَ الْخَنْفَسَاءِ » ، و« أَفَحَشُ مِنْ فَاسِيَةٍ » ، وَهِيَ الْخَنْفَسَاءُ وَ« أَفَحَشُ مِنْ فَالِيَةِ الْأَفَاعِي » ⁽⁴⁾ . وَالْفَسَاءُ يُوصَفُ بِهِ ضَرْبَانِ مِنَ الْخَلْقِ : الْخَنْفَسَاءُ ، وَالظَّرِبَانِ . وَفِي لُجَاةِ الْخَنْفَسَاءِ يَقُولُ خَلْفُ الْأَحْمَرِ ⁽⁵⁾ :

لَنَا صَاحِبٌ مُوَلَّعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَايَا قَلِيلُ الصَّوَابِ ⁽⁶⁾

أَلَجُ لُجَاةً مِنَ الْخَنْفَسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَا مَشَى مِنْ غُرَابٍ ⁽⁷⁾

(1) ل : « ولا » .

(2) كذا في ل . وفي ط ، ش : « وأنشد في » . وانظر ما سبق في ص 245 .

(3) ط ، ش : « منه إلى الغواني » ، وأثبت ما في ل . وانظر ص 245 .

(4) فالية الأفاعي : ضرب من الخنافس رقط تألف الحيات والعقارب في جحرة الضب .

(5) يهجو العتبي ، كما في الدميري ، وللعنبي ترجمة في (1: 66) . وفي معجم الأدباء (16: 161) أنهما في هجاء أبي العيناء . وبعدهما هناك بيتان آخران .

(6) الخطاء : الخطأ .

(7) أعاد إنشاده في (6: 302) .

(طول دَماء الخنفساء)

وقال الرقاشي: ذكرت صبر الخنزير على نفوذ السهام في جنبه⁽¹⁾، فقال لي أعرابي: الخنفساء أصبر منه، ولقد رأيت صبيّاً من صبيانكم البارحة وأخذَ شوكة وجعل في رأسها فتيلةً، ثم أوقد فيها ناراً⁽²⁾، ثم غرزها في ظهر الخنفساء، حتّى أنفذ⁽³⁾ الشوكة، فغبرنا ليلتنا⁽⁴⁾ وإنّها لتجول في الدار وتُصبح⁽⁵⁾ لنا. و[لله] إنّي لأظنها كانت مُقرباً⁽⁶⁾؛ لانتفاخ بطنها.

(استطراد لغوي)

قال: وقال القناني⁽⁷⁾: العواساء: الحامل من الخنافس، وأنشد:
بَكَرًا عَوَاسَاءَ تَفَاسًا مُقْرَبًا⁽⁸⁾

-
- (1) ل: «جنبه».
- (2) ط، ش: «أوقدها ناراً».
- (3) ش: «أبعد».
- (4) غبر: مكث. ط، ش: «فعبنا»، ووجهه من ل.
- (5) تصبح: تضيء. وانظر ما سيأتي في ص 277.
- (6) المقرب: الحامل التي دنا ولادها.
- (7) القناني هذا هو أستاذ الفراء، كما في معجم البلدان (فنان). وله ذكر في اللسان (نبل 163)، وهو بفتح القاف بعدها نون مفتوحة. ط، ش: «العتابي» وهو كلثوم بن عمرو العتابي المترجم في (2: 167)، وصوابه ما أثبت من ل؛ لمطابقته لما في المخصص (2: 18) والمقصود 78 والغريب المصنف 157، 244 ففي كل منها: «وأنشد القناني».
- (8) العواساء، بالفتح: الحامل من الخنافس. تفاساً: أصلها تنفاساً، أي تخرج ظهرها. وروى: «تفاسى» أصلها تنفاسى، كما في اللسان (عوس، فسى) والمقصود لابن ولاد، أي تخرج منها، وروى: «تبازي» أصلها تتبازي، كما في المخصص، أي تخرج عجيزتها. ط: «قعاساً» ش: «نفاساً»، صوابهما في ل.

(أعاجيب الجعل)

قال: ومن أعاجيب الجعل^(١) أنه يموت من ريح الورد، ويعيش إذا أعيد إلى الروث. ويضرب بشدة سواد لونه المثل. قال الرأجز وهو يصف أسود سالخاً^(٢):

مُهِرَّتِ الْأَشْدَاقُ عَوْدَ قَدْ كَمَلْ^(٣) كَأَنَّمَا قُمَصٌ مِنْ لِيَطِ جُعَلٌ^(٤)

والجعل يظل دهرًا لا جناح له، ثم ينبت له جناحان، كالنمل الذي يغبر دهرًا لا جناح له، ثم ينبت له جناحان، وذلك عند هلكته^(٥).

(الدعاميص)

والدعاميص^(٦) قد تغبر حينًا بلا أجنحة، ثم تصير فراشًا وبَعوضًا. وليس كذلك الجراد والذبّان؛ لأنّ أجنحتها تنبت على مقدار من العمر ومرور من الأيام^(٧). وزعم ثمامة، عن يحيى بن خالد: أنّ البرغوث^(٨) قد يستحيل بعوضة.

(عادة الجعل)

والجعل يحرس النّيام، فكلما قام منهم قائم فمضى لحاجته تبعه، طمعاً في أنّه إنّما يريد الغائط. وأنشد بعضهم قول الشاعر^(٩):

يبيت في مجلس الأقوام يرَبُّوهم كأنّه شرطيّ بات في حرس^(١٠)

(١) ط، ش: «ومن أول أعاجيب الجعل».

(٢) الأسود: الحية العظيمة. والسالخ: الذي يسليخ جلده، وذلك يكون في كل عام.

(٣) مهترت الأشداق: واسعها. ط، ش: «منهترت الشدقين»، وهي رواية البيان (3: 225).

(٤) قمص: ألبس قميصًا. والليط، بالكسر: قشر الجعل. ط، ش: «قصص» صوابه في ل والبيان.

(٥) ل: «علامة هلكته». و«زمانًا» مكان «دهرًا» المتقدمة. والكلام من «كالنمل» إلى «جناحان» ساقط من ش.

(٦) الدعموص: خلق يكون في الماء ثم يستحيل بعوضًا وفراشًا.

(٧) كلمة «من» ساقطة من ل.

(٨) ل: «أنه زعم أن البرغوث».

(٩) كذا في ل. وفي ط، ش: «وأنشد لبعضهم».

(١٠) يرَبُّوهم: يربّهم، أو يكون لهم ربيّة أي عيّنًا. ط، ش: «في منزل»، وأثبت ما في ل وما سبق في (1: 171).

وأنشد بعضهم⁽¹⁾ لبعض الأعراب في هجائه رجلاً بالفسولة، وبكثرة الأكل،
وبِعَظَم حَجْم النَّجْو:

حَتَّى إِذَا أَضْحَى تَدْرَى وَاکْتَحَلَ⁽²⁾ لَجَارَتِيهِ ثُمَّ وَلَّى فَنَثَلَ⁽³⁾
رَزَقَ الْأَثُوقَيْنِ الْقَرْنَبَى وَالْجُعَلَ⁽⁴⁾

سمى القرنبي والجعل - إذ كانا يقتاتان الزبل - أثوقين⁽⁵⁾. والأنوق:
الرَّخْمَة، وهي [أحد ما] يقتات⁽⁶⁾ العذرة. وقال الأعشى:

يَا رَخْمًا، قَاظَ عَلَى يَنْخُوبِ⁽⁷⁾ يُعْجِلُ كَفَّ الْخَارِي الْمُطِيبِ

المطيب: الذي يستطيب⁽⁸⁾ بالحجارة، أي يَتَمَسَّحُ⁽⁹⁾ بها. وهم يسمُّون
بالأنوق كلَّ شيءٍ يقتات النَّجْو والزَّبل، إلَّا أَنَّ ذَلِكَ عَلَى التَّشْبِيهِ لَهَا بِالرَّخْمِ فِي
هَذَا الْمَعْنَى [وحده]. وقال آخر:

يَا أَيُّهَذَا النَّابِحِي نَبَّحَ الْقَبْلُ⁽¹⁰⁾ يَدْعُو عَلَيَّ كُلَّمَا قَامَ يُصَلُّ
رَافِعَ كَفِّهِ كَمَا يَفْرِي الْجُعَلَ⁽¹¹⁾ وَقَدْ مَلَأْتُ بَطْنَهُ حَتَّى أَتَلَ
غِيظًا فَأَمْسَى ضَعْفُهُ قَدْ اعْتَدَلَ

وَالْقَبْلُ: مَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ مِنَ الْجَبَلِ. وقوله أتَلَ؛ أي امتلأ [عليك] غَيْظًا فَقَصَّرَ

(1) ط، ش: «وأنشدوا».

(2) تدري: سرح شعره. ط: «تلدي»، صوابه في ل، ش. وفي ط: «ثم إذا أضحى». وسبق الرجز في
(170: 1).

(3) نثل: أصله للفرس، يقال نثل: راث. وفي الأصل: «نشل»، وتصحيحه من الجزء الأول.

(4) ل: «روق»، صوابه في ط، ش. وقد سبق في الجزء الأول: «ذرق» وما هنا صوابه.

(5) هذه ساقطة من ل.

(6) كذا في ل. وفي ش: «وهي ما يقتات» ط: «وهي تقتات».

(7) قاظ بالمكان: أقام به صيفًا. وينخوب: موضع، ذكره ياقوت، وأنشد البيت. والرواية المعروفة:

«مطلوب» كما في اللسان (طيب، قاظ) والدميري وأمثال الميداني (250: 2)، وهو اسم جبل. ط،

ش: «منجوب» تحريف ما في ل.

(8) ط، ش: «يتطيب»، صوابه في ل.

(9) ط: «يتطيب»، وليست صحيحة. س: «يمسح»، وأثبت ما في ل.

(10) القبل: الجبل يستقبلك، أي كمن ينبح الجبل. ط، ش: «المانحي نهج». صوابه في ل، واللسان

(قبل) ونوادر أبي زيد 49.

(11) يفري، بالفاء: يصنع ط، ش: «يفري» صوابه في ل والنوادر.

في مشيته . وقال الجعدي :

مَنَعَ الغَدَرَ فلمْ أَهَمَّ به وأُخَوِّ الغَدْرَ إذا هَمَّ فَعَلْ
خَشِيَةُ اللّٰهِ وَأَنْتِي رَجُلٌ إِنَّمَا ذَكَرِي كَنَارَ بَقَبَلٍ⁽¹⁾
وقال الرَّاجِز - وهو يهجو بعضهم بالفُسولة، وبكثرة الأكل، وعِظَم⁽²⁾ حِجْمِ
النَّجْوِ - :

بَاتَ يَعْشَى وَخَدَهُ أَلْفِي جُعَلٍ⁽³⁾

وقال عنتره :

إِذَا لَاقَيْتَ جَمَعَ بَنِي أَبَانَ فَإِنِّي لَأَنْتَمُ لِلْجَعْدِ لَا حِي
كَسَوْتُ الْجَعْدَ جَعْدَ بَنِي أَبَانَ رِدَائِي بَعْدَ عُرِيٍّ وَافْتِضَاحٍ⁽⁴⁾
ثم شَبَّهَ بِالْجُعَلِ فقال :
كَأَنَّ مَوْشَرَ الْعَضْدَيْنِ جَحَلَا هُدُوجًا بَيْنَ أَقْلَبَةٍ مِلَاحٍ⁽⁵⁾
تُضْمَنُ نَعْمَتِي فَعْدَا عَلَيْهَا بُكُورًا أَوْ تَهَجَّرَ فِي الرِّوَاكِ

(1) ل : « نار بقبل »، أراد أنه معروف مشهور .

(2) ش : « وبعظم » .

(3) قبله كما سبق في (1: 171) :

إِذَا أَتَوْهُ بَطْطَمَامَ وَأَكْلَ

(4) الرداء : هنا السيف وكان الرجل إذا قتل رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله . فمن ذلك ما سمي السيف رداءً، وفي ذلك يقول متمم :

لَقَدْ كَفَنَ الْمَنْهَالَ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرِ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ، أُرْوَعَا

والرواية في ديوان عنتره : « سلاحي » . وكان عنتره أعار الجعد سلاحاً فأمسكه الجعد ولم يرده إليه . ط : « بعد عراي وافتضاحي » . وصوابه في ل . ش والديوان 54، والمراد : بعد عري الجعد وافتضاحه .

(5) مؤشر : مرقق . والجحل بتقديم الجيم : العظيم من الجعلان . ط، ش : والديوان، واللسان (أشر) : « حجلًا » صوابه في ل واللسان (جحل، قلب) والمخصص (35: 17) . والهدوج : الذي يمشي رويدًا في ضعف . ط، ش : « عروجا » صوابه ما أثبت من جميع المصادر السابقة . والأقلبة : الآبار، جمع قليب . ملاح : جمع ملح : ذي ملوحة .

وقال الشَّمَاخ :

وإن يُلْقِيَا شَأوًا بِأَرْضِ هَوَى له مُفَرَّضُ أَطْرَافِ الدَّرَاعَيْنِ أَفْلَجُ^(١)

(استطراد لغوي)

والشَّأو هاهنا : الرُّوث ؛ كَأَنَّهُ كَثُرَ [هـ] حَتَّى أَلْحَقَهُ بِالشَّأوِ الذي يخرج من البئر؛ كما يقول أحدهم إذا أراد أن يُنْقِي البئر: أَخْرَجْ مِنْ تِلْكَ البئرِ شَأوًا أو شَأوِينَ، يعني من التراب الذي قد سَقَطَ فيها، وهو شيءٌ كهيئة الزَّبِيلِ^(٢) الصَّغِيرِ. والشَّأو: الطَّلُقُ^(٣). والشَّأو: الفَوْتُ^(٤). والمفَرَّضُ الأفلج^(٥) الذي عنى، هو الجعل؛ لأنَّ الجعلَ في قوائمه تحزيز، وفيها تَفْرِيجُ^(٦).

(معرفة في الجعل)

وللجعل جناحان لا يكادان يُرَيَانِ إِلَّا عِنْدَ الطَّيْرَانِ؛ لَشِدَّةِ^(٧) سَوَادِهِمَا وَشَبَهَهُمَا بجلده، وَلَشِدَّةِ تَمَكُّنِهِمَا فِي ظَهْرِهِ. قال الشاعر، حيثُ عَدَّدَ الحَوْنَةَ، وَحَثَّ الأَمِيرَ^(٨) على محاسبتهم:

وَاشْدُدْ يَدِيكَ بِزَيْدٍ إِنْ ظَفِرَتْ بِهِ وَاشْفِ الأَرَامِلَ مِنْ دُحْرُوجَةِ الجُعْلِ

(١) يلقيًا: من الإلقاء. والضمير عائد إلى غير وأتانه. انظر ديوان الشماخ (12-16). ط، ش: «تلفيًا» صوابه في ل والديوان. والمفروض: المحرز. ش: «معروض» ط: «معرف»، صوابه في ل والديوان واللسان (فرض). والأفلج: البعيد ما بين القوائم. ط، ش: «أفلح» بالحاء، وهو تحريف ما في ل والديوان. والبيت من قصيدة جيمية مطلعها:

أَلَا نَادِيَا أَظْعَانِ لَيْلَى تَعْرِجُ فَقَدْ هَجَنَ شَوْقًا لَيْتَهُ لَمْ يَهِيْجُ

وفي البيت كما ترى إقواء، إذ رويها الجيم المكسورة.

(٢) كذا في ل، ش. وفي ط: «الزنبيل» وهما صحيحتان، يقال زبيل، وزبيل كسكين، وزنبيل وزنبيل بكسر الزاي أو فتحها، وهي القفة أو الجراب.

(٣) الطلق، بالكسر وبالتحريك: الشوط، تقول: عدا طَلَقًا أو طَلَقَتَيْنِ.

(٤) الفوت، بالفتح: سبق. شَاه: سبقه. ط، ش: «الفوت» صوابه في ل.

(٥) ط، ش: «المعرض الأفلح»، صوابه في ل. وانظر أوائل الشرح من هذه الصفحة.

(٦) ط، ش: «تعريج»، تصحيحه من ل.

(٧) ط، ش: «وشدة».

(٨) ط، ش: «الأمين».

والجعل لا يدحرجُ إلّا جعراً⁽¹⁾ يابساً، أو بكرة .

وقال سعد بن طريف⁽²⁾ ، يهجو بلالَ بنَ رباح مولى أبي بكر⁽³⁾ :

وذاك أسودٌ نوبيٌّ له ذفرٌ كأنه جعلٌ يمشي بِقِرَواحٍ⁽⁴⁾

وسنذكر شأنه وشأن بلالٍ في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(أبو الخنافس وأبو العقارب)

وكان بالكوفة رجلٌ من ولد عبد الجبار بن وائل بن حُجر الحضرمي⁽⁵⁾ يكنى أبا الخنافس راضياً بذلك⁽⁶⁾ ، ولم تكن الكنية لقباً ولا نَبْزاً، وكان من الفقهاء، وله هيئة ورؤاء. وسألته⁽⁷⁾ : هل كان في آبائه من يكنى أبا الخنافس؟ فإن أبا العقارب⁽⁸⁾ في آل سلم مولى⁽⁹⁾ بني العباس كثيرٌ على اتباع أثر . وكان أبو الخنافس هذا اكتنى به ابتداءً .

(طول ذمء الخنفساء)

وقال لي [أبو] الفضل العنبري: يقولون: الضَّبُّ⁽¹⁰⁾ أطول شيء ذمء، والخنفساء⁽¹¹⁾ أطول منه ذمء؛ وذلك أنه يُغرَز في ظهرها شوكةٌ ثاقبة⁽¹²⁾ ، وفيها ذبالةٌ تستوفد وتُصْبِحُ⁽¹³⁾

(1) الجعر، بالفتح: النجو. ط، ش: «جعراً» .

(2) سعد بن طريف: صحابي، ترجم له في الإصابة 3163، ل: «سعد بن مطر»، صوابه في ط، ش.

(3) هو بلال بن رباح الحبشي، المؤذن، كان أبو بكر اشتراه إنقاذاً له من عذاب سيده المشرك، ثم أعتقه فلزم الرسول ﷺ وأذن له وشهد معه جميع المشاهد. مات سنة عشرين. ط، ش: «بني بكر»، صوابه في ل.

(4) الذفر، بالتحريك: خبث رائحة الإبط. ط: «زفر» ش: «ظفر» صوابه في ل. والقرواح، بالكسر: الفضاء من الأرض.

(5) عبد الجبار، ذكره ابن حجر في الإصابة في أثناء ترجمته لوالده: (وائل بن حجر بضم الحاء- الحضرمي المتوفي في خلافة معاوية)، ولم يذكره بشيء سوى أنه روى هو وأخوه علقمة عن أبيهما وائل. الإصابة 9101.

(6) ل: «وهو راض بكنيته» .

(7) ل: «وسألته» .

(8) ل: «أبا العقاب»، تحريف.

(9) ش: «موالي» .

(10) ط، ش: «للضب» .

(11) ط، ش: «والخنفس» .

(12) ل: «نافذة» .

(13) تصبح: تنير. وانظر ص 276 .

لأهل الدار، وهي تدبُّ بها وتجول! وربّما كانت في تضاعيف حبل قَتّ، أو في بعض الحشيش والعُشب والخلّا، فتصيرُ في فم الجمل فيبتلعها من غير أن يَضَعَمَ الخنفساء⁽¹⁾، فإذا وصلت إلى جوفه وهي حيّة جالت فيه، فلا تموت حتى تقتله. فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الأوارِي⁽²⁾ والعُلوفاَت؛ خوفاً من الخنافس.

(هجاء جواس لحسان بن بحدل)

وقال جَوَّاس بن القَعَطَل⁽³⁾ في حَسَّان بن بَحْدَل⁽⁴⁾ :

هَلْ يُهْلِكُنِي لَا أَبَالِكُمْ دَنَسُ الثِّيَابِ كَطَابِخِ الْقَدْرِ⁽⁵⁾
جُعَلْ تَمَطَّى فِي عَمَائَتِهِ زَمِرُ الْمَرْوَةِ نَاقِصُ الشُّبْرِ⁽⁶⁾
لِزَبَابَةٍ سَوْدَاءَ حَنْظَلَةٍ وَالْعَاجِزِ التَّدْبِيرِ كَالْوَبْرِ⁽⁷⁾

فأمّا الهجاء والمدح، ومفاخرة السُودان [و]الحمران، فإنّ ذلك كلّه مجموع (في كتاب الهجاء والصُّرَحَاء). و[قد] قدّمنا في صدر هذا الكتاب جملةً في القول في الجعلان وغير ذلك من الأجناس اللثيمة والمستقدرة، في باب النتن والطيب، فكرهنا إعادته في هذا الموضع⁽⁸⁾.

(1) ضغم يَضغم، من باب منع: عض.

(2) الأواري: جمع آري، وهو محبس الدابة. ل: «الأواني» تحريف. وفيها: «يتعهدون» مكان «يتعاورون».

(3) هو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث الكلبي، وله شعر في وقعة مرج راهط سبق بعضه في ص 225، ط، ش: «جواس» ط: «ابن المتعطل» ل، ش: «المقعطل» صوابه ما أثبت من المؤلف 74 والأغاني (112:17) والقاموس في مادتي (جوس، قعطل). وانظر اشتقاق الاسم في شرح التبريزي للحماسة (4:33).

(4) ط: «بجدل» ش: «نجدل» وصوابه في ل. وكان حسان بن بحدل أحد ولادة بني أمية على فلسطين والأردن. ولما جاءت بيعة مروان بن الحكم سنة 64، امتنع عنها وأراد عقدها لخالد بن يزيد بن معاوية. وكان هوى كلب مع مروان بن الحكم.

(5) ل: «لا أبا لأبيكم»، تحريف يفسد الوزن. وانظر (6:237).

(6) العماية، بالفتح: الضلال والجهالة. ل: «عبايته»، زمر المروءة: ضعيفها. والشبر، بالفتح: القد، والعطاء.

(7) الزبابة: ضرب من الفأر، يشبه بها الجاهل، كما في اللسان والدميري. يقول: أمه كأنها زبابة: دويبة على قدر السنور غبراء حسنة العينين شديدة الحياء. وقد جعل أباه كالوبر تحقيراً له، ومنه قول أبان بن سعيد بن العاص: «واعجبا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن!». قدوم ضأن: موضع. ط: «الوبر» وصوابه من ل، ش.

(8) بعد هذا في ط، ش: «والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب».

باب القول في الهدهد

وأما القول في الهدهد، فإنَّ العربَ والأعرابَ كانوا يزعمون أنَّ القنزعةَ التي على رأسه ثوابٌ من الله تعالى على ما كان من برِّه لأُمِّه! لأنَّ أُمَّهُ لما ماتت جعل قبرَها على رأسه، فهذه القنزعة عوضٌ عن تلك الوَهْدَة . والهدهد طائرٌ مُتَنِّ الرِّيحِ والبَدَن، من جوهره وذاته؛ فربَّ شيءٍ يكونُ مُتَنِّاً من نفسه، من غيرِ عَرَضٍ يعرِضُ له ^(١)، كالتيوس والحيَّاتِ وغير ذلك من أجناس الحيوان . فأما الأعراب فيجعلون ذلك التَّنَّ شيئاً خامره بسبب ^(٢) تلك الجيفة التي كانت مدفونة في رأسه . وقد قال في ذلك أُمِّيَّة أو غيرُه ^(٣) من شعرائهم . فأما أُمِّيَّة فهو الذي يقول:

تَعَلَّمَ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَصُنْعِهِ	صَنِيعٌ وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مُلْحِدٌ ^(٤)
وَبِكُلِّ مَنْكَرَةٍ لَهُ مَعْرُوفَةٌ	أُخْرَى عَلَى عَيْنٍ بِمَا يَتَعَمَّدُ ^(٥)
جُدُّهُ وَتَوْشِيمٌ وَرَسْمٌ عَلَامَةٌ	وَخَزَائِنٌ مَفْتُوحَةٌ لَا تَنْفَدُ ^(٦)
عَمَّنْ أَرَادَ بِهَا وَجَابَ عِيَانَهُ	لَا يَسْتَقِيمُ لَخَالِقٍ يَتَزَيَّدُ ^(٧)
غَيْمٌ وَظُلْمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابَةٌ	أَزْمَانٌ كَفَنَ وَاسْتَرَادَ الْهَدَّهْدُ ^(٨)
يَبْغِي الْقَرَارَ لِأُمِّهِ لِيُجَنِّهَا	فَبْنَى عَلَيْهَا فِي قَفَاهُ يُمْهَدُ ^(٩)

(١) ل: «من عرض»، صوابه في ط، ش.

(٢) ط، ش: «لسبب».

(٣) ط، ش: «أو»، والوجه الواو كما في ل.

(٤) ل: «عليه ملحد»، ولعل في البيت تحريفاً، فإنه مخالف لما بعده في الوزن.

(٥) في الديوان: «في كل منكرة»، ل: «بها يتعمد».

(٦) ط، ش: «وتوسيم». س: «لا تقلد»، ل: «لا تقلد» صوابه من ط، والديوان.

(٧) ل: «وحد غيابة». الديوان: «وجاب عنانها».

(٨) ط، ش: «وغيم سحابة». ط: «أن مان»، صوابه في ش، ل ونهاية الأرب (247:10)، ط، ش:

«كفر واستزاد»: ل: «كفن واستزار»، وأثبت ما في نهاية الأرب والديوان. استراد: أصل معاناه الخروج لطلب الكلاء.

(٩) ط، ش: «يبقى»، صوابه في ل والديوان ونهاية الأرب. يجنّها: يضعها في الجنن، بالتحريك، وهو القبر. ط والديوان: «في قفاها» صوابه في ل، ش ونهاية الأرب.

- مَهْدًا وَطِيئًا فَاسْتَقَلَّ بِحَمْلِهِ فِي الطَّيْرِ يَحْمِلُهَا وَلَا يَتَأَوَّدُ⁽¹⁾
 مِنْ أُمِّهِ فَجَزَى بِصَالِحِ حَمْلِهَا وَلَدًا، وَكَلَفَ ظَهْرَهُ مَا تَفْقَدُ⁽²⁾
 فَتَرَاهُ يَدْلُجُ مَا مَشَى بِجَنَازَةٍ فِيهَا وَمَا اخْتَلَفَ الْجَدِيدُ الْمَسْنَدُ⁽³⁾

(معرفة الهدهد بمواضع المياه)

ويزعمون أنَّ الهدهد هو الذي كان يدلُّ سليمان عليه السلام على مواضع المياه في قعور الأرضين⁽⁴⁾ إذا أراد استنباط شيء منها .

(سؤال ومثل في الهدهد)

وِيرُوون أنَّ نَجْدَةَ الْحُرُورِيِّ أَوْ نَافِعَ بْنِ الْأَزْرَقِ قَالَ⁽⁵⁾ لابن عباس: إِنَّكَ تقول إِنَّ الْهَدَّهْدَ إِذَا نَقَرَ الْأَرْضَ عَرَفَ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ، وَالْهَدَّهْدُ لَا يُبْصِرُ الْفَخَّ دُوبِينَ التُّرَابِ، حَتَّى إِذَا نَقَرَ التَّمْرَةَ⁽⁶⁾ انْضَمَّ عَلَيْهِ الْفَخُّ! فَقَالَ⁽⁷⁾ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِذَا جَاءَ الْقَدْرُ عَمِيَ⁽⁸⁾ الْبَصَرُ» .

وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: «إِذَا جَاءَ الْحَيْنُ غَطَّى الْعَيْنَ⁽⁹⁾» .

- (1) يتأود: يتعطف ويتلوى . يقول: هي خفيفة المحل .
 (2) الديوان: «فجرى لصالح حملها» . ط: «لا تعقد»: نهاية الأرب: «ما يعقد» .
 (3) يدلج، بالحاء: يمشي بحمله مثقلًا . ط: «يضبح» أصله من ضبح الخيل . ل، ش ونهاية الأرب: «يدلج» ولا تصح، صوابها من الديوان . المسند: الدهر . والجديد: الدائم الجدة لا يبلي أبدًا . وجاءت مثل هذه العبارة في قول الهذلي:

وقالت: لن ترى أبدًا تليدًا بعينك آخر الدهر الجديد

ومنه الجديدان: الليل والنهار؛ لأنهما لا يبليان أبدًا . ط: «الجديد المنشد» صوابه في جميع المصادر المتقدمة .

- (4) ط، ش: «الماء» . ل: «قعود الأرضين»، وما في ل تحريف .
 (5) ط، ش: «ونافع بن الأزرق قالًا» . ونجدة هو ابن عامر الحروري الحنفي، كان من الخوارج الحرورية، وإليه تنسب الفرقة النجدية . خرج باليمامة سنة 66 في جماعة كبيرة، فأتى البحرين وقاتل أهلها، وقتل شابًا . ولد سنة 36 وتوفي سنة 68، وأما نافع فهو ابن الأزرق الحنفي، أحد الشجعان الأبطال، كان أمير قومه وفقههم . وإليه تنسب فرقة الأزارقة التي اشتبكت مع المهلب بن أبي صفرة في حروب قاسية . قتل يوم دولا ب على مقربة من الأهواز سنة 65 .

(6) في ثمار القلوب 384: «نفر الحبة» .

(7) ط، ش: «فقال لهما» .

(8) كذا في ط، ش وثمار القلوب . ل: «عشى» .

(9) الحين، بالفتح: الهلاك . ط: «إذ جاء» صوابه في ل، ش .

وابن عباسٍ إن كان قال ذلك فإنَّما عنى هُدهدٌ سليمان عليه السلام بعينه؛ فإنَّ القول فيه خلافُ القول في سائر الهداهد. وسنأتي على ذكر هذا الباب من شأنه في موضعه إن شاء الله تعالى⁽¹⁾.

وقد قال الناس في هُدهدٍ سليمان عليه السلام، وغبابٍ نوح عليه السلام، وجمارٍ عُزير عليه السلام، وذئبٍ أهبان بن أوس⁽²⁾، وغير ذلك من هذا الفن، أقاويل⁽³⁾، وسنقول في ذلك بجملةٍ من القول في موضعه [إن شاء الله].

(بيت الهدهد)

وقد قال صاحبُ المنطق وزعمَ في كتاب الحيوان، أنَّ لكلَّ طائرٍ يعيشُ شكلاً يتَّخذُ عشَّه منه، فيختلف ذلك على قدر⁽⁴⁾ اختلاف المواضع وعلى [قدر] اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص. وزعم أنَّ الهدهدَّ من بينها يطلب الزبل، حتَّى إذا وجده نَقَلَ منه، كما تنقل الأرضة من الثراب، ويبني منه بيتاً، كما تبني الأرضة، ويضع جزءاً على جزء⁽⁵⁾، فإذا طال مُكثه في ذلك البيت، وفيه أيضاً ولد، أو في مثله⁽⁶⁾، وتربَّى ريشه وبدنه⁽⁷⁾ بتلك الرائحة، فأخلق به⁽⁸⁾ أيضاً أن يُورث ابنه⁽⁹⁾ النتن الذي علِقَ به، كما أورث جدُّه أباه، وكما أورثه⁽¹⁰⁾ أبوه. قال: ولذلك يكون متيناً. وهذا وجهُ أنَّ كان معلوماً أنَّه لا يتَّخذُ عشَّه إلاَّ من الزبل. فأما ناسٌ كثير،

(1) انظر الحيوان (4: 45-47).

(2) أهبان هذا، هو أحد الصحابة. زعموا أنَّ الذئب كلمه ثم بشره بالرسول. قالوا: كان في غنم له، فعدا الذئب على شاة منها، فصاح فيه أهبان، فأفغى الذئب وقال له: أتنزع مني رزقاً رزقنيه الله!! . وانظر بقية الخبر في ثمار القلوب 309، مات أهبان بن أوس في ولاية المغيرة بن شعبة حيث كان والياً عليها لمعاوية. وذكر ابن الكلبي وأبو عبيد والبلاذري والطبري. أنَّ مكلم الذئب صحابي آخر اسمه أهبان بن الأكوع. الإصابة 305.

(3) ل: «بأقاويل».

(4) ل: «حسب».

(5) كذا في ل. وفي ش: «خرءاً على خرء». ط: «خرء على خرء».

(6) ط، ش: «وفي مثله»، صوابه في ل.

(7) ط، ش: «تربى وبدنه ينمو»، صوابه في ل.

(8) ط، ش: «وأخلق، والوجه ما أثبت من ل. إذ هو جواب «إذا».

(9) ل: «يرث أباه»؛ صوابه في ط، ش.

(10) هذه الجملة ساقطة من ل.

فيزعمون أن رُبَّ بدنٍ يكون طيِّب الرائحة؛ كفأرة المسك التي ربّما كانت في البيوت. ومن ذلك ما يكون مُنْتِنَ البدن⁽¹⁾، كالذي يحكي عن الحيات والأفاعي والثعابين⁽²⁾، ويوجد عليه الثيوس.

(اغتيولس)

وذكر صاحب المنطق أن الطير الكبير، الذي يسمى باليونانية اغتيولس⁽³⁾، يحكم عشه ويتقنه، ويجعله مستديراً مُدَاخِلاً كأنه كَرَّة معمولة⁽⁴⁾. وروى⁽⁵⁾ أنهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدار صيني من موضعه، فيفرش به عشه، ولا يعيش إلا في أعالي الشجر⁽⁶⁾ المرتفعة المواضع.

قال: وربّما عمّد الناس إلى سهام يشدون عليها⁽⁷⁾ رصاصاً، ثم يرمون بها أعشتها، فيسقط عليهم الدار صيني، فيلتقطونه⁽⁸⁾ ويأخذونه.

(من زعم البحريين في الطير)

ويزعم البحريون أن طائرَيْن يكونان ببلاد السفالة⁽⁹⁾، أحدهما يظهر قبل قدوم السفن إليهم، وقبل أن يُمكن البحر من نفسه، لخروجهم في متاجرهم⁽¹⁰⁾ فيقول الطائر: قُرْبَ آمَد⁽¹¹⁾، فيعلمون بذلك أن الوقت قد دنا، وأن الإمكان قد قرب.

(1) «ما يكون» سقط من ل.

(2) ل: «كالذي يحكي عن الحيات»، فقط.

(3) ط، ش: «اغتيولس».

(4) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(5) ط، ش: «وروا» وصوابه في ل.

(6) ل: «الشجرة».

(7) ط، ش: «فيشدون بها».

(8) ل: «فيلتقطونه».

(9) السفالة، بالضم: آخر مدينة تعرف بأرض الزنج. ياقوت. ط، ش: «الصفالبة» ل: «السفالة». والصواب ما أثبت.

(10) ط، ش: «ومتاجرهم» صوابه في ل.

(11) قرب: بالفارسية، هي كلفظها العربي وبمعناها العربي. وآمد بالفارسية: بفتح الميم بمعنى الوصول والقدوم. ل: «أرت آمَد» وانظر مثيل هذا في كامل ابن الأثير (17:9) في حوادث 375.

قالوا: ويجيء به طائر آخر، وشكل آخر، فيقول: سمارو^(١). وذلك في وقت رجوع من قد غاب منهم، فيسمون هذين الجنسين من الطير: قرب^(٢)، وسمارو، كأنهم سموهما بقولهما، وتقطع أصواتهما، كما سمّت العرب ضرباً من الطير القطا؛ لأن القطا كذلك تصيح^(٣)، وتقطع أصواتها^(٤) قَطًا، وكما سموا الببغاء بتقطع الصوت الذي ظهر منه^(٥). فيزعم أهل البحر أن ذينك الطائرين لا يطير أحدهما أبداً^(٦) إلا في إناث، وأن الآخر لا يطير أبداً إلا في ذكورة.

(وفاء الشفنين)

وزعم لي بعض الأطباء ممن أصدق خبره، أن الشفنين إذا هلك أنثاه^(٧) لم يتزوّج وإن طال عليه التعزّب. وإن هاج سفد^(٨) ولم يطلب الزّواج.

(من عجائب الطير)

وحكوا أن عندهم طائرين، أحدهما وافي الجناحين وهو لم يطر قط، والآخر وافي الجناحين، ولكنه من لدن ينهض للطيران فلا يزال يطير ويقتات [من^(٩)] الفراش وأشباه الفراش، وأنه لا يسقط إلا ميتاً. إلا أنهم ذكروا أنه قصير العمر.

(١) ط، ش: «سماروا».

(٢) ل: «فسموا هذين الجنسين من الطير بأرت».

(٣) ل: «لأن ذلك الطائر كذلك يصيح».

(٤) ل: «صوته».

(٥) كذا جاءت بضمير المذكر. والببغاء مؤنثة.

(٦) ل: «أن أحد ذينك الطائرين لا يطير أبداً».

(٧) ط، ش: «امرأته».

(٨) ط: «تسفيد» تحريف ما في ل، ش.

(٩) من ل، ش. وانظر ما سبق من الكلام على هذا الطير ص 129.

(كلام في قول أرسطو)

ولست أدفع خبرَ صاحب المنطق عن صاحب الدارصيني⁽¹⁾، وإن كنت لا أعرف الوجهَ في أنَّ طائراً ينهض من وكره في الجبال⁽²⁾، أو بفارسٍ أو باليمن، فيؤمُّ ويعمّد نحوَ بلاد الدارصيني⁽³⁾، وهو لم يجاوز موضعه ولا قرُبَ منه. وليس يخلو هذا الطائرُ من أن يكون من الأوابد [أو من القواطع]⁽⁴⁾. وإن كان من القواطع فكيف يقطع الصّحصحانَ الأملس⁽⁵⁾ وبطونَ الأوديّة، وأهضامَ الجبال⁽⁶⁾ بالتدويم في الأجواء، وبالمضيّ على السّمت، لطلب ما لم يره ولم يشمه ولم يذقه. وأخرى فإنّه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه⁽⁷⁾، ما يصير فراشاً له ومهاداً، إلا باختلاف الطويل⁽⁸⁾. و[بعد فإنّه] ليس بالوطيء الوثير⁽⁹⁾، ولا هو له بطعام. فأنا وإن كنت لا أعرفُ العلّة [بعينها] فلست أنكر الأمورَ من هذه الجهة. فاذكرُ هذا⁽¹⁰⁾.

(قول أبي الشيص في الهدد)

وقال أبو الشيص في الهدد⁽¹¹⁾:

لا تأمننَّ على سِرِّي وسِرِّكمْ غَيِّري وغَيِّركْ أو طَيِّ القَرَاطيسِ⁽¹²⁾

- (1) ط، ش: «عن خبر صاحب الدارصيني»، وكلمة «خبر» مقحمة.
- (2) الجبال: اسم للإقليم الذي يمتد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوین وهمذان والدينور وقرميسين والري. عن ياقوت.
- (3) هو شجر هندي يكون بتخوم الصين ينتفع بقشره ذي الرائحة العطرية. ولفظه معرف من «دارجيني» الفارسية.
- (4) ليست بالأصل.
- (5) الصّحصحان: البرية الواسعة.
- (6) أهضام الجبال: ما دنا إلى السهل من أصلها. في الأرض: «أهضاب»، ولا تصح. والكلام من «ولا قرب» إلى هنا ساقط من ل.
- (7) ل: «وبعده فهو لا يجلب بمنقاره ورجليه».
- (8) ل: «باختلاف طويل».
- (9) هذه الكلمة ساقطة من ل.
- (10) ط، ش: «فأنكر هذا» صوابه في ل.
- (11) الأبيات في نهاية الأرب (248:10) والدميري وعيون الأخبار (41:1) والمختار من شعر بشار 157.
- (12) أي وغيرطي القراطيس.

أو طائر سألّيه وأنعته ما زال صاحب تنقير وتدسيس⁽¹⁾
 سود برائنه، ميل ذوائبه صفر حمالقه، في الحسن مغموس⁽²⁾
 قد كان هم سليمان ليدبحه لولا سعايته في ملك بلقيس⁽³⁾
 وقد قدّمنا في هذا الكتاب في تضاعيفه⁽⁴⁾، عدّة مقطّعات في أخبار الهدهد⁽⁵⁾.

باب القول في الرخم

[و] يقال: إنّ لثام الطير ثلاثة: الغربان، والبوم، والرّخم.

(أسطورة الرخم)

ويقال: إنّ قيل للرّخمة: ما أحمقك! قالت: وما حُمقي، وأنا أقطع في أوّل القواطع، وأزجّع في أوّل الرّواجع، ولا أطيّر في التّحسير⁽⁶⁾، ولا أغتر بالشّكير⁽⁷⁾، ولا أسقط على الجفّير⁽⁸⁾. وقد ذكرنا تفسير هذا⁽⁹⁾. وقال الكميت:

إذ قيل يا رخم انطقي في الطّير، إنّك شرّ طائر⁽¹⁰⁾

- (1) في الأصل وعميون الأخبار: «أو طائرًا»؛ وبها يفسد إعراب البيت الآتي. وأثبت ما في نهاية الأرب والدميري. سألّيه، بالحاء: سأنتعه. وهذه الرواية أوفق من رواية ل والدميري ونهاية الأرب: «سألّيه». والتدسيس: الدس والإدخال، يدخل منقاره في الأرض بحثًا عن قوته. في الأصل: «تأسيس»، وصوابه في النهاية. وفي الدميري: «تدرّيس»!
- (2) برائنه: أظفاره. ذوائبه: ريش تاجه. حمالقه: جفونه.
- (3) ل: «لولا سياسته».
- (4) في ط، ش: «تضاعفه».
- (5) الكلام من «وقد قدّمنا» ساقط من ل. وانظر ما سبق في (1: 172).
- (6) ش: «ولا أطيّر إلا في التّخيير»، وصوابه في ط والجزء السابع 11، وأمثال الميداني. والتحسير: سقوط ريش الطائر.
- (7) الشكير: أول ما ينبت من الريش. أي لا يغرها الشكير فتطير حين ظهوره، بل تنتظر حتى يصير قصبًا. ط: «بالتكبير» ش: «بالتكبير» صوابه في الجزء السابع ونهاية الأرب (10: 208) وأمثال الميداني (1: 206).
- (8) الجفّير: جعبة السهام. ط: «الحقير» صوابه في ل، والجزء السابع وأمثال الميداني. وهي لا تسقط على الجعبة لعلمها أن فيها سهامًا.
- (9) انظر الجزء السابق 11-12، والكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من ل.
- (10) ط، ش: «إن قيل». والبيت يشير إلى المثل: «انطقي يا رخم فإنك من طير الله»، يضرب للرجل الذي لا يلتفت إليه ولا يسمع منه. أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخمة، فقيل لها يهزأ بها: إنك من طير الله فانطقي! انظر الدميري.

(بعض ملوك العجم والجُلندى الأزدي)

وقال أبو الحسن المدائني: أمر بعض ملوك العجم الجُلندى بن عبد العزيز الأزدي، وكان يقال له في الجاهلية عرجدة⁽¹⁾، فقال له: صد لي شرَّ الطير، واشوه بشرَّ الحطَب، وأطعمه شرَّ الناس. فصاد رَحْمَةً وشَوَاهَا ببَعْر، وقربها إلى خوزي⁽²⁾، فقال لي الخوزي⁽³⁾: أخطأت في كلِّ شيء أمرك به الملك: ليس الرَحْمَةُ شرَّ الطير، وليس البعرة شرَّ الحطَب، وليس الخوزي شرَّ الناس، ولكن اذهب فصد بومة⁽⁴⁾، واشوها بدفلى⁽⁵⁾، وأطعمها نبطياً ولد زنى. ففعل، وأتى الملك فأخبره، فقال: ليس يُحتاج إلى ولد زنى! يكفيه أن يكون نبطياً⁽⁶⁾!

(الغراب والرَّخمة)

والغراب يقوى على الرَّخمة، والرَّخمة أعظم من الغراب وأشدُّ. والرَّخمة تلتمس لبيضها المواضع البعيدة، والأماكن الوحشية، والجبال الشامخة، وصدوع الصَّخر، فلذلك يقال في بيض الأنوق ما يقال.

(ما قيل في بيض الأنوق)

وقال عتبة بن شماس⁽⁷⁾:

- (1) ل: «عجدة». وفي الإصابة 1292: «عبد جمل». والجُلندى بضم أوله وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال، كان ملك عمان. وأرسل إليه الرسول ﷺ عمرو بن العاص ليدعوه إلى الدين فأسلم.
- (2) الخوزي: نسبة إلى خوزستان، وهي بلاد بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان، كما في معجم البلدان. قال ياقوت: «والخوز ألثم الناس وأسقطهم نفساً». ط، ش: «خوزين» ل: «حوزي» وصوابه ما أثبت.
- (3) ط، ش: «الخوزني»، ل: «الحوزي». وانظر التنبيه السابق وصفحة 93.
- (4) ط، ش: «ولكن صد له بومة».
- (5) الدفلى - كذكرى: نبت مر قاتل.
- (6) جاءت هذه القصة على الوضع الآتي في معجم البلدان: «روى أن كسرى كتب إلى بعض عماله: ابعث لي بشر طعام على شر الدواب مع شر الناس. فبعث إليه برأس سمكة مألحة على حمار مع خوزي».
- (7) كذا في ش والكامل 399 ليبسك والعقد (3: 393)، وفي ل: «عينه بن أسماء» وكتب بعدها بخط صغير «أخرى: عتيبة بن شماس». ط: «عتيبة بن شماس».

إِنَّ أَوْلَى بِالْحَقِّ فِي كُلِّ حَقٍّ ثُمَّ أَوْلَى بِأَنْ يَكُونَ حَقِيقًا ⁽¹⁾
 مَنْ أَبُوهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرُورٍ نَ وَمَنْ كَانَ جَدُّهُ الْفَارُوقُ ⁽²⁾
 رَدَّ أَمْوَالَنَا عَلَيْنَا وَكَانَتْ فِي ذُرَى شَاهِقٍ تَفُوتُ الْأَنْوَقَ ⁽³⁾
 وَطَلَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْفَرِيضَةَ مِنْ مَعَاوِيَةَ فَجَادَ لَهُ بِهَا ⁽⁴⁾ ، فَسَأَلَ ⁽⁵⁾
 لَوْلَدِهِ ، فَأَبَى ، فَسَأَلَ لِعَشِيرَتِهِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ :

طَلَبَ الْأَبْلَقَ الْعَقُوقَ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ أَرَادَ بَيْضَ الْأَنْوَقِ ⁽⁶⁾

وليس يكون العَقُوقُ إلَّا من الإناث ، فإذا كانت من البُلُقِ كانت بِلِقَاءِ .
 و[إنما ⁽⁷⁾ هذا كقولهم : « زَلٌّ فِي سَلَى جَمَلٍ ⁽⁸⁾ » ، والجمل لا يكون له سَلَى ⁽⁹⁾ .
 وقد يرون بَيْضَ الْأَنْوَقِ ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ قَلِيلًا ⁽¹⁰⁾ ما يكون ، وأقلُّ من القليل ؛ لأنَّ
 يبيضها في المواضع الممتنعة ، وليس فيها منافع فيتعرض في طلبها ⁽¹¹⁾ للمكروه .
 وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّ مَعَاوِيَةَ لَمْ يَقُلْ كَمَا قَالُوا ، وَلَكِنَّهُ قَدِمَ فِي اللَّفْظِ بَيْضَ الْأَنْوَقِ ، فَقَالَ :
 « طَلَبَ بَيْضَ الْأَنْوَقِ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ طَلَبَ الْأَبْلَقَ الْعَقُوقَ » .

- (1) وكذا في سيرة عمر بن عبد العزيز 8 ، ورواية الكامل والعقد : « ثم أخرى » .
- (2) يقول هذا الشعر في عمر بن عبد العزيز بن مروان . ووالدة عمر هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . وهذا البيت مع أبيات أخرى من القصيدة وبدون نسبة في كتاب البغال 286 من رسائل الجاحظ .
- (3) ط ، ش : « رد أموالنا إلينا » . وفي ل ، ش : « تفوق الأنوقا » . ويروى : « يفوت » التأنيث للذرى ، والتذكير للشاهق .
- (4) « فجاد له بها » ساقط من ل . والخبر برواية أخرى في الإصابة 1098 .
- (5) ط : « فقال » تحريف . ش : « فسأله » ، وأثبت ما في ل .
- (6) ط ، والكامل والشرطي (2 : 204) : « لم ينله » . وقد وضع البيت في ط وضع النثر خطأ . والأبلق من صفات ذكور الخيل ، وهو ما ارتفع التحجيل فيه إلى فخذه . والعقوق : من صفات إناثها ، وهي الحامل التي امتلأ بطنها . والأنوق : هي الرخمة . وانظر ما سبق من الكلام على الأنوق في (1 : 170) .
- (7) من ل ، ش .
- (8) السلى : ما تلقىه الناقة إذا وضعت : وهي جليدة رقيقة يكون فيها الولد . والمثل يضرب في بلوغ الشدة منتهى غايته ، أي وقع في شر لا مثيل له . زل : زلق . ولفظ المثل في الميداني واللسان : « وقع القوم في سل جمل » . ويقال : « وقع في سلى جمل » . وفي القاموس : « وقعوا في سلى جمل » .
- (9) كتبت هذه الكلمة في الأصل في الموضعين بالألف . وصواب كتابتها بالياء .
- (10) ط : « قليل » .
- (11) ط ، ش : « طلبه » ، صوابه في ل .

(ما يسمَّى بالهدهد)

وأما قول ابن أحرر:

يمشي بأوظفةٍ شديدةٍ أسْرُها شَمَّ السَّنابك لا تَقِي بالجدجد^(١)
إذ صَبَّحتَه طاوياً ذا شِرَّةٍ وفؤاده زجلٌ كَعَزَفِ الهُدْهد^(٢)

فقد يكون ألا يكون عنى بهذا الهدهد^(٣)، لأنَّ ذكورَ الحمام وكلَّ شيء غَتَّى^(٤) من الطير وهدر ودعا، فهو هُدْهد، ومن رَوَى: «كَعَزَفِ الهُدْهد» فليس من هذا في شيء^(٥). وقد قال الشاعر في صفة الحمام:

وإذا اسْتَشَرْنَ أرْنَ فيها هدهدٌ مِثْلُ المَدَاك خصبته بجَسَادٍ^(٦)

(١) ط، ش واللسان (وقى): «تمشي» صوابه في ل. الأوظفة: جمع وظيف، وهو ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق. شم: عاليات. والسنبك: طرف الحافر وجانباه من قدام. ويقال: وقى الحافر يقي وقياً، من باب رمى: حفى ورق من غلظ الأرض. وقيل: لا تقي بالجدجد: لا تتوقاه ولا تهيبه، والجدجد، بفتح الجيمين: الأرض الصلبة. ط: «رثم السنابك» صوابه في ل، ش واللسان (وقى). وروى: «صم» كما في اللسان (جدد). ط: «لا يفي» ش: «لا تفي»، صوابه في ل واللسان في موضعيه.

(٢) ط: «قد أصحبتَه طائراً» ش: «قد صبحته طائراً»، وأثبت ما في ل. وفي اللسان: «ثم اقتحمت مناجداً ولزمتَه». زجل: له صوت. ط: «رجل» محرف. والعزف: الصوت. ط، ش: «كعرف» ل: «كعرق». محرفتان عما أثبت من الحيوان (7: 172) واللسان: (هدد).

(٣) كذا على الصواب في ل. ط: «فقد يكون ألا أن يكون عنا هذا الهدهد»، ش: «فقد يكون إلا غنا إلا يكون غنا هذا الهدهد».

(٤) ط، ش: «غنا»، صوابه في ل.

(٥) الكلام من مبدأ: «ومن روى» ساقط من ل. والعبارة في أصلها: «ومن أراد كعرف». إلخ. والصواب فيها ما أثبت. وهذه الرواية مثبتة في اللسان (هدد). قال في تفسيرها: «والهدهد قيل في تفسيره: أصوات الجن. ولا واحد له». وفي القاموس عند الكلام على الهدهد: «وبفتحتين: أصوات الجن، بلا واحد».

(٦) استشارت: لبست حسناً وسمناً. والمداك، بالفتح: حجر يسحق به الطيب. ط، ش: «المداد» صوابه في ل. والجساد، بالكسر: الزعفران. جعله كالمداك في ملاسته وصلابته.

(قصة في ميل بعض النساء إلى المال)

وخطب رجلٌ جميلٌ امرأةً، وخطبها [معه] رجلٌ دميمٌ^(١) فتزوَّجت الدِّمِيمُ^(٢) لِماله، وتركته، فقال^(٣):

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ مَا تَأْمُرُونَنِي بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعَلًا
يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ دَبِيبَ الْقَرْنَبِيِّ بَاتَ يَقْرُو نَقًّا سَهْلًا^(٤)

(ما يطلب العذرة)

والأجناس التي تريد العذرة وتطلبها كثيرة، كالخنازير، والدجاج والكلاب، والجراد، وغير ذلك. ولكنها لا تبلغ مبلغ^(٥) الجُعلِ والرخمة.

(بعض ما يأكل الأعرابُ من الحيوان)

وقال ابن أبي كريمة: كنتُ عند أبي مالك عمرو بن كِرْكِرَة^(٦)، وعنده أعرابيٌّ، فجرى ذكر القَرْنَبِيِّ. قال: فقلت له: أتعرف القَرْنَبِيَّ؟ قال: وما لي لا أعرف

(١) الدميم: القبيح. ط: «دميم» صوابه في ل، ش.

(٢) ط: «الدميم» صوابه في ل، ش.

(٣) الشعر منسوب في حياة الحيوان، إلى الأخطل يصف جارية وبعلمها. والبيتان في الكامل 272 ليسك.

(٤) القرنبي: دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر، وفي قوائمها طول على الخنفس. وهو مذكر، ألفه للإلحاق لا للتأنيث. يقرو: يسير متتبعًا. ط، ش، والدميري: «يعلو».

(٥) ل: «بلغ»، صوابه في ط، ش.

(٦) كذا على الصواب في ل. وفي ط، ش: «عمر». وقد ترجم له ياقوت في معجم الأدباء (16: 131، 132) ونقل عنه السيوطي في بغية الوعاة قال: كان يعلم في البادية، وورق في الحضرة. ويقال: إنه كان يحفظ لغة العرب قال أبو الطيب اللغوي: كان ابن مناذر يقول: كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة، وأبو عبيدة في نصفها، وأبو زيد في ثلثيها، وأبو مالك فيها كلها. وإنما عنى توسعهم في الرواية والفتيا؛ لأن الأصمعي كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات. وقد جلس إليه الجاحظ كما في البيان (4: 23). ط، ش: «عمر بن كركرة»، صوابه في ل والقاموس والمراجع المتقدمة.

القرنبي؟! فوالله لربما لم يكن عَدائي^(١) إِلَّا الْقَرْنَبِيَّ يُحْسَحَسُ لِي^(٢). قال: فقلت [له]: إنها دويبة تأكل العذرة. قال: ودجاجكم تأكل^(٣) العذرة!

[وقال]: قال بعض المدنيّين لبعض الأعراب: [أ] تأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس^(٤)؟ فقال: نأكل كُلَّ شيءٍ إِلَّا أُمَّ حُبَيْن. [قال]: فقال المدني: «لَتَهْنِ أُمَّ الْحَبَيْنِ الْعَافِيَةَ^(٥)».

قال: وحدثنا ابن جريج^(٦)، عن ابن شهاب^(٧)، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مِنَ الدَّوَابِّ أَرْبَعٌ لَا يُقْتَلْنَ: النملة، والتَّلْحَةُ، والصُّرْدُ، والهدُّدُ».

باب القول في الخفّاش

فأوّل ذلك أَنَّ الْخَفَّاشَ طَائِرٌ، وهو مع أَنَّهُ طَائِرٌ من عَرَضِ الطَّيْرِ فليّئهِ شديد الطَّيْرَانِ، كثير التَّكْفِي في الهواء، سريع التَّغْلُبِ فيه، ولا يجوز أن يكون طُعْمُهُ إِلَّا من البعوض، وقوته إِلَّا من الْفَرَّاشِ^(٨) [وأشبه الفَرَّاشَ]، ثُمَّ لا يصيده إِلَّا في وقت طيرانه في الهواء، وفي وقت سلطانه؛ لأنَّ البعوضَ إِنَّمَا يتسلَّط بالليل. ولا^(٩) يجوز أن يبلغ ذلك إِلَّا بسرعة اختطاف واختلاس، وشدة طيْرَانٍ، ولين أعطاف وشدة متن، وحُسْنُ تَأْتٍ، ورفق في الصَّيْدِ^(١٠).

(١) الغداء، بالفتح: الأكل أول النهار. ط، ل: «غذائي» وأثبت ما في ش.

(٢) يحسحس: يوضع على الجمر. ط: «يخشخش» محرف يحشش التي هي بمعنى: «يحسحس». ش: «تخشخش في فمي»، وله وجه.

(٣) ط: «يأكل»، وهما صحيحتان.

(٤) كذا على الوجه في ل. وفي ط، ش: «الخنفساء».

(٥) أم حبين: دويبة على قدر الكف تشبه الضب. وانظر (٦: 247).

(٦) ط: «وأخبرنا ابن جريج». وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي، قالوا: أول من صنف الكتب في الإسلام. ولد سنة 80 وتوفى سنة 150، ففي قول الجاحظ نظر.

(٧) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، المتوفى سنة 125.

(٨) ل: «وطعمه من البعوض وقوته من الفَرَّاش».

(٩) ل: «فلا».

(١٠) التَّأْنِي: الترفق. ش: «تأني» ط: «تأني» ل: «التأني»، ووجهه ما أثبت. ل: «إلا بسرعة الاختطاف والاختلاس، وشدة الطيران، ولين الأعطاف، وشدة المتن، وحسن التأني والرفق في الصيد».

وهو مع ذلك كله^(١) ليس بذئ ريش، [و] إنما هو لحم وجلد. فطيرانه بلا ريش عَجَب، وكلما كان أشدَّ كان أعجب.

(من أعاجيب الخفافيش)

ومن أعاجيبه أنه لا يطير في ضوء ولا في ظلمة. وهو طائر ضعيفُ قُوَى البصر، قليلُ شعاعِ العينِ الفاضِلِ^(٢) من الناظر. ولذلك لا يظهر في الظلمة؛ لأنَّها تكون غامرة لضياء بصره، غالبية لمقدار [قوى] شعاعِ ناظره. ولا يظهر نهاراً؛ لأنَّ بصره ليضعفِ ناظره يلتمع في شدة بياض النهار^(٣). ولأنَّ الشيء المتألَّى صارُ لعيون^(٤) الموصوفين بحدَّة البصر، ولأنَّ شعاعَ الشمس بمخالفة^(٥) مخرج أصوله وذهابه، يكون رادعاً لشعاع ناظره، ومفرقاً^(٦) له. فهو لا يبصر ليلاً ولا نهاراً. فلما علم ذلك واحتاج إلى الكسْب والطَّعم، التمس الوقت الذي لا يكون فيه من الظلام ما يكون غامراً قاهراً، وعالياً غالباً. ولا من الضياء ما يكون مُعْشِياً^(٧) رادعاً، ومفرقاً قامعاً^(٨). فالتمس ذلك في وقت غروب القرص، وبقيّة الشفق؛ لأنَّه وقت^(٩) هيّج البعوض وأشباه البعوض، وارتفاعها^(١٠) في الهواء، ووقت انتشارها في طلبِ أرزاقها^(١١)، فالبعوض يخرج للطَّعم، وطعمه دماء الحيوان؛ وتخرج الخفافيش^(١٢) لطلب الطَّعم، فيقعُ طالبُ رزق على طالب

(١) ل: «وهو في ذلك».

(٢) ل: «الفاضل»، تحريف.

(٣) ط، ش: «يضعف ناظره ويلتمع في شدة ضوء النهار»، وصوابه من ل.

(٤) ط، ش: «بعيون»، وما أثبت من ل أوجه؛ تفادياً من تكرار الباء.

(٥) ل: «مخالفة».

(٦) ط: «ومفرقاً»، ش: «ومفرقة»، صوابه من ل.

(٧) ل: «ولأن من الضياء»، محرف. ط: «ما يكون مغشياً»، صوابه في ل، ش.

(٨) ط: «ومفرقاً»، صوابه في ل، ش، و«قامعاً» هي في ط، ش: «مانعاً»، والأشبه ما أثبت من ل.

(٩) ط، ش: «لأنه في وقت»، صوابه في ل.

(١٠) ط، ش: «وهو وقت ارتفاعها».

(١١) ط، ش: «وطلب أرزاقها».

(١٢) ط، ش: «الخفافيس»، صوابه في ل.

رزق، فيصير ذلك هو رزقه^(١). وهذا أيضاً ممّا جعل الله في الخفافيش^(٢) من الأعاجيب.

(علاقة الأذن بنتاج الحيوان)

ويزعمون أن السك^(٣) الأذان والممسوحة، من جميع الحيوان، أنّها تبيضُ بيضاً، وأنّ كلّ أشرف [الأذان] فهو يلد ولا يبيض. ولا ندري لِمَ [كان] الحيوان إذا كان أشرف الأذان^(٤) [وُلد]، وإذا كان ممسوحاً باض. ولأذان الخفافيش حَجْمٌ ظاهر، وشخوص^(٥) بين. و[هي و]إنّ كانت من الطير فإنّ هذا لها، وهي^(٦) تحبل وتلد، وتحيض، وترضع.

(ما يحيض من الحيوان)

والناس يتقزّزون^(٧) من الأرناب والضباع؛ لمكان الحيض. وقد زعم صاحب المنطق أنّ ذوات الأربع كلّها تحيض، على اختلاف في القلّة والكثرة^(٨). [والزّمان]، والحمرة والصفرة، والرقة والغلط. قال: ويبلغ من ضنّ أنثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه، أنّها تحمله تحت جناحها، وربّما قبضت عليه بفيها، وربّما أَرْضَعَتْه وهي تطير، وتقوى من ذلك، ويقوى ولدُها على ما لا يقوى عليه الحمام والشاهمرك^(٩)، وسباع الطير.

(١) ل: «مرزقه».

(٢) ط، ش: «الخفاش».

(٣) السك: جمع أسك: وهو الذي صغرت أذنه ولصقت برأسه.

(٤) الأشرف الأذان: الطويلها. ل: «الأذن».

(٥) شخوص: ارتفاع. ط، ش: «شخص».

(٦) ط: «فهي»، صوابه في ل، ش.

(٧) ط: «يتقذرون». والتقذر: أن يرى الشيء قذراً، يقال تقذره لا تقذر منه. فالصواب «يتقززون»، كما أثبت من ل، ش.

(٨) ط، ش: «على اختلاف أجناسها».

(٩) الشاهمرك سبق تفسيره في ص 182.

(معارف في الخفّاش)

وقال معمرٌ أبو الأشعث: ربّما أتأمت الخفافيش⁽¹⁾ فتحمل معها الولدين جميعاً، فإن عظمًا عاقبت بينهما.

والخفّاش من الطير، وليس له منقار مخروط⁽²⁾، وله فمٌ فيما بين مناسر السّباع⁽³⁾ وأفواه البوم. وفيه أسنانٌ حداد صلاب [مرصوفة⁽⁴⁾] من أطراف الحنك، إلى أصول الفك، إلا ما كان في نفس الخطم⁽⁵⁾.

وإذا قبضت على الفرخ وعضت عليه لتطير به، عرفت ذرب⁽⁶⁾ أسنانها، فعرفت أي نوع ينبغي أن يكون ذلك العض، فتجعله أزمًا، ولا تجعله عضًا ولا تنيبًا ولا ضغمًا⁽⁷⁾، كما تفعل الهرة بولدها؛ فإنّها مع ذرب أنيابها، وحدة أظفارها ودقّتها⁽⁸⁾، لا تخذش⁽⁹⁾ لها جلدًا؛ إلا أنها تمسكها ضرباً من الإمساك، وتأزم عليها⁽¹⁰⁾ ضرباً من الأزم قد عرفته. ولكل شيء حدٌ به يصلح، وبمجاوزته والتقصير دونه يفسد.

وقد نرى الطائر يغوص في الماء نهاره، ثم يخرج منه كالشعرة سللتها من العجين، غير مبتل الرّيش، ولا لثق الجناحين، ولو أنّ أرفق الناس رفقاء، راهن على

(1) أتأمت: ولدت اثنين في بطن واحد. ط، ش: «ارتمأت»، صوابه في ل.

(2) ط: «مخروطة»، تصحيحه من ل، ش.

(3) المراد: سباع الطير. والمناسر: جمع منسر، كمجلس ومنبر، وهو المنقار.

(4) في الأصل، وهو هنا ل: «موصوفة»، ولعل صوابه ما أثبت.

(5) ط، ش: «إلا ما كان من نفس الخطم».

(6) الذرب: الحدة. ط، ش: «درب»، صوابه في ل.

(7) الأزم: القبض بجميع الفم. والتنيب: العض بالناب. والضغم: العض الشديد. ط، ش: «ولا نشبًا ضغطًا». ش: «ولا نشبًا ضغطًا»، ووجهه ما أثبت من ل.

(8) ل: «وحدة أطرافها»، صوابه في ط، ش. ط، ش: «ورقتها» صوابه في ل.

(9) ط: «تندش»، صوابه في ل، ش.

(10) عليها: أي على ولدها. والمراد بالولد هنا الجمع. في المصباح: «والولد بفتحتين كل ما ولده شيء». ويطلق على الذكر والأنثى، والمثنى والمجموع. ط، ش: «عليه»، صوابه في ل. ط، ش: «لأنها تمسكها» إلخ، صوابه في ل.

أن يغمس طائراً منها في الماء غمسَةً واحدة ثمَّ خَلَّى سِرْبَهُ ^(١) ليكون هو الخارج منه، لخرج وهو متعجّن ^(٢) الريش، مُفسدَ النظم ^(٣)، منقوض ^(٤) التأليف. ولكن أجودَ ما يكون طيراناً أن يكون كالجادف ^(٥). فهذا أيضاً من أعاجيب الخفّاش.

(من أعاجيب الخفافيش)

ومن أعاجيبها تركها ذرى الجبال وبسيط الفيافي ^(٦)، وأقلاب النخل، وأعالى الأغصان، ودَغَل ^(٧) [الغياض و]الرياض، وصدوع ^(٨) الصّخر، وجزائر البحر، ومجيئها تطلب مساكن الناس وقربهم، ثم إذا صارت ^(٩) إلى بيوتهم وقربهم، قصدت إلى أرفع مكان وأحصنه، وإلى أبعد المواضع من مواضع الاجتياز ^(١٠)، وأعراض الحوائج.

(طول عمر الخفّاش)

ثمَّ الخفّاشُ بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر، حتى يجوز في ذلك ^(١١) العُقَابَ والورشان إلى النسر، ويجوز ^(١٢) حد الفيلة والأسد وحمير الوحش، إلى أعمار الحيات.

ومن أعاجيب الخفافيش ^(١٣) أن أبصارها تصلح على طول العمر، ولها صبر ^(١٤)

(١) السرب: الطريق. ط: «حلى سرتها»، ش: «خلي سربها»، صوابه في ل.

(٢) ط، ش: «متعجن».

(٣) ط، ش: «النظر»، صوابه في ل.

(٤) ط: «منقوص» محرف.

(٥) الجادف: الذي يطير وهو مقصوص الجناحين. ط، ش: «كالجادف»، محرف.

(٦) ط، ش: «ومن أعاجيبها تركه ذروة الجبال»، ل: «ومن أعاجيبه تركه ذرى الجبال»، كلاهما محرف، ووجهته بما ترى. والبسيط: المنبسط الفسيح. ط: «وتبسط» صوابه في ل، ش.

(٧) الدغل: بالتحريك: الشجر الملتف. ش: «ودخل»، وهي صحيحة بضبط الأولى ومعناها.

(٨) ط: «وصدع»، وتصحيحه من ل، ش.

(٩) ط: «أصات»، صوابه في ل، ش.

(١٠) ط، ش: «الاختبار»، صوابه في ل.

(١١) ل: «حتى تجوز حد».

(١٢) ل: «وتجوز».

(١٣) ط، ش: «الخفّاش».

(١٤) ط، ش: «والصبر».

على [طول] فقد الطعم. فيقال⁽¹⁾ إنّ اللواتي يظهرن في القَمَر⁽²⁾ من الخفافيش المسنّات المعمّرات، وإنّ أولادهن إذا بلغن لم تقو أبصارهنّ على ضياء القمر. ومن أعاجيبها أنّها تضخم وتجسّم وتقبل الشحم⁽³⁾ على الكبر وعلى السنّ.

(القدرة التناسلية لدى بعض الحيوان)

وقد زعم صاحب المنطق أنّ الكلاب السلوقيّة كلما دخلت في السنّ كان أقوى لها على المعاظلة. وهذا غريب جدّاً، وقد علمنا أنّ الغلام أحدّ ما يكون وأشبَق وأنكح وأحرص، عند أول بلوغه. ثم لا يزال كذلك حتى يقطعه الكبر [أو إصفاء] أو تعرض له آفة⁽⁴⁾.

ولا تزال الجارية من لدن إدراكها وبلوغها وحركة⁽⁵⁾ شهوتها على شبيه بمقدار واحد من ضعف الإرادة. وكذلك عامّتهن⁽⁶⁾. فإذا اكتهلن وبلغت المرأة حدّ النّصف⁽⁷⁾ فعند ذلك يقوى عليها سلطان الشهوة والحرص على الباه؛ فإنّما تهيج الكهلة عند سكون هيج الكهل⁽⁸⁾ وعند إدبار شهوته، وكلال حدّه.

(قول النساء وأشباههنّ في الخفافيش)

وأما قول النساء وأشباه النساء في الخفافيش، فإنهم يزعمون أنّ الخفّاش إذا عضّ الصبيّ لم ينزع سنّه من لحمه حتى يسمع نهيق حمارٍ وحشيّ⁽⁹⁾. فما أنسى فرعي من سنّ⁽¹⁰⁾ الخفّاش، ووحشتي من قربهِ! إيماناً بذلك القول، إلى أن بلغت. وللنساء وأشباه النساء في هذا وشبهه خرافات، عسى أن نذكر منها شيئاً إذا بلغنا إلى موضعه [إن شاء الله].

(1) ط: «فتقول» ش: «فتقول»، صوابه في ل.

(2) ل: «العمر»، صوابه في ط، ش.

(3) ل: «اللحم».

(4) ل: «حتى يعطفه الكبر». والإصفاء: نفاذ الماء. وكلمة «له» ساقطة من ل.

(5) ط، ش: «وحدة» صوابه في ل.

(6) ل: «علامتهن»، وتصحيحه من ط، ش.

(7) النصف، بالتحريك: ما بين الشابة والكهلة، ويقدر عمرها بخمس وأربعين سنة.

(8) الكهلة، هي في ط، ش: «الشهوة»، والوجه ما أثبت من ل. «هيج» هي في ط: «تهيج».

(9) ل: «حمار وحش»، وهما وجهان صحيحان.

(10) ل: «من مس»، وأثبت ما في ط، ش.

(ضعف البصر لدى بعض الحيوان)

ومن الطير [و] ذوات الأربع ما يكون فاقد^(١) البصر بالليل، ومنها ما يكون سَيِّئَ البصر. فأما [قولهم]: إِنَّ الفأرة والستورَ وأشياءَ أُخَرَ أبصرُ بالليل، فهذا باطل^(٢).

والإنسان رديء البصر بالليل، والذي لا يبصر منهم^(٣) بالليل تسميهِ الفرس شَبَّ كُور^(٤) وتأويلُهُ أَنَّهُ أَعْمَى لَيْلٍ^(٥)، وَلَيْسَ لَهُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ اسمٌ أَكْثَرُ مِنْ أَنَّهُ يَقَالُ لِمَنْ لَا يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ [بعينه]: هُدَيْد^(٦). ما سمعتُ إِلَّا بهذا؛ فأما الأَغْطَشُ^(٧) فَإِنَّهُ السَّيِّئُ البصر بالليل والنهار جميعاً. وإذا كانت المرأة مُعْرَبَةً الْعَيْنِ^(٨) فكانت رديئة البصر، قيل لها: جَهْرَاءَ. وأنشد الأصمعيُّ في الشاء^(٩):

جَهْرَاءَ لَا تَأَلَوْ إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصْرًا وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِينِي^(١٠)

(١) كذا على الصواب في ش. وفي ط: «ناقد» وفي ل: «نافذ». وانظر سياق الكلام.

(٢) ليس يناقض هذا القول ما سبق في 131 س 12.

(٣) هذه ساقطة من ل.

(٤) هذه الكلمة مكونة من مقطعين، أولهما «شب» بفتح الشين ومعناه الليل، والآخر: «كور» بضم الكاف، ومعناه الأعمى. عن معجم Palmer، والألفاظ الفارسية 98، ط: «بشكور» ش: «سيكون» محرفتان صوابهما في ل وقد زيد في ل ألف بعد الراء، مع أن المراد حكاية قول الفرس. وكتبت كذلك متصلة «شبيكورا» والوجه فصلها كما ذكرت، وكما في القاموس المحيط والمعجم السابق. وقد اشتق العرب منها مصدرًا فقالوا: «الشبيكرة» أرادوا بها العشاء. وفي اللسان: «المفضل: الهديد: الشبيكرة، وهو العشاء يكون في العين».

(٥) ط، ش: «أعمى بالليل».

(٦) ط، ش: «هديد» صوابه في ل. وهم يسمون الداء نفسه أيضًا «الهديد» وكانوا إذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة، ومن الكبد قطعة وقلاهما، وقال عند كل لقمة يأكلها، بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته:

فِإِسْنَامًا وَكَبِدًا أَلَا أَذْهَبَا بِالْهَدِيدِ
لَيْسَ شِفَاءُ الْهَدِيدِ إِلَّا السِّنَامُ وَالْكَبِدُ

ويزعمون أنه يذهب العشاء بذلك. انظر بلوغ الأرب (2: 340).

(٧) ش: «الأعكش»، صوابه في ل، ط.

(٨) مغربة، بفتح الراء: بيضاء. ط، ش: «مقربة»، وصوابه في ل. و«العين» هي في ط: «العنق» محرفة.

(٩) ط، ش: «في غير النساء» وأثبت ما في ل. والبيت الآتي قاله أبو العيال الهذلي، يصف منيحة منحه إياها بدر بن عمار الهذلي. انظر بقية أشعار الهذليين 130.

(١٠) كلمة «هي» ساقطة من ط، ش. «بصرا» هي في ط، ش: «نظرًا».

وذكروا أنَّ الأَجْهر الذي لا يبصر في الشمس^(١). وقوله لا تألُو أي لا تستطيع. وقوله أظهرت: صارت في الظهيرة. والعيلة: الفقر. قال: يعني به شاة^(٢). وقال يحيى بن منصور، في هجاء بعض [آل] الصَّعِق:

يا ليتني، والمنى ليست بمغنية، كيف اقتصاصك من ثأر الأحابيش^(٣)
أتنكحون مواليتهم كما فعلوا أم تغمضون كإغماض الخفافيش^(٤)
وقال أبو الشمقمق، وهو مروان بن محمد^(٥):

أنا بالأهواز محزو ن وبالْبَصْرَة داري^(٦)
في بني سعد وسعد حيث أهلي وقـراري
صرت كالخفّاش لا أبـ صر في ضوء النهار^(٧)
وقال الأخطل التغلبي:

وقد عبّر العجلان حيناً إذا بكى على الزاد ألقته الوليدة في الكسر^(٨)
فيصبح كالخفّاش يدلك عينه فقبح من وجه لئيم ومن حجر^(٩)
وقالوا: السحاة مقصورة: اسم الخفّاش^(١٠)، والجمع سحاً^(١١) كما ترى.

(١) ل: «أن الجهراء التي لا تبصر في الشمس».

(٢) ط، ش: «نساء»، صوابه في ل.

(٣) ط، ش: «من نار»، صوابه في ل. والأحابيش: طائفة من قريش، هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة.

(٤) ل: «تنحضون كإنحاض»، صوابه في ط، ش.

(٥) تقدمت ترجمته في (1: 164). ل: «وقال مروان بن محمد هذا أبو الشمقمق الغث البارد».

(٦) ل: «مخزون».

(٧) كذا على الصواب في ل، ط: «إلا في النهار»، ش: «إلا في نهاري».

(٨) ألقته: أي الزاد. والكسر، بالكسر: جانب البيت. وفي شرح الديوان 129: «الهاء في ألقته عائدة إلى العجلان»، ولعل وجه التفسير ما ذكرت.

(٩) الحجر بالفتح، قال ابن الأعرابي: «أراد محجر العين». ومحجر العين: ما دار بها من العظم. ط: «من وجهه» محرفة. ل: «لعين» بدل «لئيم» وما أثبت من ط، ش واللسان (مادة حجر).

(١٠) ط، ش: «اسمع الخفافيش» صوابه في ل. ل: «وقال: السحاة» إلخ.

(١١) سحاً، بفتح السين، ويقال سحاء بكسرها مع المد. اللسان، والمقصور والممدود.

(لغز في الخفّاش)

وقالوا في اللّغز، وهم يعنون الخفّاش :

أبى شعراء النَّاسِ لا يُخبرونني وقد ذَهَبُوا في الشَّعر في كلِّ مذهبٍ⁽¹⁾
بجلدة إنسانٍ وصورَةٍ طائرٍ وأظفارٍ يَرُبُّوعٍ وأنيابٍ ثعلبٍ⁽²⁾

(النهي عن قتل الضفادع والخفافيش)

هشامُ الدَّستَوائي⁽³⁾ قال : حدَّثنا قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن عبد الله بن عمر أنّه قال : « لا تقتلوا الضَّفادعَ فَإِنَّ نَقِيَقَهُنَّ تسبيحٌ، ولا تقتلوا الخُفَّاشَ فَإِنَّهُ إذا خرب بيت المقدس قال : يا ربِّ سلَّطني على البحرِ حتَّى أغرقَهُم » .

حماد بن سلمة⁽⁴⁾ قال : حدَّثنا قتادة، عن زرارة بن أوفى، قال : قال عبد الله بن عمر : « لا تقتلوا الخُفَّاشَ ؛ فَإِنَّهُ استأذَنَ في البحرِ⁽⁵⁾ : أن يأخذ من مائه فيطفيء نار بيت المقدس حيثُ حرق . ولا تقتلوا الضَّفادعَ فَإِنَّ نَقِيَقَهَا تسبيحٌ » .

(1) ط، ش : «أيا» ل : «أبا»، صوابه في نهاية الأرب (10: 284) . وفيها أيضًا : «علماء» مكان «شعراء» ط، ش : «تخبرونني»، صوابه في ل . وفي نهاية الأرب : أن يخبرونني» وما هنا أجود . وفيها أيضًا : «وقد ذهبوا في العلم» .

(2) اليربوع : حيوان طويل الرجلين قصير اليدين، على العكس من الزرافة، له ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعدًا، في طرفه شبه النواة، لونه كلون الغزال .

(3) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنبر - كجعفر - الدستوائي البصري البكري . وكان يرمى بالقدر . روى عن قتادة، وروى عنه يحيى القطان . ونسبته إلى بيع الثياب الدستوائية، التي كانت تجلب من دستوا، بفتح الدال والتاء بينهما سين ساكنة، وهي من بلاد فارس . مات سنة 152 أو 154 وله ثمان وسبعون سنة . ط : «صاحب الدستواي» . والكلمة الأولى صحيحة، يقال : الدستوائي، وصاحب الدستوائي، كما في تذكرة الحفاظ للذهبي (1: 155) . وأما الكلمة الثانية فهي تحريف ما أثبت من ل، ش والمعجم والمعارف 223 والتهذيب وتذكرة الحفاظ . وانظر الخبر في (5: 361) .

(4) حماد، هذا، هو ابن سلمة بن دينار البصري، كان من ثقات رواة الحديث . ويقال : إنه كان عالمًا بالأنحو والعربية، وإن سيبويه استملى عليه . توفي سنة 164 أو 167، ط، ش : «حماد عن سلمة» صوابه في ل وتقريب التهذيب والمعارف 220 ل : «قال وحدَّثنا حماد بن سلمة» . وفي العبارة نظر .

(5) ل : «استأذن البحر» .

[قال]: و[حدثنا] عثمان بن سعيد القرشي^(١) قال: سَمِعْتُ الحسن يقول: نهى رسول الله ﷺ عن قتل الوَطَاطِ، وأمر بقتل الأوزاغ^(٢).

قال: والخفاش يأتي الرُّمَّانة وهي على شجرتها، فينقب عنها^(٣)، فيأكل كلَّ شيءٍ فيها حتى^(٤) لا يدع إلا القشر وحده. وهم يحفظون الرُّمَّان من الخفافيش بكلِّ حيلة.

قال: ولحوم الخفافيش موافقةٌ للشواهين والصُّقُورة والبوازي^(٥)، ولكثير من جوارح الطير، وهي تسمن عنها، وتصحَّ أبدانها عليها. ولها في ذلك عملٌ محمودٌ نافعٌ عظيمٌ النَّفْع، بيِّنُ الأثر. والله سبحانه وتعالى أعلم.

تمَّ المصحف الثالث من كتاب الحيوان

ويليه المصحف الرابع [وأوله^(٥)] في الدَّر

(١) ط: «عثمان بن سعد القرشي»، صوابه في ل، ش وتقريب التهذيب.

(٢) ل: «فينقب عليها».

(٣) إلى هنا ينتهي الجزء الثالث من نسخة كوبريلي، المشار إليها برمز «ل».

(٤) ط، ش: «قال والبازي». وصوابه من نهاية الأرب (١٠: ٢٨٤).

(٥) ليست بالأصل.

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
11	1	«كُسِير وعُوَيْر». هو مثل عربي قديم . وهو بتمامه : «كُسِير وعُوَيْر وكلُّ غير خير». أصله أن امرأة منهم تزوجها أعور فولدت منه خمسة، ثم طلقها فتزوجت آخرَ ظهر أنه أعرج . فقالت المثل المذكور . يُضْرَب في الشيء يكره ويذم من وجهين : كذا في أمثال الميداني ، ولكن المناسب هنا ما قال العسكري في جمهرة الأمثال 165 : «يُضْرَب مثلاً في الخلتين المكروهتين ، والرَّجلين الرَّدِيَّين» . ونصُّ المثل عنده كما عند الميداني ، وصاحب معجم البلدان رواه : «كُسِير وعُوَيْر وثالث ليس فيه خيرٌ» ، ورأى أن كُسِيرًا وعُويرًا جبالان في البحر ، بين البصرة وعُمان يشفقون على المراكبِ منهما . انظر من «كسير» و«عوير» .
52	1	معنى هذا البيت مأخوذ من قول أحد الحكماء اليونانيين ، حين وقف يؤبن الإسكندر ، أو الموبذ حين كان يرثي قباز الملك : «كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظَ منه أمس» انظر المراجع التي أشرنا إليها في التعليق ، وكذا مروج الذهب (2: 368) والمستطرف (2: 294) .
57	10	«يجوع» هي كذلك في ط، س . وفي ل : «بجَوْحَى» ، وهما موضعان : أحدهما : «جوخاء» بالفتح والمدّ : موضع بالبادية في ديار بني عجل كان يسلكه حاجّ واسط ، وقد قصره بعض الشعراء . والثاني : جَوْحَى بالضم والقصر : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد . انظر معجم البلدان .
95	16	سألت حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملّي عن «أبي ريانوس» فكتبَ إلى : «هو على الحقيقة : (أبِرْيُونِيدِس) أي

صفحة

سطر

منسوب إلى: **Hyperion** المسمّى أيضًا: **Helios**، أي الشمس، وتلفظ «عالْيوس». وما «عالْيوس» إلا «عالي» أو «عالٍ» كسعت بعلامة الإعراب في كلام اليونان. ويطلق هذا اللفظ على كل ما يراد وصفه بالعلو أو الطول أو الارتفاع. فالدجاج «أبي ريونوس» أو «أبيريونوس» هو ما يسمّيه اليوم العراقيون بالدجاج الهَرَّائي بمعنى الهَرَّوي؛ لأن ديكتها جلبت من هرة، المشهورة بحسن دجاجها وعلوها وكبرها. فالكلمة إذن يونانية وقد صحفها النساخ لجهلهم إياها.

«الطبرزين» قال العلامة الأب أنستاس: ليس في العربية طائر باسم طبرزين. والاسم الصحيح هو «طبرادران» وأصح منها بالدال، أي «دُبرادران» أو «دُبرادران» ومعناها الأخوان؛ لأن «دون» بالفارسية معناها اثنان، و«بَرادر» الأخ، و«ان» للجمع أو للتثنية؛ إذ لا فرق عند الفرس بين المثنى والجمع. والحمام لا يخاف الدبرادران ولا الكركي، كما هو مقرر في علم الطير. واسم الدبرادران العربي هو الزُمج، وسمّاه الفرس ما معناه الأخوان؛ لأنه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه، واسمه بلسان الغربيين من الإنجليز: **Goshawk** وبالفرنسية: **Autour**.

19

104

كنت قد كتبت إلى المحقق الأب أنستاس ماري الكرملّي لتحقيق هذه الكلمات الواردة في عوالم المجوس، فكتب إلى في 27/8/39 ما نصه:

10، 11

198

«وعندي أن هذا المجوسيّ استعمل ألفاظًا يونانية في كلامه، تعميةً للأبصار، وغشاوةً للأفكار، وتبيانًا للباحثين، أنه على صلة دائمة بعلوم اليونانيين، ووقوفه وقوفًا تامًا على مصطلحاتهم وأوضاعهم، مع أنك لو تدبّرت أحسن تدبّر هذه الأوضاع التي نفثها صدره، أو سمعها سماعًا من أحد أبناء مذهبه من أهل التلفيق والتمويه، لشفت لك عن كذبها وزورها وزيفها، وبانت لك الحقيقة بثوبها الذي البسته. ونحن نؤيد لك صدق كلامنا هذا، بنقل تلك الحروف على ما هي في اليونانية، مع دقة ضبطها العربي والغربي وشرح معانيها فنقول:

صفحة

سطر

- 1- أبوسالس: **Hyposalos** أي تحت البحر، وهو أقرب عالم إلى أرضنا.
- 2- أبرمأكس: **Hypermakec** أي العالم الممتد امتدادًا فاحشًا.
- 3- أبريدس: **Hyperedus** أي الطيب في النهاية، أو الطيب غاية الطيب.
- 4- كارس: **Kheres** أي السييء الممقوت.
- 5- حريرة آميس: **arera amenes** أي المناسب الخوار. وزاد بعض علمائهم من فرقة أخرى أسرس **asyres** أي النجس. ومنهم من زاد على هذه العوالم الستة عالمًا سابعًا ليقابل بهذه العوالم السبعة سبعة عوالم السماء المعروفة بالسيارات السبعة أو الأفلاك السبعة، وسمّوه: أبوجايوس: **hypogaios** أي العالم الذي تحت الأرض.

الأب أنستاس ماري الكرمللي

القاهرة في 27/8/39 .

قال البيروني في كتاب (الجماهر) عند الكلام على الألماس: «وشبهه الكندي بالزجاج الفرعوني» انظره ص 93، وكلمة «الألماس» هي الوجه في «الماس». وللمحقق الكبير الأب أنستاس بحث ممتع في تحقيق هذه الكلمة. انظر نخب الذخائر ص 20، ويظهر لي أن المراد بالزجاج الفرعوني هو الألماس الصناعي. وانظر التبصر بالتجارة للجاحظ ص 16 .

كلمة «ميسر» جاءت في الأصل هكذا، والمعنى مستقيم بها. ومثلها في (4: 49س8). وهي تنظر إلى الحديث المشهور: «اعملوا فكلّ ميسر لما خُلِقَ له». انظر الجامع الصغير 1202، ولا موجب للقول بأنها «مسير».

«فقلت لبقار» كلمة «بقار» ذات مغزى خاص في التشاؤم وتجدد في نهاية الأرب (3: 136) هذه العبارة: «وإن خرج فلقي بقراً فليرجع»، يريد أن البقر مما يتشاءم به، وهذا النص نقله النويري عن الجاحظ. انظر باب الزجر في نهاية الأرب (3: 134-143).

الأترج: ضرب من الفاكهة يكثر بأرض العرب، وهو مما يغرس غرسًا ولا يكون بريًا، وقد تبقى شجرته عشرين سنة، وهو

200 17

220 9

241 16

244 11

صفحة

سطر

صنفان: تفه وحامض، وهو أبيض الجوف أصفر القشرة، فيه
يقول أبو القاسم الزاهي:

وذاً جسم من الكافور في ذهب
دارت عليه حواشيه بمقدار
كأنها وهي قُدّامي ممثلة
في رأس دوحته تاج من النار
ويقول آخر:

يا حَبْذا أترجّة
تحدُّ للنفس الطرب
كأنها كافورة لها
غشاء من ذهب
ويسمى أيضاً [«تفاح ما هي» وتفتح مائي. واسمه العلمي:
Citrus Medica Risso، ورواية البيت الثاني في حلبة الكميت
264 ونهاية الأرب (11: 183) تشبه رواية العقد:

خاف التلوّن إذ أتته لأنها
لونان باطنها خلاف الظاهر
ويشبه هذين البيتين ما قيل في التطير من السفرجل (حلبة الكميت
258):

أهدى إليه سفرجلًا فتطيراً
منه فظلّ نهاره متحيراً
خاف الفراق لأن شطره هجائه

سَفَرٌ وَحُقَّ لَهُ بِأَنْ يَتَطَيَّرَا
«حتّى إذا طعنوا» هكذا جاءت الرواية في ط، ش، ل، وكذا
العمدة (2: 20) والوساطة 44، والأجود من هذه الرواية رواية
الديوان ص 41 وعيون الأخبار (1: 190) والعمدة (2: 220) ونقد
النشر ص 90: «حتى إذا طعنوا». قال الشنمري في تأويل البيت:
«يقول: إذا ارتمى الناس في الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمي
فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا تضاربوا
بالسيوف اعتنق قرنه والتزمه».

صفحة	سطر	
256	6	تاء الافتال إذا وردت بعد التاء المثلثة، كان لك فيها أوجه ثلاثة : أولها البيان، وهو الأصل. وثانيها تحويلها مع التاء إلى تاء مثناة مدغمة. وثالثها تحويلهما إلى تاء مثلثة مدغمة. وتقول في الافتعال من «ثأر»: اثتأر، واتأر، واثأر. وفي مفتعل من «ثرد» مثررد، ومثررد، ومتررد. انظر شرح المفصل لابن يعيش (10: 184 س26-30).
265	6	«خيزران ريحها عبق» هذه رواية ط، ش وكذا ديوان الفرزدق من خمسة دواوين العرب 199 وعيون الأخبار (1: 294). وأثت الخيزران لتقدير: «عصا خيزران». والرواية المعروفة «ريحه عبق» وهي رواية ل. وانظر ص 76.
268	12	«نواكس»: جمع ناكس، وهو من الجمع الشاذ. وقد أسهب البغدادي في الحديث عن نحو هذا الجمع في الخزانة (1: 190-195 سلفية). وفي مجلة الرسالة العدد 315 ص 1394 بحث قيم، واستدراك طيب لهذا الشذوذ الصرفي.
270	20	«فاستجودها» كذا جاءت العبارة في كلام حمزة بن الحسن الأصبهاني في ديوان أبي نواس 132، والقياس والمعروف: «استجادها»، كما أن المسموع من الشاذ [«أجوده» أي وجده جيداً. انظر شرح الشافية للرضي 191.
302	6	وجاء أيضاً في تهذيب الكمال ج11 من مخطوطة دار الكتب المصرية (25 مصطلح) في ترجمة هشام الدستوائي: «ودستوا: كورة من كور الأهواز، كان يبيع الثياب التي تجلبها منها فنسب إليها. ويقال له صاحب الدستوائي أيضاً».

كتبه

عبد السلام هارون

مصر الجديدة في

20 من رمضان من سنة 1385

12 من يناير من سنة 1966

أبواب الكتاب

باب ذكر الحمام	3
باب في صدق الظن وجودة الفراسة	32
باب من المديح بالجمال وغيره	52
باب آخر في مثل ذلك من الغضب وفي ذكر الجنون في المواضع التي يكون ذكره فيها محموداً	60
باب من الفطن وفهم الرطانات والكنايات والفهم والإفهام	70
باب ذكر خصال الحرّم	80
باب ذكر الحمام	83
باب ومن كرم الحمام	126
باب القول في أجناس الذبّان	162
باب ليس في الأرض جنس يعتريه الأوضاح	135
باب الحمام طائر لئيم	140
رجع القول إلى ذكر الذان	203
باب القول في الغربان	218
باب فيمن يُهَجَى وَيُذَكَّرُ بالشؤم	259
باب في مديح الصّالحين والفقهاء	266
باب القول في الجعلان والخنافس	270
باب القول في الهدهد	278
باب القول في الرّخم	284
باب القول في الخفا	288